وزارة المعارف العمومية

ديوان حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين بك
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية سابقا

أحمد الزين
بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية سابقا

ابراهيم الابيارى
المدرس
بالمدارس الأميرية

الجزء الأول

ويشمل :

المدائح والتهانى ، الأهاجى ، الإخوانيات ، الوصف ، الخمريات ، الغزل ، الاجتماعيات

[الطبعة الثالثة]

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٨

وزارة المعارف العمومية

ديوان
حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين بك
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية سابقا

أحمد الزين
بالقسم الأدبى
بدار الكتب المصرية سابقا

ابراهيم الابيارى
المدرس
بالمدارس الأميرية

المجلد الأول

ويشمل :

المدائح والتهانى ، الأهاجى ، الإخوانيات ، الوصف ،
الخمريات ، الغزل ، الاجتماعيات

[الطبعة الثالثة]

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة ديوان حافظ ابراهيم

للأستاذ أحمد أمين بك

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(١) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده ، ولم يعرفه حافظ نفسه ، كما أقر بذلك ، وقد عرض على (القومسيون) الطبي عند ما أريد تعيينه فى دار الكتب ، فقدّر سنه تسعا وثلاثين سنة ، وكان الكشف الطبي عليه يوم ٤ فبراير سنة ١٩١١ ، برآسة الدكتور بتسى ، وهذا هو السبب الذى اعتمد عليه من قال : إنه ولد يوم ٤ فبراير سنة ١٨٧٢ م ، وهو سبب واهٍ كما ترى .

(٢) كتب حافظ بخطه ما يأتى : "ولدت فى ذهبية (أى حراقة) بالنيل ، بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد" .

(٣) كتب إلى (ديروط) للبحث فى الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ ، فأجابت بأنها بحثت من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه فى دفاترها .

(٤) كتب حافظ بخطه أن "أباه اسمه إبراهيم فهمى ، واسم أمه الست هانم كريمة أحمد البورصه لى بك" .

(٥) (الدبلومات) والشهادات الحاصل عليها : "عريضة ملازم أول" .

(٦) وظائفه :

فى وزارة الحربية :	من	إلى
ملازم ثان	١٨٩١/ ٢/١٣	١٨٩٣/ ٧/٣١
ملازم أول	١٨٩٣/ ٨/ ١	١٨٩٤/ ٥/ ٦

فى وزارة الداخلية :

ملاحظ مركز بنى سويف ... ٧ /٥ /١٨٩٤　٣/٢٣ /١٨٩٥

معاون بوليس مركز الإبراهيمية ٣/٢٤ /١٨٩٥　١٨٩٥/١٠/١٥

فى وزارة الحربية ثانية :

أحيل على الاستيداع ... ... ١٨٩٥/١٠/١٦　٣/١٧ /١٨٩٦

ملازم أول بإدارة التعيينات ... ٨ /٣ /١٨٩٦　٢ /٥ /١٩٠٠

أحيل على الاستيداع ... ... ٣ /٥ /١٩٠٠　١٩٠٣/١٠/٣١

أحيل على المعاش ... ... ١ /١١/١٩٠٣

(٧) كانت إحالته على المعاش بناء على طلبه ، فقد كتب تظلما قال فيه "إنه مكث بخدمة الجيش ١٢ سنة ، ولم يحصل فيها على غير رتبة ملازم أول ، ومضى عليه أربع سنوات وهو فى الاستيداع ، وأنه فقد الأقدمية ، ويلتمس إحالته على المعاش ليتمكن من وجود شغل له يقوم بنفقته ونفقة عائلته الكبيرة التى لا يقوم مرتب الاستيداع بلوازمها" ، "وبناء على ذلك تقرر إحالته على المعاش كالتماسه".

(٨) كان مرتبه فى الاستيداع ٤ جنيهات .

(٩) فى أثناء خدمته بإدارة التعيينات سافر إلى السودان ، وقد أمضى فيه مدّة ، منها :

يوم	شهر	
١٥	٩	فى سواكن .
٥	٢	« وطوكر .
—	١٠	قبلى حلفا .

(١٠) حينما أحيل إلى المعاش كتب وكيل الحربية ما نصه : "إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أول المحال على المعاش سلم السيف والقايش (الذين كانوا فى عهدته)" .

(١١) عين رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب فى ١٤|٣|١٩١١ تحت الاختبـار ، بمرتب قدره ٣٠ جنيها ، وفى ١٩١٢/٤/١ عين بصفة دائمـة ، وفى ٧|٢|١٩١٦ عين رئيسـا للمغيرين بدار الكتب أيضا .

(١٢) كتب وهو فى سنّ الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش ، وأن يعطى خمسين جنيها شهريا ، لأنه خدم اللغة والأدب مدّة طويلة ، فلم يجب إلى طلبه .

(١٣) ظل مرتبه فى دار الكتب يزيد إلى أن بلغ ثمـانين جنيها .

(١٤) أحيل إلى المعاش من دار الكتب فى ١٩٣٢/٢/٤ .

(١٥) مجموع مدّة خدمته فى الحكومة : ٣٥ سنة و٤ أشهر و٢٩ يوما ، وبيانها كالآتى :

يوم	شهر	سنة	
٨	٦	١٤	مدّة خدمته فى الحربية والداخلية .
٢١	١٠	٢٠	« « بدار الكتب .

(١٦) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمرضية ، وفى سـنة ١٩٢٣ طلب إجازة ثلاثة أشهر لقضائها خارج القطر ابتداء من ٣٠ أغسطس .

حياته — حوالى سنة ١٨٧٢ م ، كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيـل أمام بلدة (ديروط) فى أعلى الصعيد ، وكان يسكنها ابراهيم افندى فهمى أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم .

ففى يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة فى هـذه السفينة مولود سموه "محمد حافظ" وهو شاعرنا فيما بعد ، فكان ذلك إرهاصا لطيفا ، وإيمـاء طريفا ، إذ شـاء القدر ألا يولد "شاعر النيل" إلا على صفحة النيل .

كان أبوه "إبراهيم فهمى" مصريا صميما ، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصه لى" من أسرة تركية الأصل ، تسكن "المغربلين" تعرف بأسرة الصروان ، إذ كان والدها أمين الصرة فى الحج ، ، فلقب بالصروان (القيم على الصرة) ولقبت الأسرة به

ومع أن الدم التركى كان يجرى فى عروقه كالدم المصرى ، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب ، ولم يشد بذكر الأتراك إشادة (شوقى) بهم ، لأن ما كان فى (شوقى) دم تركى (أرستقراطى) ، وما فى حافظ دم تركى (ديمقراطى) : ولأن تركية شوقى غذتها بيئة القصور التى ولد ببابها ، وعاش فى أكنافها ، وتنفس فى جوها ، وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة ، وعيشه فى أوساط الجماهير ، واندماجه فى غمار الناس ، يعيش عيشتهم ، ويحيا حياتهم ، فماتت عصبيته التركية إلا نادرا ؛ فكان شوقى إذا شعر فى الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه ، يفخر بنصرهم ، ويعتز بعزهم ، ويراعى العلاقة القوية بين عابدين ويلدز ، وبين الخديو والخليفة ، وإذا شعر حافظ فى ذلك لم تر عصبية جنسية ، إنما هى عصبية دينية ووطنية ، فهو يفخر بنصرة الترك ، لأنها نصرة الإسلام ، ويخشى على الخلافة لأن فى ضعفها ضعفا لدينه وفى النيل منها نيلا من وطنه .

*
* *

لم يعش أبو حافظ طويلا بعد ولادته ، ولم يرزق ولدا غيره ؛ وقد توفى إبراهيم فى ديروط وحافظ فى الرابعة من عمره ، فانتقلت به والدته إلى القاهرة ، ونزلت عند أخيها ، فتولى أمره وقام بتربيته .

أدخله خاله مدرسة " تسمى المدرسة الخيرية " كان مقرّها (القلعة) ، وكانت مكتبا تعلم فيه القراءة والكتابة وشيء من العربية وشيء من الحساب .

ثم دخل مدرسة القربية وهى مدرسة ابتدائية يعلم فيها ما يعلم فى المكتب على نمط أرقى .

ثم تحوّل إلى مدرسة المبتديان ، ثم صار إلى المدرسة الخديوية ، ولكن لم يطل مقامه فيها ، فانتقل مع خاله " محمد أفندى نيازى " إلى طنطا ، وكان خاله هذا مهندس تنظيم بها .

وقد تعرّف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدى ، وذلك فى شعبان سنة ١٣٠٥هـ — أبريل سنة ١٨٨٨م . وسنّ حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاما . قال الأستاذ النجار : " عند ما عدت من القرشية إلى طنطا فى شعبان من تلك السنة ، رأيت إخوانى وأصدقائى يلوذون بفتى غض الإهاب ، جديد الشباب ، وقد أسرعوا بتقديمى إليه وتقديمه إلى ، باسم الأديب الشاعر " محمد حافظ إبراهيم " ولم تمر إلا عشية أو ضحاها حتى

أحسست من نفسي ميلا إليه يجاذب من الأدب الذى كان نهمة نفسى، حتى آل ذلك إلى غرام بأدبه ، وما يشتمل عليـه من ظرف ولطف محاضرة ، وبديهة مطاوعة ، وسرعة خاطر ، وحضور نادرة " .

" وقـد قضينا رمضان هذه السنة نصلى المغرب والعشاء والتراويح معـا ، ثم نلبث فى سمر ممتع ومطارحة للشعر ، ومذاكرة فى نوادر الأدب ، وما كان يطرفنى به ممـا يقف عليه من جيد القريض ، إلى أن يأتى وقت السحور ، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى انبثاق الفجر. فنؤدّيه ، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة . ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع ، فيذهب كل منا إلى بيته [1] " .

فهو فى سنّ السادسة عشرة يربى نفسه بالمطالعات ، ويحفظ جيـد الشعر ، ويسمر به مع أصدقائه ، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر ، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التى أنشأها بنفسه لنفسه ، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم .

وحدثت حادثة طريفة تدل على شدّة شعوره بجمال الطبيعة ، وحسن ذوقه وجودة حسه ، فقد رأى طائرا جميلا هو (اللقلق) أو كما يسمى فى مصر " البشروش " فى حديقة مدرسة الفرير بطنطا ، فكان يفزعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته ، واستمر على هذا حتى ضج رجال المدرسة ، وأكمنوا له وقبضوا عليـه ، وأسلموه للضبطية ، ثم عفوا عنه لمـا رأوا من سذاجته وطهارة الباعث على عمله [2] .

طبعى أن يمل خاله هذه الحال التى عليها ابن أخته ، ولو كان أبوه حيا لملها منه ، فشاب ليس فى مدرسة ، وليس له ثروة ، ثم لا يتكسب ، حالة توجب الملل ؛ أشعره خاله بذلك ، أو شعر هو به . فنظم له بيتين يدلان على ما فى نفسه من ألم عميق ، فهو يقول :

ثقلت عليك مؤونتى إنى أراها واهيـــه
فافرح فإنى ذاهب متوجه فى داهيـــه

---

(١) مقال للأستاذ النجار نشر فى مجلة أبولو : يوليه سنة ١٩٣٣ .

(٢) المصدر نفسه .

شعر ساذج فى سنّ الصبا ، ولكنه يكنّ عاطفـة قوية حزينة . موقف أليم فى بيت خاله يذكره دائمـا بيتمه وعدمه ، و يصوّر له دائمـا بؤسه وشقاءه ؛ وهذا يفسر لنا ما كان فى نفس حافظ من حزن عميق ، وألم كامن ، على الرغم ممـا يلوح على سطحها من ضحك وسرور .

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه فى هذه الحالة، كان كثيرا ما يشكو الدهر و يندب سوء حظه، ويتبرم بأحداث الزمن . ويتمنى لو يوافيه حمامه ؛ فمن ذلك قوله :

عجبت لعمرى كيف مد فطالا وما أثرت فيـه الهموم زوالا
وللموت ، مالى قد أراه مباعدا وجل مرادى ان اوسد حالا
فللموت خير من حياةٍ ارى بها ذليلا وكنت السيد المفضالا

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل ، وعضه الفقر ، لقـد أبى أن يأكل من بيت خاله ، فمن أين يأكل ؟

كانت أمامه إحدى سبيلين : سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علمـا لم يتبع نظاما ولم يستند إلى "شهادة" وهى أن يكون معلما فى مكتب أو شبهه . كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره ، أو يكون محاميا . كلاهما إذ ذاك مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولاشرط .

ولعل حافظا رأى أنه طلق اللسان ، حسن التأتى إلى ما يريد، مداور محاور ، وأن المحاماة تدرّ على صاحبها إذا نجح ما لا يدرّ علية التعليم إذا نجح . ففضل أن يكون محاميا .

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتبا ، و ينتظر شهرته " فذهب إلى أحد المحـامين الشيخ محمد الشيمى المحامى بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده فى مكتبه وكان يسافر إلى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا ، و يترافع فى القضايا و يكسبها ثم اختلف معه وتركه " وترك له بيتين وهما :

جراب حظى قد أفرغته طمعا بباب أستاذنا الشيمى ولا عجبا
فعاد لى وهو مملوء فقلت له مما؟ فقال: من الحسرات واحربا

ثم انتقل بعد ذلك إلى مكتب محمد أبى شادى بك بطنطا، فمكث عنده مدّة كان فيها مغتبطا كل الاغتباط ، وكان أبو شادى بك يرى نفسه قد عثر على كنز ثمين فكانا يتنادران بالأدب ، ويتطارحان الشعر .

ثم خرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهيم أفندى المحـامى ، فمكث فيه مدّة من الزمن يشتغل عنده [1] " .

*
* *

لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماة ولم ينجح فيها ؛ ويرجع ذلك — فى نظرى — إلى أمور: فالمحاماة تتطلب عكوفا على درس القضايا وكتابة وقائعها ، ووضع مذكراتهـا ، وليس "حافظ" بالصبور على ذلك ، فهو يجيد الكلام ويجيد الدفاع بالخطرات تخطر له ، ولكنه لايجيد البحث والكتابة ؛ ثم كان فتى غرا ، فهو فى السادسة عشرة ، أو فى السابعة عشرة لم تحنكه التجارب ، ولم تعلمه الأيام ، إنما كان همه أن يستعرض ديوان شعر يقع منه على ما يرضى ذوقه ، فيرتسم فى حافظته ؛ أما العناية بكتب الفقه والقـانون ومراجعتها ، واستخراج الحكم منها ، فعمل لم يألفه حافظ ، ولم يدرسه ، ولم يتذوقه ، ثم هو ملول لا يشتغل فى مكتب واحد حتى يمله وهى خصلة لا تنجح ، كالتاجر يفتح كل يوم دكانا فى مكان ثم يغلقها ليفتح فى مكان آخر — وأخيرا — هو متلاف ، ينفق كل ما تصل اليه يده ، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه .

فشل فى المحاماة ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا إلى القاهرة ، ويدخل المدرسة الحربية .

يبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشىء ، ومحام فاشل ، يفكر فى أن يكون ضابطا ! لسنا ندرى الباعث على هـذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودى الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى فى نفسه من بسطة فى الجسم ، وقد تكون المصادفة البحتة هيأت له ذلك .

وأيا ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واغتبط بدخولها ومنى نفسه بمنصب حكومى يضمن له فيه الرزق ، ثم يقول الشعر بعد ذلك ، يغنى به لنفسه ولإخوانه ، وظل فى المدرسة الى أن تخرّج سنة ١٣٠٩ هـ — ١٨٩١ م . فيكون عند تخرجه فى سنّ العشرين تقريبا .

وكانت المدرسة الحربيـة قد نظمت فى عهـد الخديو توفيق باشا عقب الثورة العرابية ، وأدخل عليها تعديلات جديدة ، وعين لها (البكباشى) هوليوت (Huleatt) الإنجليزى (قومندانا) ،

---

(١) المصدر نفسه .

وكان ناظرها اللواء لارمى باشا الفرنسى . وزادوا عدد تلاميذها الى بضع وتسعين ، وكان ذلك سنة ١٨٨٧ ، وجعلت الدراسة فيها نوعين : دروسا مشتركة لجميع التلاميذ ، ودروسا خاصة للاقسام ؛ فالمشتركة هى القوانين ، والتعليمات العسكرية ، والجغرافيا ، واللغة الأجنبية ، والطبيعة والكيمياء ، والرسم ؛ والخاصة هى (الطبوغرافيا) ، والاستحكامات ، والتمرينات فى (الطوبجية) والسوارى (والجناز والشيش) . وعين المستر براين الإنجليزى أيضا فى وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة ١٨٨٩ ، وأصدر السردار أمرا ببيان اختصاص القومندان والمعلم الأول فكان اختصاص القومندان النظر فى كل شىء يتعلق بإدارة المدرسة ، واختصاص المعلم الأول النظر فى البرامج ؛ وبذلك سلب من الناظر الفرنسى كل شىء[1] .

هذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدد برامجها ، وتحد من تعليمها . وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيرا من ناحية معارفه العامة ، فما كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعاته الشخصية .

عين فى الحربية بعد تخرجه وظل بها نحو ثلاث سنوات ، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ (بوليس) فى بنى سويف ، ثم الإبراهيمية لأن مدرسة (البوليس) لم تكن أنشئت بعد ، فكان يؤخذ (للبوليس) من الحربية ، ثم أعيد للحربية . وسافر منها الى السودان فى الحملة الأخيرة التى كانت بقيادة اللورد كتشنر ، وكانت منطقة عمله فى السودان الشرقى .

تبرم حافظ من عمله بالسودان ، وأكثر من الشكوى الى أصدقائه ، وعاوده داء الملل القديم ، ولم يطق جو السودان ، ولا جفاء العيشة فى السودان ، فتحسر على أصدقائه فى مصر ، وليالى الأنس بها ، وجوها البديع ، وعيشها الناعم ، كما يدل على ذلك شعره فى هذه الفترة .

قال فى ذلك يصف حاله :

وما أعذرت حتى كان نعلى　　دما ووسادتى وجه التراب
وحتى صيرتنى الشمس عبدا　　صبيغا بعد ما دبغت إهابى
وحتى قلم الإملاق ظفرى　　وحتى حطم المقدار نابى
متى أنا بالغ يامصر أرضا　　أشم بثريها ريح الملاب

---

(١) انظر الجزء الثانى من حقائق الأخبار لاسماعيل سرهنك باشا .

وزاد حاله سوءا فى السودان كراهية كتشنر له ، إذ كان حافظ غير مغنى بنظام ، ولامراع حسن هندام ، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان ، إذ يقول "وقعدت همة النجمين ، وقصرت يد الجديدين ، عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد ؛ فقد ضمّ ضغنه علىّ ، وبدرت بوادر السوء منه إلى ، فأصبحت كما سر العدو ، وساء الحميم " الخ .

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه ، ويرفع التقارير السيئـة عنه ، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز فى ذمه يحدو بها هو وأصحابه ، فمنها قوله فيه :

تراه إذ ينفخ فى المزمار تحسبه فى رتبة السردار
يجتنب العاقل والنبيها ويعشق الجاهل والسفيها

*
* *

وأفادته أيام عمله فى المحاماة فاستغلها فى السودان ، فقد عرف بين إخوانه بقوة الحجة ، وحسن البيان ، فكان كثيرا ما ينيبه الضباط المتهمون فى الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية .

حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة فى السودان ، اتهم فيها ثمـانية عشر ضابطا ، كان من بينهم حافظ ، فحوكموا وأحيلوا إلى الاستيداع .

وقد قال اللورد كرومر فى كتابه "عباس الثانى" عن هذا الحادث ما يأتى :

" عنـد ما شبت حرب جنوبى أفريقيا . عاد كثير — من أفضل الضباط البريطانيين ، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السودانى — الى فرقهم الأصلية فى الجيش البريطانى ، ونظرا لبعض الملابسات التى لا حاجة بى إلى ذكرها — والتى ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الخبيرون الى السفر — حدث استياء فى الجيش وجاهرت فرقة من فرق الجيش السودانى بالعصيان ، وقد كثرت الإشاعة بأن الخديو قد قال أقوالا تجعل الثائرين يعتقـدون أنه راض عنهم عاطف عليهم . على أن الثورة أخمـدت بدون إراقة دماء ، وحوكم عدد من الزعمـاء أمام المجالس العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن مددا مختلفة ، وأرسلوا إلى مصر ليقضوها بها .

ولما حادثت الخديو فى هذه المسألة ، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ما كان يقال عن اشتراكه فى الثورة ، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته ، واقتصرت فى حديثى على وصف الحادثة

والخيانة العظمى التى ارتكبها بعض جنده نحو سموه ، واقترحت عليه أن يرى المحكوم عليهم ، ويخاطبهم بكلمات اخترتها وعربتها له ، فوجد الخديو نفسه فى مأزق حرج ، وموقف لا يدرى كيف يخرج منه ، لأنه إذا رفض يعرّض نفسه للشبهـة فى أنه حرض على الثورة فى جيشه ، كما فعل جدّه من قبله ، وإذا قبل يتضح للثائرين أن لا أمل لهم بمساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من من احترامه ونفوذه فى الجيش ، على أنه — كما كنت أتوقع — اختار الأمر الأخير" (١) .

أثر هذا الحادث كثيرا فى نفس خافظ وملأه يأسا وخالط نفسه شيء ليس بقليل من الخوف فلم يقل فى ذلك شعرا ، أو قاله وكتمه ، وزاد فى خوفه ويأسه ، ما صار اليه أمر الثورة ، وأمر الأمير .

وخير ما يمثله فى هذا الموقف قوله :

إذا نطقت فقاع السجنِ متكأ　　وإن سكت فإنّ النفس لم تطِب

ثم التمس إحالته إلى المعاش ، فأجيب إلى طلبه ، وكان قد أخذ يبحث عن عمـل يعمله ، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملا فيها ، ويظهر أن ذلك كان بإيعاز الخديو ، لأنه شـعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط ، وأنه هو السبب فيما آلت اليه حالهم ، وأنه لا يستطيع توظيفهم فى الحكومة ، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرّة ، يدل على ذلك أن الذى قدّم حافظا لصاحب الأهرام هو شوقى بك . وصلته بالقصر معروفة . ولكن ذلك لم يتم ، ولسنا ندرى السبب فى ذلك .

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام ، وكان قد اتصل به أيام كان فى السودان ، فلما عاد زاد اتصاله به ، وعطف عليه الأستاذ ، وأنهله من علمه وفضله ، كما غشى مجالس الأدباء والعظماء ، يسمع منهم ، ويغنى لهم بشعره وأدبه ، حتى كانت سـنة ١٩١١ فساعده المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعينه رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية ، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢ ، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحوا من عشرين سنة .

كما أعانه حشمت باشا ، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانيـة ، فأنعم عليه بهـا سنة ١٩١٢م . ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة .

---

(١) كتاب اللورد كرومر "عباس الثانى" .

فى سنة ١٩٠٦ بعد أن عاد حافظ من السودان ، تزوج من أسرة بحى عابدين ولكن لم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر ، فافترق الزوجان ، ولم يعقب منها ؛ ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج.

وتوفيت والدته حول سنة ١٩٠٨ فظل يعيش مدة فى بيت خاله ، وبعد أن توفى خاله ، كان يعيش مع زوجة خاله نيازى بك الست عائشة هانم ؛ فكانت تدبر بيته ، وتقوم بأمره ، وكانت لم ترزق بأولاد ، فكانت تتبنى بنتين وظلت تقوم بشؤونه إلى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

وفى بيت صغير بالزيتون من ضواحى القاهرة ، توفى حافظ فى الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يوليه سنة ١٩٣٢ ، أى بعد إحالته على المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف .

دعا فى ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب . فاقتصر على أن آنسهما بحديثه .

وبعد انصرافهما ازداد ألمه ، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا كان حافظ فى النزع الأخير ، وما ليث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

أخلاقـــه — انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حداثته ، فقد مات والده صغيرا ، ولم يورثه ثروة . وكان بائسا فى بيت خاله ، ولم ينجح فى المحاماة ؛ وأصيب فى منصبه فأحيل إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش فى مقتبل عمره ، وكانت له إلى هذا نفس شاعرة ، وحس مرهف ، فأثر كل ذلك فى نفسه أثرا بليغا ، فهو ناقم على الدهر ، ناقم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقائه مسعـدا ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شىء ؛ وكان له ذوق بارع فى اختراع النكتة من كل ما يدور حوله ، فما يسمع حديثا ، أو يعرض أمامه شىء ، حتى يدرك موضع الفكاهة منه ، فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعمـاق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ؛ فكان فى مجالسه موضع إعجابهم ، ومنبع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهة حاضرة ، تستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهو زينة المجلس ، وبهجة النادى .

ومن العجيب مع هذا أنك قلما ترى للنوادر والنكات فى شعره مجالا ، فمن قرأ شعره وحده ، ولم يعرف شيئا من صفاته ، لا يشعر بأنه كان فكها مزاحا ، وسبب ذلك أن الأديب فى كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر ؛ فله فى حياته العامة شخصية خاصة ، فاذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره ، انصب فى قالب خاص ، وتقمص شخصية أخرى ؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيرا من فكاهته فى شعره لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير . وسبب آخر ، وهو أن الناس كانوا ينظرون الى هذه النوادر ، كأنها من الأدب الشعبي الذى لا يصح أن يرتقى الى الأدب الأرستقراطى ، ولذلك قل أن يدخلوا — حتى الآن — فكاهتهم ونوادرهم فى الأدب ، كما احتقروا القصة ، واحتقروا ألف ليلة وليلة ، وقصة عنترة ونحوها ، ولم يعرها الأدباء الراقون اهتماما إلا فى الأيام الأخيرة ، فكان حافظ إذا قال شعرا فى فكاهة أو مزح ، عدّه من سقط متاعه ، ولم ينظر إليه عند ما يتخير شعره للنشر أو التدوين .

*
* *

ثم قد تعوّد فى حياته ألا يقيم للمال وزنا ، فهو كريم ، واسع العطاء ، ذاق طعم البؤس ، فعرف موقعه من الناس ، فسخت كفه ، وندیت راحته ، حتى لو ملك الدنيا كلها لفرقها فى يوم واحد ؛ قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما فى يده وهو أحوج ما يكون إليه لسدّ رمقه وتفريج همه .

وكما كان كريما على الناس فهو كريم على نفسه ، يمتعها بما تشتهى ما وجد إلى ذلك سبيلا ، يأكل خير ما يؤكل ، وقد عرف إخوانه بيته بذلك ، ويدخن خير "سيجار" وأغلاه ، ويستمتع بكل ما تصبو إليه نفسه ، فاذا فرغ جيبه عرف كيف يصبر ، له يد صناع فى الكسب ، خرقاء فى الإنفاق ، خير أيامه وهو "موظف" بضعة أيام فى أول الشهر ، ثم لا شيء ، فاذا لم يكن "موظفا" فخير أيامه ما استفاد فيها مالا فحسب ، لو كان تاجرا لأضاع رأس ماله فى أول شهره ثم أعلن إفلاسه ، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله فى أيامها الأولى ثم لا إنفاق . ومن طريف ملاحظاته فى ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطى موظفها أكبر مرتب أول استخدامه ، ثم تنقصه شيئا فشيئا كلما تقدّمت به السنّ ، لا أن تعطية مرتبا يزيد مع القدم ، وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه ، وهذا هو زمن الإنفاق ، فاذا هرم ثم شاخ فيكفيه القليل ، وحسبه من غنى شبع وري .

ومع هذا لم يكن سخيا بمنصبه سخاءه بماله ، فهو حريص على بقائه فى عمله بدار الكتب أشد الحرص ، ضنين به أشد الضن ؛ فهو لا يقول شعرا يغضب به أحدا من ذوى السلطان خشية أن يزحزحوه عن منصبه ، أو ينالوه بأذى فيه ؛ وإن قال شعرا سياسيا أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه فقد قال قصيدته فى مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩ ، ولكنها نشرت فى منشور من غير اسمه ، ولم تنشر فى الصحف إلا سنة ١٩٢٩ حين أمن عاقبة نشرها ؛ وكذلك قصيدته التى قالها حين خيف على الاستانة من احتلال الأجانب ، لم تنشر إلا سنة ١٩٣٢ ، وهكذا ، وما قاله من الشعر السياسى فى ذلك العصر — صراحة — هادئ لين ، أو فى ظروف تحميه ؛ بل قد قال فى ذلك العهد أحيانا ما يخالف منهجه ، ولا يجرى مع ما عرف من حماسته ، كقوله للغفور له السلطان حسين يطلب اليه أن يوالى الانجليز ويمادهم حبال الود :

ووال القـــوم إنهم كرام ميامين النقيبة أين حلوا
وليس كقومهم فى الغرب قوم من الأخلاق قـد نهلوا وعلوا
وإن شـاورتهم والأمر جد ظفرت لهم برأي لا يزل
فمادِدهم حِبـال الودّ وانهض بنـا فقيـادنا للخير سهل

* * *

ومن ثم كانت هذه الفترة فى حياته — وما أطولها — فترة نضوب فى شـعره ، وجمود فى قريحته إلا نادرا ، فكان منصبه نعمة عليه ، ونقمة على فنه ، ومنفعة له ، ومضرة على الناس ولعل أيام بؤسه الأولى روعته وأفزعته حتى قامت شبحا دائما أمام عينه تنذره بالويل والثبور وعظائم الأمور ، إن هو أصيب فى منصبه أو مس فى مرتبه .

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحالته إلى المعاش ، إذ ألف حب الأمن واعتاده ، وعقد عليه ، حتى لقد أنشدنى قبيل وفاته قصيدته التى مطلعها :

قد مر عام يا سعاد وعام وابن الكنانة فى حماه يضـام

وكانت نحو مائتى بيت ، يصف فيها وزارة إسماعيل صدقى باشا فأشرت عليـه أن ينشر بعضها ، أو يكتبها ، أو يمليها ، أو يحتفـظ بها بأى شكل من الأشكال فقـال : "إنى أخاف السجن ، ولست أحتمله" .

* * *

ثم هو واسع الصـدر فى نقدك شعره ، إذا كنت وهو على انفراد ، فإذا نشرت نقـدك فى صحيفة أو على ملأ من الناس ، فهو غضوب أشد الغضب ، ناقم أشد النقمة ، حريص على منزلته فى فنه أكثر من حرصه على شخصه ، حتى لأحب إليه أن تهجوه من أن تهجو شعره .

*
* *

وثقافته الرسمية — إن جاز هذا التعبير — ثقافة محدودة ، فهى لا تعدو دراسته فى مكتب أو مدرسة ابتدائية ، ثم دراسة فنية وما تستلزمها فى المدرسة الحربية .

ولكنه أكمل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة ، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب وأطال النظر خاصة فى كتاب الأغانى ، فقد حدث أن قرأه مرات ، وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر فى دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشـار ابن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبى نواس ، وأبى تمـام ، والبحترى ، والشريف الرضى ، وابن هانىء الأندلسى ، وابن المعتز ، والعباس بن الأحنف ، وأبى العـلاء المعرّى ، يدل على ذلك ما كان يحفظ من متخل الأدب وعيون الشعر ، فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفـوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دوّن ما يحفظه لفاق أبا تمـام فى اختياره "ديوان الحماسة" إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه وتلبى اختياره ، فما يختار جيدا من القول حتى يرتسم فى حافظته ، ويبقى فى ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك فى شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة فى عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها فى الدراسة ، بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ، ومن تلك رشفـة ، فهو يرضى ذوقه فى أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه فى نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتبة المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل فى المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل فى (البوليس) فملّه ، وفى الجيش فسئمه ولولا أنه كان حرا طليقا — إلى حدّ كبير — فى دار الكتب لملها أيضا ، ثم كانت هذه الفوضى فى قراءته يتبعها إهمال فى حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنـا إنه قلما كان يعنى أن يكون فى بيته دواة وقلم ، أو مكتبـة منظمة ، كان لديه كتب تبعثر ، فيأتى زائر ويأخذ جزءا من الأغانى ، وجزءا من غيره حتى أنه لمـا مات — رحمه الله — لم يكن

فى بيته من الكتب غير جزء من تذكرة داود ، وجزء من تفسير الأحلام لابن سيرين ، فأما الأول فلأنه كان فى سنيه الاخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع إليها فيما يتخيل من أدواء ، وأما "تفسير الأحلام" فلأنه كان يعتقد فى الرؤى وأثرها فى حياة الإنسان ، وكان يرجع إليه فى التنادر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان فى ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، فى مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد فى الأحلام وصحتها ، ويتفاءل بها فى آماله فى منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشئ آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأى فى الأمة ، فقد اتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التى يلقيها على نخبة من الفضلاء فى منزله بعين شمس ، ويجلس فى مجالسه ، وقد يصحبه فى أسفاره ، ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم ، وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التى صاغها فى شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء فى المقاهى والمنتديات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وإمام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكنته من الاطلاع على شئ من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع لجان جاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران فى ترجمة "كتاب موجز الاقتصاد" وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزى ، كما ترى أثر ذلك فى ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربى ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا فى شعره ، إنما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربى ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقـد أتاح له بؤسه الامتزاج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم فى الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه وأن يتصل برجال النهضـة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حمـاسة من حماستهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

* شعره — منح حافظ عاطفة قوية ، ونفسا فنية سمت به عن أقرانه من نابتة العصر ، ومن طلبة المدرسة الحربية التى كان بها ، وإلا فما الذى جعله وسط صليل السيوف ، والتدريب العسكرى ، وترويض الخيل ، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه ، ويتخيره ويحفظه ، ثم يحاول أن يقلده ، وينظم على غراره ؛ وكان له أسوة حسنة فى محمود سامى البارودى باشا ، فقد تخرج فى المدرسة الحربية ، وتعلم فنونها ، وترقى فى رتب الجيش ، وخاض معامع القتال ، وكان رب القلم ، كما كان رب السيف ، وكان مؤسس النهضة الحديثة فى الشعر ، أعاد اليه بهجته الأولى ونضارته وقوته . فاتخذه حافظ مثله الأعلى يحذو حذوه ، ويختط نهجه ، ويأمل أن يبلغ فى الحيـاة مبلغه ، فيكون ذا الرآستين ، وحامل اللواءين ، وقد عبر عن تقـديره للبـارودى وإعجابه به فى قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه :

أمير القوافى إن لى مستهامة ... بمدح ومن لى فيه أن أبلغ المدى
أعرنى لمدحيك اليراع الذى به ... تخط وأقرضنى القريض المسددا
ومر كل معنى فارسى بطاعتى ... وكل نفور منه أن يتوددا
وهبنى من أنوار علمك لمعة ... على ضوئها أسرى وأقفو من اهتدى
وأربو على ذاك الفخور بقوله ... إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومدحه فى هذه القصيدة بالإجادة فى الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن فى التشبيب فكأنه فى مدحه البارودى يرسم لنفسه مثله ، ويحدد مستقبله ؛ وقد قلد البارودى أيضا فى ناحيتيه الأدبيتين ، فقـد عنى البارودى بالتخير من شعر الفحول ، فاختار لثلاثين شاعرا من الشعراء المولدين ، ثم أنشأ شعره ، وجود نظمه ، وكذلك فعل حافظ ، فقد تخير وشعر ، وحفظ ونظم . ولكن قعد بحافظ عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال ، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشر له بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره .

ولكن شاء الله لحافظ أن يقارب شأو البارودى فى دولة القـلم لا فى دولة السيف ، فانتهى — على عجل — تاريخ حافظ الحربى باحالته فى شبابه إلى المعاش ، واستمر — طول حياته — تاريخه الأدبى ، فلم يتحقق إلا شطر رجاءيه ، ولم يدرك من البارودى إلا إحدى دولتيه .

وكان حريا بحافظ أن يدرك أن ماناله البارودى فى عهد الاستقلال : لايمكن أن يناله حافظ فى عهـد الاحتلال ، إذ كيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحد مبلغ العظمة فى الحروب ؛ ومبلغ العظمة فى الآداب ، والاحتلال هو هو الذى حطم سيف البارودى ، بل وحطم قلمه القوى ، وقدم له قلما آخر يشكو به الدهر ، ويبكى على زمانه الغابر ؛ ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك هذه الحقائق المرة ، والشباب يهزأ بكل قوة .

على أنه يخيل لى أن حافظا لم يخلق رجل قتال ؛ نعم كان منظره رجل حرب ، فهو مستحكم الخلقة ، وثيق التركيب ، مفتول الساعدين ، عريض المنكبين ؛ ولكن لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه ، لقـد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حره ، ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها :

فمن لى أن أرى تلك المغانى وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا وتحت براثن الخطب الجسيم
أتيتك والخطوب تزف رحلى ولى حال أرق من السديم

وهكذا ظل فى السودان يبكى ويتوجع ويتشوق ، ويستغيث بالأستاذ الإمام المرة بعد المرة أن يرده إلى مصر "ردّ الشمس قطرة المزن إلى أصلها ، ورد الوفى الأمانات إلى أهلها" . وليست هـذه بالنفس الحربية ؛ ثم لما ثار الضباط فى السودان وهو منهم ، وطردوا وعادوا إلى مصر ، وأحيلوا إلى المعاش ، لم ينطق بشكوى ، ولم يثر على من ظلمه ، ولم يهج من نكبه ؛ ولكنه سكت واستسلم ، وأخذ يسعى إلى وظيفة فى القصر ، أو أن يكون شاعرا لخليفة أو أمير .

ولما عين فى دار الكتب سكت وأمعن فى السكوت ، إلا ما كان يقوله فى المواسم والحفلات ، أو ما تدعو اليه المناسبات .

كل هذا يرينا أنه كان مغاليا فى أمله — إن كان — أن يجمع فى يده بين السيف والقلم .

*
* *

ولكن إن أخفق حافظ فى حربه فقـد نجح فى شعره ، بدأ ينظمه فى أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها ، من مدح للخديو والأغنياء ، ومداعبة الإخوان والشكوى اليهم ، ونحو ذلك ؛ وقل أن تجد فى هذا النوع من الشعر معنى جديدا أو خيالا رائعا ، وإنمـا هو أسلوب من سبقه ومعانيهم وأغراضهم . ومع هذا كان يرى فى نفسه أنه فى هذا العهد أكبر شاعر فى مصر لا يفضله إلا شوقى ؛ فيقول من قصيدته التى قالها سنة ١٩٠١ :

قل للألى جعلوا للشعر جائزة　　فيم الخلاف ألم يرشدكم الله
إنى فتحت لهـا صدرا تضيق به　　إن لم تحلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد فى الشعر يسبقنى　　إلا فتى ما له فى السبق إلاه
ذاك الذى حكمت فينا يراعته　　وأكرم الله والعباس مثواه

وكان فى عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودى ، وإسماعيل صبرى ، وشوقى ، ومحمد عبد المطلب .

ولكن يحق له هذا القول ، لأن حظ مصر فى هذا العصر من الشعر ، بل من الأدب عامة كان حظا ضعيفا ، فلم ير حافظ له ندا غير شوقى ، لأن البارودى على إجادته وفتحه للناس باب الشعر الحى القوى بعد أن أغلق طويلا ، كان فى أخريات أيامه ، وقد برحت به الحوادث ، ودلف إلى القبر ، إذ أدركته وفاته سنة ١٩٠٤

وإسماعيل صبرى باشا كان أشعر من حافظ فى ناحيـة خاصة ، وهى مقطوعاته الصغيرة ، يعبر بها عن معان دقيقـة ، وعن شعور نفسى عميق — ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقى وحاول أن يحترفه حافظ — وكان منصبه الحكومى يسمو به عن ذلك .

لهذا جهر حافظ بأنه خير شاعر فى مصر إذا استثنى شوقى ، ولعله كان يرى فى أعماق نفسه أن " شوقى " لم يفضله بشاعريته ، وإنمـا فضله بقربه إلى القصر وأنه شاعر الأمير ، ولولا ذلك لمـا فضله ، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى فى هذه القصيدة نفسها ، إذ يقول :

ذاك الذى حكمت فينا يراعته　　وأكرم الله والعباس مثواه

*
* *

قامت بعد ذلك حركة فى مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية و بعض قادة الرأى ، تعيب على الشعراء هـذا الشعر التقليدى فى أسلوبه وفى أغراضه ، وفى أوزانه وقوافيه ، وتنقد شوقى وحافظا مر النقـد ، لأنهما قديمـان فى أفكارهما ، مقلدان فى أغراضهما ، محافظان فى أوزانهما .

كان من آثار هذه الحركة فى حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم ، فقال قصيدته المشهورة فى الشعر ، التى مطلعها :

ضعت بين النهى و بين الخيال يا حكيم النفوس يا ابن المعالى

عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم فى الكاس والطاس ، والمدح والهجاء والرثاء ، وحب سلمى وليلى ، ومكان الآثار والأطلال ، والرجال والجمال ، ثم يقول :

آن يا شعر أن نفك قيودا قيـدتنا بهـا دعاة المحـال
فارفعوا هـــذه الكمائم عنا ودعـونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم . فهل جدّد حافظ بعد فى شعره ؟

لم يجدّد فى بحوره وأوزانه . ولم يجدّد فى أسلوبه و بيانه ، ولا تفكيره وخياله ، إنمـا جدد فى شىء هو فوق ذلك كله ، جدّد فى موضوعه وأغراضه ، فبدلا من أن ينظم فى موضوعات امرئ القيس وطرفة ، أو جرير والفرزدق ، أو بشار وأبى نواس : نظم فى موضوعات عصره وأمانى قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فان فشل فى حرب السيف فليحارب بالقلم ، و إن تكسر سن رمحه فليشرع سن قلمه ، و إن أخطأ النجاح فى ثورة الضباط فى السودان فليكتب له التوفيق فى إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت فى شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب العربى ثانيا .

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ؛ وتشكو من تضييق الغرب على الشرق ، وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسته ؛ ويشعلون غيرته ؛ وكان الخطباء يحاولون ايقاظه ؛ — وكان حافظ — بمـا له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة — يجمع كل ذلك

فى نفسه ، فلما ثار على الشعر القـديم وحطمه ، بنى على أنقاضـه شعره الجديد فى الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ؛ وكان فى شعره يقف موقف الصحافة الوطنية والخطباء الوطنيين وقادة الرأى الاجتماعيين ، يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمـد من وحيهم ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتهبا ، يفعل فى النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ، فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد فى ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ فى ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الأمة تقريعا جارحا مؤلما على استنامتها وإخلادها إلى السكون ، واستسلامها للأجانب :

أمة قـد فت فى ساعدها بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلا وتفـــدى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بهـا أم بها صرف الليالى لعبا

ويقول :

فما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبـــلد الطيب

*
* *

وكم ذا بمصر من المضحكات كما قال فيهـا أبو الطيب
أمـور تمـر وعيش يمـر ونحن من اللهو فى ملعب
وشعب يفر من الصالحات فرار السليم من الأجرب

ويقول :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم هى أمة تلهـو وشعب يلعب

ونحو ذلك كثير فى ديوانه .

وتبدأ الأمة بحركة ، وتقف موقفا مشرفا يوما ؛ فيحيي أمله ، و يبشر بعد أن كان ينذر ، و يعاوده الأمل بعد اليأس ؛ والرجاء بعد الخيبة ، فيقول مخاطبا سعدا :

فاوض لخلفك أمّة قد أقسمت ألا تنـام وفى البـــلاد دخيل
عزل ولكن فى البـلاد ضراغم لا الجيش يفزعها ولا الأسطول

و يقول :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا ســنريه كيف يصيده زغلول

و يقول :

أفقنـا بعـــد نوم فوق نوم على نوم كأصحـاب الرقـيم

إلى كثير من أمثال ذلك .

وهكذا يضطرب فى شعره بين التفاؤل والتشـاؤم ، اضطراب الأمّة بين اليقظة والنوم ، والعمل والتواكل ، والإصابة والخطأ ، فهو صدى لهـا فى حركاتهـا ، وهو المدرّس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد هذه الثورة على الشعر القديم ، نظم فى موضوعاته ، ولكنه حتى فى هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهـل رسالته ، ولا يفوته غرضه ، فهو يتهز فرصة تحية العـام الجديد ، وتحية المليك ، ورثاء الفقيد ، وتهانى العيد ، ليبث فى ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر و ينذر ، و يرغب و يرهب ؛ فهو مجدّد من هذه الناحية فى موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى فى وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا ؛ فهو يشبه طول الليل بعهد الاحتلال ، إلى كثير من أمثال ذلك .

ويتغزل فى هذا الطور من الحياة ، ولكن لا فى جارية ولا فى غلام ، ويتغنى ولكن لا فى كأس أو مدام ، إنما يتغزل فى مصر ، ويتغنى بمصر ؛ و يأرق فى حب مصر :

وما أنا والغرام وشاب رأسى وغال شبابى الخطب الجسام
لعمرك ما أرقت لغـــير مصر ومالى دونهـا أمـــل يرام
ذكرت جلالهـا أيام كانت تصول بهـا الفراعنة العظام
وأيام الرجال بهـا رجال وأيام الزمان لهـا غلام
فأقلق مضجعى مابات فيهـا و باتت مصر فيه فهل ألام ؟

لم يشأ حافظ أن يكون شعره فى وطنياته طبلا أجوف ، يقول القول عاما لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية فى عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته .

فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه بما يجيش فى صدره .

تقوم حركة الجامعة ، ويحتدم الجدال بين أنصار الكتاتيب وأنصار الجامعة ، فيناصر الحركة الوطنية ، ويدعو إلى التبرع للجامعة ، ويبين مزاياها ويكتتب هو بالشعر — كما يقول — ليكتتب قومه بالمال .

وتحدث حادثة المؤيد ، وينقسم فيها الرأى العام فى مصر قسمين : قسم يطالب بحرية المرأة فى الزواج ، وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد ، فيتخذ ذلك وسيلة إلى تقريع المصريين باهتمامهم بصغائر الأمور ، وتركهم جسامها ، وتحزبهم فئات : منهم من يلوذ بالأمير ، ومن يلوذ بالعميد ، ومن يصيح مع الصائحين ، ثم يلذعهم لذعا أليما فى حبهم للمجاملة ، وتركهم الصراحة ، وإلا فما لهم يقرعون صاحب المؤيد على فعلته ، والوفود تتوافد على بيته .

وتحدث حادثة دنشواى فيشنّ الغارة على الإنجليز فى تصرفهم ، وعلى بعض المصريين فى معاونتهم ، وعلى المصريين جميعا فى استكانتهم ، ويلهب الشعور ، ويشعل الحماسة ، ويستثير الدمع .

ويتحدث الناس فى اللغة العربية ، وهل هى أداة صالحة للعلوم الحديثة ، والأدب الحديث ، فيبين محاسنها ، ويظهر مزاياها ، ويدعو إلى إنهاضها ، وينعى على من لم يأخذ بيدها ؛ وهكذا شعره فى رعاية الأطفال ، والجمعية الخيرية الإسلامية ، ومساعدة العميان ؛ وما إليها .

كان فى شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قيما يستحث النفوس ، ويدفع إلى النهضة ، سواء أضحك فى شعره أم بكى ، وأمّل أم يئس .

ويتسع أفقه فى كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربية ، والوحدة الإسلامية ، فكم قال فى علاقة الشاميين والمصريين ، وفى الدعوة إلى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ؛ وكم قال فى علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى نهضة الخلافة ، ورفع لوائها ، وعودة مكانتها ؛ وكم شعر

فى وحدة الشرق وتعاونه ، وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب ، داعيا إلى ائتلاف الشعوب ، ينتهز لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية الحجازية ، وأعياد الدستور للأمة التركية ، وحفلات التكريم التى يشترك فيها أدباء الشرق ، ونحو ذلك ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقه ، فينظر إلى الإنسانية كلها ، كالذى يقوله فى زلزال مسينا :

فسلام عليك يوم توليـ ـت بما فيك من مغان حسان

وسلام على امرئ جاد بالدمـ ـع وثنى بالأصفر الرنان

ذاك حق الإنسان عندبى الإنسـ ـان لم أدعكم إلى إحسان

ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشد اتصال ، شعره فى الرثاء ، فقد أكثر منه ، كما فى ديوانه . وقد قال فى ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

وقد أجاد فيه كل الإجادة ؛ وأحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك ، أنه استطاع فى كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية ، فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر ، وعلى العالم الإسلامى ، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة ، فهو يتسلل فى حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد صورة كاملة ، إلى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول فى سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

وشىء آخر ، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان والحنق عليه ، والغيظ منه . فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيل ، فرماه بالبؤس والفقر ، ورمى أمته بالتفرق والتواكل ، وبالاحتلال ، ورمى العالم الإسلامى بالغرب يمتص دمه ، ويسومه سوء العذاب ، فما هو إلا أن يموت ميت من أصدقائه حتى ينغر جرحه وينفجر ألمه .

وثالث ، هو أنه رحمه الله كان شديد الخوف من الموت ، دعاه ذلك إلى أن ينعى نفسه ، ويتألم كثيرا لشيخوخته ، ويتوهم المرض فى كل عضو من أعضائه ، فإذا مات قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك ، لأن موته إنذار بموت حافظ ، وما أشد وقع ذلك على نفسه .

فكان يصوغ من نبوغه فى الناحية الاجتماعية ، ومن بغضه للدهر وحنقه عليه ، ومن إشفاقه على نفسه ، رثاء يقطع الأحشاء ، ويذيب لفائف القلب ، ولولا هـذه مجتمعة ما بلغ فى الرثاء ما بلغ .

* * *

قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق فى دراسة المسائل الاجتماعية ، ولم يكن يكون فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها ، ودرس حججها ، كموقفه فى مسألة الزوجية ، لقد هرب من ابداء رأيه فيها .

ولم يتحيز الى أحد الفريقين ، وترك المتنازعين يتنازعون فى حرية المرأة وتقييدها ، وحلق فى المسائل العامة التى أشرت اليها قبل ، وكموقفه إزاء دعوة قاسم أمين ، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه ، أنه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة ، و إن كان قال فيه شعرا ، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه ، ويظل على هذا حتى فى رثائه ، فيقول :

إن رأيت رأيا فى الحجاب ولم تعصم فتلك مراتب الرسل
الحكم للأيام مرجعه فيما رأيت فنم ولا تسل
فإذا أصبت فأنت خير فتى وضع الدواء مواضع العلل ؟
أولا فحسبك ما شرفت به وتركت فى دنياك من عمل ؟

فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم برأى ، أو هو لا يريد ، وتراه فى بعض المواقف السياسية يكتفى بسرد آراء الفريقين وحججهم ، كما فى قصيدته فى وداع اللورد كرومر ، فقد حكى فيها آراء المـادحين وآراء الناقدين ، ثم قال :

فهذا حديث الناس والناس ألسن إذا قال هذا صاح ذاك مفندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم لسجلت لى رأيا و بلغت مقصدا
ولكننى فى معرض القول شاعر أضاف إلى التاريخ قولا مخلدا

وهرب بذلك من إبداء رأى ، وترجيح قول على قول .

ولكن قد يخفف من هذا النقص أن هناك فرقا كبيرا ، بين الأديب والعالم ، فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالأشـياء الأخر ، وعلاقتهـا بالظروف التى

تحيط بها ، على حين أن الأديب يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الإنسان وطبيعته الأخلاقية ، فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الأخر ، ووظيفة كل جزء منه ، والتغيرات التى تطرأ عليه كلما نما ، حتى يصل به إلى الموت والفناء .

أما الأديب فلا يهمه كل ذلك ، إنما النبات فى نظره قد خلق لجماله ، وليست شجرة الورد فى نظره إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر .

فهذه الناحية الخاصة التى يعنى بها الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه فى البحث وإمعانه فى الدرس ، وتخفف حدة نقدنا فى أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من ناحية اتصالها بعواطف الجمهور .

ومما يتصل بهذا أن حافظا كان يؤثر فى الجمهور بإلقائه بالقدر الذى يؤثر فيهم بنفس شعره لقد كان فى نبرات صوته وحسن إجادته فى الإلقاء يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بها بألفاظه ومعانيه ، ومن أجل هذا ، يحسن ألا يقوم شعر حافظ ومقدار أثره فى الجمهور بمقدار ما يقيسه قارئ لديوانه ، فهو بقراءته يفقد جزءا كبيرا من تأثيره السحرى الذى كان يتركه فى سامعه ، ومن أجل هذا كان يطيل الوقت فى تخير اللفظ الذى يحسن وقعه فى السمع ، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله فى عداد شعره ، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإلقائه على أسماع الناس .

وعلى الجملة كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناحيهم ، فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية ، ويصوغها القادة وأولو الرأى أفكارا ينادون بها فى مجلس الشورى ، أو الجمعية العمومية ، أو أحاديث وحكما وأمثالا فى مجالسهم الخاصة ، ويصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب ، ويلهب شعور من سمعه .

كان طلبة المدارس الثانوية والعالية ينحازون إلى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقى ، وقسم يتعصب لشوقى ويفضله على حافظ ، وكنا نلاحظ أن من فضل حافظا كان يفضله لأن شعره غذاء قلبه ، وغذاء وطنيته ، ومن فضل شوقى فضله لفنه وخياله ، فشبيبة الوطنية إمامهم حافظ ، وشبيبة الفن إمامهم شوقى .

*
* *

ظل حافظ يغنى بشعره التقليدى — أولا — والجديد — ثانيا — نحو خمسة عشر عاما تنتهى سنة ١٩١١ ، لما عرضت عليه "وظيفة" دار الكتب .

وطبيعى أن "الوظيفة" الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسى والاجتماعى فهو يدعو المصريين إلى الثورة ، والانجليز إلى الجلاء ، وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم فى السياسة وأن يتصل بالجرائد ، فكيف يسمح بالشعر السياسى عامة ، ولشعر حافظ خاصة .

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم ، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته فى هذا الباب ، وقد بر بوعده ، ووفى بشرطه غالبا ، فلم يقل من الشعر إلا قليلا ، وفى مناسبات ملحة وبتحفظ تام وحذر شديد ، أو أن تحميه الظروف .

غيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة ، ولكن لماذا نغيره وحده بالوظيفة ولا نغير من ألجأه؟ لماذا نطلب منه التضحية بقوته ، ونثوبه على سكوته ؟ ولا نؤنب الأمة وقتذاك تعجب به ، ثم يتبخر هذا الإعجاب ، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به — الحق أن الأمة فى تاريخها الماضى أبدت جمودا عجيبا وشحا أليما فى حافظ وأمثاله : تصفق لهم طويلا ، وتتركهم يألمون من الحاجة إلى ضروريات الحياة ، وتعيبهم إذا ركنوا إلى الوظيفة ، ولا تشجعهم بقليل مما فى أيديها ، وتنعم وتغرق فى الترف ، وتدعو المغنى أن يغنى لها ، ثم تضن عليه بأجره ، فإذا طالبها به غضبت منه .

إذا — فليس من العدل أن نسرف فى نقده على صمته ، ونعيبه بكسر عوده وقيثارته ، فلم يفعل غير ما فعله من قبله :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

إنما يصح أن يوجه إليه نقد من نوع آخر ، وهو أن حافظا لم يكن يستطيع — حقا — وقد قبل المنصب فى دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبل من اجتماعيات وسياسيات ولكن لماذا سكت عن فنون الشعر الأخرى ، والمجال أمامه فسيح ؟ فليس كل شعر سياسة واجتماعا ، فهناك شعر الطبيعة ، وهناك شعر القصص ، وهناك شعر الوصف ، وغيره من أنواع الشعر ، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول فى كل ذلك ، أو فى شئ من ذلك ، وفى شوقى المثل لهذا ، فقد كان مقيدا فى القصر بأشد من قيود دار الكتب ، ومع هذا ظل يقول فى فنون مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليد القصر .

ولكن ما ذنب حافظ ؟ ! ونبوغه إنمـا كان فى ثورته ، وإجادته فى فورته ، وطبيعتـه وتعليمه ودربته تدعو إلى النبـوغ فى سياسياته واجتماعياته ، لا فى غزله وخمرياته ، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملك العود ، وليس ملك القانون ، أو ملك الكمان ، وليس ملك الناى ، فملك فى إحداها خير عندى من سوقة فى جميعها .

*
* *

وبعد ، فمـا منزلة شعر حافظ فى الشعر ، وما قيمته الأدبية ؟

الشعر الجيد — فى نظرى — فيضان من شعور قوى ، سمـا به الخيال ، وحلاه اللفظ ، ووقع على نغمات الأوزان ، فهو لا بد أن تتجمع فيه — ككل نوع من الأدب — عاطفةوخيال وصياغة وجمال ، ويمتاز الشعر بأن له لغة خاصة غير لغة النثر ، وللشاعر ملكة لا يمكن توضيحها تمـام الوضوح ، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنهـا أبعث على إثارة المشاعر ، وأفعل فى نفس السامع ، ثم هو يضعها بعد فى أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية والأساليب الأدبية ، يرى أنها تؤدّى غرضه ، وتخدم مأربه ، كما يمتاز بمـا له من موسيقى عبر عنها بالبحور والأوزان ، ولهذه الأوزان فعل فى النفوس كفعل "رنات المثالث والمثـانى" ، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه ، من رقة ولين فى شعر الغزل ، وقوّة وجلبة فى شعر الحماسة ، والقصيدة على قافية قد يكون لهـا من الأثر فى النفس ما ليس لقافية أخرى ، وهكذا .

وأخيرا حاجة الشاعر إلى الخيـال الخصب أقوى من حاجة الناثر ! فلا بد له من اختراع صور ، وتأليف مناظر ، ومقارنة صورة بصورة ، ومنظر بمنظر ، حتى يثير المشاعر ، ويحرّك العواطف ، ويفعل فى النفوس فعل السحر .

وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة : قوّة العاطفة ، وحسن الصياغة ، وجمال الموسيقى وأعوزه أمر منها وهو قوّة الخيال .

فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ ، فمـا يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه ، وهاجت مشاعره ، وعواطفه صحيحة لا مريضة والعاطفة الصحيحة هى التى تدعو لأن تكون حياتنا أسـعد وأقوى ، فحافظ يريد منا أن نتبوأ

مقعدنا بين الأمم ، وأن يرفع عنا نير الاحتلال ، وأن يعادل الشرق الغرب ، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرا مما هى ، فلا تواكل ولا استنامة ولا خنوع ، ويريد أن تكون انتتاحية قوية وأن نجد فى الحياة حتى ننعم بطيباتها ، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح ، فهو يمتلئ شعورا بذلك ، ثم يصوغه شعرا يسير فينا سير العافية ، وأجمل ما فى هذه العاطفة انها ليست من ذلك النوع المألوف الذى اعتدناه فى كثير من الأدب العربى من إفراط فى المديح ، فإن العاطفة التى يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية ، والأدب الذى ينبعث من عاطفة عامة ويبعث عليها ، خير من الذى ينبعث عن عاطفة شخصية ويبعث عليها ، كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذى يذوب رقة فى غزل ، أو هياما فى حب ، فإن هذا النوع قد كثر حتى مل ، وهو فى كثير من الأحيان أجوف وهو فى كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة ، فليس من الخير أن يبيح الإنسان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص .

فمزية عاطفة (حافظ) فى شعره عمومها وقوتها ، وإن شئت فقل : وجدتها ، فلم نعرف شاعرا عربيا قبله ، ولا معاصرا له أفاض فى العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضته .

قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع — كما أشرنا إلى ذلك قبل — فلا تجد كثيرا من شعره فى جمال الطبيعة ، بل لا تجد شعره فيها حيا قويا ، كما ترى فى قصيدته فى الشمس .

وسبب ذلك — على ما يظهر — أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجى كان مظهره الخارجى ضحوكا مرحا ، لا يراه الرائى متى يضحك من ضحكه ، ولا يكون فى مجلس حتى يملأه سرورا وضحكا ، ولكنه فى أعماق نفسه حزين ، كالشمعة تضىء وهى تحترق ، أو كالممثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو فى نفسه يذوب حسرات .

وهذا ما يعلل أيضا ضعف الفكاهة فى شعره ، وقوتها فى مجلسه ، وهذا ما يعلل أن نصف شعره رثاء كما يقول هو .

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة ، ويحمل على الإجادة فيها ، فتوافق طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق ، ونحو ذلك .

ومن أجل هذا أيضا أجاد حافظ فى أحد وجهى الوطنية ، أكثر مما أجاد فى وجهها الآخر ، ذلك أن الشعر فى الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم ، والتأميل

وعدمه ، والترغيب والترهيب ، والمدح للتشجيع ، والذم للتقريع ، فأجاد حافظ فى التشاؤم وفى الترهيب وفى التقريع أكثر مما أجاد فى التفاؤل والترغيب والتشجيع ، لأن الضرب الأول أنسب لحزنه ، وأقرب إلى نفسه ، والثانى يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل ، والأمل يحتاج إلى سرور ، وهو قليل فى نفسه ، فخير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة ، فأما فرح بالطبيعة ، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور ، فلم يكن له كبير مجال فى شعره .

هذه العاطفة القوية التى شرحنا ، بحثت لها عن الثوب الذى تلبثه حتى عثرت عليه ، فكانت صيغتها قوية ، وموسيقاها قوية ، يفتش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه ، وأنسبه لمعناه ويعرض للترادفات ، يقلبها حتى يختار خيرها ، وينثر كنانته ليتخير أشدها عودا ، وأصلبها مكسرا ، ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب ، وكان (حافظ) يسمى هذه (العملية) كلها (التذوق) ، ويمدح بعض الشعراء بأنه (ذواق) يريد بذلك أن له ذوقا مرهفا فى اختيار اللفظ واختيار الأسلوب ، وقد بالغ فى ذلك حتى كان جهده فى اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده فى ابتكار المعانى ، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعانى مطروحة فى الطريق ، وإنما الإجادة فى الصياغة ، وهو يستعين على ذلك بالموسيقى ، موسيقى اللفظ ، وموسيقى الأسلوب ، وموسيقى الأوزان والقوافى .

قد كان يصنع البيت فيردّده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس ، ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس ، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر ، وموسيقى الفخامة والرقة ، وموسيقى اللين والشدّة ، ويوائم بين ذلك وموضوعه وبين ذلك ومعانيه وأغراضه ، فيوفق فى ذلك توفيقا كبيرا .

أما خياله ، فكان مع الأسف — خيالا قريبا — قلل حظه من الابتكار ، وقلل حظه من التصوير ، قصر خياله عن أن يغوص فى باطن الشئ فيصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به ، وقصر عن أن يحلق فى السماء فيصوّر منظرا عاما يجذب النفوس إليه .

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة ، ولكنها قصة خرجت عرجاء ، تتخلج على الأرض ، ولا تسبح فى السماء ، قريبة المنال ، مضحكة التصوير — إن شئت فاقرأ قصته فى مدح البارودى التى مطلعها : "تعمدت قتلى فى الهوى وتعمدا" إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية ، فيقلد عمر بن

أبي ربيعة فى رائيته المشهورة ، ثم لا يحسن التقليد ، ولا تأتى خياله بجـديد ، أو فاقرأ قصته الشعرية التى وضعها فى ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت ، والتى مطلعها :

ليـــلاى ما أنا حى يرجى ولا أنا ميت

ترى خيالا ساذجا وتصويرا مهلهلا .

ولكن من ذا الذى حاز الكمال أجمع ؟ ومن ذا الذى بلغ شأو الفن فى جميع عناصره ؟ حسب الشاعر النابغة أن تكتمل فيه صفات ، ثم يستطيع أن يعوّض ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن لأن نقص حافظ فى الخيال لقد غطى عيبه شيوع الجمال فى سائر نواحيه ، وكفاه ذلك موهبة .

*
* *

وقد رأى حضرة صاحب المعـالى على زكى العرابى باشا وزير المعارف العمومية حبـا منه فى الأدب ، وتقديرا لحق الوطن ، أن يجمع شعر حافظ ، وتقوم على طبعه وزارة المعارف .

وكان من حظى أن ندبنى معاليه للقيام بهذا العمل ، فتفضل وطلب إلى جمع شعره وضبطه وشرحه ، وتبويبه وتقديمه ، فاغتبطت للمساهمة فى هذا العمل الجليل ، لأن حافظا شاعر كبير ومن واجبه الأدبى أن نخلد شعره ، ونحفظ ذكره ، وهو شاعر الوطنية فى عصرنا ، غذى شعره الشعور الوطنى ، وألهبه غيرة وحماسة ، وكان داعيا للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا .

فكان واجبا — وقد بدأنا — نجنى ثمـار جهادنا ، أن نؤرخ قادة حركتنا ، وأوّل واجب نفعله فى تاريخ شاعر أن نجمع شعره ، ونعنى بنشره ، ونأخذ فى درسه .

ومن حسن الطالع أن يكون صدور ديوانه ، معاصرا لنجاح دعوته ودعوة زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية ، وسهروا عليهـا ، وضحوا فى سبيلها ، ولم يدركهم فى ذلك سـأم ولا ملل ، ولم يفت فى ساعدهم تعـــذيب ولا اضطهاد ، حتى تمت المعاهدة ، وبدأنا ننعم بالاســتقلال ، نحمل عبئنا على ظهورنا ، ونبذل جهـدنا لنيل سعادتنـا بأيدينا .

فإخراج ديوان حافظ أمانة فى عنقنا نؤدّيها ، وواجب ننهض به .

*
* *

وكان من حظى أيضا أن شاركنى فى هذا العمل الأستاذان : (أحمد الزين) ، (وإبراهيم الإبيارى) ، فقد لقيا من العناء فى الضبط والشرح والتصحيح والترتيب ما أترك تقديره للقـارئ الكريم ، وكان لهما من العمـل وبذل الجهد فى ذلك فوق مالى ، وإليهما يرجع أكثر الفضـل فى إخراج الديوان على هذا الوضع .

كان حافظ رحمه الله غير منظم فى عمـله ، ولا حريص على تدوين شعره ، فيكتبه فى ورقة حيثما اتفق ، ويلقيها أيضا حيثما اتفق ، فضاع كثير منه ، ولولا فضل الصحف والمجلات فى نشره والاحتفاظ به ، لمـا بقى من شعره إلا القليل .

وقد جمع فى حياته بعضا منه ، معتمدا على ما نشر فى الصحف والمجلات ، وعلى ما كان منه عند الأصدقاء ، ولكن وقف فى ذلك عند أجزاء ثلاثة صغار ، نشر الجزء الأول منها سنة ١٣١٩هـ مع تعليقات قيمة بقـلم محمد إبراهيم هلال بك ، وقد استفدنا منها ، ونشر الثانى سـنة ١٩٢٥ هـ (١٣٠٧ م) ، والثالث سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ، فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع فى حياته .

فلمـا توفى حافظ جمع الأديب الدمشقى السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنشر فى ديوانه ونشرها بدمشق سنة ١٣٥١ هـ ، وكذلك فعل فى شوقى وجمع ما نشر فى رثائهما ، وبعض ما كتب عنهما ، وسمى كتابه "ذكرى الشاعرين" .

ثم نشرت مكتبة الهلال فى مصر سنة ١٣٥٣هـ ديوانه مجموعا فيه ما نشر من قبل فى الأجزاء الثلاثة ، وما نشره السيد أحمد عبيد "فى ذكرى الشاعرين" .

ولكن ماورد فى ذلك كله ليس وافيا ولا مستقصيا ، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عددا عددا ، من يوم أن نشر له شعر ، إلى يوم وفاته ، ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عنـدهم من شعره ، فتمت لنا بذلك مجموعة هى أقصى ما وصل إليه جهدنا .

ثم رتبناها حسب الموضوعات ، فذكرنا كل ما قاله فى المديح ، ثم ما قاله فى الهجاء ...الخ . وفى كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره ، ثم أتبعنا ذلك بمـا قاله ولم نقف على تاريخه بالضبط ، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه ، ورأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة وأدل على مناحى الشاعر . ووضعنا فهرسا مرتبة فيهـا القصائد حسب حروف الهجاء فى آخر الديوان ليسهل الرجوع الى القصيدة لمن حفظ قافيتها .

وقد ضبطناه ضبطا كاملا لتسهيل قراءته على الناشىء ، وشرحناه نوعين من الشرح : شرحا بذكر ظروف القصيدة وملابساتها وتاريخ نشرها أو قولها ، حتى يتمكن القارىء من معرفة إشاراتها وجوّها ، إذ فى ذلك أكبر إعانة على فهمها وتقديرها ، وشرحا لغويا لمفرداتها وأساليبها ، وبيان المراد من عباراتها ، وذكر الحوادث التاريخية التى أشار اليها فى أبياتها ، وقد نكون بالغنا بعض الشىء فى كثرة الشرح والضبط ، وعذرنا أنا راعينا ناشئة الأدب ، وناشئة الشعر ، أكثر مما راعينا الخاصة والمنتهين وقدّرنا أن الديوان ستتناوله أيدى الطلبة فى المدارس الثانوية ومن فى مستواهم ، فقصدناهم بالشرح ، ونظرنا اليهم فى البسط . وترجو أن نكون قد وفقنا فى تحقيق ما ندبنا له ، وأدّينا شيئا من واجب الأمة والوزير والشاعر ، والله الموفق ؛

١٧ فبراير سنة ١٩٣٧

أحمد أمين

نموذج من خط حافظ ابراهيم

وهما بيتان قالها فى المجمع العلمى العربى بدمشق عند ما استقبل فيه

المرحوم حافظ ابراهيم بك

المحتويات

صفحة

المدائح والتهانى ١

الأهاجى ١٤٨

الإخوانيات ١٥١

الوصف ١٩٣

الخمريات ٢٢٨

الغزل ٢٣٥

الاجتماعيات ٢٣٩

الجزء الأول

المدائح والتهانئ

تهنئة عبد الحليم عاصم باشا بإسناد إمارة الحج إليه

(سنة ١٣١٣ هـ)

حالَ بَيْنَ ٱلجَفْنِ والوَسنِ حائلٌ لو شئتَ لَمْ يَكُنِ (١)

أنا والأيّامُ تَقْذِفُ بى بَيْنَ مُشْتَاقٍ ومُفْتَتِنِ

لى فُؤادٌ فيكَ تُنْكِرُه أَضْلُعِي ، مِنْ شِدّةِ ٱلوَهَنِ (٢)

وزَفِيرٌ لو عَلِمْتَ به خِلْتَ نارَ الفُرْسِ فى بَدَنِي (٣)

يا لَقَومى إننّى رَجُلٌ حِرْتُ فى أَمْرِى وفى زَمَنِى

أَجَفاءً أَشْتَكِى وشَقًا ؟ إنّ هٰذا مُنْتَهَى ٱلمِحَنِ

يا هُماما فى الزّمان ! له هِمّةٌ دَقّتْ عنِ ٱلفطَنِ (٤)

---

(١) الوسن : النعاس . أى حال بين الجفن والنوم حائل من صدّك لو وصلت ما حال .

(٢) الوهن : الضعف . أى أن لى فؤادا قد اشتدّ ضعفه حتى لم تكد تحسه ضلوعه ، فأنكرت وجوده فيها .

(٣) نار الفرس : هى النار التى تعبدها مجوس فارس ، و يضرب بها المثل فى قوة الاشتعال ودوامه .

(٤) دقت عن القطن ، أى لاتدركها الأفهام لقصر العقول عنها .

وفَتًى لو حَلَّ خاطرُه ... فى ليالى الدَّهْرِ لَمْ تَخُن[1]

يا أميرَ الحَجِّ ! أنتَ له ... خَيْرُ واقٍ خَيْرُ مُؤْتَمَن

هَزَّكَ البَيْتُ الحرامُ له ... هِزَّةَ المشتاقِ للوَطَنِ[2]

فَرِحَتْ أرضُ الحجاز بكُمْ ... فَرْحَها بالهاطِلِ الهَتِنِ[3]

وسَرَتْ بُشْرَى القُدومِ لَهُمْ ... بكَ من مِصْرٍ إلى عَدَنِ[4]

تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده[5] بمنصب الإفتاء

(١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ م)

بَلَغْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ ولَمْ أتَغَزَّلِ ... ولَمَّا أَقِفْ بَيْنَ الهَوَى والتذَلُّلِ[6]

ولَمَّا أَصِفْ كَأْسًا ولَمْ أَبْكِ مَنْزِلًا ... ولَمْ أَتَّحِلْ فَخْرًا ولَمْ أَتَنَبَّلِ[7]

---

(١) يريد أنه لا يخطر له إلا الخير ، فلو كان للأيام مثل خاطره ما توقع أحد منها غدرا .

(٢) هزك البيت : استخفك لزيارته .

(٣) سكن الشاعر « الفرح » لضرورة الوزن . والهاطل : المطر المتتابع العظيم القطر . والهتن : المنصب .

(٤) عدن : مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر اليمن من بحر الهند . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ، ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على اقتضابها .

(٥) الشيخ محمد عبده ، هو ابن عبده بن حسن خير الله ، ولد فى محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة ١٢٦٦ هـ . وتعلم العلم فى الجامعين الأحمدى والأزهر ، وتولى عدة مناصب علمية وقضائية ودينية ، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء وظل فيه إلى أن توفى بالاسكندرية فى سنة ١٣٢٣ هـ — سنة ١٩٠٥ م . ودفن فى القاهرة .

(٦) بلغتك ، أى وصلت إلى مدحك . ولم أنسب : ولم أشبب بالنساء . يريد أنه ابتدأ القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء فى تقديم الغزل والفخر وما إليهما على المدح فى أوائل القصائد .

(٧) انحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره . وتنبل الرجل : تكلف النبل وتشبه بالنبلاء .

فلَمْ يبْقِ فى قلبى مَديحُكَ مَوْضعًا تَجُولُ به ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ[١]
رأيتُكَ والأبصارُ حولكَ خُشَّعٌ فقُلْتُ (أبو حَفْصٍ) ببُرْدَيْكَ أم (علِى)[٢]
وخَمَّضْتُ مِنْ حُزْنى على مَجْدِ أُمةٍ تَدارَكْتَها والخَطْبُ للخَطْبِ يَعْتَلِى[٣]
طَلَعْتَ بها باليُمْنِ من خَيْرِ مَطْلَعٍ وكنتَ لها فى الفَوْزِ قِدْحَ (ابن مُقْبِلِ)[٤]
وجَرَّدْتَ للفُتْيَا حُسامَ عَزِيمَةٍ بحَدَّيْهِ آيُ الكِتابِ المُنَزَّلِ[٥]
مَحَوْتَ به فى الدِّينِ كلَّ ضَلالَةٍ وأَثْبَتَّ ما أَثْبَتَّ غَيْرَ مُضَلَّلِ
لئن ظَفِرَ الإفْتاءُ منكَ بفاضِلٍ لقد ظَفِرَ الإسلامُ منكَ بأَفْضَلِ
فما حَلَّ عَقْدَ المُشْكِلاتِ بحِكْمَةٍ سِواكَ ولا أَرْبَى على كلِّ حَوَّلِ[٦]

* * *

وقال يمدحه ويصف حضرته :

قالوا صَدَقْتَ فكان الصِّدْقَ ما قالُوا ما كُلُّ مُنْتَسِبٍ لِلقَوْلِ قَوَّالُ[٧]
هٰذا قَرِيضِى وهٰذا قَدْرُ مُمْتَدَحِى هل بَعْدَ هٰذَيْنِ إحْكامٌ وإجْلالُ[٨]

---

(١) يشير إلى بيت امرىء القيس :
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ... ... الخ

(٢) أبو حفص : كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهى فى الأصل كنية الأسد . وعلى : هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

(٣) يريد بقوله " والخطب للخطب يعتلى " تراكم الخطوب بعضها فوق بعض .

(٤) القدح (بكسر القاف) : واحد قداح الميسر ، وهى سهامه . وقدح ابن مقبل ، يضرب مثلا فى حسن الأثر والفوز . وابن مقبل : رجل من جاهلية العرب ، واسمه تميم بن أبى بن مقبل ، شاعر مخضرم من المعمرين ، وكان كثير المقامرة ، فاز قدحه سبعين مرة متوالية ، فضرب به المثل فى الفوز .

(٥) جرد الحسام : سله من غمده .

(٦) أربى : زاد . والحوّل : البصير بالأمور وتحوبلها ، لاتؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها .

(٧) القوال : حسن القول اللسن . أى قالوا صدقت فى مدح الإمام وهم صادقون فيما وصفونى به .

(٨) القريض : الشعر . وممتدحى ، أى ممدوحى .

إنّى لأُبْصِرُ فى أَثْنَاءِ بُرْدَتِه ... نُورًا به تَهْتَدِى للحَقِّ ضُلّالُ

حَلَلْتُ دارًا بها تُتْلَى مناقِبُه ... ببابِها ٱزدَحَمَتْ للنّاسِ آمالُ[1]

رأيتُ فيها بساطًا جَلَّ ناسِجُه ... عليه (فاروقُ) هٰذا ٱلوَقتِ يَختالُ[2]

بِمِشْيَةٍ بين صَفْنٍ حِكْمَةٍ وتُقًى ... يُحِبُّها ٱللهُ لاتيهٌ ولا خالُ[3]

تَبَسَّمَ ٱلمصطفَى فى قَبْرِه جَذَلًا ... لَمّا سَمَوْتَ إليها وهْىَ معْطالُ[4]

فكان لَفْظُكَ دُرًّا حَوْلَ لَبَّتِها ... العَدْل يَنْظِمُ والتّوفيق لَأْلُ[5]

لى كُلَّ حَوْلٍ لِبَيْتِ ٱلجاهِ مُنْتَجَعٌ ... كما تُشَدُّ لبَيْتِ ٱللهِ أَرْحالُ[6]

وزَهْرَةٌ غَضَّةٌ أَلْقَى الإمامَ بها ... لها على أُخْتِها فى الرَّوضِ إدلالُ[7]

تَفَتَّحَ الحَمْدُ عنها حِينَ أَسْعَدَها ... منكَ القَبولُ وفيها نَوَّرَ ٱلقالُ[8]

نَثَرْتُ مَنْظُومَ تِيجانِ ٱلمُلوكِ بها ... فَراحَ يَنْظِمُه فى وَصْفِكَ ٱلبالُ[9]

يا مَن تَيَمَّنَتِ الفُتْيَا بطَلْعَتِه ... أَدْرِكْ فَتاكَ فقد ضاقتْ به ٱلحالُ[10]

---

(١) المناقب : المفاخر والأفعال الكريمة . الواحدة : منقبة .

(٢) يصف بساطا رآه فى دار الامام فأعجب بنسجه وناسجه . والفاروق : اسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لأنه فرق بين الحق والباطل .

(٣) الخال : الكبر والاختيال .

(٤) الجذل : الفرح . وإليها ، أى إلى الفتيا . والمعطال : المتجردة من الحلى والزينة .

(٥) اللبة : موضع القلادة من الصدر . واللآل : صاحب اللؤلؤ . والقياس : لؤلؤى .

(٦) يريد ببيت الجاه : بيت ممدوحه . ويريد بالمنتجع هنا : الانتجاع ، يقال : انتجع فلان فلانا ، إذا أتاه طالبا معروفه

(٧) يريد بالزهرة الغضة : القصيدة التى يمدحه بها . والغضة : الناضرة ويريد بأختها : الزهرة الحقيقية . والادلال : الافراط فى التيه .

(٨) نور القال : صار ذا نور (بفتح النون وسكون الواو) . والنور : زهر النبات . والقال والقول : كلاهما بمعنى واحد .

(٩) يقول : إنه نثر اللؤلؤ الذى تحلى به تيجان الملوك ونظمه شعرا فى مدحه . والمراد تشبيه شعره فيه بدرر التيجان .

(١٠) الفتيا : ما أفتى به الفقيه .

مدحة محمود سامى البارودى باشا[١]

[نشرت فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠م]

تَعَمَّدْتُ قَتْلِى فى الهَوَى وَتَعَمَّدا ... فما أَثِمَتْ عَيْنِى ولا لَحَظُه اعتدَى[٢]

كِلانَا له عُذْرٌ فعُذْرى شَبِيبَتِى ... وعُذْرُكَ أَنِّى هِجْتُ سَيْفاً مُجَرَّدَا[٣]

هَوِينَا فما هُنَّا كما هانَ غَيْرُنا ... ولكنّنا زِدْنا مع الحُبِّ سُؤْدُدَا[٤]

وما حَكَمَتْ أَشْواقُنا فى نُفُوسِنا ... بأَيْسَرَ مِنْ حُكْمِ السَّماحَةِ والنَّدَى[٥]

نُفوسٌ لها بين الجُنُوبِ مَنازِلٌ ... بناها التُّقَى واختارَها الحُبُّ مَعْبَدا

وفتّانَةٍ أَوْحَى إلى القَلْبِ لَحْظُها ... فَراحَ على الإيمانِ بالوَحْيِ واعْتَدَى[٦]

تَيَمَّمْتُها واللَّيلُ فى غيرِ زِيِّهِ ... وحاسِدُها فى الأُفْقِ يُغْرِى بِىَ العِدَا[٧]

---

(١) محمود سامى البارودى باشا ، هو ابن المرحوم حسن حسنى بك مدير دنقلة وبربر فى عهد المغفور له محمد على باشا ولد البارودى فى القاهرة سنة ١٢٥٥ هـ . وتعلم الفنون العسكرية فى المدرسة الحربية ، وكان من فحول شعراء العربية ، كما كان شاعرا باللغتين التركية والفارسية . وآخر المناصب التى تولاها فى الحكومة المصرية رآسة النظار بعد شريف باشا قبل الثورة العرابية ، ولبث فى هذا المنصب قليلا ، ثم شبت الثورة العرابية فكان من أقطابها ، فلما هدأت نارها نفى إلى جزيرة سرنديب مع من نفى ثم عفا عنه الخديوى عباس الثانى فى سنة ١٣١٧ هـ . وتوفى سنة ١٣٢٢ هـ . وله ديوان شعر طبع منه جزءان ومختارات من شعر الشعراء العباسيين طبعت فى أربعة أجزاء .

(٢) يريد أنه تعمد قتل نفسه بالنظر إلى حبيبه نظرة جلبت الهوى . وتعمد المحبوب قتله بسهام لحظه . وأثمت : أذنبت .

(٣) الشبيبة : الشباب . وهاجه يهيجه : أثاره . والسيف المجرد : المسلول من غمده .

(٤) هنا : من الهون ، وهو الذل . والسؤدد (بفتح الدال وضمها ، يهمز ولا يهمز) : السيادة والشرف .

(٥) أى لم يكن خضوعنا للحب بأقل من خضوعنا للسماحة والكرم ، وبانكل زدنا سؤددا وشرفا .

(٦) "أوحى إلى القلب لحظها" الخ ، أى ألهمه الحب فآمن به إيمانا ثابتا فى غدوه ورواحه .

(٧) تيممتها : قصدت إليها . ويريد بقوله "فى غير زيه" : أنه ليل مقمر ليس فى هيئته المعهودة من السواد والظلمة ويريد "بالحاسد" (هنا) : البدر ، لشبهها به فى الجمال .

سَرَيْتُ ولَمْ أَحْذَرْ وكانُوا بِمَرْصَدٍ ... وهَلْ حَذِرَتْ قَبْلِي الكواكِبُ رُصَّدَا (١)

فلمّا رأَوْنِي أبْصَرُوا المَوْتَ مُقْبِلًا ... وما أَبْصَرُوا إلاَّ قَضاءً تَجَسَّدَا (٢)

فقال كَبِيرُ القَوْمِ قد ساءَ فَأْلُنا ... فأنّا نَرَى حَتْفًا بِحَتْفٍ تقلَّدَا (٣)

فليس لنا إلا اتِّقاءُ سَبِيلِهِ ... وإلاّ أَعَلَّ السَّيْفَ منّا وأَوْرَدَا (٤)

فغَطُّوا جميعًا فى المَنامِ ليَصْرِفُوا ... شَبَا صارِمِي عنهمْ وقد كانَ مُغْمَدَا (٥)

وخُضْتُ بأحْشاءِ الجَمِيعِ كأنَّهُمْ ... نِيامٌ سقاهُمْ فاجِئُ الرُّعْبِ مُرْقِدَا (٦)

ورُحْتُ إلى حيثُ المُنَى تَبْعَثُ المُنَى ... وحيثُ حَدانِي مِنْ هَوَى النَّفْسِ ما حَدَا

وحيثُ فَتاةُ الخِدْرِ تَرْقُبُ زَوْرَتِي ... وتَسْأَلُ عَنِّي كلَّ طَيْرٍ تَغَرَّدَا (٧)

وتَرْجُو رَجاءَ اللَّصِّ لو أَسْبَلَ الدُّجَى ... على البَدْرِ سِتْرًا حالِكَ اللَّوْنِ أَسْوَدَا (٨)

ولو أنَّهم قَدُّوا غَدائِرَ فَرْعِها ... فحاكُوا له منها نِقابًا إذا بَدَا (٩)

---

(١) سرى يسرى : سار بالليل . والمرصد : المرقب والرصد : الرقباء ، جمع راصد .

(٢) يريد بقوله : " تجسد " أنه قضاء تحقق لاشك فيه ، حتى كأنه جسم يلمس ويبصر .

(٣) يقال : ساء فأله ، أى ساء ظنه . و " حتفا بحتف تقلد " أى موتا ، تقلد موتا ، يريد نفسه متقلدا سيفه . وقد خطأ بعضهم حافظا فى تعدية " قلد " بالباء فى هذا البيت ، وقال : " إنه من الأفعال المتعدية بنفسها لا بالحرف " . وهو مردود بقول الزجاج فى قوله تعالى : (ولا الهدى ولا القلائد) : إنهم كانوا يقلدون الابل بلحاء شجر الحرم .

(٤) أعل : من العلل (بالتحريك) ، وهو السقية الثانية . أى أن لم نخل له سبيله سق السيف من دمائنا مرة بعد مرة .

(٥) غط النائم غطا وغطيطا : نخر وتردد نفسه صاعدا إلى حلقة حتى يسمعه من حوله . وشباة الصارم : حده ، وجمعه : شبا . وقد يستعمل هذا الجمع فى الشعر مكان المفرد كما فى هذا البيت . قال الشاعر :

أما شبا السيف مسلولا على القمم ... فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم

(٦) خضت بأحشاء الجميع : مررت وسطهم وعبرت عليهم . والمرقد : الشراب الذى يجلب الرقاد .

(٧) تغرد الطائر ، كغرد : رفع صوته وطرب به . (٨) أسبل : أرخى ، والحالك : الشديد السواد .

(٩) قدوا : قطعوا . والغدائر : الضفائر . والفرع من المرأة : شعرها ، جمعه فروع . وحاكوا : نسجوا . والنقاب : البرقع . ويريد بهذا البيت والذى قبله أن محبوبته ترجو كما يرجو اللص أن يشتد الظلام ويستتر البدر ، أو أن تجعل البدر نقابا من غدائرها السود سترا لمحبوبها عن أعين الرقباء .

فلما رَأَتْنِي مُشرِقَ الوَجْهِ مُقْبِلاً ... ولَمْ تَثْنِنِي عنْ مَوْعِدِى خَشْيَةُ الرَّدَى
تَنادَتْ — وقد أَعْجَبْتُها — كيفَ فُتَّهُمْ ... ولَمْ تَتَّخِذْ إلّا الطّريقَ المُعَبَّدَا[1]
فقلتُ : سَلى أحشاءَهُمْ كيف رُوِّعَتْ ... وأَسيافَهم هل صافَحَتْ منهمُ يَدًا
فقالتْ : أخافُ ٱلقومَ وٱلحِقْدُ قد بَرَى ... صُدورَهُمُ أنْ يَبْلُغوا منكَ مَقْصِدَا[2]
فلا تَتَّخِذْ عند الرَّواحِ طَريقَهُمْ ... فقد يُقْتَصُ البازِى وإنْ كان أصْيَدَا[3]
فقُلتُ : دَعِى ما تَحْذَرِينَ فانّنى ... أصاحِبُ قَلْبًا بين جَنْبَىَّ أَيِّدَا[4]
فمالَتْ لتُغْرِينِي ومالأَها ٱلهَوَى ... فَحَدَّثْتُ نفسى والضَّميرُ تَرَدَّدَا[5]
أَهُمُّ كما هَمَّتْ فَأَذْكُرُ أنّنى ... فَتاكَ فيَدْعُونى هُداكَ إلى ٱلهُدَى[6]
كذلكَ لَمْ أَذْكُرْكَ وٱلخَطْبُ يَلْتَقِى ... به الخَطْبُ إلّا كان ذِكْرُكَ مُسْعِدَا[7]
أَميرَ القَوافى ! إن لى مُسْتَهامَةً ... بِمَدْحٍ ومَنْ لى فيكَ أَنْ أَبْلُغَ المَدَى[8]
أَعِرْنِى لِمَدْحيكَ ٱليَراعَ ٱلَّذى به ... تَخُطُّ وأَقْرِضْنى القَريضَ المُسَدَّدَا[9]
ومُرْ كلَّ مَعْنًى فارسىٍّ بطاعَتى ... وكلَّ نَفُورٍ منه أنْ يَتَوَدَّدَا[10]

---

(١) الطريق المعبد : الممهد المسلوك .
(٢) برى الحقد صدورهم ، أى أسقمها وأذابها .
( ) يقنص : يصاد . والبازى : نوع من الصقور يتخذ للصيد . والأصيد (هنا) : الأقدر على الصيد الأعرف به .
(٤) الأيد (بتشديد الياء) : القوى الشديد .
(٥) مالأها : ساعدها وشايعها .
(٦) يريد بهذا البيت والذى قبله أنها انثنت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هو اهاله . وهواه لها ، فهمت به وهم بها ، ثم ذكر هدى الممدوح فاهتدى بهديه .
(٧) التقى الخطب بالخطب ، أى توافقت الخطوب على وتراكم بعضها على بعض .
(٨) مستهامة أى نفسا هائمة بمدحك .
(٩) اليراع : القلم . والمسدد : الموفق للصواب .
(١٠) يريد "بالمعنى الفارسى" : المعنى البديع ، وقد نسبه إلى فارس (وهم الفرس) لأنهم كانوا أهل ابداع وخيال فى الشعر . والنفور : الشارد الممتنع على طالبه .

وهَبْنِي مِنْ أنوار علْمِكَ لَمْعَةً ... على ضَوْئِها أَسْرِي وأَقْفُو مَن اهْتَدَى[١]
وأَرْبُو على ذاكَ الفَخُور بقَوْله : ... (إذا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا)[٢]
سَلَبْتَ بِحارَ الأرض دُرَّ كُنوزها ... فَأَمْسَتْ بِحارُ الشِّعْرِ للدُّرِّ مَوْرِدَا
وصَيَّرْتَ مَنْثُورَ الكواكب فى الدُّجى ... نَظِيماً بأسْلاكِ المَعانِى مُنَضَّدَا[٣]
وجئتَ بأبْياتٍ منَ الشِّعْر فُصِّلَتْ ... إذا ما تَلَوْهَا أُلْقِيَ الناسُ سُجَّدَا[٤]
إذا ذَكَرُوا منه النَّسيبَ رأَيْتَنا ... وَداعى الهَوَى منَّا أَقَامَ وأَقْعَدَا[٥]
وإنْ ذَكَروا منه الحَماس حَسِبْتَنا ... نَرَى الصَّارِمَ المَخْضوب خَدًّا مُوَرَّدَا[٦]
ولو أنّنى نافَرْتُ دَهْرِى وأَهْلَهُ ... بفَخْرِكَ ما أَبْقَيْتُ فى النّاس سَيِّدَا[٧]

تهنئة لسموّ الخديو عباس الثانى[٨] بعيد الفطر

(١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م)

مَطالِعُ سَعْدٍ أَمْ مَطالِعُ أَقْمارِ ؟ ... تَجَلَّتْ بهٰذا العيد أَمْ تِلْكَ أَشْعارى؟
إلى سُدَّةِ (العَبّاس) وَجَّهْتُ مِدْحَتِى ... بتَهْنِئَةٍ شَوْقِيَّةِ النَّسْجِ مِعْطارِ[٩]

---

(١) السرى : المشى بالليل . وأقفو : أتبع . (٢) يقال : ربا يربو ، إذا زاد . وأربى عليه فى الأمر : زاد عليه فيه . فلو عبر "بأربى" لكان أقوم . وذاك الفخور : يريد به أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الكوفى الشاعر الكبير المشهور ، وهو قائل الشطر الثانى من هذا البيت ، وصدره : "وما الدهر إلا من رواة قصائدى"

(٣) المنضد : المضموم بعضه إلى بعض . (٤) فصله تفصيلا : بينه . (٥) النسيب : التشبيب بالمرأة وذكر محاسنها وأوصافها فى الشعر .

(٦) الحماس ، أى الشعر المقول فى الحماسة . والحماس (بفتح الحاء) : الشدّة والمحاربة . والمخضوب ، المصبوغ بالدم . يقول : إذ قال أبياتا فى الحماسة تعشقنا السيوف المخضبة بالدماء كما تعشق الخدود المورّدة .

(٧) المنافرة : المفاخرة . أى لو فاخرت الدهر والناس بمفاخرك الكثيرة ما أبقيت فى الناس سيدا إلا سدته .

(٨) تولى الخديوية المصرية بعد وفاة أبيه توفيق باشا فى يوم ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م — ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ. ثم خلعته انجلترا سنة ١٩١٤ م . عقب نشوب الحرب العظمى . (٩) السدّة ، باب البيت ، أو ساحته . والمراد هنا : حضرة الخديو . وشوقية النسج : نسبة إلى شوقى الشاعر . والمعطار : الطيبة الرائحة .

مَليكٌ أَباحَ العيدُ لَثْمَ يَمينِه ... ويالَيْتَ ذاكَ العيدَ يَبْسُطُ أَعْذارى (١)

ويَحْمِلُ عنّى للعَزيزِ تَحِيَّةً ... ويَذْكُرُ شيئًا من حَديثى وأَخْبارى

(لال علِّى) رينة المُلْكِ وُجْهَتِى ... وإنْ قيل شيعىٌّ فقد نِلْتُ أَوْطارى (٢)

أَحِنُّ لذِكراهُمْ وَأَشْدُو بِمَدْحِهِمْ ... كأَنّى بِجَوْفِ اللّيلِ هاتِفُ أَسْحار (٣)

وأُنشِدُ أَشْعارى وإنْ قال حاسدى ... نَعَمْ شاعرٌ لٰكنّه غَيْرُ مِكْثار

فَحَسْبِى من الأَشْعارِ بَيْتٌ أَزِينُه ... بذِكْرِكَ يا (عَبّاسُ) فى رفْعِ مِقْدارى

كذا فَلْيَكُنْ مَدْحُ المُلوكِ وهٰكذا ... يَسُوسُ القَوافِى شاعرٌ غيرُ ثَرْثار (٤)

ويَسْلُبُ أَصدافَ البِحارِ بَناتِها ... بِنَفْثَةِ سِحْرٍ أو بِخَطْرةِ أَفْكار (٥)

مَعانٍ وأَلفاظٌ كما شاءَ (أَحْمَدٌ) ... طَوَتْ جَزْلَ (بَشّارٍ) ورِقّةَ مِهْيار (٦)

إذا نَظَرَت فيها العُيونُ حسِبْتَها ... لُحُسْنِ انسجامِ القَولِ كالجَدْوَلِ الجارى (٧)

أَمَوْلاىَ هٰذا العيدُ وافاكَ فاحْبُه ... بُحُلَّةِ إِقْبالٍ ويُمْنٍ وإِيثار (٨)

ويَمِّنْهُ وانْثُرْ مِنْ سُعُودِكَ فَوْقَه ... وتَوِّجْهُ بالبُشْرَى ومُرْهُ باسْفار (٩)

---

(١) يشير بالشطر الثانى إلى أنه لم يستطع الوصول إلى حضرته فيحظى بلثم يمينه الذى قد أباحه العيد، فهو يعتذر من تقصيره.

(٢) آل علىّ، أى آل محمد على جدّ الأسرة المالكة. والوجهة: القصد. والشيعىّ، نسبة إلى الشيعة، وهم من يتولون علىّ بن أبى طالب وأهل بيته. وقد ورى فى هذا البيت بعلىّ وشيعته عن محمد علىّ وأشياعه. والأوطار: الحاجات.

(٣) أشدو: أترنم. وهاتف الأسحار: الطائر المغرد فى السحر.

(٤) يسوس القوافى: يروضها ويذللها. والثرثار: المتشدق الذى يكثر الكلام تكلفا.

(٥) بنات الأصداف: اللآلئ التى تكون فيها. والنفث: النفخ، وأضافه إلى السحر، لأن الساحر ينفث فى العقد.

(٦) الظاهر أنه يريد "بأحمد": أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى. ويقول إن لشعره من الجزالة والرقة ما يفوق جزالة بشار ورقة مهيار.

(٧) الجدول: النهر الصغير.

(٨) حباه يحبوه: أعطاه بلا جزاء ولا من. وآثره إيثارا: خصه بالإكرام.

(٩) يمنه، أى أفض عليه من اليمن، وهو البركة. والذى فى القاموس وشرحه: "يمن عليه" بتعدية هذا الفعل بالحرف. والاسفار: الاضاءة والاشراق.

فلا زالت الأعيادُ تَبْغِي سُعودَها لَدَى مَلِكٍ يَسْرِي على عَدْلِهِ السَّارِي[١]
ولا زِلْتَ فى دَسْتِ الجَلالِ مُؤَيَّداً ولا زالَ هٰذا المُلْكُ فى هٰذه الدّارِ[٢]

* * *

وقال أيضا يمدحه و يهنئه بعيد جلوسه فى ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

ماذا ٱدَّخَرْتَ لِهٰذا ٱلعيد من أَدَبٍ فقد عَوَّدْتَكَ رَبَّ السَّبْقِ وٱلغَلَبِ[٣]
تَشْدُو وتُرْهِفُ بالأَشعارِ مُرْتَجِلاً وتُبْرِزُ ٱلقَوْلَ بين السِّحْرِ وٱلعَجَبِ[٤]
وتَصْقُلُ اللَّفْظَ فى عَيْنِي فَأَحْسَبُنِي أَرَى فِرِنْدَ سُيوفِ ٱلهِنْدِ فى الكُتُبِ[٥]
هٰذا هو العيدُ قد لاحَتْ مطالِعُهُ وكُلُّنا بين مُشْتاقٍ ومُرْتَقِبِ
فادْعُ البيانَ ليومٍ لا تُطاوِلُه يَدُ البَلاغةِ فى الأشعارِ والخُطَبِ[٦]
إِنِّى دَعَوْتُ ٱلقَوافِي حينَ أَشْرَقَ لى عِيدُ الأَميرِ فلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلَبِ[٧]
وأَقْبَلَتْ كأَياديه إذا ٱنسَجَمَتْ على ٱلوَرَى وغَدَتْ مِنِّى على كَثَبِ[٨]
فقُمْتُ أَخْتارُ منها كلَّ كاسِيَةٍ تاهَتْ بِنَضْرَتِها فى ثَوْبِها ٱلقَشِبِ[٩]
وحارَ فيه بَيانى حينَ صِحْتُ به بالعِزِّ يَبْدَأُ أَمْ بالمَجْدِ وٱلحَسَبِ؟
يا مَنْ تَنافَسُ فى أوصافه كَلِمِى تَنافُسَ العَرَبِ الأَمْجادِ فى ٱلنَّسَبِ[١٠]

---

(١) يسرى على عدله السارى : أى أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به .

(٢) الدست : صدر المجلس ، فارسىّ معرب . (٣) فى هذا البيت وما بعده يوجه الشاعر الخطاب إلى نفسه .

(٤) تشدو : تترنم . وأرهف بالشعر : قاله على البديهة ولم يهيئه قبل إنشاده .

(٥) تصقل اللفظ : تجلوه وتكسبه رونقا وطلاوة . وفرند السيف : ماؤه الذى يجرى فيه ، معرب . يشبه الشعر فى بهجته و بهائه بالسيف فى لمعانه و روائه . (٦) لا تطاوله : لا تبلغ مدى وصفه .

(٧) غرة الطلب : أوله : يريد أن الشعر أجابه أول ما طلبه ولم يحوجه إلى تكرار الطلب .
الأيادى : المنن . وانسجمت : توالت وتتابعت . والكثب : القرب .

(٩) الكاسية : ذات الكسوة ، ويريد بها الألفاظ فى ثوب من الجمال . والنضرة : الحسن . والقشب : الجديد .

(١٠) تنافس : تنافس وتتبارى .

لَمْ يُبْقِ (أحمدُ) مِن قَوْلٍ أحاوِلُهُ ... فى مَدْحِ ذاتِكَ فاعذرْنى ولا تَعب[1]

فَلَسْتُ مِمَّن سَمَتْ بالشِّعْرِ هِمَّتُهُمْ ... إلى المُلوكِ ولا ذاكَ الفَتَى العَرَبى

لكنَّ عيدَكَ يا (عبّاسُ) أنطَقَنِي ... كالبَدْرِ أطلَقَ صَوْتَ البُلْبُلِ الطَّرِب[2]

عيدَ الجُلوسِ، لقد ذكَّرْتَ أُمَّتَه ... يومًا تَأَبَّهَ فى الأيّامِ والحِقَب[3]

اليُمْنُ أوّلُه والسَّعْدُ آخِرُه ... وبين ذلكَ صَفْوُ العَيْشِ لم يُشَب[4]

فالعرشُ فى فَرَحٍ، والمُلْكُ فى مَرَحٍ ... والنَّيْلُ فى مِنَحٍ، والدَّهْرُ فى رَهَب[5]

والمُلْكُ فوق سَرِيرِ المُلْكِ تَحْرُسُه ... عَيْنُ الإلهِ وتَرْعَى أعْيُنُ الشُّهُب[6]

الحِلْمُ حِلْيَتُهُ، والعَدْلُ قِبْلَتُهُ، ... والسَّعْدُ لَمْحَتُهُ كشَافَةِ الكُرَب[7]

مَشيئةُ اللهِ فى (العبّاسِ) قد سَبَقَتْ ... إلى الخُلودِ ومَن يأتى على العَقِب[8]

فهو ابنُ أكرمِ مَن سادُوا ومَن مَلَكُوا ... وهو الأَبُ المُقْتَدَى للسّادَةِ النُّجُب

يا مَن تَوَهَّمَ أنّ الشِّعْرَ أعذَبُهُ ... فى الذَّوْقِ أكذَبُه، أزْرَيْتَ بالأَدَب[9]

عَذْبُ القَرِيضِ قَرِيضٌ بات يَعْصِمُه ... ذِكْرُ (ابنِ توفيقَ) عن لَغْوٍ وعن كَذِب[10]

---

(١) يريد "بأحمد" : (أحمد شوقى بك)، وكان "شاعر الأمير" إذ ذاك. ولقب بهذا اللقب، وقال مفتخرا به :

شاعر الأمير وما ... بالقليل ذا اللقب

(٢) يشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى ما يقال من أن البلبل أكثر ما ينطلق صوته بالغناء فى الليالى المقمرة. وقد شبه الشاعر عيد الجلوس فى إطلاقه ألسنة الشعراء بالغناء، بالبدر فى إطلاقه أصوات البلابل بالغناء.

(٣) تأبه : من الأبهة، وهى العظمة والبهجة. ويريد بهذا اليوم يوم تولية الخديو عباس الثانى، وهو اليوم الثامن من شهر يناير سنة ١٨٩٢ م، الموافق اليوم الثامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ. والحقب : السنون، جمع حقبة (بالكسر). (٤) لم يشب : لم يمزج بما يكدره. (٥) المرح : شدة الفرح. والرهب : الخوف.

(٦) الملك (بسكون اللام) : لغة فى الملك (بكسرها). وترعى أعين الشهب : أى تحرسه الكواكب.

(٧) اللحة : واحدة الملاح، وهذا من النوادر. يريد أن السعد يبدو فى طلعته وملامح وجهه. ويصح أن يراد "باللحة" : النظرة، أى أنه يسعد من يلمحه. (٨) يريد أن الله تولى أسرة العباس بالرعاية فى الآباء والأبناء.

(٩) أزرى بالأدب : تهاون به. يقصد فى هذا البيت العبارة المأثورة : "أعذب الشعر أكذبه".

(١٠) توفيق : هو محمد توفيق باشا، بكر أنجال إسماعيل باشا، تولى خديوية مصر سنة ١٨٧٩ م، وتوفى سنة ١٨٩٢ م، وخلفه ابنه عباس.

تهنئـــة الأمير محمد عبد المنعم

وكان وليا لعهد أبيه الخديو عباس ، قالها فى ذكرى مولده لأول العام الثالث من عمره

[نشرت فى ٣٠ يناير سنة ١٩٠١ م]

فى عيـــد مَوْلانَا الصَّـــغيـ ـر وعيـــد مَوْلانَا الكَبِير
إشْراقُ عِيـــد الفِطْـرِ والـ ـأَضْحَى على عَرْش الأَمـــير[١]

تهنئـــة السلطان عبد الحميد[٢] بعيد جلوسه

[نشرت فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٠١م]

لَمَحْتُ جَلالَ العِيـد والقَوْمُ هُيَّبُ فعَلَّمَنى آىَ العُلاَ كَيفَ تُكْتَبُ
ومَثَّلَ لى عَرْشَ الخِلافَةِ خاطرى فَأَرْهَبَ قَلْبى ، والجَلالَةُ تُرْهِبُ
سَلُوا الفَلَكَ الدَّوّارَ هل لاحَ كَوْكَبٌ على مِثْلِ هَذا العَرْشِ أو راحَ كَوْكَبُ؟
وَهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ على مِثْلِ ساحَةٍ إلى ذٰلك البَيْت (الحَمِيدىِّ) تُنْسَبُ ؟[٣]
وَهَلْ قَرَّ فى بُرْجِ السُّعُود مُتَوَّجٌ كما قَرَّ فى (يَلْدِيزَ) ذاكَ المُعَصَّبُ ؟[٤]
تَجَلَّى على عَرْشِ الجَلالِ وتاجُه يَهُشُّ وأَعْوادُ السَّرِيرِ تُرَحِّبُ[٥]

---

(١) شبه العيدين السابقين فى البيت الأول ، بعيد الفطر وعيد الأضحى ، لما اشتهر من وصف الأول بالصغير والثانى بالكبير .

(٢) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢م . وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦م . وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م . وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م .

(٣) الحميدى : نسبة إلى السلطان عبد الحميد .

(٤) يلديز : كان قصر الخلافة بالآستانة . والمعصب : المتوج ، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصابة ، قال عمرو بن كلثوم :

بكل معصب من آل سعد بتاج الملك يحمى المحجرينا

(٥) تجلى : ظهر . ويهش : يرتاح .

سَمَا فَوْقَهُ والشَّرْقُ جَذْلانُ شَيِّقٌ لَطَلْعَتِه والغَرْبُ خَذْلانُ يَرْقُبُ[١]

فقامَ بأَمْرِ اللهِ حتّى تَرَعْرَعَتْ به دَوْحَةُ الإِسْلامِ والشِّرْكُ مُجْدِبُ[٢]

وقَرَّبَ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ تَقَرُّبًا إلى المَلِكِ الأَعْلَى فنِعْمَ المُقَرِّبُ[٣]

وكم حاوَلُوا فى الأَرْضِ إطْفاءَ نُورِه وإطْفاءُ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذاكَ أَقْرَبُ

فَراعَهُمُ منه بجَيْشٍ مُدَجَّجٍ له فى سَبِيلِ اللهِ والحَقِّ مَذْهَبُ[٤]

يُدانِي شُخُوصَ المَوْتِ حتّى كأَنَّما له بَيْنَ أَظْفارِ المَنِيَّةِ مَطْلَبُ

إذا ثارَ فى يَوْمِ الوَغَى مالَ مَنْكِبٌ من الأَرْضِ والأَطْوادِ وانْهالَ مَنْكِبُ[٥]

له مِنْ رُءُوسِ الشُّمِّ فى البَرِّ مَرْكَبٌ ومِنْ ثائِرِ الأَمْواجِ فى البَحْرِ مَرْكَبُ[٦]

فِدًى لك يا (عَبْدَ الحَمِيدِ) عِصابَةٌ عَصَتْ أَمْرَ بارِيها وحِزْبٌ مُذَبْذَبُ[٧]

مَلَكْتَ عليهِم كلَّ فَجٍّ وجُحَّةٍ فلَيس لَهُم فى البَرِّ والبَحْرِ مَهْرَبُ

تَقاذَفُهُمْ أَيْدِى الليالى كأَنَّهُمْ بها مَثَلٌ للنّاسِ فى القَوْمِ يُضْرَبُ[٨]

---

(١) جذلان : من الجذل (بالتحريك) ، وهو الفرح . والشيق : المشتاق . ويريد بالخذلان : المخذول . ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من مدونات اللغة ، وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله فى الشطر الأول : " جذلان " .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٣) يريد " بالمسجدين " (هنا) : بيت المقدس ومسجد المدينة ، ويشير بذلك إلى الخط الحديدى الحجازى من دمشق إلى المدينة ، وقد بدئ العمل فيه فى مايو سنة ١٩٠٠ م . واحتفل بالفراغ منه وافتتاحه سنة ١٩٠٨ م .

(٤) راعهم : أفزعهم . والمدجج : المسلح .

(٥) الوغى : الحرب لما فيها من الأصوات والجلبة . ومنكب من الأرض : أى ناحية منها . والأطواد : الجبال العظيمة ، الواحد طود (بفتح الطاء) . والمعنى أن الأرض تميد بهذا الجيش لكثرته وعدته .

(٦) الشم : الجبال العالية ، واحدها : أشم .

(٧) يشير إلى حزب تركيا الفتاة الذى كان يعارض السلطان عبدالحميد فى سياسته .

(٨) تقاذفهم ، أى تتقاذفهم . وقد شبههم فى تشريدهم فى البلاد بالأمثال السائرة بين الناس من لسان إلى لسان .

وَكَمْ سَـــألُوها لَثْمَ أذْيالكَ الّتى ... لها فَوْقَ أجْرام السَّمٰوات مَسْحَبُ[١]
فما بَلَغُوا سُـؤْلًا ولا بَلَغُوا مُنًى ... كذٰلك يَشْقَى الخائِنُ المُتَقَلِّبُ
فيا صاحِبَ العِيدَيْن لا زِلْتَ سالمًا ... يُهَنِّيكَ بِالعِيـدَيْنِ شَرْقٌ ومَغْرِبُ[٢]
ففِى كلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طيبٌ ونَضْرَةٌ ... وفى كلِّ أرْضٍ منكَ عيدٌ ومَوْكِبُ
أرَى مِصْرَ والأنوارُ : منها مُوَرَّدٌ ، ... ومنها لُجَيْنِىٌّ ، ومنها مُذَهَّبُ[٣]
وأشْكالُها شـتّى فهٰـذا مُنَظَّمٌ ... وذٰلك مَنْثُـورٌ وذاكَ مُقَبَّبُ[٤]
وبعضٌ تَجَـلَّى فى مصابيحَ زَيْتُها ... يُضِىءُ ولا نارٌ وبَعْضٌ مُكَهْرَبُ[٥]
وأنْظُرُ فى بُسْـتانها النَّجْمَ مُشْرِقًا ... فهل أنتَ يا بُسْـتانُ أفْقٌ مُكَوْكَبُ[٦]
وأسْمَعُ فى الدُّنيـا دُعاءً بنَصْرِه ... يُرَدِّدُه البَيْتُ العَتيـقُ ويَثْرِبُ[٧]

تهنئة جلالة ادوارد السابع بتتويجه[٨]

[نشرت فى ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢م]

لَمَحْتُ مِنْ مِصْرَ ذاكَ التـاجَ والقَمَرَا ... فَقُلْتُ للشِّعْرِ هٰذا يَوْمُ مَنْ شَعَرَا[٩]
يا دَوْلَةً فوقَ أعْلامٍ لها أسَـدٌ ... تَخْشَى بَوادِرَه الدُّنْيـا إذا زَأرا[١٠]

---

(١) سألوها : أى سألو الليالى . وأجرام السموات : أفلاكها . والمسحب : المكان الذى تنسحب عليه الأذيال .

(٢) يريد "بالعيدين" : عيد جلوس السلطان وعيد تأسيس الدولة العثمانية .

(٣) اللجينى : نسبة إلى اللجين ، وهو الفضة . (٤) المقبب : المصنوع على أشكال القباب .

(٥) يريد بقوله : "يضىء ولا نار" : أن هذا الزيت صاف براق . (٦) المكوكب : ذو الكواكب

(٧) البيت العتيق : الكعبة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٨) ولد ادوارد السابع فى سنة ١٨٤١م . وولى الملك فى يناير سنة ١٩٠١م . وتوفى فى سنة ١٩١٠م .

(٩) يريد "بالقمر" : صاحب التاج . وشعر : أى قال الشعر .

(١٠) الأسد : شعار الدولة الانجليزية ، كما جعل النسر شعار الدولة الألمانية ، والهلال شعار الدولة العثمانية ، وغير ذلك . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يبدر من الشر ، أى يسبق منه عند الحدة والغضب .

بالأمسِ كانتْ عليك الشمسُ ضاحيةً ... واليومَ فوقَ ذُراكِ البَدْرُ قد سَفَرَا[١]

يَؤُولُ عَرْشُكِ مِنْ شَمْسٍ إلى قَمَرٍ ... إنْ غابَتِ الشمسُ أوْلَتْ تاجَها القَمَرا[٢]

مَنْ ذا يُناوِيكِ والأقْدارُ جارِيَةٌ ... بما تَشائِينَ ، والدُّنْيا لِمَنْ قَهَرا[٣]

اذا ٱبْتَسَمْتِ لنا فالدَّهْرُ مُبْتَسِمٌ ... وإنْ كَشَرْتِ لنا عن نابِهِ كَشَرا[٤]

لاتَعْجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جانِبُه ... لولا التَّعاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ له أثَرا

ما ثَلَّ رَبُّكَ عَرْشًا بات يَحْرُسُه ... عَدْلٌ ، ولا مَدَّ فى سُلْطانِ مَنْ غَدَرا[٥]

خَبَرْتُهُم فرأيْتُ القَوْمَ قد سَهِرُوا ... على مَرافِقِهِمْ والمَلْكُ قد سَهِرَا[٦]

تَشاوَرُوا فى أُمُورِ المُلْكِ مِنْ مَلِكٍ ... الى وَزيرٍ إلى مَن يَغْرِسُ الشَّجَرَا[٧]

وكان فارِسُهم فى الحَرْبِ صاعِقَةً ... وذُو السِّياسَةِ منهمْ طائِرًا حَذِرَا

بالبَرِّ صافِنَةٌ ، داسَتْ سَنابِكُها ... مَناجِمَ التِّبْرِ لَمّا عافَتِ ٱلمَدَرَا[٨]

وفى البِحارِ أساطِيلٌ إذا غَضِبَتْ ... تَرَى (البَراكِينَ) فيها تَقْذِفُ الشَّرَرَا[٩]

---

(١) يريد "بالشمس" : الملكة فكتوريا ملكة الانجليز . والذرا ، جمع ذروة ، وهى ما ارتفع من المواضع . ويريد "بالبدر" : ابنها ادوارد السابع . وسفر : ظهر وانكشف .

(٢) أولت : أعطت . (٣) المناوأة : المعاداة والمعارضة .

(٤) كشر عن نابه : كشف عنه وأبداه ، وهو مستعمل هنا فى معنى التنمر والغضب .

(٥) ثل الله عرشهم : أى هدم ملكهم وأذهب عزهم .

(٦) المرافق : المنافع والمصالح . والملك (بتسكين اللام) : لغة فى الملك (بكسرها) .

(٧) من يغرس الشجر : أى الفلاح .

(٨) الصافنة : الخيل . والصافن منها : ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة ، وهو من الصفات المحمودة فيها . والسنابك : أطراف الحوافر ، الواحد : سنبك (بضم السين والباء) . والمدر : التراب المتلبد . يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن خيولهم يدوس ما تضمنت الأرض من ذهب ، لكثرة ما فى أيديهم من الأماكن الغنية ، وكرهت أن تدوس التراب .

(٩) شبه سفنهم فى الحرب (ببراكين) النار .

وَهُنَّ فى السِّلْمِ والأيّام باسمَةٌ ... عَرائسٌ ، يَكْتَسِين الذُّلَّ والخَفَرَا[١]

حتّى إذا نَشِبَتْ حَرْبٌ رأيتَ بها ... أغوالَ قَفْرٍ ولكنْ تَنْهَشُ الحَجَرَا[٢]

اليومَ يُشرِقُ "إدْوَارٌ" على أُمَمٍ ... كأنّها البَحْرُ بالاذىّ قد زَخَرَا[٣]

لو أَمْطَرَ الغَيْثُ أرْضًا تَسْتَظِلُّ بهِمْ ... عَدَتْ رُءُوسُهُمُ عن وَجْهِها المَطَرَا[٤]

اليومَ يَلْثِمُ تاجُ العِزِّ مُحْتَشِمًا ... رَأْسًا يُدَبِّرُ مُلْكًا يَكْلَأُ البَشَرَا[٥]

يُصَرِّفُ الأمْرَ مِنْ مِصْرٍ إلى عَدَنٍ ... فالهِنْدِ فالكابِ حتّى يَعْبُرَ الجُزُرَا[٦]

قد سالَمَتْهُ اللّيالى حينَ أعْجَزَها ... عَقْدٌ لِما حَلَّ أو تَقْويمُ ما أَطَرَا[٧]

(إدْوارُ) دُمْتَ ودامَ المُلْكُ فى رَغَدٍ ... ودامَ جُنْدُكَ فى الافاقِ مُنْتَصِرَا

حَقَنْتَ بالصُّلْحِ والرَّأْىِ السَّديدِ دَمًا ... رَوَّى الشِّعابَ ورَوَّى الصارمَ الذَّكَرَا[٨]

هُمْ يَذْكُرونَكَ إنْ عَدُّوا عُدُولَهُمُ ... ونَحْنُ نَذْكُرُ إنْ عَدُّوا لنا (عُمَرَا)

كأنّما أنتَ تَجْرِى فى طَرِيقَتِهِ ... عَدْلًا وحِلْمًا وإيقاعًا بمَنْ أَشِرَا[٩]

---

(١) الخفر (بالتحريك) : شدّة الحياء . (٢) الأغوال : جمع غول ، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف .

(٣) آذى البحر : موجه ، وجمعه : أواذى (بتشديد الياء) . شبه به الأمم التى تحت سلطان التاج البريطانى فى كثرتها .

(٤) "عدت رءوسهم" الخ : أى صرفت رءوسهم المطر عن وجه الأرض . يصفهم بكثرة العدد ، حتى إنهم لكثرتهم يحجبون وجه الأرض برءوسهم فلا يمسه المطر .

(٥) محتشما : أى مستحيا . و يكلأ : يحفظ ويحرس . (٦) يصرف الأمر : يدبره و يقلبه كما يشاء .

(٧) أطره : عوّجه وثناه . والمعنى أن الدهر قد صالحه وسالمه حين لم يقدر على مناوأته ومعارضته فيما أراد .

(٨) يقال : حقن فلان دم فلان ، إذا حل به القتل فأنقذه . ويريد "بالشعاب" : الطرق ، الواحد : شعب (بكسر الشين) ، وهو فى الأصل : الطريق فى الجبل . والصارم الذكر : السيف الذى شفرته من الحديد الذكر ، ومتنه من الحديد الأنيث . والحديد الذكر : هو أيبس الحديد وأجوده . ويشير بهذا البيت إلى الصلح فى الحرب التى كانت بين البوير والانجليز ، وقد ابتدأت فى سنة ١٨٩٩م . وانتهت فى سنة ١٩٠٢م . وهى السنة التى قال فيها الشاعر قصيدته فى تتويج إدوارد السابع .

(٩) أشر يأشر (من باب فرح يفرح) : بطر ، يريد العاصى المتمرد .

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١)

[قالها فى سفره إلى بعض بلاد الوجه البحرى وكان مصاحبا له فى هذا السفر]

صَدَفْتُ عن الأهواءِ، والحُرُّ يَصْدِفُ ... وأَنْصَفْتُ مِنْ نَفْسِي، وذُو اللُّبِّ يُنْصِفُ (٢)

صَحِبْتُ الهُدَى عشرينَ يَوْمًا ولَيْلَةً ... فَقَرَّ يَقِينِي بَعْدَ ما كان يَرْجُفُ (٣)

فَرُحْتُ وفى نَفْسِي من اليَأْسِ صارِمٌ ... وعُدْتُ وفى صَدْرِي من الحِلْمِ مُصْحَفُ

وكنتُ كما كان (ابْنُ عِمْرانَ) ناشِئًا ... وكان كَمَنْ فى (سُورَةِ الكَهْفِ) يُوصَفُ (٤)

كأنّ فُؤادى إِبْرَةٌ قد تَمَغْطَسَتْ ... بِحُبِّكَ أَنَّى حُرِّفَتْ عنكَ تَنْعَطِفُ (٥)

كأنّ يَراعِى فى مَدِيحِكَ ساجِدٌ ... مَدامِعُه مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَذْرِفُ (٦)

كأنّكَ والآمالُ حَوْلَكَ حُوَّمٌ ... نَمِيرٌ على عِطْفَيْهِ طَيْرٌ تُرَفْرِفُ (٧)

وأَزْهَرَ فى طِرْسِى يَراعِى وأَنْمُلِى ... ولَفْظِى فباتَ الطِّرْسُ يَجْنِى ويَقْطِفُ (٨)

---

(١) أنظر التعريف بالأستاذ الإمام فى الحاشية رقم ٥ ص ٢ من هذا الجزء .

(٢) صدفت : أعرضت وصددت .

(٣) يرجف : يضطرب . ويشير بهذا البيت إلى قصة سمعناها منه وهى أن حافظا كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك فى عقيدته الدينية غير قائم بالشعائر الإسلامية من صلاة وصوم ونحوهما فلما صحبه فى هذا السفر واتصل به تلك المدة المذكورة كان يراه فى الليل يكثر الصلاة والتضرع لله تعالى إلى مبالغا فى كتمان ذلك عمن حوله ؛ فأحسن الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ فى ظنه الأول به ؛ ثم اهتدى بهديه وبدل شكه يقينا .

(٤) يشير إلى قصة نبى الله موسى الكليم مع الخضر عليهما السلام ، وإكثار موسى على الخضر فى الأسئلة ؛ وقد ذكر الله تعالى ذلك فى سورة الكهف .

(٥) تعطف : ترجع .

(٦) تذرف : تسيل .

(٧) الحوم من الطيور : التى تدور حول الماء . الواحد : حائم . والنمير : الماء الناجع فى الرى . والعطفان : الجانبان .

(٨) أزهر : أخرج الزهر . والطرس : الصحيفة التى يكتب فيها .

وجَمَّعَ مِنْ أَنْوارِ مَدْحِكَ طاقَةً ... يُطالِعُها طَرْفُ الرَّبيعِ فَيَطْرَفُ[١]

تَهادَى بِها الأَرْواحُ فى كُلِّ سُحْرَةٍ ... وتَمْشِى على وَجْهِ الرِّياضِ فتَعْرُفُ[٢]

إمامَ الهُدَى ! إنِّى أَرَى القَوْمَ أَبْدَعُوا ... لهم بِدَعًا عنها الشَّرِيعَةُ تَعْزِفُ[٣]

رَأَوْا فى قُبُورِ المَيِّتِين حَياتَهُمْ ... فقامُوا إلى تِلْكَ القُبورِ وطَوَفُوا

وباتُوا عليها جاثِمِينَ كأَنَّهُمْ ... "على صَنَمٍ للجاهِلِيَّةِ عُكَّفُ"[٤]

فَأَشْرِقْ على تِلْكَ النُّفُوسِ لَعَلَّها ... تَرِقُّ إذا أَشْرَفْتَ فيها وتَلْطُفُ

فَأَنْتَ بِهِمْ كالشَّمْسِ بالبَحْرِ ، إنَّها ... تَرُدُّ الأُجاجَ المِلْحَ عَذْبًا فيُرْشَفُ[٥]

كثيرُ الأَيادى، حاضِرُ الصَّفْحِ مُنْصِفٌ ... كثيرُ الأَعادِى ، غائِبُ الحِقْدِ مُسْعِفُ[٦]

له كُلَّ يومٍ فى رِضَى اللهِ مَوْقِفٌ ... وفى ساحَةِ الإحْسانِ والبِرِّ مَوْقِفُ

---

(١) الأنوار : جمع نور (بفتح النون) ، وهو الزهر . والطاقة : الحزمة من الزهر . ويطالعها طرف الربيع : أى تنظر إليها عينه . فيطرف : أى يصاب بما يؤذيه ؛ يقال : طرف فلان عين فلان ، إذا أصابها بشىء فدمعت ؛ وقد طرفت عينه (مبنيا للمجهول) فهى مطروفة . يريد أن مدحه للأستاذ الإمام يفوق أزهار الربيع حسنا ، فإذا نظر إليه الربيع ارتد طرفه عنه حسيرا .

(٢) تهادى : أى تتهادى . والتهادى : المشى فى لين وتثن : ويجوز أن يكون التهادى (هنا) من الإهداء ، أى أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدى بعضها بعضا به . والسحرة : أول وقت السحر . وتعرف (بضم الراء) ، أى تصير ذات عرف (بفتح العين وسكون الراء) ، أى راحة طيبة ؛ أى أن الرياح تمر على الرياض حاملة طيب هذه الطاقة فتنتطر الرياض به .

(٣) أبدعو : أحدثوا . وتعزف (بضم الزاى وكسرها) : تنصرف وتعرض .

(٤) جاثمون : ملازمون لها لم يبرحوها ؛ وفعله من باب (نصر وضرب) . وقوله : « على صنم » إلخ : عجز بيت من قصيدة للفرزدق ، وقبله :

لقد علم الخيران أن قدورنا ... جوامع للأرزاق والريح زفزف

ترى حولهن المقسترين كأنهم ... على صنم ... ... إلخ

والعكف : العاكفون ، من عكف على الشىء ، إذا لزمه وحبس نفسه عليه .

(٥) بهم : أى فيهم . ويشير إلى ما هو معروف من تبخر ماء البحر بحرارة الشمس وصيرورة هذا البخار سحابا ، ثم مطرا . والأجاج من الماء : الشديد الملوحة . ويرشف ، أى يشرب . وأصل الرشف : مص الماء بالشفتين .

(٦) الأيادى : النعم . وغائب الحقد : لا تحقد على أحد .

تحلى (جَمالُ الدِّينِ) فى نُورِ وَجْهِـهِ ... وأَشْرَقَ فى أَثْنَـاءِ بُرْدَيْهِ (أَحنَفُ)
رَأَيْتُكَ فى الإفْتَـاءِ لا تُغْضِبُ الحِجا ... كأنّك فى الإفْتـاءِ والعِـلْمِ (يُوسُفُ)[٢]
فأنتَ لها إنْ قام فى الشَّرْقِ مُرْجِفٌ ... وأنتَ لها إنْ قامَ فى الغَرْبِ مُرْجِفُ[٣]
كَمُلْتَ كَمالًا لو تَنـاوَلَ كُفْرَه ... لأَصْـبَحَ إيمـانًا به يُتَحَنَّفُ[٤]

* * *

وقال يهنئه بعودته من سياحته فى بلاد الجزائر :

[نشرت فى ٦ أكتوبر ١٩٠٣ م]

بَكِّرَا صـاحِبَىَّ يومَ الإيابِ ... وقِفَـا بِى (بعَيْنِ شَمْسٍ) قِفـا بِى
إننِى — والّذى يَرَى ما بِنَفْسِى — ... لَمَشُـوقٌ لِظِـلِّ تلكَ الرِّحابِ[٥]
يا أمِينًـا على الحَقِيقَـةِ والإفْـ ... ـتاءِ والشَّرْعِ والهُـدَى والكِتابِ
أنتَ نِعْمَ الإمامُ فى مَوْطِنِ الرَّأْ ... يِ ، ونِعْمَ الإمامُ فى المِحْـرابِ

---

(١) يشير إلى أستاذ الممدوح الشيخ جمال الدين الأفغانى العالم الفيلسوف المعروف ، ورد مصر فى زمن إسماعيل باشا ، وتلقى عليه العلم أذكياء الطلاب بالأزهر ، ومنهم الأستاذ الممدوح ، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهداتها . ويريد بالأحنف : الأحنف بن قيس التميمى ، وكان من سادات التابعين ، مشهورا بالحلم ؛ وأسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ؛ وشهد بعض الفتوحات ، وتوفى حوالى سنة سبع وستين .

(٢) الحجا : العقل . يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل فى فتاويه . ويوسف ، هو نبى الله يوسف الصديق عليه السلام ؛ ويشير إلى قوله تعالى فى سورة يوسف : (ولما بلغ أشدّه آتيناه حكما وعلما) الآية .

(٣) لها : أى لملة الإسلام . والمرجف : الذى يخوض فى الأخبار السيئة على أن يوقع فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عنده شىء منها .

(٤) يتحنف به يتعبد به : يشير إلى ما هو مأثور فى كلام الفرس من قولهم : كل شىء يتناوله العليل يتحول إلى علة ، وكذلك العكس ، فكل شىء يتناوله الصحيح يتحول إلى صحة ، والكامل لو تناول الكفر صار إيمانا . وكان الأستاذ الامام كثيرا ما يردّد هذه العبارة . ويريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصيره إيمانا .

(٥) الذى يرى ما بنفسه هو الله تعالى .

خَشَعَ البَحْرُ إذْ رَكِبْتَ جَوارِيـ ـهِ خُشوعَ القُلُوبِ يومَ ٱلحسابِ[١]

وبدا ماؤُه كخاطِرِكَ المَصْـ ـقُولِ ، أو كالفِرِنْدِ أو كالسَّرابِ[٢]

يَتَجَلَّى كأنّه صُحُفُ الأبْـ ـرارِ مَنْشورةً بيَوْمِ المآبِ[٣]

عَلِمَتْ مَنْ تُقِلُّ فٱنبَعَثَتْ للْـ ـقَصْدِ مِثْلَ ٱنبِعاثِه للثَّوابِ[٤]

فهى تَسْرِى كأنّها دَعْوَةُ المُضْـ ـطَرِّ فى مَسْبَحِ الدُّعاءِ المُجابِ[٥]

وضياءُ (الإمامِ) يُوضِحُ لِلرُّبّانِ سُبْلَ النَّجاةِ فَوْقَ ٱلعُبابِ[٦]

باتَ يُغْنِيه عن مُكافَحَةِ البَحْـ ـرِ ورُقْبَى النُّجومِ والأَقْطابِ[٧]

وسَرَى البَرْقُ للجَزائِرِ بالبُشْـ ـرَى بقُرْبِ المُطَهَّرِ الأَوَّابِ[٨]

فَسَعَى أَهْلُها إلى شاطِئِ البَحْـ ـرِ وُفودا بالبِشْرِ والتَّرْحابِ

أَدْرَكُوا قَدْرَ ضَيْفِهِمْ ، فأقامُوا يَرْقُبونَ (الإمامَ) فَوْقَ السَّحابِ[٩]

ليتَ مِصْرًا كَغَيْرِها تَعْرِفُ الفَضْـ ـلَ لِذِى الفَضْلِ مِنْ ذَوِى ٱلالْبابِ

إنّها لو دَرَتْ مكانَكَ فى المَجْـ ـدِ ومَرْماكَ فى صُدُورِ الصِّعابِ

ونَفانِيكَ فى سَبيلِ (أبى حَفْـ ـصٍ) ومَسْعاكَ عند دَفْعِ ٱلمُصابِ[١٠]

---

(١) الجوارى : السفن .

(٢) المصقول : المجلو . وفرند السيف : ماؤه الذى يترقرق فيه ؛ وهو فارسى معرب . والسراب : ما يرى على البعد فى نهاية الأفق كأنه الماء وليس به . شبه الشاعر به ماء البحر فى الصفاء .

(٣) المآب : المرجع . ويوم المآب : أى يوم القيامة . شبه ماء البحر بصحف الأبرار فى النصوع والنقاء .

(٤) علمت : أى السفينة . وتقل : تحمل . (٥) مسبح الدعاء : أى طريقه .

(٦) عباب البحر : موجه (٧) الرقبى : المراقبة . (٨) الأوّاب : الكثير الرجوع إلى الله .

(٩) يشير بهذا الكلام إلى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سيرجع إليهم فى ظلل من الغمام ؛ فشبه الأستاذ الإمام به .

(١٠) «وتفانيك فى سبيل أبى حفص» ، أى استماتتك فى نصرة الحق ، وهو سبيل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

لأَظَلَّتْكَ يالقُلُوبِ منَ الشَّمْـ ـسِ ووَارتْ عُداكَ تَحْتَ التُّرَابِ
أنتَ عَلَّمْتَنَا الرُّجُوعَ إلى الحَـقِّ وردَّ الأُمُـورِ للأَسْـبَابِ
ثمّ أَشْرَقْتَ فى (المَنَارِ) عَلَيْنَا بَيْنَ نُورِ الهُدَى ونُورِ الصَّوابِ[1]
فقَرَأْنَا على ضِيائِكَ فيـه كَلِمَاتِ المُهَيْمِنِ الوَهَّابِ[2]
وسَكَنَّا إلى الّذى أَنْزَلَ اللّـهُ وكُنَّا منْ قَبْلِه فى ٱرْتِيَابِ[3]
أيُّهَـذا الإمامُ أَكْثَرْتَ حُسّـا دى فباتَتْ نُفُوسُهُمْ فى ٱلْتِهَابِ
أَبْصَرُوا مَوْقِفِى فعَـزَّ عليهِـمْ منكَ قُرْبِى ومنْ عُلَاكَ ٱنْتِسَابِى
أَجْمَعُوا أَمْرَهُـمْ عشـاءً وباتُوا يُسْمِعُونَ الوَرَى طَنِينَ الذُّبابِ[4]
ونَسُـوا رَبَّهُـمْ ، وقالوا ضَمِنّـا بُعْـدَه ، عن رِحابِ ذاكَ ٱلجَنَابِ[5]
قُلْ لجَمْعِ المُنافقينَ ومنْهُـمْ خُصَّ بالقَوْلِ عَبْدَ أُمِّ ٱلحَبَابِ[6]
عَبْـدَ تلكَ الّتى يُحَرِّمُها اللّـهُ إزاءَ الأَزْلامِ والأَنْصَابِ[7]

---

(١) يريد (مجلة المنار) المعروفة ، التى كان يحررها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الأستاذ الإمام ، وقد أنشئت هذه المجلة فى سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٨ م) .

(٢) يشير بذلك إلى ما كان ينشر فى (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن الكريم .

(٣) سكن إلى الأمر : اطمأن إليه ووثق به .

(٤) أجمعوا أمرهم عشاء : أى بيتوا النية عن الكيد لى والوشاية بى .

(٥) يريد جناب الأستاذ الإمام .

(٦) أم الحباب : كناية عن الخمر . والحباب : الفقاقيع التى تعلو الشراب فى الكأس . ويريد « بعبد أم الحباب » : أحد الساعين فى التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام ، وكان مدمنا للخمر .

(٧) إزاء الأزلام : أى معها . والأزلام : سهام الميسر ، الواحد زلم (بالتحريك) . والأنصاب : ما ينصب من الأوثان ليعبد من دون الله ، الواحد نصب (وزان عنق وقفل) . ويشير بهذا إلى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية .

إنّ نَفْسَ الإمامِ فوقَ مُناهُـمْ ما تَمَنَّـوْا وإنّنى غـيرُ صـابى[1]
شابَ فيهِـمْ وَلائُهُمْ حِينَ شابُوا وَلائى فى عُنْفُـوانِ الشَّـبابِ

* * *

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره :

لو يَنْظُمُونَ اللآلِى مِثْلَ ما نُظِمَتْ مُذْ غِبْتَ عنّا عُيونُ الفَضْلِ والأَدَب[2]
لَأَقْفَرَ الجِيدُ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ به والثَّغْرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ والكأْسُ مِنْ حَبَب[3]

* * *

وقال مدافعا عنه أيضا ضدّ من حمل عليه من أعدائه فى الصحف ورسموا له صورا تزرى بقدره :

إنْ صوّرُوكَ فانّما قد صَـوَّرُوا تاجَ الفَخَارِ ومَطْلَعَ الأَنْـوارِ
أو نَقَّصُوكَ فانّما قد نَقَّصُوا دِينَ النَّبِىِّ محمّدِ المُخْتارِ
سَخِرُوا مِن الفَضْلِ الّذى أوتيتَه واللهُ يَسْخَرُ مِنْهُمُ فى النَّارِ
لا تَجْزَعَنَّ فلَسْتَ أوّلَ ماجِدٍ كَذَبَتْ عليه صَحائِفُ الفُجّارِ

---

(١) صابى ، أى صابئ (بالهمز) ، وهو الخارج من دين إلى دين ؛ واستعمله هنا فى المتحوّل عن مودته .

(٢) يريد « بعيون الفضل والأدب » : ما كان يجيره الأستاذ الإمام فى غيبته من مقالات وخطب .

(٣) الجيد : العنق . وحبب الكأس : الفقاقيع التى تعلو سطح الشراب . والمراد بهذا البيت والذى قبله أن الناس لو أرادوا أن ينظموا مثل ما نظمت فى خطبك ورسائلك لم يجدوا غير در النحور ولآلئ الثغور وحبب الكؤوس شبيها بما قلت ، ولاستنفد نظمهم كل ذلك .

رَسَمُوا بِذاتِكَ للنَّواظِرِ جَنَّةً ... مَحْفُوفَةً بِمَكارِهِ الأَشْعَارِ[١]

وتَقَوَّلوا عنكَ القَبِيحَ وهٰكَذا ... يُمْنَى الكَرِيمُ بغارَةِ الأَشْرارِ[٢]

لَنْ يَحْجُبُوكَ عن الوَرَى أو يَحْجُبُوا ... فَلَقَ الصَّباحِ ومَشْرِقَ الأَقْمَارِ[٣]

أو يَبْلُغُوا عَلْياكَ حتّى يَبْلُغُوا ... بَيْنَ الزَّواهِرِ صُورَةَ الجَبّارِ[٤]

ما أَنْتَ ذَيّاكَ البَغِيضُ فتَنْثَنِي ... مُتَسَرْبِلًا بالعارِ فَوْقَ العارِ[٥]

لَعِبُوا به فى صُورَةٍ قد أَسْفَرَتْ ... عَنْ عَزْلِهِ فأَقامَ حِلْسَ الدّارِ[٦]

تهنئة الخديو عباس الثانى بعيد الأضحى سنة ١٣٢١ هـ

[نشرت فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤]

طُفْ بالأَرِيكَةِ ذاتِ العِزِّ والشانِ ... واقْضِ المَناسِكَ عَنْ قَاصٍ وعَنْ دانِي[٧]

يا عِيدُ ليتَ الّذى أَوْلاكَ نِعْمَتَهُ ... بقُرْبِ صاحِبِ مِصْرٍ كان أَوْلانى[٨]

---

(١) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « حفت الجنة بالمكاره » . شبه صورة الإمام فى صحف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره الهجو بالجنة التى حفت بالمكاره .

(٢) يقال : تقوّل عليه الخبر ، إذا افتراه . ويمنى : يبتلى ويصاب .

(٣) أو يحجبوا ، أى حتى يحجبوا . وفلق الصباح : ضوءه أوّل ما يبدو .

(٤) الزواهر : النجوم . والجبار اسم الجوزاء ؛ يقال : « طلع الجبار » وذلك لأنها على صورة ملك متوّج على كرسى .

(٥) المتسربل : اللابس .

(٦) حلس الدار : الذى يلزمها ولا يبرحها . ويشير إلى أنهم كانوا قد رسموه على صورة تشعر أنه قد عزل من منصب الإفتاء وأقام فى داره . واستعماله « أسفرت » بمعنى « سفرت » ، أى كشفت وأظهرت ، لم يرد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وهو استعمال شائع بين كتاب العصر . والذى فى كتب اللغة أن «أسفر» بمعنى أضاء وأشرق ؛ وليس مرادا هنا .

(٧) الأريكة : سرير الملك . وقد شبه فى هذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديو من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج ومناسك الحج : أموره وشؤونه ، أو المواضع التى تذبح فيها ذبائحه .

(٨) مولاك : أعطاك .

صُغْتُ القَرِيضَ فما غادَرْتُ لُؤْلُؤَةً ... فى تاجِ (كِسْرَى) ولا فى عِقْدِ (بُوران)[١]

أَغْرَيْتُ بالغَوْصِ أَقْلامى فما تَرَكَتْ ... فى لُجَّةِ البَحْرِ مِنْ دُرٍّ ومَرْجان[٢]

شَكَا (عُمانُ) وضَجَّ الغائِصُون به ... على اللآلى وضَجَّ الحاسِدُ الشّانى[٣]

كم رامَ شَأْوِى فَلَمْ يُدْرِكْ سِوَى صَدَفٍ ... سامَحْتُ فيه لِنَظّامٍ ووَزّان[٤]

عابُوا سُكُوتى ولَوْلاه لَما نَطَقُوا ... ولا جَرَتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمَيْدَان

واليومَ أُنْشِدُهُمْ شِعْرًا يُعِيدُ لهم ... عَهْدَ (النُّواسِىِّ) أو أَيّامَ (حَسّان)[٥]

أَزُفُّ فيه إلى (العَبّاس) غانِيَةً ... عَفِيفَةَ الخِدْرِ مِنْ آياتِ عَدْنان[٦]

من الأوانِسِ حَلّاها يَراعُ فَتًى ... صافى القَرِيحَةِ صاحٍ غيرِ نَشْوان

ما ضاقَ أَصْغَرُه عَنْ مَدْحِ سَيِّده ... ولا اسْتَعانَ بِمَدْحِ الراحِ والبان[٧]

ولا اسْتَهَلَّ بذِكْرِ الغِيدِ مَدْحَتَه ... فى مَوْطِنٍ بِجَلالِ المُلْكِ رَيّان[٨]

---

(١) كسرى : لقب ملك الفرس . وبوران : هى بوران دخت بنت كسرى ؛ أو هى بوران بنت الحسن بن سهل . شبه شعره باللآلئ التى فى هذا التاج وذاك العقد .

(٢) أغراه به : حضه عليه .

(٣) عمان : كورة عربية على ساحل بحر الصين والهند يجلب منها اللؤلؤ . يقول : إن مغاص اللؤلؤ بهذا الموضع ومن يغوصون به قد شكوا وتميظوا من كثرة ما أناله من اللآلئ الغالية التى أرصع بها شعرى وأحول بينهم وبينها ؛ وهى مبالغة فى تشبيه شعره بالنفاسة . والشانئ بالهمز (ومهل للشعر) : المبغض السيئ الخلق .

(٤) الشأو : الغاية . ويريد « بالنظام والوزان » : الذين يقولون الشعر خاليا من المعانى ذات القيمة .

(٥) يريد « بالنواسى » : أبا نواس الشاعر المعروف . وحسان : هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية .

(٦) شبه قصيدته فى حسنها وجمالها بالغانية ، وهى الفتاة التى غنيت بجمالها عن الحلى . ويريد بقوله : « عفيفة الخدر » : اختصاص مدحته بالخديو وتشبيها لها بالغانية التى لم يطرق خدرها غير حليلها . « ومن آيات عدنان » ، أى أنها عربية صميمة .

(٧) أصغره : أى لسانه . والراح : الخمر . ويريد بقوله : « ولا استعان » الخ . أنه لم يجر على طريقة الشعراء فى ابتداء قصائد المدح بوصف الخمر وما إليها .

(٨) استهل : ابتدأ . والغيد من النساء : النواعم اللينات منهن ، الواحدة غادة .

أَغْلَيْتَ بالعَدْلِ مُلْكًا أنتَ حارِسُه ... فأصبَحَتْ أرضُـه تُشْرَى بميزان

جَرَى بها الخِصْبُ حتّى أنبَتَتْ ذَهَبًا ... فلَيْتَ لى فى ثَراها نصفَ فدّان

نَظَرْتَ للنِّيـلِ فاهتَزَّتْ جَوانِبُـه ... ونَاضَ بالخَـيْرِ فى سَهْلٍ ووِدْيان

يَجْرِى على قَدَرٍ فى كُلِّ مُنْحَدَرٍ ... لَمْ يَجْفُ أرضًا ولَمْ يَعْمُدْ لطُغْيان[1]

كأنّه ورجالُ الرِّىِّ تَحْرُسُـه ... مُمَلَّكٌ سـارَ فى جُنْـدٍ وأعْوان

قد كان يَشْكُو ضَياعًا مُذْ جَرَى طُلُقًا ... حتّى أقَمْتَ له خَزّانَ أسْـوان[2]

كم مِنْ يَدٍ لكَ فى القُطْرَيْنِ صالحةٍ ... فاضَتْ علينا بجُودٍ منكَ هَتّـان[3]

رَدَدْتَ ـ ما سَلَبَتْ أيدى الزّمان ـ لنا ... وما تَقَلَّصَ مِنْ ظِلٍّ وسُلْطان[4]

وما قَعَدْتَ عن السُّودان إذ قَعَدُوا ... لـكنْ أمَرْتَ فلَبَّى الأمرَ جَيْشان[5]

هذا مِنَ الغَرْبِ قد سالَتْ مَراكِبُهُ ... وذا مِن الشَّرْقِ قد أوْفَى بطُوفان[6]

ولّاكَ رَبُّكَ مُلْكًا فى رِعايَتِـه ... ومَدَّهُ لكَ فى خِصْبٍ وعُمْـران

مِنْ كُرْدُفانَ إلى مِصْرٍ إلى جَبَلٍ ... عليـه كَلَّمَـهُ (موسى بنُ عِمْران)[7]

فكُنْ بمُلْكِكَ بَنّـاءَ الرِّجالِ، ولا ... تَجْعَـلْ بِنـاءَكَ إلّا كلَّ مِعْوان[8]

---

(١) على قدر : أى على حساب ومقدار . ويريد بقوله : «ولم يعمد لطغيان» : أنه لم يغرق البلاد بكثرة فيضانه . ويشير بهذا البيت إلى ما يقوم به المهندسون فى تدبير ماء النيل .

(٢) طلقا (بضم الطاء واللام) : أى منطلقا بلا قيد ولا حبس .

(٣) يريد « بالقطرين » : مصر والسودان . وهتان : أى منصب .

(٤) تقلص : أى تقبض وتقاصر .

(٥) يشير بهذا البيت إلى إعادة فتح السودان الذى تم سنة ١٨٩٨م . ويريد « بالجيشين » : الجيش المصرى والجيش الانجليزى .

(٦) أوفى بطوفان : أى جاء بعدد كثير كطوفان الماء .

(٧) كردفان : إقليم من السودان معروف . ويريد « بالجبل » : جبل الطور الذى كلم الله نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوقه .

(٨) يقول : هيئ لشعبك رجالا تعتد بهم عند الشدائد ، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم .

وٱنظرْ إلى أمةٍ لولاكَ ما طَلَبَتْ ... حقّا ، ولا شَعَرَتْ حُبّاً لأوْطان

لاذَتْ بسُدَّتِكَ العَلْياءِ وٱعتَصَمَتْ ... وأخْلَصَتْ لكَ فى سِرٍّ وإعْلان[1]

حَسْبُ الأَريكَةِ أنّ اللهَ شَرَّفَها ... فأصبحتْ بكَ تَسْمُو فوقَ كيوان[2]

تاهَتْ بعَهْدِ مَلِيكٍ فوقَ مَفْرِقِهِ ... لمُلْكِ مِصْرٍ وللسُّودان تاجان[3]

هٰذا هُوَ المُلْكُ فَلْيَهْنِ مُلَّكَهُ ... وذا هُوَ الشِّعْرُ فلْتُنْشِدْهُ أزْمانى

* * *

وقال أيضا يهنىء سموّه بالعام الهجرىّ :

[نشرت فى ١٩ مارس سنة ١٩٠٤ م]

قَصَرْتُ عَلَيْكَ العُمْرَ وهو قَصِيرُ ... وغالَبْتُ فيكَ الشَّوْقَ وهو قَديرُ[4]

وأنْشَأْتُ فى صَدْرى لحُسْنِكَ دَوْلَةً ... لها الحُبُّ جُنْدٌ والوَلاءُ سَفيرُ[5]

فؤادى لها عَرْشٌ وأنتَ مَليكُهُ ... ودُونَكَ مِنْ تلكَ الضُّلُوعِ سُتُورُ

وما انتَقَضَتْ يوما عليكَ جَوانِحى ... ولا حَلَّ فى قَلْبِى سواكَ أميرُ[6]

كَتَمْتُ فقالوا: شاعرٌ يُنْكِرُ الهَوَى ... وهل غيرُ صَدْرى بالغرام خَبِيرُ؟

---

(١) سدتك : أى بابك .

(٢) كيوان : اسم زحل بالفارسية ؛ وهو ممنوع من الصرف وإنما أورده الشاعر هنا مجرورا بالكسر لضرورة القافية .

(٣) المفرق (بفتح الراء وكسرها) : وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر هنا .

(٤) قصرت عليك العمر : أى حسبته على حبك .

(٥) الولاء (بفتح الواو) : الاخلاص .

(٦) انتقضت : أى فسدت ، كما تنتقض الامارات على أمرائها ، أى تخرج عليهم وتشق عصا الطاعة .

ولو شئتُ أهملتُ النجومَ عن السُّرَى ... وعطّلتُ أفلاكًا بهنّ تدورُ[١]

وأشعلتُ جلدَ الليلِ منّى بزفرةٍ ... غرامية منها الشرار يطيرُ

ولكننى أخفيتُ مابى وإنما ... لكلّ غرامٍ عاذلٌ وعذيرُ[٢]

أرى الحبَّ ذلًّا ، والشكايةَ ذلّةً ، ... وإنّى بستر الذلّتين جديرُ

ولى فى الهوى شعران : شعرٌ أذيعه ... وآخرُ فى طىّ الفؤاد ستيرُ[٣]

ولولا لجاجُ الحاسدينَ لما بدا ... لكتمانِ سرّى فى الغرامِ ضميرُ[٤]

ولا شرعتْ هذا اليراعَ أنامِلى ... لشكوى ولكنّ اللجاجَ يثيرُ[٥]

على أنّى لا أركبُ اليأسَ مركبًا ... ولا أكبرُ البأساءَ حينَ تغيرُ[٦]

فكم حادَ عنّى الحينُ والسيفُ مصلتٌ ... وهانَ علىَّ الأمرُ وهو عسيرُ[٧]

وكم لمحةٍ فى غفلةِ الدهرِ نفّستْ ... همومًا لها بينَ الضلوعِ سعيرُ

فقد يشتفى الصبُّ السقيمُ بزورةٍ ... ويخجلُ بلفظٍ عاثرٌ وأسيرُ

عسى ذلكَ العامُ الجديدُ يسرّنى ... ببشرى ، وهل للبائسين بشيرُ؟

وينظرُ لى ربُّ الأريكةِ نظرةً ... بها يخجلُ ليلُ الأسى ويُنيرُ[٨]

---

(١) السرى : السير بالليل . يقول : إننى لو شئت بثثت من اللوعة وحرارة الوجد ما يذهل النجوم عن مسيرها ، ويعطل الافلاك عن دورانها ، فتصغى لبثى ، وترثى لوجدى .

(٢) العذير : العذرا والنصير أيضا . (٣) ستير : أى مستور ، فعيل بمعنى مفعول .

(٤) اللجاج : التمادى فى العناد والخصومة . يقول : لولا عناد ذوى الحسد والبغضاء لما بدا مما أكتمه من غرامى وشوقى ما يشعر الناس بهما .

(٥) يقال : شرع الرمح ، إذا سدّده وصوّبه . شبه القلم بالرمح فى ذلك . ويثير : يهيج .

(٦) « لا أكبر البأساء » الخ : أى لا استعظم الشدة إذا نزلت بى ، بل أستهين بها وأصبر على مضضها .

(٧) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك . والسيف الملصت : المجرّد من غمده .

(٨) رب الأريكة ! هو خديو مصر . والأريكة العرش ؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين فى قبة أو بيت .

مَلِيكٌ إذا غَنَّى اليَرَاعُ بِمَدْحِهِ ... سَرَتْ بالمَعَالى هِزَّةٌ وسُرُورُ[١]

أَمَوْلاىَ ! إنّ الشَّرقَ قد لاحَ نَجْمُه ... وآنَ له بَعْدَ المَمَاتِ نُشُورُ[٢]

تَفَاءَلَ خَيْرًا إذْ رآكَ مُمَلَّكًا ... وفَوْقَكَ مِنْ نُورِ المُهَيْمِنِ نُورُ[٣]

مَضَى زَمَنٌ والغَرْبُ يَسْطُو بِحَوْلِه ... عَلَىَّ ، ومالِى فى الأَنَامِ ظَهِيرُ[٤]

إلى أنْ أَتَاحَ اللهُ للصَّقْرِ نَهْضَةً ... فَفَلَّتْ غِرَارَ الخَطْبِ وهو طَرِيرُ[٥]

جَرَتْ أُمَّةُ اليابان شَوْطًا إلى العُلَا ... ومِصْرٌ على آثارها ستَسِيرُ

ولا يُمْنَعُ المِصْرِىُّ إدْرَاكَ شَأْوِها ... وأنتَ لِطُلَّابِ العَلَاءِ نَصِيرُ[٦]

فقِفْ مَوْقِفَ (الفاروقِ) وانظُرْ لأُمَّةٍ ... إليكَ بِحَبَّاتِ القُلوبِ تُشِيرُ[٧]

ولا تَسْتَشِرْ غيرَ العَزِيمَةِ فى العُلَا ... فليس سِواها ناصِحٌ ومُشِيرُ[٨]

فعَرْشُكَ مَحْرُوسٌ ورَبُّكَ حارِسٌ ... وأنتَ على مُلْكِ القُلوبِ أميرُ

---

(١) الهزة (بكسر الهاء) الأريحية والخفة .

(٢) النشور : البعث

(٣) التفاؤل : من الفأل (بسكون الهمزة) ، وهو ضد التطير ، فهو فيما يستحب أما التطير فهو يسوء .

(٤) هذا البيت والذى بعده على لسان الشرق المتقدم ذكره . ويسطو : يعدو . والحول : القوة والظهير : المعين والنصير .

(٥) كنى « بالصقر » عن الشرق . وفل السيف : ثلم حده . والغرار : الحد . والطرير : المحدد . يقال : طر السيف ونحوه يطره (من باب نصر) طرا وطرورا ، أى حدده .

(٦) الضمير فى « شأوها » لأمة اليابان السابق ذكرها . والشأو : الغاية .

(٧) الفاروق : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

(٨) يقول : إذا حاولت أمرا تكون غايته المجد والعلا فافعله ، ولاتستشر غير عزمك الوثاب ، وهمتك البعيدة الغاية .

تهنئة إلى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

أهَنِّيكَ أَمْ أَشْكُو فِراقَكَ قائِلًا ... أيَالَيْتَنِي كُنْتُ السَّجِينَ المُصَفَّدَا[1]

فلو كنتَ فى عهد (ابنِ يَعْقُوبَ) لم يَقُلْ ... لصاحِبِهِ ، اذْكُرْنِى ولا تَنْسِنِى غَدَا[2]

مدحة كتب بها إلى محمد بك هلال[3]

هَجَعْتَ يا طَيْرُ ولم أَهْجَعِ ... ما أنتَ إلّا عاشِقٌ مُدَّعِى[4]

لو كنتَ مِمّن يَعْرِفُون الجَوَى ... قَضَيتَ هذا اللَّيْلَ سُهْدًا مَعِى[5]

يا مَنْ تَحامَيْتُمْ سَبِيلَ الهَوَى ... أُعِيذُكُمْ مِنْ قَلَقِ المَضْجَعِ[6]

وحَسْرَةٍ فى النَّفْسِ لو قُسِّمَتْ ... على ذَوَاتِ الطَّوْقِ لَمْ تَسْجَعِ[7]

ويا بَنِي الشَّوْقِ وأَهْلَ الأَسَى ... ومَنْ قَضَوْا فى هٰذه الأَرْبُعِ

عليكُمُ مِنْ واجِدٍ مُغْرَمٍ ... تَحِيَّةُ المُوجَعِ للمُوجَعِ[8]

---

(١) المصفد : المقيد .

(٢) يريد بهذا البيت : أن السجناء يتمنون بقاءهم فى السجن لحسن أخلاقه وجميل عشرته ، فلو تولى السجن فى عهد يوسف عليه السلام لآثر البقاء بجانبه فى السجن ولم يقل لصاحبه الذى نجا : (اذكرنى عند ربك) كما حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة يوسف .

(٣) هو ابن إبراهيم بك هلال ؛ وكان — رحمه الله — شاعرا مجيدا وكاتبا فاضلا ، قد اشتغل بالصحافة زمنا غير قصير ، وكانت له صحيفة اسمها « النراب » ، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث فى البلاد فى نصف القرن الأخير . وتوفى رحمه الله فى ليلة الأحد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م . ومحمد بك هلال هو شارح الطبعة الأدبية من ديوان حافظ .

(٤) الهجوع : النوم بالليل .

(٥) الجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق وحزن .

(٦) تحامى الشىء : تجنبه وبعد عنه .

(٧) ذوات الطوق : الحمائم ؛ والطوق هو البياض المحيط بأعناقها وتسجع : تهدر وتردد أصواتها .

(٨) الواجد : ذو الوجد .

لله ما أقسى فؤادَ الدُّجَى على فؤادِ العاشقِ المولَعِ
هذا غليلٌ لم يَرُضْه الهوَى ما بينَ جَنْبَيْ أسودَ اللَّسْعِ (١)
وذاكَ في جَنْبَيْ فتًى مُدْنَفٍ على سِوَى الرِّقةِ لا يطَّبِعِ (٢)
وأغْيَدٍ أسْكَنْتُه في الحشا وقلتُ : يا نَفْسُ به فاقْنَعِي (٣)
نِفارُه أسْرَعُ من خاطِرِي وصَدُّه أقْرَبُ من مَدْمَعِي
وخَدُّه لا تَنْطَفِي نارُه كأنّما يَقْبِسُ من أضْلُعِي (٤)
تَساءَلَتْ عنّي نُجومُ الدُّجَى لمّا رأتْنِي دانِيَ المَصْرَعِ
قالت : تَرَى في الأرضِ ذا لَوْعَةٍ قد باتَ بَيْنَ اليأسِ والمَطْمَعِ
يَئِنُّ كالمَفْقُودِ أو كالذِي أصابَهُ سَهْمٌ ولَمْ يُنْتَزَعِ (٥)
إنْ كان في بَدْرِ الدُّجَى هائمًا أمَا لِهذا البَدْرِ من مَطْلَعِ ؟
أو كانَ في قَلْبِ الحِمَى مُغْرَمًا أمَا لِهذا الظَّبْيِ من مَرْتَعِ ؟
هَيْهاتَ يا أنْجُمُ أنْ تَعْلَمِي مُثِيرَ أشْجانِي أو تَطْمَعِي (٦)
إنِّي لَضَنَّانٌ بذِكْرِ اسمِهِ ضَنِّي بِوُدِّ الكاتِبِ الألْمَعِي (٧)

---

(١) يشير بقوله : « هذا » إلى « فؤاد الدجى » السابق ذكره . وراضه يروضه : ذلله . والأسفع : الشديد السواد يريد الليل .

(٢) يشير بقوله : « ذاك » إلى فؤاد العاشق « السابق ذكره » . والمدنف : الذى أثقله المرض المشرف على الموت .

(٣) الأغيد : المائل العنق ، اللين الأعطاف ، المثنى لينا . والأثى : غيداء .

(٤) قبس النار واقتبسها : أخذ منها قبسا (بالتحريك) ، أى شعلة .

(٥) المفقود : المصاب بفؤاده .

(٦) أو تطمعى أى تطمعى فى علم ذلك .

(٧) الضنان : الشديد الضن ، وهو البخل . والألمعى : الذكى المتوقد ذكاء .

الضارب الجزية منذ انتشى ... على يراع الشاعر المبدع[١]
والحامل الأقلام مشروعة ... كأنها بعض القنا الشرع[٢]
إذا دعا القول أتى طائعا ... وإن دعاه العى لم يسمع[٣]
صحبته دهرا فألفيته ... فتى كريم الأصل والمنزع[٤]
مودة كالخمر إن عتقت ... جادت وفضل باسم المشرع[٥]
وعزمة لو قسمت فى الورى ... باتوا من الشعرى على مسمع[٦]

تهنئة على حيدر بك بعيد الأضحى

وكان مديرا لبنى سويف إذ ذاك

لله عيد كبير ... يزهو بنور جبينك
لم تقتبله البرايا ... إلا لثم يمينك[٧]

---

(١) الجزية : ما يفرض من الضرائب على الرءوس . ومعنى البيت أن هذا الممدوح قد فرض منذ نشأ على المبدعين من الشعراء أن يؤدوا إليه من المدح والثناء جزاء ما أسدى إليهم من النعم والآلاء . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة «انتشى» بمعنى نشأ ، كما هو المراد فى هذا البيت .

(٢) المشروعة : الممتدة نحو الغرض . والقنا : الرماح . الواحدة : قناة . والشرع : بمعنى المشروعة .

(٣) العى (بالكسر) : الحصر والعجز عن البيان .

(٤) المنزع : الأصل الذى ينزع إليه أى يجذب ويميل ويقال : «نزع فلان إلى عرق كريم» و «نزع إلى أبيه» ، أى مال إليه وأشبهه .

(٥) الخمر المعتقة (بتشديد التاء) : القديمة . والمشرع : المورد الذى يستقى منه .

(٦) الشعرى : كوكب نير يطلع بعد الجوزاء . ومعنى البيت : أن عزمته لو وزعت على الناس لسموا إلى منزلة الشعرى ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على نقصها .

(٧) اقتبل الأمر : استقبله .

تهنئة سليمان أباظة باشا[١]

بابلاله من مرض ألم به ، وبعرس نجله (على بك)

تَرَاءَى لكَ الإقْبَالُ حتّى شَهِدْناهُ ... ودانَ لكَ المَقْدارُ حتّى أَمَنّاهُ[٢]

(سُلَيْمانُ) ذَكَّرْتَ الزّمانَ وأَهْلَهُ ... بعِزِّ (سُلَيْمانٍ) وإقْبالِ دُنْياهُ[٣]

إذا سِرْتَ يومًا حَذَّرَ النَّمْلُ بَعْضَهُ ... مَخافَةَ جَيْشٍ مِنْ مَوالِيكَ يَغْشاهُ[٤]

وإنْ كُنتَ فى رَوْضٍ تَغَنَّتْ طُيورُهُ ... وصاحَتْ على الأفْنانِ : يَحْرُسُكَ اللهُ[٥]

وكان (ابْنُ داودٍ) له الرِّيحُ خادمٌ ... وتَخْدُمُكَ الأيّامُ والسَّعْدُ والجاهُ

تَحُلُّ بحيث المَجْدُ أَلْقَى رِحالَهُ ... "فطاهرةٌ" والبَيْتُ والقُدْسُ أشْباهُ[٦]

لَبِسْتَ الشِّفَا ثَوْبًا جَديدًا مُبارَكًا ... فَأَلْبِسْتَنا ثَوبًا من العِزِّ نَرْضاهُ

وكان عليكَ الدَّهْرُ يَخْفُقُ قَلْبُهُ ... فلمّا شَفاكَ اللهُ أَهْدَأْتَ أَحْشاهُ

وهَنّا جَديداهُ الزَّمانَ وأَصْبَحَتْ ... تَسُوقُ لنا الأيّامُ ما نَتَمَنّاهُ[٧]

---

(١) سليمان أباظة باشا : هو ابن حسن أباظة ؛ وكان مولده فى نحو سنة ١٨٣٤م ، وتولى عدة مناصب فى الحكومة المصرية ؛ وآخر منصب تولاه نظارة المعارف فى عهد المنفور له توفيق باشا الخديو عقب الثورة العرابية ؛ وكانت وفاته فى سنة ١٨٩٧ م .

(٢) تراءى لك : تصدّى لك لتراه . « ودان » : خضع والمقدار : القدر (بالتحريك) ، بالغ فى تصوير الاقبال حتى جعله شيئا يرى .

(٣) يريد بسليمان الثانى نبى الله سليمان بن داود ، عليهما السلام .

(٤) يشير بهذا البيت إلى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبى الله سليمان مقبلا بجنوده ، إذ قال تعالى فى سورة النمل : (حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) والموالى ، العبيد . الواحد : مولى .

(٥) الأفنان : الأغصان . الواحد : فنن (بالتحريك) .

(٦) ألقى رحاله : أقام . وطاهرة : بلد باقليم الشرقية من أعمال مركز الزقازيق ، وهو بلد الممدوح . ويريد «بالبيت» : الكعبة

(٧) الجديدان : الليل والنهار . ولا يفردان ، فلا يقال : الجديد لواحد منهما .

وباتَ بَنُوكَ الغُرُّ ما بَيْنَ رافِلٍ بحُلَّةِ يُمْنٍ أو شَكُورٍ لمَوْلاهُ[١]
(سُلَيْمانُ) دُمْ مادامت الشُّهْبُ فى الدجَى وما دامَ يَسْرِى ذٰلكَ البَدْرُ مَسْراهُ
وكُنْ (لَعلِيٍّ) بَهْجَةَ العُرْسِ إنّه بِعِزِّكَ فى الأَفْراحِ تَمَّتْ مَزاياه
ولا تَنْسَ مَنْ أَمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ فلَمْ تَرَ إلّا أنتَ فى النّاسِ عَيْناهُ

فيكتور هوغو[٢]

[نشرت سنة ١٩٠٧ م]

أَعْجَمِىٌّ كادَ يَعْلُو نَجْمُهُ فى سَماءِ الشِّعْرِ نَجْمَ العَرَبى
صاغَ العَلْياءَ فيها والتُقَى "بالمَعَرِّى" فوقَ هامِ الشُّهُبِ[٣]
ما تُغورُ الزَّهْرِ — فى أَكْمامِها ضاحِكاتٍ مِنْ بُكاءِ السُّحُبِ[٤]
نَظَمَ الوَسْمِىُّ فيها لُؤْلُؤًا كثَنايَا الغِيدِ أو كالحَبَبِ[٥]
عند مَنْ يَقْضِى — بأَبْهَى مَنْظَرًا مِن مَعانيهِ الَّتِى تَلْعَبُ بى[٦]

---

(١) الغر : جمع أغر ، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال . ورفل فى ثوبه : جر ذيله وتبختر . واليمن : البركة .

(٢) هو الشاعر الفرنسى المعروف ؛ ولد سنة ١٨٠٢ م وكانت وفاته بباريس سنة ١٨٨٥ م . ومن كتبه : "كتاب البؤساء" الذى نقله إلى العربية المرحوم حافظ بك . وفى هذه القصيدة يشير حافظ إلى نفى فكتور بأمر لويس بونابرت فى سنة ١٨٥١ م ، وإلى خصوبة قريحته فى منفاه ، وكثرة ما وضع من المؤلفات .

(٣) الهام : الرءوس . الواحدة : هامة . وقد وازن بينه وبين أبى العلاء المعرى لأن كليهما شاعر فيلسوف .

(٤) الأكمام : جمع كم ، وهو غطاء الزهر ؛ وكنى بضحك الأزهار عن تفتحها . ويريد « ببكاء السحب » : مطرها .

(٥) الوسمى : المطر أول الربيع . والثنايا : الأسنان . الواحدة ثنية (بفتح الثاء وتشديد الياء) . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المتثنية لينا .

(٦) يقضى : يحكم . وأبهى منظرا : خبر « لما » فى قوله السابق : « ما تغور » .

بَسَمَتْ للذِّهْنِ فاسْتَهْوَتْ نُهَى ... مُغْرَمِ الفَضْلِ وصَبِّ الأَدَبِ

وجَلَتْهَا حِكْمَةً بالِغَةً ... أَعْجَزَتْ أطْواقَ أهْلِ المَغْرِبِ[1]

سائِلُوا الطَّيْرَ اذا ما هاجَكُمْ ... شَدْوُها بين الهَوَى والطَّرَبِ[2]

هل تَغَنَّتْ أو أَرَنَّتْ بسوَى ... شِعْرِ (هُوغُو) بَعْدَ عَهْدِ العَرَبِ[3]

كان مُرَّ النَّفْسِ أوْ تَرْضَى العُلا ... تَظْمَأ الأَفْلاكُ إنْ لم يَشْرَبِ[4]

عافَ فى مَنْفَاهُ أنْ يَدْنُو به ... عَفْوُ ذاكَ القاهِرِ المُغْتَصِبِ[5]

بَشَّرُوه بالتَّدانِى ونَسُوا ... أنه ذاكَ العِصامِىُّ الأَبِى[6]

كَتَبَ المَنْفِىُّ سَطْرًا للّذى ... جاءَه بالعَفْوِ فاقْرَأْ واعْجَبِ[7]

أَبَرِىءٌ عنه يَعْفُو مُذْنِبٌ ؟ ... كيف تُسْدِى العَفْوَ كَفُّ المُذْنِبِ ؟

جاءَ والأَحْلامُ فى أَصْفادِها ... مالَها فى سِجْنِها مِنْ مَذْهَبِ[7]

طَبَعَ الظُّلْمُ على أَقْفالِها ... بِلَظاهُ خاتَمًا مِنْ رَهَبِ[9]

أَمْعَنَ التَّقْليدُ فيها فَغَدَتْ ... لا تَرَى إلّا بعَيْنِ الكُتُبِ[10]

---

(١) جلتها صقلتها . والأطواق : جمع طوق ، وهو الطاقة والجهد . (٢) شدوها : تغريدها وترنمها .

(٣) أرن : صاح . (٤) مر النفس : شديد المراس .

(٥) يشير إلى نفى فكتور سنة ١٨٥١ م إلى بروكسل حين اشترك فى الحرب ضد لويس بونابرت ، وقد بقى بعيدا عن وطنه ثمانى عشرة سنة ، وقد أقسم ألا يعود إلى أرض فرنسا ما دام الأمبراذور على العرش ، ولقد بر بقسمه ، فلم يعد إليها إلا بعد سقوط الأمبراذور سنة ١٨٧٠ م . ويريد « بالقاهر : المغتصب » لويس بونابرت السابق ذكره .

(٦) العصامى : الذى ساد بنفسه ، نسبة إلى عصام المذكور فى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما

(٧) المنفى : فكتور هوغو

(٨) الأحلام : العقول . الواحد : حلم (بالكسر) . والأصفاد : القيود . الواحد : صفد (بالتحريك) .

(٩) اللظى : النار . (١٠) أمعن : بالغ .

أَمَرَ التقليـدُ فيهـا ونَهَى ... بجُيُوشٍ مِنْ ظَلامِ الحُجُبِ
جاءَها (هُوغُو) بعَزْمٍ ، دونَه ... عِزَّةُ التَّـاجِ ، وزَهْوُ المَوْكِبِ[1]
وانْبَرَى يَصْدَعُ مِنْ أَغْلالِـها ... باليَرَاعِ الحُـرِّ لا بالقُضُبِ[2]
هَـالَه ألّا يَرَاها حُـرَّةً ... تَمْتَطِى فى البَحْثِ مَتْنَ الكَوْكَبِ[3]
سـاءَه ألّا يَرَى فى قَوْمِـه ... سِيرَةَ الإسْلامِ فى عَهْدِ النَّبِى
قُلْتَ عن نَفْسِكَ قَوْلاً صادقاً ... لَمْ تَشُبْهُ شائِبـاتُ الكَذِبِ :[4]
أنا كالمَنْجَـمِ تِبْرٌ وثَرًى ... فاطرَحوا تُرْبِى وصُونوا ذَهَبِى

تهنئة سموّ الخديو عباس الثانى[5] بعيد الأضحى

(١٣٢٥ هـ — ١٩٠٨ م)

سَكَنَ الظَّلامُ وباتَ قَلْبُكَ يَخْفُقُ ... وسَطَا على جَنْبَيْكَ هَـمٌّ مُقْلِقُ
حارَ الفِراشُ ، وحِرْتَ فيه ، فأَنْتُما ... تَحْتَ الظَّـلامِ مُعَـذَّبٌ ومُؤَرَّقُ[6]
دَرَجَ الزَّمانُ وأنتَ مَفْتُونُ المُنَى ... ومَضَى الشَّبابُ وأنتَ ساهٍ مُطْرِقُ[7]

---

(١) الزهو : الاختيال .

(٢) يصدع : يكسر ويحطم . والأغلال : السلاسل ، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام) . والقضب : السيوف . الواحد قضيب .

(٣) المتن : الظهر .

(٤) لم تشبه : لم تخالطه .

(٥) فى هذه القصيدة يشكر سمو الخديو على عفوه عن مسجونى دنشواى . وهو يجارى بهذه القصيدة قصيدة اسماعيل صبرى باشا التى مطلعها :

لو أن أطلال المنازل تنطق ... ما ارتد حران الجوانح شيق

(٦) المؤرق : المسهد الذى ذهب عنه النوم .

(٧) درج : ذهب ومضى . ومفتون المنى : أى طامع فيما لا ينال .

عَجَبًا يَلَذُّ لكَ السُّكُوتُ مع الْهَوَى ... وسواكَ يَبْعَثُه الغَرامُ فيَنْطِقُ

خُلِقَ الغَرامُ لأَصْغَرَيْكَ ، وطالَما ... ظَنُّوا الظُّنونَ بأَصْغَرَيْكَ وأَغْرَقُوا[1]

ورَمَوْكَ بالسَّلْوَى ولو شَهِدُوا الذى ... تَطْوِيهِ فى تِلْكَ الضُّلُوعِ لأَشْفَقُوا

أَخْفَيْتَ أَسرارَ الفُؤادِ وإِنَّما ... سِرُّ الفُؤاد من النَّواظِرِ يُسْرَقُ[2]

نَفِّسْ — بِرَبِّكَ — عَنْ فُؤادِكَ كَرْبَهُ ... وارْحَمْ حَشاكَ فانّها تَتَمَزَّقُ[3]

واذْكُرْ لنا عَهْدَ الّذين بِنَأْيِهِمْ ... جَمَعُوا عليكَ هُمُومَهُمْ وتَفَرَّقُوا

ما لِلقَوافِى ؟ ! انْكَرَتْكَ ولَمْ تَكُنْ ... لكسادها فى غَيْرِ سُوقِكَ تَنْفُقُ[4]

ما لِلبَيانِ ؟ ! بغَيْرِ بابِكَ واقِفًا ... يَبْكِى ، ويُعْجِلُه البُكاءُ فَيَشْرَقُ[5]

إِنِّى كَهَمِّكَ فى الصَّبابةِ لَمْ أَزَلْ ... أَهْوُو وأَرْجِلُ القَريضَ وأَعْشَقُ[6]

نَفْسى — برَغْمِ الحادِثاتِ — فَتِيَّةٌ ... عُودى — على رَغْمِ الكَوارِثِ — مُورِقُ

إِنّ الّذى أَغْرَى السُّهادَ بمُقْلَتِى ... مُتَعَنِّتٌ قَلْبِى به مُتَعَلِّقُ[7]

واثَقْتُهُ أَلّا أَبُوحَ ، وإِنّما ... يَومَ الحِسابِ يُحَلُّ ذاكَ المَوْثِقُ[8]

وشَقِيتُ منه بقُرْبِه وبِعادِه ... وأَخُو الشَّقاءِ إِلَى الشَّقاءِ مُوَفَّقُ

صاحَبْتُ أَسْبابَ الرِّضا لِرُكُوبِه ... مَتْنَ الخِلافِ لِما به أَتَخَلَّقُ[9]

---

(١) الأصغران : القلب واللسان . وأغرقوا : بالغوا وأفرطوا .

(٢) يقول : إن ما يكتمه الفؤاد تبديه العين . (٣) نفس : فرج وخفف .

(٤) تنفق : تروج . (٥) يشرق : يغص .

(٦) الهم : العزم والقصد . (٧) أغراه به : أولعه به وحضه عليه .

(٨) واثقته : عاهده . يريد أن سر حبه سيظل مكتوما إلى يوم القيامة .

(٩) المتن : الظهر . وركوبه متن الخلاف : كناية عن المغاضبة والشقاق . يقول : إنى وإياه نختلفان ، أنا ملازم فعل ما يرضيه ، وهو دائب على أن يخالف ما فى طبعى وأخلاقى .

وصَبَرْتُ منْهُ على ٱلَّذى يَعْيَا به ... حِلْمُ الحَلِيمِ ويَتَّقيهِ الأَحْمَقُ (١)

أَصبحتُ كالدَّهْرِىِّ أَعبدُ شَعْرَه ... وجَبِينَه وأنَا الشَّرِيفُ المُعْرِقُ (٢)

وغَدَوْتُ أَنْظِمُ منْ ثَنَايَا ثَغْرِه ... دُرَرًا أَقَلُّدها ٱلمَهَا وأُطَوِّقُ (٣)

(صَبْرى) ٱستَثَرْتَ دفائنِي وهَزَزْتَنِي ... وأَرَيْتَنِى الإبْداعَ كَيْفَ يُنَسَّقُ (٤)

فَأَبَحْتَ لى شَكْوَى الهَوَى وسَبَقْتَنِي ... فى مَدْحِ (عَبَّاسٍ) ومِثْلُك يَسْبِقُ

قال الرئيسُ ، فما لِقَوْلٍ بَعْدَهُ ... باعٌ تَطُولُ ولا لمَدْحٍ رَوْنَقُ (٥)

(شَوْقِى) نَسَبْتَ فما مَلَكْتُ مَدامِعِى ... مِنَ أَنْ يَسِيلَ بها النَّسِيبُ الشَّيِّقُ (٦)

أَعْجَزْتَ أَطْوَاقَ الأنامِ بِمَدْحَةٍ ... سَجَدَ البَيَانُ لرَبِّها والمَنْطِقُ (٧)

لم تَتْرُكَا لى فى المَدَائحِ فَضْلَةً ... يَجْرِى بها قَلَمِى الضَّعِيفُ ويَلْحَقُ

نَفْسِى على شَوْقٍ لمَدْحِ أميرِها ... ويَراعَتِي بين الأَنامِلِ أَشْوَقُ (٨)

ماذا أَقُول وأَنتُما فى مَدْحِهِ ... بَحْرانِ باتَ كِلاهُما يَتَدَفَّقُ

---

(١) يعيا به : يعجز عنه .

(٢) الدهرى : الملحد الذى ينكر الإله وينسب الفعل إلى الدهر . وخص الشاعر الشعر والجبين بالذكر لما فى الأول من سواد يشبه ظلمة الليل ، وما فى الثانى من تألق يشبه بياض النهار ؛ وليس الدهر إلا الليل والنهار . وهو فى البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين : إلحاد فى العقيدة ، وشرف فى النسب . والمعرق (بفتح الراء وكسرها) : الذى له أصل فى الكرم .

(٣) المها : البقر الوحشى ، يريد النساء التى تشبهها فى جمال العيون الواحدة مهاة .

(٤) استثار : هيج . ويريد « بالدفائن » : ما يضمره القلب من الشجون ، الواحدة : دفينة . ويشير بذلك إلى قصيدة صبرى التى أوردنا مطلعها فيما سبق .

(٥) يريد « بالرئيس » : إسماعيل صبرى باشا . وطول الباع : كناية عن اتساع المقدرة وقوة الاستطاعة .

(٦) يريد أحمد شوقى بك الشاعر . والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن . ويريد «بالشيق» : الشائق ؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة أن « الشيق » بمعنى المشتاق ؛ وليس مرادا هنا . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة شوقى فى هذا العيد ، والتى جارى فيها صبرى ، ومطلعها :

أما العتاب فبالأحبة أخلق ... والحب يصلح بالعتاب ويصدق

(٧) الأطواق : جمع طوق ، وهو الوسع والطاقة .

(٨) اليراعة : القلم .

العَجْزُ أَقْعَدَنى ، وإنَّ عَزائمى — لَوْلَاكُما — فوقَ السِّماكِ تُحَلِّقُ[١]
فليَهْنِىء العَبّاسَ أنّ بكَفِّه عَلَمَيْنِ هَزَّهُما الوَلاءُ المُطْلَقُ[٢]
ولْيَبْقَ ذُخْرًا للبِلاد وأَهْلِها يَعْفُو ويَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ ويُعْتِقُ
(عَبّاسُ) والعِيدُ الكبيرُ كلاهُما مُتَأَلِّقٌ بإزائه مُتَأَلِّقُ
هٰذا له تَجْرِى الدِّماءُ ، وذَا لَهُ تَجْرِى القَرائحُ بالمَدِيحِ وتُعْتِقُ[٣]
صَدَقَ الّذى قد قال فيه ، وحَسْبُه أنّ الزمانَ لِما يَقُول مُصَدِّقُ :
(لك مصْرُ ماضِيها وحاضِرُها مَعًا ولكَ الغَدُ المُتَحَتِّمُ المُتَحَقِّقُ)[٤]

تهنئة السلطان عبد الحميد[٥] بعيد جلوسه

[نشرت فى أول سبتمبر سنة ١٩٠٨ م]

أَثْنَى الحَجِيجُ عليكَ والحَرَمانِ وأَجَلَّ عِيدَ جُلُوسِكَ الثَّقَلانِ[٦]
أَرْضَيْتَ رَبَّكَ إذْ جَعَلْتَ طَرِيقَهُ أَمْنًا وفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرِّضْوانِ
وجَمَعْتَ بالدُّسْتُور حَوْلَكَ أُمَّةً شَتَّى المَذَاهِبِ جَمَّةَ الأَضْغانِ

(١) السماك : أحد نجمين نيرين يقال لأحدهما : السماك الرامح . وللآخر : السماك الأعزل .

(٢) يريد « بالعلمين » : صبرى وشوقى السابق ذكرهما .

(٣) هذا : أى العيد الكبير . ويشير بقوله « تجرى الدماء » : إلى دماء الأضاحى . وذا : أى العباس . وتعتق : تسرع .

(٤) هذا البيت من قصيدة صبرى فى هذا العيد ، وهى التى أشرنا إلى مطلعها فيما سبق .

(٥) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء .

(٦) الحجيج : جمع حاج . والثقلان : الإنس والجن .

فغدوت تسكن فى القلوب وترتعى ... حبّاتها وتحل فى الوجدان (١)

راعيتهم حتى علمت بأنهم ... بلغوا أشدهم على الأزمان

فجعلت أمر الناس شورى بينهم ... وأقمت شرع الواحد الديّان

لو أنهم وزنوا الجيوش بمشهد ... رجحت بجيشك كفة الميزان

لو شاء زلزلها على أعدائه ... أو شاء أذهلها عن الدوران (٢)

يمشون فى حلق الحديد إلى العدا ... وكأنهم سدّ من الإنسان (٣)

وكأنّ مقدمهم — إذا لمع الضحى ... سيل من الهندى والمران (٤)

يتواقعون على الردى وصفوفهم ... — رغم الوثوب — ثبات البنيان (٥)

فإذا المدافع فى النزال تجاوبت ... بزئيرها وتلاحم الجيشان

وإذا القنابل دمدمت وتفجرت ... تحت الغبار تفجر (البركان) (٦)

وإذا البنادق أرسلت نيرانها ... طلقا وأسباب الهلاك دوانى (٧)

أبصرت جنا فى مسالخ فتية ... وشهدت أفئدة من الصوان (٨)

---

(١) حبات القلوب » سويداواتها . وترتعى حباتها : الارتعاء : الرعى ؛ وهو مبالغة فى تعلق القلوب به .

(٢) زلزلها وأذهلها ، أى الأرض ، يصف جيشه بالقوة والكثرة ، حتى إنه لو شاء أمال الأرض بأعدائه ، أو جعلها تقف ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته .

(٣) حلق الحديد : الدروع .

(٤) الهندى : السيف . والمران : الرماح القوية اللدنة ، الواحدة : مرانة .

(٥) الردى : الهلاك .

(٦) استعمال « القنابل بمعنى قذائف المدافع ، استعمال شائع فى لغة العصر ؛ ولم ترد به لغة العرب ، دمدمت عليهم : أى أرجفت الأرض بهم ، وأطبقت عليهم العذاب .

(٧) طلقا (بضم الطاء واللام) : أى انطلاقا بلا احتباس ولا تقييد .

(٨) المسالخ والمسالخ : الجلود . الواحد : مسلاخ . يقول : إنهم جن فى صور الإنس

مُرْهُمْ يَخُوضوا الزّاخِراتِ ويَنْسفُوا ... شُمَّ الجِبالِ بِقُوّةِ الإيمانِ[1]

ثَلِجَتْ صُدُورُهمُ وقَرَّ قَرارُهُمْ ... لمّا حَلَفْتَ بأَوْثَقِ الأَيْمانِ[2]

تاللهِ ما شَكُّوا بِصِدْقِكَ دُونَها ... هُمْ يَعْرِفونَ شَمائِلَ السُّلْطانِ[3]

لكنّهُمْ دَرَجُوا على سَنَنٍ ، به ... لوقايَةِ الدُّسْتُورِ خَيْرُ ضَمانِ[4]

يأَيُّها الشَّعْبُ الكَريمُ تَماسَكُوا ... وخُذُوا أُمُورَكُمُ بغَيْرِ تَوانِي

مالى أُذَكِّرُكُمْ وتِلْكَ رُبُوعُكُمْ ... مَرْعَى النُّهَى ومَنابِتُ الشُّجْعانِ

أدْرَكْتُمُ الدُّسْتُورَ غيرَ مُلَوَّثٍ ... بدَمٍ ولا مُتَلَطِّخاً بهَوانِ[5]

وفَعَلْتُمُ فِعْلَ الرجالِ وكنتُمُ ... يومَ الفَخارِ كأُمَّةِ اليابانِ

فتَفَيَّئُوا ظِلَّ الهِلالِ فإنَّهُ ... جَمَّ المَبَرَّةِ واسِعُ الإحْسانِ[6]

يَرْعَى لمُوسَى والمَسِيحِ وأحمدٍ ... حَقَّ الوَلاءِ وحُرْمَةَ الأَدْيانِ

خُذُوا المَواثِقَ والعُهودَ على الهُدَى الـ ... ـتَّوْراةِ والإنجيلِ والفُرْقانِ

وتَذَوَّقُوا مَعْنَى الحَياةِ فإنّها ... فى مِصْرَ ألفاظٌ بغيْرِ مَعانِي

ودَعُوا التَّقاطُعَ فى المَذاهِبِ بينكمْ ... إنّ التَّقاطُعَ آيَةُ الخِذْلانِ

---

(١) الزاخرات : البحار . وشم الجبال : أعاليها .

(٢) ثلج صدره بالشئ : برد واطمأن وسكن قلبه إليه . ويريد « بأوثق الإيمان » : اليمين التى حلفها السلطان على احترام الدستور .

(٣) دونها : أى دون اليمين .

(٤) درجوا : ساروا . والسنن (بالتحريك) : الطريق . يقول : إنهم ساروا على الطريقة الدستورية المتبعة فى جميع الممالك وهى أن يحلف الملك اليمين على احترام الدستور ، وإن كان الملك مقطوعا بصدقة عند رعيته ، ولكن ليكون ذلك الحلف ضمانا للدستور .

(٥) الهوان : الذل .

(٦) تفيئوا ظل الهلال : أى التجئوا إليه واستظلوا به ؛ يقال : تفيأ الشجرة ، إذا دخل فى أفيائها ، أى ظلالها ، واستظل بها .

وتَسابَقُوا للباقيات ، وأَظْهِرُوا للعالَمِين دَفائِنَ الأذْهان[١]
وَلَّى زَمانُ الْمُعْتَدِين كما انطَوَتْ حِيَلُ الشُّيوخِ وإِمْرَةُ الخِصْيان[٢]
لا الشَّكُّ يَذْهَبُ باليَقِينِ ولا الرُّؤى تُجْدِى المُسِىءَ ولا رُقَى الشَّيْطان[٣]
وُضِعَ الكِتابُ وَسِيقَ جَمْعُهُمُ إلى يومِ الحساب ومَوْقِفِ الإذْعان[٤]
وتَوَسَّمُوهُمْ فى القُيُود فقائِلٌ هٰذا فُلانٌ قد وَشَى بفُلان[٥]
ومُلَبِّب لغَرِيمِه ومُطالِبٌ بِدَمٍ أُرِيقَ بمَسْبَحِ الحِيتان[٦]
قد جاءَ يَوْمُهُمُ هُنَا ، وأَمامَهُمْ — بَعْدَ النُّشُور — هُناكَ يومٌ ثانِى[٧]
سُبْحان مَنْ دانَ القَضاءُ بأَمْرِه لِبَدِ الضَّعيف من القَوِىِّ الجانِى[٨]
يا يومَ عادَ النازِحُونَ لأَرْضِهِمْ يَتَسابَقُونَ لرُؤْيَةِ الأَوْطان[٩]

---

(١) الباقيات : المآثر الخالدة بعد زوال أصحابها . ويريد « بدفائن الأذهان » : نتائج القرائح وثمرات العقول .

(٢) يريد « بإمرة الخصيان » : السلطة التى كانت (للأغوات) فى القصور .

(٣) الرؤى : الاحلام . الواحدة : رؤيا . والرقى : جمع رقية : وهى العوذة التى يرقى بها من به علة . ويشير « بالرؤى والرقى » : إلى أحوال أبى الهدى الصيادى فى زمن السلطان عبد الحميد ، وما كان يدخل به إلى قلب السلطان من الحيل والأكاذيب بالرقى والتعاويذ وغير ذلك .

(٤) يشير بقوله : « وضع الكتاب » : إلى قوله تعالى إخبارا عما يكون فى البعث يوم الحساب : (ووضع الكتاب فترى المجرمين) الآية . والمراد بوضع الكتاب هنا : الاستعداد لحساب المجرمين من الشعب على ما قدّمت أيديهم قبل الدستور . والكتاب : هو السجل الذى أحصيت فيه أعمالهم . والإذعان : الخضوع والانقياد .

(٥) توسموهم : أى تفرسوا فى وجوههم وتعرفوهم .

(٦) يقال : لبب فلان فلانا ، إذا أخذ بتلبيبه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحره فى الخصومة ثم جره ومسبح الحيتان : البحر . يشير إلى من كان يأمر السلطان باغراقهم فى مضيق البسفور .

(٧) النشور : الإحياء بعد الموت ، أى يوم القيامة .

(٨) « دان القضاء » الخ : أى اقتص للضعيف من القوى .

(٩) النازحون : البعيدون ؛ ويريد رجال السياسة الذين كان قد نفاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمطالبتهم إياه بالدستور .

لله كم أَطْفَأْتَ مِنْ نارٍ ذَكَتْ ... دَهْرًا وكمْ هَدَّأْتَ منْ أَشْجان[١]

هٰذَا يَطير إلى (فَرُوقُ) ومَنْ بها ... شَوْقًا وذاكَ إلى رُبٰى لُبْنان[٢]

خَلَعوا الشَّبابَ على البَشير وأَخْلَقُوا ... باللَّثْمِ عَهْدَ خَلِيفة الرَّحْمٰن[٣]

وتَعانَقُوا بَعْدَ النَّوٰى كَخَمائِلٍ ... يَحْلُو بهنَّ تَعانُقُ الأَغْصان[٤]

فَتَرَى النِّساءَ مع الرِّجالِ سَوافرًا ... لا يَتَّقينَ عَوادىَ الأَجْفان

عَجَبًا لهنَّ وقد خُلقن أَوانسا ... يَبْرُزْنَ فى فَرَحٍ وفى أَحْزان

أَهْلًا بحاسرَة اللِّثام ومَنْ إذا ... سَفَرتْ عنا لِجَمالها القَمَران[٥]

خَطَرَتْ فَعَطَّرَت المَشارِقَ عندما ... هَبَّتْ نسائمُها من البَلْقان

يا لَيْتَها خَطَرَت بمصرَ وأَشْرَقَتْ ... فى يومِ أَسْعُدِها على طَهْران[٦]

أَضْناهُمَا شَوْقٌ قد ابيَضَّت له ... كَبِدَاهُمَا وتَصَدَّعَ القَلْبَان[٧]

عَرَفَ الوَرٰى ميقاتَها فَتَرَقَّبُوا ... (تَمُّوزَ) مثْلَ تَرَقُّبِ الظَّمْآن[٨]

---

(١) ذكت النار : اشتد لهبها .

(٢) فروق (بفتح الفاء) : اسم القسطنطينية . والربى : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) خلعوا الشباب على البشير : أى أنهم كادوا من فرحهم ببشرى العودة إلى بلادهم يخلعون على من بشرهم بذلك حلل شبابهم بدل ثيابهم . وأخلقوا باللثم الخ ، أى أكثروا من تقبيل عهد الخليفة إلى أن صار كالثوب الخلق ، أى الرث البالى . ويريد «بعهد الخليفة» : (الفرمان) المكتوب بعهده إليهم ، وتأمين الخائفين منهم .

(٤) الخمائل : جمع خميلة ، وهى الموضع الكثير الشجر .

(٥) حاسرة اللثام : كاشفته . ويريد بها الحرية . وعنا : خضع . والقمران : الشمس والقمر .

(٦) طهران : مدينة بايران معروفة ، وهى عاصمتها . يتمنى فى هذا البيت [illegible] والحرية لمصر وإيران مثل [illegible] .

(٧) أضناه الشوق : أسقمه . وابيضاض الكبد : كناية عن شدّة الحزن .

(٨) ميقاتها : وقتها . وتموز : اسم شهر من السنة المسيحية ، يقابل شهر يوليو ، وهو الشهر الذى نالت فيه الأمة العثمانية دستورها ، كما نالت فيه فرنسا حريتها ، واستقلت فيه أميركة ؛ ولهذا جعله الشاعر ميقات الحرية وابانها .

شَهْرٌ به بُعِثَ الرَّجاءَ وأُنْشِرَتْ أُمَمٌ وبُدِّلَ خَوْفُها بأَمانِ[1]

فلَه على الدُّنيا الجَديدَةِ نِعْمَةٌ يَشْدو بذِكرِ صَنِيعِها الفَتَيانِ[2]

وعَلَى فَرَنْسِيسِ الحَضارَةِ مِنَّةٌ تُتْلَى أَناشِيدٌ لها وأَغانِي

تَمُّوزُ ! أَنتَ أَبُو الشُّهورِ جَلالةً تَمُّوزُ ! أَنتَ مُنَى الأَسِيرِ العانِي

هَلَّا جَعَلْتَ لنا نَصِيباً ، عَلَّنا نجرِى مع الأَحْياءِ فى مَيْدانِ

أَيَعُودُ منكَ الآملُون بِما رَجَوْا وَنَعُودُ نحنُ بذلكَ الحِرْمانِ ؟

تَمُّوزُ ! إِنَّ بنا إليكَ لحاجَةً فَمَتَى الأَوانُ ؟ وأَنْتَ خَيْرُ أَوانِ

منِّى على دارِ السَّلامِ تَحِيَّةٌ وعلى الخَلِيفةِ منْ بَنِي عُثْمانِ[3]

وعَلَى رجالِ الجَيْشِ من ماشٍ به أو راكِبٍ أو نازِحٍ أو دانِي[4]

وعَلَى الأُلَى سَكَنُوا إلى الحُسْنَى سَوَى ذاكَ الَّذى يَدْعو إلى العِصْيانِ[5]

و إلى الحِجازِ الخارِجِيِّ وما بِهِ إلّا اقْتِناصُ الأَصْفَرِ الرَّنَّانِ[6]

ما للشَّرِيفِ المُنْتَمِى حَسَباً إلى خَيْرِ البَرِيَّةِ من بَنِي عَدْنانِ[7]

أَمْسَى يُمالِئُه ويَنْصُرُ غَيَّه وضَلالَهُ بِحُثالَةِ العُرْبانِ[8]

---

(١) أنشرت : من الإنشار ، وهو الإحياء بعد الموت .

(٢) الدنيا الجديدة : أميركة . ويشدو يترنم . والفتيان : الليل والنهار .

(٣) دار السلام : الآستانة . (٤) النازح : البعيد .

(٥) سكنوا إلى الحسنى : اطمأنوا إليها ولاذوا بها .

(٦) الأصفر الرنان : الذهب . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما كان يضمره والى الحجاز والشريف من عصيان السلطان والانتقاض عليه إذ ذاك .

(٧) الشريف : أمير مكة . والمنتمى : المنتسب .

(٨) يمالئه : يشايعه . والحثالة : سفلة الناس .

تالله لو جَنَّدْتُمَا رَمْلَ النَّقَا ... ونَزَلْتُمَا بمَواطِنِ العِقْبانِ (١)

وغَرَسْتُمَا أَرْضَ الحِجَازِ أَسِنَّةً ... وأَسَلْتُمَا بَحْرًا من النِّيرانِ (٢)

وأَقَمْتُمَا فيها المَعَاقِلَ مَنْعَةً ... من أَرْضِ نَجْدَ إلى خَلِيجِ عُمانِ (٣)

لَدَهَاكُمَا ورَمَاكُمَا وذَرَاكُمَا ... ماحِي الحُصُونِ وماسِحُ البُلْدانِ (٤)

إنْ تَأْتِيَا طَوْعًا وإلّا فَأْتِيَا ... كَرْهًا بلا حَوْلٍ ولا سُلْطَانِ

وإلَيْكَ يافَرْعَ الخَلائِفِ مِدْحَةً ... عَزَّتْ شَوارِدُها على (حَسّانِ) (٥)

من شاعِرٍ تَثِبُ النُّهَى لقَرِيضِهِ ... وَثْبَ النُّفوسِ لرَنَّةِ العِيدانِ (٦)

يُهْدِى المَدِيحَ إلى المَلِيكِ سَبائِكًا ... تَعْنُو لَهُنَّ سَبائِكُ العِقْيانِ (٧)

إنّ المُلُوكَ إذا اسْتَوَتْ أَبْسَتُهَا ... بالمَدْحِ تِيجانًا على تِيجانِ (٨)

---

(١) الضمير فى «جندتما» يعود إلى والى الحجاز وشريف مكة . والنقا : القطعة العظيمة من الرمل تنقاد محدودبة ، شبه بها الجنود فى كثرة العدد . ويريد «بمواطن العقبان» : رءوس الجبال ، إذ هى التى تسكنها . العقبان : جمع عقاب ، وهو من جوارح الطير ، وتسميه العرب بالكاسر .

(٢) يريد «بالأسنة» : الرماح .

(٣) المعاقل : الحصون . الواحد : معقل .

(٤) يقال : ذرت الريح التراب فى الهواء تذروه ذروا وتذريه ذريا ، إذا فرقته وأطارته . ويريد «بماحى الحصون» الخ : السلطان .

(٥) الشوارد من الشعر : المعانى التى تشرد عن أذهان الشعراء وتغرب عنها لغرابتها . وحسان هو ابن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف .

(٦) القريض : الشعر .

(٧) تعنو : تخضع . والعقيان : الذهب الخالص .

(٨) استوت : أى جلست على عروشها وتملكت .

إلى أحمد شوقى بك[١]

يهنئه حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلمية

انّ هَنَّوكَ بها فَلْستُ مُهَنِّئاً ... إنّى عَهِدْتَكَ قَبْلَها مَحْسُودَا
قد كان قَدْرُكَ لا يُحَدُّ نَباهَةً ... وسَعادةً فغَدَا بها مَحْدُودَا

تهنئة الخديو عباس الثانى بقدومه من الحج

[١٢٧٧ هـ — ١٩٠٩ م]

مُنًى نِلْتَها يا لابِسَ المَجْدِ مُعْلَماً ... أَدِيناً ودُنْيا ؟ زادَكَ اللهُ أَنْعُمَا[٢]
فللهِ ما أَبْهاكَ فى مِصْرَ حالِياً ... ولله ما أَتْقاكَ فى البَيْتِ مُحْرِماَ
أَقولُ وقد شاهَدْتُ رَكْبَكَ مُشْرِقاً ... وقد يَمَّمَ البَيْتَ العَتِيقَ المُحَرَّمَا :[٣]
مَشَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيا إلى كَعْبَةِ الهُدَى ... يَفِيضُ جَلالُ المُلْكِ والدِّينِ مِنْهُما
فيالَيْتَنِي اسْطَعْتُ السَّبِيلَ ولَيْتَنِي ... بَلَغْتُ مُنَى الدَّارَيْنِ رَحْباً ومَغْنَمَا[٤]

---

(١) ولد أحمد شوقى بك بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م . وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية ألحق بمدرسة الحقوق ، وبعد تخرجه فيها اتصل بمعية أمير مصر ثم سافر إلى أوربة ليتمم دراسته ، ثم عاد إلى المعية ثانية : وبقى بها حتى خلع عباس الثانى ، فاستقال . وتوفى رحمه الله فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ م عن نحو أربعة وستين عاما ، وله ديوان شعر مطبوع ، جمع فيه أكثر شعره ، وله غير ذلك من الكتب .

(٢) الزوب المعلم : هو الذى له علم من طراز وغيره ؛ شبه به المجد فى وضوحه واشتهاره .

(٣) يمم : قصد . والبيت العتيق : الكعبة .

(٤) اسطعت : استطعت ؛ ويريد قدرته على أداء فريضة الحج ؛ يشير إلى قوله تعالى : (حج البيت من استطاع إليه سبيلا) .

وفى الرَّكْبِ شَمْسٌ أُنْجَبَتْ أَنْجَبَ الوَرَى ... فتَى الشَّرْقِ مَوْلَانَا الأَمِيرَ المُعَظَّمَا (١)

تَسِيرُ إلى شَمْسِ الهُدَى فى حَفاوَةٍ ... من العِزِّ تَحْدُوها الزَّواهِرُ أَيْنَمَا (٢)

فَلَمْ أَرَ أُفقاً قَبْلَ رَكْبِكَ أَطْلَعَتْ ... جَوانِبُــه بَدْرًا وشَمْسًا وأَنْجُمَا

ولو أَنَّنى خُيِّرْتُ لاَخْتَرْتُ أَنْ أَرَى ... لعِيسِكَ وَحْدِى حادِيًا مُتَرَنِّمَا (٣)

أَسِيرُ خِلالَ الرَّكْبِ نحوَ حَظِيرَةٍ ... على رَبِّهَا صَلَّى الإلهُ وسَلَّمَا

إلى خيْرِ خَلْقِ اللهِ مَنْ جاءَ ناطِقاً ... بآياته إنْجِيلُ عِيسَى بنِ مَرْيَمَا

حَلَلْتَ بأَكْنافِ الجَزِيرَةِ عابِراً ... فأَنْضَرْتَ وادِيها وكنتَ لها سَمَا (٤)

وأَشْرَقْتَ فى بَطْحَاءِ مَكَّةَ زَائِرًا ... فباتَ عَلَيْكَ النِّيلُ يَحْسُدُ زَمْزَما (٥)

وماظَفِرَتْ مِنْ بَعْدِ (هارون) أَرْضُها ... بمِثْلِكَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ مُنْعِما (٦)

ولا أَبْصَرَ الحُجَّاجُ مِنْ بَعْدِ شَخْصِه ... على عَرَفاتٍ مِثلَ شَخْصِكَ مُحْرِما

رَمَيْتَ فَسَدَّدْتَ الجِمارَ فلَمْ تَكُنْ ... بِمارًا على إبْلِيسَ بل كُنَّ أَسْهُما (٧)

---

(١) يريد « بالشمس » : أم الخديو ، وكانت قد حجت معه .

(٢) يريد « بشمس الهدى » : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والحفاوة : العناية والإكرام . الزواهر : النجوم ، والمراد وصيفاتها . أينما : أى أينما سارت .

(٣) العيس : الإبل ؛ ويطلق فى الأصل على الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ؛ ويقال : إنها كرام الإبل . الواحد أعيس : والأنثى عيساء .

(٤) أكناف الجزيرة : جوانبها . وأنضرت واديها ، أى جعلته ناضرا حسنا بهيجا من الخصب . ويريد بقوله : « وكنت لها سما » : أنه كان لها مطرا ؛ وقد هطل المطر فى جزيرة العرب أيام حجه .

(٥) البطحاء والأبطح : مسيل فيه واسع ، فيه دقائق الحصى . وبطحاء مكة : مسيل واديها .

(٦) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف . وميمون النقيبة : أى محمود المختبر (بفتح الباء) .

(٧) الجمار : الحصى الذى يرمى به الحجاج فى منى .

وإنّ الّذى تَرْميه وَقْفٌ على الرَّدَى ... وإنّ لاذَ بالأَفْلاكِ ياخيرَ مَنْ رَمَى[١]

وبين الصَّفا والمَرْوَة ازْدَدْتَ عزَّةً ... بِسَعْيِكَ يا (عَبَّاسُ) لله مُسْلِما

تُهَرْوِلُ للمَوْلى الكَرِيمِ مُعَظِّمًا ... وكَمْ هَرْوَلَ السَّاعِى إليكَ وعَظَّما[٢]

وطُفْتَ وكم طافَت بسُدَّتِكَ المُنَى ... وكم أَمْسَكَ الراجى بها وتَحَرَّما[٣]

ولمّا استَلَمْتَ الرُّكْنَ هَاجَتْ شُجُونُه ... فلو أنّه استطاعَ الكلامَ تكلَّما[٤]

تَذَكَّرَ (زَيْنَ العابِدِينَ) وجَدَّه ... وما كانَ منْ قَوْلِ (الفَرَزْدَقِ) فيهما[٥]

فلو يَسْتَطِيعُ الرُّكْنُ أَمْسَكَ راحَةً ... مَسَحْتَ بها يا أكرَمَ الناس مُنْتَمَى[٦]

دَعَوْتَ لنا حَيْثُ الدُّعاءُ إجابَةٌ ... وأنتَ بدَعْوَى الله أَطْهَرُنا فَمَا

أَمَانِيَّكَ الكُبْرَى وَهَمُّكَ أنْ تَرَى ... بأَرجاءِ وادِى النِّيلِ شَعْباً مُنَعَّمَا

وأنْ تَبْنِيَ المَجْدَ الَّذى مالَ رُكْنُه ... وأَنْ تُرْهِفَ السَّيْفَ الَّذى قد تَثَلَّما[٧]

---

(١) الردى : الهلاك . يقول : إن الذى ترميه هالك لا محالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء .

(٢) الهرولة : الإسراع فى المشى . ويريد « بالساعى » : طالب المعروف .

(٣) السدّه الباب . وتحرم بسدته : احتمى بها واستأمن من نوائب الدهر بالوقوف بها ، كما يستأمن الداخل فى الحرم من العدوان عليه .

(٤) شجونه : أى أشواقه .

(٥) زين العابدين : هو أبو الحسن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، أحد الأئمة ، وهو من سادات التابعين . ولد فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة . وتوفى سنة أربع وتسعين ؛ وقيل اثنتين وتسعين . والفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب التميمى أحد فحول الشعر فى العصر الأموى ؛ وكانت ولادته ونشأته بالبصرة ؛ وتوفى بها نحو سنة مائة وعشر هجرية . ويشير الشاعر فى هذا البيت إلى قول الفرزدق فى قصيدته المشرورة فى مدح زين العابدين ، ومنها

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هـذا ابن خير عباد الله كلهم ... هـذا التقى النقى الطاهر العلم

(٦) المنتمى : الأصل الذى ينتمى إليه الإنسان ، أى ينتسب . ومن هـذا البيت مأخوذ من قول الفرزدق فى زين العابدين :

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

(٧) أرهف السيف : حدّده . وتثلم : تكسر حدّه ، أى تعيد لمصر القوة التى تطرق إليها الضعف

دَعَوْتَ لمِصْرٍ أنْ تَسُودَ، ولَمْ دَعَتْ ... لكَ اللهَ مِصْرٌ أنْ تَعِيشَ وتَسْلَمَا

فليتَ مُلُوكَ المُسْلِمِين تَشَبَّهُوا ... بِمَلْكٍ إذا ما أَجْحَمَ الدَّهْرُ أَقْدَما[1]

سَلِيلِ مُلُوكٍ يَشْهَدُ اللهُ أنَّهُمْ ... أَقَامُوا عَمُودَ الدينِ لمَّا تَهَدَّما

لئن باتَ بالمَجْدِ المُؤَثَّلِ مُغْرَمًا ... لقد كان (إبراهيمُ) بالمَجْدِ مُغْرَما[2]

وإن تامَ حُبُّ المَكْرُمَاتِ فؤادَه ... نقد كانَ (إسماعيلُ) فيها مُتَيَّما[3]

وإنْ سَكَنَتْ تَقْوَى المُهَيْمِنِ قَلْبَه ... فقد كان منها قَلْبُ (تَوْفِيقَ) مُفْعَما[4]

وإنْ باتَ نَهَّاضًا بِمِصْرَ إلى الذُّرَا ... فمِنْ جَدِّه الأَعْلَى (عَلِيٍّ) تَعَلَّمَا[5]

حَوَى ما حَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ ونِجَارِهِمْ ... وزادَ فأَعْيَا المادِحِين وأَفْحَمَا[6]

دَعَوْا بِكَ وٱسْتَسْقَوْا فلَبَّى دعاءَهُمْ ... منَ الأُفْقِ هَتَّانٌ مِن المُزْنِ قد هَمَى[7]

---

(١) الملك بسكون (اللام) : لغة فى الملك (بكسرها) . وأجحم : تأخر .

(٢) المجد المؤثل : المؤصل الثابت . وإبراهيم ، هو إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الكبير ؛ ولد سنة ٧٨٩ وتولى عرش مصر فى حياة أبيه سنة ١٨٤٨ م . وتوفى فى السنة نفسها التى ولى فيها .

(٣) تامه الحب والعشق تيما : استعبده . وإسماعيل ، هو إسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا ؛ ولد سنة ١٨٣٠م ؛ وولى خدوية مصر فى ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ م ؛ وعزل عنها سنة ١٨٧٩م . وتوفى فى ٢ مارس سنة ١٨٩٥ م .

(٤) توفيق : هو محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا ؛ ولد فى سنة ١٨٥٢م ؛ وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م ؛ وتوفى سنة ١٨٩٢ م . والمفعم : الممتلئ .

(٥) على : أى محمد على باشا جدّ الأسرة المالكة ؛ ولد بمدينة قوله عام ١٧٦٩ م . ؛ وولى مصر عام ١٨٠٥م ؛ وتوفى فى ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م .

(٦) النجار : الأصل . وأفحمه : أعجزه عن الكلام .

(٧) استسقوا : أى طلبوا السقيا . والضمير فى « دعوا » « واستسقوا » لأهل مكة . والهتان : المنصب . والمزن : السحاب ذو الماء . وهمى : سال لا يثنيه شئ . ويشير بهذا إلى مطر غزير نزل بمكة أيام حج الخديو فأخصبت به الأرض وفاضت بالخير .

أَلَحَّ على أَوْعارِهِمْ وسُهُولِهِمْ ... وحَيَّ عَبُوسَ القَفْرِ حتّى تَبَسَّما[١]

ولمّا طَوَى بَطْحاءَ مَكَّةَ هَزَّهُ ... إلى البَيْتِ شَوْقُ المُسْتَهامِ فَيَمَّما[٢]

أَطافَ به ثم ٱنْثَنَى عن فائِه ... وَلَوْ عَبَّ منه (السَّامِرِى) لأَسْلَما[٣]

طَلَعْتَ عليهمْ أَسْعَدَ الخَلْقِ مَطْلَعًا ... وعُدْتَ الينا أَيْمَنَ الخَلْقِ مَقْدَما[٤]

رَجَعْتَ وقد داوَيْتَ بالجُودِ فَقْرَهُمْ ... وكنتَ لهُمْ فى مَوْسِمِ الحَجِّ مَوْسِما

وأَمَّنْتَ للبَيْتِ الحرامِ طَرِيقَهُ ... وكان طَرِيقُ البَيْتِ منْ قَبْلِها دَما[٥]

ويَسَّرْتَهُ حتى ٱستَطاعَ رُكُوبَهُ ... أَخُو الفَقْرِ لا يَطْوِيه جُوعٌ ولا ظَما[٦]

وجُدْتَ وجادَتْ رَبَّةُ الطُّهْرِ والتُّقَى ... على العالَمِ حتَّى أَخْصَبَ العالَمُ مِنْكُما[٧]

فلَمْ تُبْقِيَا فَوْقَ الجَزِيرَةِ بائِسًا ... ولَمْ تَتْرُكَا فى ساحَةِ البَيْتِ مُعْدِما

فأَرْضَيْتُما الدَّيّانَ والدِّينَ كُلَّهُ ... لقد رَضِىَ الدَّيّانُ والدِّينُ عَنْكُما

---

(١) ألح على أوعارهم : دام عليها . والأوعار : ما صعب من الأرض . وعبوس القفر : ما جدب منه وقل نباته ، فصار كالوجه العابس الذى لا بشر فيه . وتبسم : أى أخصب وكثر نباته ، فاستعار « التبسم » لخصب الأرض وظهور ألوان النبات فيها .

(٢) طوى : أى المزن السابق ذكره . وبطحاء مكة : مسيل واديها . وهزه : حركه . ويمم : قصد .

(٣) الفناء : الساحة . ويريد الشاعر بهذا البيت والذى قبله أن السحاب لما أروى بطحاء مكة تشوق إلى الكعبة فسار إليها ، ثم ارتد عنها إجلالا لها ولم يمطر عليها . وعب منه : شرب . ويريد بالسامرى : موسى السامرى الوارد ذكره فى القرآن فى قصة بنى إسرائيل ، إذ صنع لهم عجلا من الحلى وحضهم على عبادته ، وكان ذلك فى غيبة نبى الله موسى عليه السلام فى ميقات ربه ؛ قال تعالى فى سورة طه : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) الآيات .

(٤) أيمن الخلق : أى أبركهم .

(٥) دما : أى ملوءا بالقتل وسفك الدماء .

(٦) لا يطويه : أى لا يرده ولا يصرفه .

(٧) يريد « بربة الطهر » : والدة الخديو .

تحية محمد سعيد باشا[1]

بمناسبة عودته من أوربة فى اليوم الحادى عشر من شهر شوال سنة ١٣٣٠ هـ . وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

فِيكَ السَّعِيدان اللَّذان تَبَارَيَا ... يا مِصْرُ فى الخَيْرَاتِ والبَرَكَاتِ[2]
نِيلٌ يَفِيضُ على سُهُولِكِ رَحْمَةً ... وقَنًى يَقِيكِ غَوائِلَ العَثَرَاتِ
عادَ الرَّئِيسُ فَرَحِّبِي بقُدُومِه ... وتَهَلَّلِي بِمُفَرِّجِ الأَزَمَاتِ

إلى أمين واصف بك

قال هذين البيتين ليكتبا فى لوح مهدى إليه من مدرسة طوخ الصناعية ، إذ كان مديرا للقليوبية

[نشر فى سنة ١٩١٢ م]

لَمْ نَجِدْ مَا يَفِى بِقَدرِكَ فى المَجْـ ... ـدِ فَيُهْدَى إلى حِماكَ الكَرِيم
فَبَعَثْنا إليكَ باسْمِكَ مَكْتُو ... بًا على صَفْحَةِ الوَلاءِ المُقِيم

* * *

(١) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف ولد فى سنة ١٨٦٣ م ، وبعد أن أتم علومه تولى عدة مناصب قضائية وعدة وزارات ورأس الوزارة مرتين ، الأولى من سنة ١٩١٠ م . إلى سنة ١٩١٤ م ، والثانية سنة ١٩١٩ م . وكان وزيرا للمعارف فى الوزارة السعدية سنة ١٩٢٤ م . ثم اعتزل السياسة إلى أن توفى فى ٢٠ يوليه سنة ١٩٢٨ م ؛ وكان معروفا بالعقل والدهاء فى الشئون السياسية .

(٢) تباريا : تسابقا .

وقال يودّعه :

أنشدها فى حفل أقامه كبار موظفى مديرية القليوبية ، إذ كان مديرا لمديريتهم ونقل

[نشرت فى ٩ مايو سنة ١٩١٢ م]

إنى دُعيتُ إلى ٱحتفالكَ فَجْأَةً ... فأَجبْتُ رَغْمَ شَواغِلِى وسَقامِى

وَدَعَوْتُ شِعْرِى يا (أمينُ) فخانَنِى ... أَدَبِى ولَمْ يَرْعَ القَريضُ ذمامى[1]

فأَتَيْتُ صِفْرَ الكَفِّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى ... أَمَلِى بصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلامِى

وا خَجْلَتِى ! أَيَكُونُ هٰذا مَوْقِفِى ... فى حَفلَةِ التَّوْدِيعِ والإِكْرَامِ ؟

وأَنَا الخَلِيقُ بأَنْ أُرَتِّلَ للوَرَى ... آياتِ هٰذا المُصْلِحِ المِقْدامِ

وأَقومُ عَنْ نَفْسِى وعَنْ غَيْرِى بِما ... يَقْضِى الوَلاءُ وواجِبُ الإِعْظامِ

(بِنْها) لقد وُفِّيتِ قِسطَكِ منْ مُنًى ... وسَعادةٍ ورِعايةٍ ونِظامِ[2]

فَدَعِى سِواكِ يَفُزْ بقُرْبِ مُوَفِّقٍ ... هُوَ فى الحُكومَةِ نُخْبَةُ الحُكّامِ

لَبِسَ التَّواضُعَ حُلَّةً ومَشَى إلى ... رُتَبِ الجَلالِ مُسَدَّدَ الأَقْدامِ

وغَدَا بأَبْراجِ العُلَا مُتَنَقِّلًا ... كالبَدْرِ يُسْعِدُه السُّرَى بتَمامِ

---

(١) الذمام : الحق والحرمة .

(٢) بنها : عاصمة مديرية القليوبية .

تهنئة محمود سامى بك (باشا)[١]

قالها فى حفل أقيم تكريمه بفندق الكونتنتال لمناسبة ترفيته إلى منصب كبير فى وزارة (نظارة) الأشغال

[نشرت فى ١٢ يوليه سنة ١٩١٢ م]

رَبّاكَ والِدُكَ الكَرِيمُ على التُّقَى ... وعلى النَّزاهَةِ والضَّمِيرِ الطّاهِرِ
فَنَشَأْتَ بين رِعايَةٍ وعِنايَةٍ ... ودَرَجْتَ بين محامِدٍ ومَفاخِرِ
وسَمَوْتَ يا (سامى) إلى أَوْجِ العُلا ... وبَرَعْتَ قَوْمَك بالذَّكاءِ النّادِرِ
رَبَّى أَبُوكَ عُقُولَنا ونُفُوسَنا ... فَهَنَأَ بوالِدِكَ (الأَمِينِ) وفاخِرِ[٢]
وهَنَأْ بما أُوتِيتَه مِنْ نِعْمَةٍ ... فى عَهْدِ مَوْلانَا الأَمِيرِ الزّاهِرِ[٣]
يا مالِئَ الكُرْسِيِّ منه مَهابَةً ... وكِفايَةً يا مِلْءَ عَيْنِ النّاظِرِ
إنّ التى قُلّدْتَها فى حاجةٍ ... لعَزِيمَةٍ تَمْضِى ورَأْيٍ باتِرِ[٤]
فأَفِضْ ضِياءَكَ فى (النظارَة) كلِّها ... وأَقْبِضْ على الأَعْمالِ قَبْضَ القادِرِ
وأَخْدُمْ بِلادَكَ بالّذى أُوتِيتَه ... مِنْ فِطْنَةٍ وأَقِلْ عِثارَ العاثِرِ[٥]
هَنَأْتُ مِصْرَ ونِيلَها ورِجالَها ... لمّا رَأَيْتُكَ فى نِيابِ الآمِرِ

---

(١) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامى باشا المربى المعروف . تولى رحمه الله عدة مناصب عالية فى الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر فى أميركة ، وتوفى فى يوليه سنة ١٩٣٦ م .

(٢) يشير بهذا البيت إلى أن والد الممدوح من رجال التربية بوزارة المعارف ، وكان ناظرا لمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن ، وتخرج فى أيام نظارته لهذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجلاء .

(٣) العهد الزاهر : الماضى المشرق ، ويريد عهد الخديو عباس الثانى .

(٤) الباتر : القاطع .

(٥) يقال : أقال فلان عثار فلان وعثرته ، إذا صفح عن زلته ودفع عنه ما يتوقع بسببها من مكروه .

ورَأَيْتُ فى الدِّيوانِ قَدْرَكَ عالِياً والنـاس تَهْتِفُ بالثَّناءِ العـاطِرِ
ما بَيْنَ مُعْتَرِفٍ بفَضْلِكَ مُعْلِنٍ أو ضارِعٍ لكَ بالدُّعاءِ وشـاكِرِ
اَمُهَنْدِسَ النِّيلِ السَّـعيد تَحِيَّةً مِنْ مصْرَ تَحْدُوها تَحِيَّةُ شَاعِر
يَدْعُو إلهَكَ أنْ يُكَثِّرَ بَيْنَنا أَمْثالَ (سـامِى) فى الزَّمان الحاضر

إلى الدكتور على إبراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

[نشرت فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢ م]

هل رَأَيْتُمْ مُوَفَّقًا (كَعَلِّى) فى الأَطِبّـاءِ يَسْتَحِقُّ الثَّنـاء
اَوْدَعَ اللهُ صَدْرَه حِكْمَةَ العِلْـ ـم وأَجْرَى على يَدَيْهِ الشِّـفاءَ
كَمْ نُفُوسٍ قد سَلَّها مِنْ يَدِ المَوْ تِ بلُطْفٍ منه وكَمْ سَلَّ داءَ[1]
فأَرانَا (لُقْمانَ) فى مِصْرَ حَيًـا وحَبَـانَا لكلِّ داءٍ دَواءَ[2]
حَفِظَ اللهُ مِبْضَعًا فى يَدَيْه قد اَماتَ الأَسَى وأَحْيا الرَّجاءَ[3]

تحيـة خليل مطران بك

أنشدها فى حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمناسبة الإنعام عليه (النيشان) المجيدى

يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣ م

جَازَ بِى عَرْفُهـا فهـاجَ الغَرامَا ودَعانِى فزُرْتُهـا إِلْمَـاماً[4]
جَنَّـةٌ تَبْعثُ الحيـاةَ وتَجْـلُو صَـدَأَ النَّفْس رَوْنَقًا ونِظـاما

(١) سلها : انتزعها وأخرجها .
(٢) لقمان : حكيم معروف . وحبانا : أعطانا .
(٣) المبضع : المشرط . والأسى : الحزن .
(٤) العرف : الريح الطيبة . وإلماما : أى زيارة قصيرة .

زُرْتُها مَوْهِنًا وفى طَىِّ نَفْسى ذِلَّةُ الصَّبِّ وانكسارُ اليَامَى[١]
وتَنَقَّلْتُ فى خَمائِلِها الخُضْـ ـر يَمِينًا ويَسْرةً وأَماما[٢]
فإذا رَوْضَتانِ فى ذلك الرَّوْ ضِ تَمِيسانِ تحت ريح الخُزَامَى[٣]
جاءَتا تَخْطِرانِ والنجمُ ساهٍ وعيونُ الأزهارِ تَبْغِى المَناما[٤]
جازَتا مَوْضِعى فهَبَّ نَسيمٌ أذكى مِنِّى الأَسَى وهاجَ الهُيَاما[٥]
فترسَّمْتُ منهما أَثَرَ الخَطْـ ـوِ وخافَتُّ فى المَسير احْتِشاما[٦]
وتسمَّعتُ عَلَّنى أُطْفِئُ السَّوْ قَ وأُرْوِى من الفُؤاد الأُواما[٧]
فاذا لَهْجَتانِ منْ لَهَجات الشَّـ ـرْق قد شاقَتا فُؤادى فَهَاما[٨]
تلك سُورِيَّةٌ تفيض بَيانًا تلك مِصْرِيَّةٌ تَسِيل ٱنسِجاما
فِطْنَةٌ عند رِقَّةٍ عند ظَرْفٍ عند رَأْيٍ تَخالُه إلْهَاما
مالَتَا نَحْوَ دَوْحةٍ تُرْسِل الأَغْـ ـصانَ وٱختارَتا لَدَيْها مُقَاما[٩]

---

(١) الموهن : نحو نصف الليل . (٢) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر . الواحدة : خميلة .

(٣) تميسان : تتبختران . والخزامى : خيرى البر ، وزهره من أطيب الأزهار نفحة .

(٤) كنى "بسهو النجم" و "نوم الزهر" عن سكون الليل وركود ظلامه .

(٥) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن إلا بحذف حرف العلة من قوله "أذكى" ، وهو خطأ لا تجيزه اللغة ، ولعل فى لفظى "أذكى" "وهاج" فى هذا الشطر تقديما وتأخيرا ، والصواب "هاج" فى الأوّل و "أذكى" فى الثانى ليسلم من ذلك العيب فيصير الشطر :

هاج منى الأسى وأذكى الهياما

والأسى : الحزن . والهيام : شدّة الشوق .

(٦) خافت فى المسير : أى خفضت منه ، وخففت من وقع الخطو لئلا يسمع .

(٧) الأوام : شدّة العطش . ويريد الاشتياق إلى حديثهما .

(٨) المراد "باللهجة" هنا : طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام .

(٩) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة .

ثم أَلْقَتْ قناعَها بنتُ مصـــرٍ ... وأماطَتْ بنتُ الشَّـــام اللِّثـاما[1]

فتوهَّمْتُ أنْ قد انفلقَ البَـدْ ... رُ وقد كُنْتُ أُنْـكِرُ الأَوْهَـاما

فتَـــواريتُ ثم علَّقْتُ أنْفـا ... سِيَ ما اسْطَعْتُ وارتَدَيْتُ الطَّلاما[2]

ظنَّتَا ذٰلك المكانَ خـــلاءً ... لا رَقيبًـــا يُخْشَى ولا نَمَّـــاما

فجَرَى فيه ما جَرَى من حديث ... كان بَرْدًا على الحَشَا وسَـــلَامَا

حين قالتْ لأُخْتِها بنتُ مصْرٍ ... إنكمْ أمـــةٌ أَبَتْ أنْ تُضَـــاما

صَدَق الشاعرُ الذى قال فيكم ... كَلِماتٍ نَبَّهْنَ منّـا النِّيـــاما[3]

رَكِبوا البحرَ، جاوَزُوا القُطْب، فاتُوا ... مَوْقِـعَ النَّيِّرَيْن ، خاضُوا الظَّلاما[4]

يَمْتَطون الخُطُـــوب فى طَلَب العَيْـ ... ـشِ ويَبْرُون للنِّضَـــال السِّهـــاما

فانْبَرَتْ ظَبْيَةُ الشـــامِ وقالتْ ... بَعْضَ هـــذا فقد رَفَعْتِ الشِّـاما[5]

أَنْتُمُ الأَسْـبَقُون فى كلِّ مَرْمًى ... قد بلغتُم من كلِّ شئ مَرَاما

إنّمـــا الشّـامُ والكِنانةُ صِنْوَا ... نِ ، رَغْم الخُطُوب عاشَـــا لِزاما[6]

أُمُّـــكم أُمُّنـــا وقد أَرْضَـــعَتْنا ... من هَواها ونَحنُ نأبَى الفطـــاما[7]

قد نَزَلْنـــا جوارَكم فَحَمَـدْنا ... منكمْ الوُدَّ والنَّـــدَى والذِّماما[8]

---

(١) أماطت اللثام : أبعدته ونحته .

(٢) علقت أنفاسى : أى حبستها عن التردّد فى صدرى لئلا تسمع فيعرف مكانى .

(٣) الشاعر : هو حافظ . والبيتان اللذان بعد هذا البيت من قصيدة له ستأتى فى هذا الديوان .

(٤) النيران : الشمس والقمر . يصف عزم الشآمين وكثرة ارتحالهم فى طلب الرزق .

(٥) بعض هذا : أى قولى بعض هـذا إذ لا نستحق كله .

(٦) الصنو : الأخ الشقيق .

(٧) تريد "بالأم" : اللغة العربية .

(٨) الذمام : الحرمة والذمة .

وحَلَلْنا فى أرضكم فأصَبْنا ... مَنزِلاً مُخْصِبًا وأهلاً كِراما
وغَشِينا دِيارَكم حَيْثُ شِئْنا ... فلَقِينا طَلاقةً وابتِساما
وشَرِبنا من نِيلكم فنَسِينا ... ماءَ لُبْنانَ سَلْسَلا والغَماما[1]
وقَبَسْنا من نُوركم فكَتَبْنا ... وأَجَدْنا نِثارنا والنِّظاما
وتَلَوْنا آياتِ شَوْقى وصَبْرى ... فرأَينا ما يَبْهَر الأَفْهاما
مَلأَ الشرقَ حكمةً وأَقاما ... فى ثَنايا النُّفوس أَنّى أَقاما
غَنِيا المَشْرِقَيْنِ ما تَرك الأَفْلاكَ حَيْرَى وأَذْهَل الأَجْراما
وأعادا عَهْدَ الرَّشيد لعبّا ... س فكانا يراعَه والحُسَاما[2]
فأشارت فتاةُ مصْرَ وقالت : ... قَدْكِ ، لم تَتْرُكى لمصْر كَلاَما[3]
أنتم الناسُ قُدْرةً ومَضاءً ... ونُهوضًا إلى العُلَا وٱعتزاما
أطلعتْ أرضُكم على كلِّ أُفْقٍ ... أَنْجُما إثر أَنْجُم تَتَرامَى[4]
تركبُ الهَوْلَ لاتَفادَى ، وتمشى ... فوق هامِ الصِّعاب لاتَتَحامَى[5]
قد سَمِعْنا "خليلَكم" فَسَمِعْنا ... شاعرًا أَقعد النَّهى وأَقاما
وطَمِعْنا فى شَأْوِه فَقَعَدْنا ... وكَسَرْنا مِن عَجْزِنا الأَقْلاما[6]

---

(١) السلسل : العذب .

(٢) يريد "بالرشيد" : الخليفة العباسى ، وكان عصره حافلا بالأدباء والشعراء . ويريد "بعباس" الخديو عباس حلمى الثانى .

(٣) قدك : حسبك .

(٤) يريد "بالأنجم" : رجال سورية المتفرقين فى أنحاء العالم

(٥) لا تفادى : أى لا تتفادى .

(٦) الشأو : الغاية

نَظَمَ الشَّامَ والعِراقَ ومِصرًا سِلْكُ آياتِه فكان الإمَاما
فمَشَى النَّثْرُ خاضِعًا ومشى الشِّعْرُ وأَلْقَى إلى الخَلِيلِ الزِّماما
ورأى فيه رَأْيَنا صاحبُ النِّيلِ فأَهْدَى اليه ذاك الوِساما[1]
شارةً زانتِ القَرِيضَ فكانت شارةَ النَّصْرِ زانت الأَعْلاما
فعقَدْنا له اللِّواءَ عَلَيْنا واحْتَفَلْنا نَزِيده إكْراما
ذاك ما دار مِن حَديثٍ شهِيٍّ يَسْتَفِزّ النُّهَى ويُشْجِى النَّدَامى
قد تَسَقَّطْتُه وخالفتُ فيه مَنْ يَرَى النقلَ سُبَّةً واجْتِراما[2]
فمِن النَّقل ما يكونُ حَلالًا ومن النقل ما يكونُ حَراما

* * *

صَدَق الغادتان يا ليت قَوْمَيْنا كما قالتا هَوًى وآلتئاما
نحنُ فى حاجةٍ إلى كلِّ ما يُنْمِى قُوانا ويَرْبُطُ الأَرْحاما
فاجعلُوا حَفْلَةَ الخليل صفاءً بين مِصْرٍ وأختها وسَلَاما
وآسألُوا اللهَ أن يُدِيم عَلَيْنا ملك "عباسَ" ناضرًا بَسّاماً[3]
هو آمالنا وحامِى حِمانا أيّد اللهُ مُلْكَه وأدَاما

(١) صاحب النيل : أى أمير مصر ، وكان إذ ذاك عباسا الثانى .
(٢) تسقط الأخبار : تتبعها وأخذها شيئا بعد شىء .
(٣) منع " عباسا " من الصرف لضرورة الوزن .

تهنئة له أيضا للانعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت فى أول أبريل سنة ١٩١٣ م]

وَسِعَ الفَضْلَ كلَّه صَدْرُك الرَّحْـــبُ فَمَنْ شَاءَ فليُهَنِّئْ وِسامَه[1]
لَمْ يَزِدْكَ الوِسامُ قَدْرًا ولٰكِنْ زادَ قَدْرَ العلا وقَدْرَ الكَرامَة
كَمْ وِسامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كم شِـعارٍ فِيكَ كَمْ شارَةٍ وكَمْ مِنْ عَلامَة
لإباءٍ وحِكْمَةٍ وإخاءٍ وصَـفاءٍ وهِمَّـةٍ وشَـهامَة

تحية الى واصف غالى بك (باشا)

أنشدها فى فندق شبرد سنة ١٩١٤ م عند ما نشر كتابه المعروف "بحديقة الأزهار" الذى ترجم فيه بعض الشعر العربى القديم إلى اللغة الفرنسية ، وكان يلقى محاضرات وخطبا فى فرنسا ينوه فيها بالعرب ومصر والشرق

يا صاحِبَ الرَّوْضَةِ الغَنّاءِ هِجْتَ بِنا ذِكْرَى الأَوائِلِ مِنْ أَهْلٍ وجِيرانِ[2]
نَشَرْتَ فَضْلَ كِرامٍ فى مَضاجِعِهِمْ جَرَّ الزَّمانُ عليهِمْ ذَيْلَ نِسْيانِ
إنِّى أُحَيِّيكَ عنهمْ فى جَزِيرَتِهِمْ وفى العـراقِ وفى مِصْـرٍ ولُبْنانِ
جَلَوْتَ للغَرْبِ حُسْنَ الشرقِ فى حُلَلٍ لايُسْـتَهانُ بها ، نَسّاجَ (هِرْنانِى)[3]

(١) الضمير فى "وسامه" للصدر .

(٢) الروضة الغناء : هى التى تمر الريح فيها غير صافية الصوت لكثافة نبتها والتفافه .

(٣) نساج هرنانى : يريد تشبيه واصف غالى بفكتور هوغو الشاعر الفرنسى المعروف مؤلف رواية هرنانى ، وهى رواية تمثيلية معروفة تعد من عيون الأدب الفرنسى ، وقد ترجمت إلى العربية .

ظَنُّوكَ منهمْ وقد أَنْشَأْتَ تَخْطُبُهُمْ ... بما عَنَا لَكَ من سِحرٍ وتِبيان[1]

ما زِلْتَ تَبْهَرنا طَوْرًا وتَبْهَرُهُمْ ... حتّى آدّعاكَ وحَيّاكَ الفَريقان

لولا اسمرارُكَ فازُوا فى آدعائِهِمُ ... (بواصِفٍ) وخَسِرْنا أىَّ خُسْران

غَرَسْتَ مِنْ زَهَراتِ الشرقِ طائِفَةً ... فى أرضِ (هيغُو) فجاءَتْ طُرْفَةَ الجانى[2]

حَديقةً لكَ لَمْ نَعْهَد لها شَبَهًا ... بين الحدائِقِ فى زَهْرٍ وأَفْنانِ

يُحْيِي شَذاها نُفُوسَ الوافِدين وما ... مَرُّوا بوَرْدٍ ولا طافُوا بريْحانِ[3]

لكنّها منْ ازأَهيرِ النُّهَى جَمَعَتْ ... مالا تُنالُهُ أزهارُ بُسْتانِ[4]

بالأمْسِ كان لها شَرْقٌ تَضُوعُ به ... واليومَ صارَ لها بالغَرْبِ شَرْقانِ[5]

أَسْمَعْتَهُمْ مِنْ نَسيبِ القَوْمِ فآنطَالَقَتْ ... شُؤونُ كلِّ شَجِيِّ القَلْبِ وَلْهانِ[6]

وزِدْتَهُمْ مِنْ كلام (البُحْتُرِى) قِطَعًا ... مثْلَ الرِّياضِ كَسَتْها كفُّ (نَيْسانِ)[7]

سَلْ (الفَريدَ) و(لامَرْتِينَ) هَلْ جَرَيا ... مع (الوَليدِ) أو (الطّائى) بمَيْدانِ[8]

---

(١) ظنوك منهم : أى ظنك الفرنسيون فرنسيا ، وعنا : خضع وذل .

(٢) يريد بالزهرات : المقطوعات الأدبية التى نظمها ، وهيغو : هو فكتور هوغو الشاعر المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٣ من هذا الجزء . والطرفة : الغريب المستحسن المعجب .

(٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .

(٤) تنالفه : أى تباريه وتغالبه فى التفح ، أى الرائحة الطيبة .

(٥) تضوع : تفوح وتنتشر .

(٦) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر ، ويريد بالقوم شعراء العرب . والشؤون : مجارى الدموع .

(٧) نيسان : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، وهو يقابل أبريل .

(٨) انظر التعريف بالفريد ديموسيه فى الحاشية صفحة ١١٧ من هذا الجزء . ولامارتين : هو الفونس دلامارتين الشاعر الفرنسى ، ولد سنة ١٧٩٠ م ، وتوفى سنة ١٨٦٩ م ، وهو معروف برقة الغزل حتى قيل له : شاعر الحب والجمال . والوليد : هو أبو عبادة البحترى . والطائى ، هو أبو تمام حبيب بن أوس ، وكلاهما شاعر معروف .

وَهَلْ هُمَا فى سَمَاءِ الشِّعْرِ قد بَلَغَا ... شَأْوَ (النُّواسِىِّ) فى صَوْغٍ وإتْقانِ [١]

وَدَّا وقد شَهِدَا بالحَقِّ أنّهما ... فى بَيْتِ (احمدَ) لو يَرْضَى نَدِيمانِ [٢]

أَمْسَى كِتابُكَ (كالسِّيما) يُعِيدُ لهمْ ... مَرْأَى الحَوادِثِ مَرّتْ مُنْذُ أَزْمانِ

قد شَاهَدَا فيه تحْتَ النَّقْعِ عَنْتَرَةً ... يُصارِعُ المَوْتَ عن عَبْسٍ وذُبْيانِ [٣]

وشاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِى إلى أَسَدٍ ... كِلاهُما غَيْرُ هَيّابٍ ولا وانِى

هذا مِنَ العُرْبِ لا يُلْوِى به فَزَعٌ ... وذاكَ أَرْوَعُ مِنْ آسادِ خَفّانِ [٤]

لله دَرُّ يَراعٍ أَنْتَ حامِلُه ... لو كانَ فى أَنْمُلِى يوما لأَغْنانِى

وَقَفْتَ تَدْفَعُ عن آدابِنا تُهَمًا ... كادَتْ تُقَوِّضُ مِنها كُلَّ بُنْيانِ

فكنتَ أَوَّلَ مِصْرِىٍّ أَقامَ لهمْ ... على نَبالَةِ مِصْرٍ أَلْفَ بُرْهانِ

ما زِلْتَ تُلْقِى على أَسْماعِهِم حُجَجًا ... فى كُلِّ نادٍ وتَأْتِيهِمْ بِسُلْطانِ [٥]

حتَّى انْثَنَيْتَ وما لِلرَّبِّ مُجْتَرِئٌ ... على البِناءِ ولا زارٍ على البانِى [٦]

---

(١) وهل هما : أى أنفريد ولامارتين . والنواسى : هو أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المعروف . والشأو : الغاية .

(٢) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر المعروف .

(٣) النقع : الغبار فى الحرب . وعنترة : هو ابن شداد العبسى ، وهو من فحول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة واليأس ، وهو صاحب المعلقة التى أولها ٨ .

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

وعبس وذبيان : قبيلتان من قبائل العرب معروفتان ، ويشير إلى أن الممدوح قد ترجم بعد شعر عنترة فى كتابه .

(٤) " لا يلوى به الفزع " أى لا يصرفه ولا يرده خوف . والأروع : الشهم الشجاع . وخفان : موضع قرب الكوفة تأوى اليه الأسود . ويشير بهذا البيت والذى قبله الى قصيدة البديع الهمذانى التى قالها على لسان بشر بن عوانة ، وذكر فيها لقاءه للأسد وموائبته إياه حتى قتله ، وهى من القصائد التى ترجمها الممدوح إلى اللغة الفرنسية فى كتابه السابق ذكره ، ، وأولها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

(٥) السلطان : الحجة والبرهان .

(٦) الزارى : العائب .

مَحَوْتَ ما كَتَبُوا عنّا بقاطِعَةٍ ... مِن البَراهِينِ فَلَّتْ قولَ (رِينانِ)[١]

أَنْحَى على الأَدَبِ الشَّرْقِيِّ مُفْتَرِيًا ... عليه ما شاءَ مِنْ زُورٍ وبُهْتانِ[٢]

ظَنَّ الحقيقةَ فى الأَشعارِ تَنْقُصُنا ... واللَّفْظَ والقَصْدَ والتَّصْوِيرَ فى آنِ

وأنّنا لم نَصِلْ فيها إلى مِئَةٍ ... عَدًّا وذاكَ لِعِيٍّ أو لنُقْصانِ[٣]

ولو رَأى (ابنَ جُرَيْجٍ) فى قصائِدِه ... لَقالَ آمَنْتُ فى سِرِّى وإعْلانِى[٤]

مالِى أُفاخِرُ بالمَوْتَى وبَيْنَ يَدِى ... مِنْ شِعْرِ أحيائِنا ما ليسَ بالفانِى

فى شِعْرِ (شَوْقِى) و(صَبْرِى) ما تَتِيهُ به ... على نَوابِغِهِمْ دَعْ شِعْرَ (مُطْرانِ)

بُورِكْتَ يابنَ الوزِيرِ الحرِّ مِنْ رَجُلٍ ... لَمْ يَخْتَلِفْ فيه أو فى فَضْلِه اثْنانِ[٥]

بَلِّغْ إذا جئتَ (باريزًا) أَفاضِلَها ... عنّا التّحيّاتِ واشْفَعْها بشُكْرانِ

وخُصَّ كاتِبَهُمْ (زُولاَ) بأَطْيَبِها ... كَيْما يُقابِلَ إحْسانٌ بإِحْسانِ[٦]

واجعَلْ لِسفْرِكَ ذَيْلاً فى شَواعِرِنا ... وقِفْ لهنّ هُناكَ المَوْقِفَ الثانى[٧]

---

(١) رينان هو الفيلسوف الفرنسى المعروف الذى ردّ عليه الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده فيما رمى الاسلام والمسلمين به من تهم ، وقد غمز الأدب الشرقى بعدّة مغامز سيذكرها الشاعر بعد .

(٢) يقال : أنحى عليه بالشتم : إذا أقبل عليه به . والمفترى : الكاذب المختلق .

(٣) "وأننا" الخ : أى ظن أن شعراء العرب لم يصلوا فى القصيدة إلى مئة بيت ، ونسب ذلك إلى العجز فى المنطق ونقصان اللغة العربية وقصورها عن تأدية ما يريده الشاعر .

(٤) يريد بابن جريج أبا الحسن على ابن العباس بن جريج الرومى مولى بنى العباس ، الشاعر المكثر ، صاحب التوليد الغريب والمعانى المبتكرة ، ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ . وتوفى سنة ٢٨٣ هـ . وهو مشهور بالمطوّلات من القصائد .

(٥) الوزير : هو بطرس غالى باشا أبو الممدوح .

(٦) هو أميل زولا الكاتب الفرنسى المعروف ، ولد فى باريس سنة ١٨٤٠ م ، وتوفى سنة ١٩٠٢ م .

(٧) يرغب حافظ إلى الممدوح أن يترجم إلى اللغة الفرنسية كتابا آخر من شعر النساء العربيات يكون ذيلا لكتابه الأول .

وانثُرْ على الغَرْبِ مِنْ تِلْكَ الحُلَى وأَشِدْ ... بِكُلِّ حُسَّانَةٍ فينا وحُسَّانِ[١]
وعُدْ إلى الشَّرْقِ عَوْدَ الفاتِحِين له ... وخُذْ مَكانَكَ فيه فَوْقَ (كيوان)[٢]
وٱشْكُرْ رِعايَةَ عَبَّاسٍ ومِنَّتَهُ ... وٱشْرَحْ وَلاءَكَ يا (غالي) (لعُثْمان)[٣]
وٱضْرَعْ إلى اللهِ أَنْ يَرْعَى أَرِيكَتَنا ... مَرْفُوعَةَ الشانِ ما مَرَّ الجَدِيدان[٤]

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل[٥] بالسلطنة

[نشرت فى أول يناير سنة ١٩١٥م]

هَنِيئًا أَيُّها المَلِكُ الأَجَلُّ ... لَكَ العَرْشُ الجَدِيدُ وما يُظَل
تَسَنَّمْ عَرْشَ (اسماعيلَ) رَحْبًا ... فأنتَ لصَوْلَجَانِ المُلْكِ أَهْلُ[٦]
وحَصِّنْهُ بِإِحْسانٍ وعَدْلٍ ... فحِصْنُ المُلْكِ إحسانٌ وعَدْلُ
وجَدِّدْ سِيرَةَ العُمَرَيْنِ فينا ... فإِنَّكَ بَيْنَنا لله ظِلُّ[٧]
لقد عَزَّ السَّرِيرُ وتاهَ لمّا ... تَبَوَّأَهُ المَلِيكُ المُسْتَقِلُّ[٨]

---

(١) أشاد بذكره : أى رفعه بالثناء عليه . وبكل حسانة وحسان : أى بكل مجيدة محسنة فى الشعر ومجيد محسن . ويجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء، على معنى شاعرة وشاعر يشبهان حسان بن ثابت .

(٢) كيوان : اسم كوكب زحل بالفارسية .

(٣) يرغب إلى ممدوحه أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للخديو ليبلغه إياه ، وكان عثمان باشا فى قصر الخديو عباس الثانى فى منزلة كبير الأمناء الآن .

(٤) الأريكة : سرير الملك . والجديدان : الليل والنهار .

(٥) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ (٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م) ، وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر ، وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٦) تسنم العرش : علاه . والصولجان : العصا المعوجة من الطرف ، وهو لفظ فارسى معرب وكانت الملوك تتخذه شعارا للملك

(٧) العمران : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

(٨) تاه : اختال . وتبوأه : جلس عليه .

وهَشَّ التاجُ حينَ عَلَا جَبِيناً ... عليه مَهابةٌ وعَلَيْه نُبْلُ (١)

تَمَنَّى لو يَقَرُّ على أَبِيٍّ ... تَذِلُّ له الخُطُوبُ ولا يَذِلُّ

وقد نالَ المَرامَ وطابَ نَفْساً ... فهاهُوَ ذا بلابِسِه يُدِلُّ (٢)

وما كنتَ الغَرِيبَ عن المَعالِى ... ولا التاجُ الذى بكَ باتَ يَعْلُو (٣)

وإنَّكَ منذ كنتَ ولا أُغالِى ... حُسامٌ للأَريكةِ لا يُفَلُّ (٤)

فكم نَهْنَهْتَ مِنْ غَرْبِ العَوادِى ... وكم لكَ فى رُبُوعِ النِّيلِ فَضْلُ (٥)

وما مِنْ مُجْمَعٍ للخَيْرِ إلاّ ... ومِنْ كَفَّيْكَ سَحَّ عليه وَبْلُ (٦)

فقد عَرَفَ الفَقِيرُ نَداكَ قِدْماً ... وقد عَرَفَ الكَبِيرُ عُلاكَ قَبْلُ

لكَ العَرْشان : هٰذا عَرْشُ مِصْرٍ ... وهٰذا فى القُلُوبِ له مَحَلُّ

فأَلِّفْ ذاتَ بَيْنِهِما بِرَأْيٍ ... وعَزْمٍ لا يَكِلُّ ولا يَمَلُّ

فَعَرْشٌ لا تَحُفُّ به قُلُوبٌ ... تَحُفُّ به الخُطُوب ويَضْمَحِلُّ (٧)

(أَبَا الفَلّاحِ) كم لك من أَيادٍ ... عَلَى ما فيك مِنْ كَرَمٍ تَدُلُّ (٨)

وآلاءٍ وإنْ أَطْنَبْتُ فيها ... وفى أَوْصافِها فأنا المُقِلُّ (٩)

---

(١) هش للأمر : ارتاح اليه . (٢) يدل : أى يفرط فى الثقة والاختيال .

(٣) قوله " ولا التاج الذى بك بات يعلو " أى ليس التاج الذى علا بعلاك غريبا عن المعالى أيضا .

(٤) لا أغالى : أى لا أبالغ . ولا يفل : أى لا يثلم حده .

(٥) " نهنهت من غرب العوادى " ، أى كففت من النوائب وصرفتها عن مصر . وغرب السيف ونحوه : حده .

(٦) الوبل : المطر الكثير . (٧) يضمحل : يخل ويذهب .

(٨) كان المغفور له السلطان حسين كامل يعنى كل العناية بتجير الفلاح ووخائه ، وكان رئيسا للجمعية الزراعية مدة من الزمن .

(٩) الآلاء : النعم . والمقل : العاجز فى الكلام .

عُنِيتَ بحالَة الفَلّاح حتّى تَهَيَّبَ أنْ يَزُورَ الأَرْضَ مَحْلُ[١]
وكيفَ يَزُورُ أَرْضًا سِرْتُ فيها وأَنتَ الغَيْثُ لَمْ يُمْسِكْه بُخْلُ
وكَمْ أَحْيَيْتَ مِنْ أَرْضٍ مَوَاتٍ فأَضْحَتْ تُسْتَرَاد وتُسْتَغَلُّ[٢]
وأَخْصَبَ أَهْلُهَا مِن بَعْدِ جَدْبٍ وفاض عليهِمُ رَغَدٌ ونَفْلُ[٣]
وكَمْ أَسْعَفْتَ فى مِصْرٍ جريحًا عليه المَوْتُ مِنْ كَثَبٍ يُطِلُّ[٤]
وكنتَ لكلِّ مِسْكينٍ وقاءً وأَهْلًا حِينَ لَمْ تَنْفَعْه أَهْلُ[٥]
وكنتَ فَتًى بعَهْدِ أَبِيكَ نَدْبًا له رأْىٌ يُسَدِّدُه وفِعْلُ[٦]
لِكلِّ عَظِيمةٍ تُدْعَى فتُبْلِى بلاءَ مُجَرِّبٍ يَحْدُوهُ عَقْلُ
تَوَلَّيْتَ الأُمور فَتًى وكَهْلًا فلَمْ يَبْلُغْ مَداكَ فَتًى وكَهْلُ[٧]
وجَرَّبْتَ الحَوادِثَ مِنْ قَدِيمٍ ومِثْلُكَ مَنْ يُجَرِّبُها ويَبْلُو[٨]
وكنتَ لمَجْلِسِ الشُّورَى حَيَاةً ونِبْراسًا اذا ما القَومُ ضَلُّوا[٩]
فلَمْ يُلْمِمْ بساحَتِه جُحُودٌ ولم يَجْلِسْ به عُضْوٌ أَشَلُّ[١٠]
وما غادَرْتَه حتّى أَفَاقُوا ومِن أَمْراضِ عَيْشِهِمُ أَبَلُّوا[١١]

---

(١) المحل : الجدب .
(٢) استراد المكان : طلبه وتخيره للنزول فيه .
(٣) النفل : زيادة الخير .
(٤) من كثب : أى من قرب .
(٥) الوقاء : الحفظ .
(٦) الندب : هو من إذا ندب لحاجة أسرع فى قضائها ، والسريع إلى الفضائل .
(٧) يشير بقوله : " توليت الأمور فتى وكهلا " ، إلى المناصب التى تولاها فى عهد أبيه إسماعيل وأخيه توفيق وابن أخيه عباس الثانى .
(٨) يبلو : يختبر .
(٩) النبراس : المصباح .
(١٠) ألم بالمكان : زاره زيارة غير طويلة .
(١١) أبل المريض : شفى .

فعِش للنِّيلِ سُلْطانًا أَبِيًّا ... له فى مُلْكِه عَقْدٌ وحَلُّ
وقُلْ للقَوْمَ إنَّهُمُ كِرامٌ ... مَيامِينُ النَّقِيبةِ أيْنَ حَلُّوا[1]
لهمْ مُلْكٌ على التّامِيزِ أَضْحَتْ ... ذُراهُ على المَعالِى تَسْتَهِلُّ[2]
وليس كقَوْمِهِمْ فى الغَرْبِ قَوْمٌ ... مِنَ الأخْلاقِ قد نَهِلُوا وعَلُّوا[3]
فان صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وُدًّا ... وليس لهم اذا فَتَّشْتَ مِثْلُ
وإنْ شاوَرْتَهُمْ والأمْرُ جِدٌّ ... ظَفِرْتَ لهم برأْيٍ لا يَزِلُّ[4]
وإنْ نادَيْتَهُمْ لَبّاكَ مِنْهُمْ ... أَساطِيلٌ وأَسْيافٌ تُسَلُّ
فهادِهُمْ حِبالَ الوُدِّ وانهَضْ ... بِنا فقِيادُنا للخَيْرِ سَهْلُ[5]
وخَفِّفْ مِنْ مُصابِ الشرقِ فِينا ... فنحنُ على رِجالِ الغَرْبِ ثِقْلُ[6]
اذا نَزَلَتْ هُناكَ بهِمْ خُطُوبٌ ... أَلَمَّ بنا هُنا قَلَقٌ وشُغْلُ
حَيارَى لا يَقَرُّ لنا قَرارٌ ... تُنازِلُنا الخُطوبُ ونحنُ عُزْلُ[7]
فأهْلًا بالدَّلِيلِ الى المَعالى ... أَلا سِرْيا (حُسَيْنُ) ونحن نَتْلُو
وأَسْعِدْنا بعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ ... به أيّامُنا تَصْفُو وتَحْلُو
فأمرُكَ طاعَةٌ ورِضاكَ غُنْمٌ ... وسَيْفُكَ قاطِعٌ ونَداكَ جَزْلُ[8]

---

(١) يريد بالقوم : الانجليز . وميمون النقيبة : محمود المخبر .

(٢) التاميز : نهر بانجلترا معروف . والذرا : المرتفعات . الواحدة ذروة . وتستهل : تظهر .

(٣) النهل (بالتحريك) : الشرب الاول . والعلل (بالتحريك أيضا) : الشرب الثانى . يريد أنه ليس فى أمم أوربة أمة مثل الانجليز قد ارتوت منهل الأخلاق .

(٤) يزل : يخطئ .

(٥) يقال : تمادا حبال الود : إذا تواذا .

(٦) يريد بالشطر الثانى من هذا البيت أن تأخرنا عن الغربيين جعلنا حملا ثقيلا على كواهلهم .

(٧) العزل : الذين لا صلاح لهم ، أعزل .

(٨) الجزل : الكثير .

إلى الطبيبة (لونا)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رُزِقها صديقُه محمد بك بدر وكانت (لونا) هى المولّدة

[نشرت فى ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م]

(لُونَا) شُهْرَةٌ فى الطِّبِّ تاهَتْ ... بها مِصْرٌ وتاهَ بها مَدِيحِى
ومنْ عَجَبٍ تَدِينُ بدِينِ (مُوسَى) ... وتَأتِينَا بمُعْجِزَةِ المَسِيحِ[1]

ذكرى شكسبير[2]

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمى بانجلترا الذى أقام احتفالا بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته

[نشرت فى ١ مارس سنة ١٩١٦ م]

يُحَيِّيكَ منْ أَرْضِ الكِنانَةِ شاعِرٌ ... (شَغُوفٌ) بقَوْلِ العَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمُ
ويُطْرِبُه فى يَوْمِ ذِكْراكَ أنْ مَشَتْ ... اليكَ مُلُوكُ القَوْلِ عُرْبٌ وأَعْجَمُ[3]
نَظَرْتَ بعَيْنِ الغَيْبِ فى كلِّ أُمَّةٍ ... وفى كلِّ عَصْرٍ ثم أنْشَأْتَ تَحْكُمُ

(١) يريد تشبيه هذه الطبيبة فى طبها بنبى الله عيسى عليه السلام ، إذ كانت معجزته إحياء الموتى .

(٢) وليم شكسبير ، هو الشاعر الانجليزى المعروف ، ولد سنة ١٥٦٤ م ، وكانت وفاته سنة ١٦١٦ م .

(٣) الأعجم : وصف يطلق على الجمع كما هنا ، وعلى المفرد ، يقال : رجل أعجم ، وقوم أعجم .

فَلم تُخْطِئ المَرْمَى ولا غَرْوَ أَنْ دَنَتْ ... لَكَ الغَايَةُ القُصْوَى فإنّك مُلْهَمُ[١]

افِقْ ساعةً وانظُرْ إلى الخَلْقِ نَظْرَةً ... تَجِدْهُمْ — وإنْ راقَ الطِّلاءُ — هُمُ هُمُ[٢]

على ظَهْرِها مِنْ شَرِّ أَطْماعِهِمْ دَمٌ ... وفَوْقَ عُبابِ البَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمُ[٣]

تَفانَوْا على دُنْيا تَغُرُّ وباطِلٍ ... يَزُولُ الى أنْ ضَجَّتِ الأَرْضُ مِنْهُمُ

فَلَيْتَكَ تَحْيا يا أبا الشِّعْرِ ساعَةً ... لتَنْظُرَ ما يُصْمِي ويُدْمِي ويُؤْلِمُ[٤]

وقائِعَ حَرْبٍ أَجَّجَ العِلْمُ نارَها ... فكادَ بها عَهْدُ الحَضارةِ يُخْتَمُ[٥]

وتَعْلَمَ أنّ الطَّبْعَ لا زال غالِبًا ... سَواء جَهُولَ القَوْمِ والمُتَعَلِّمُ

فما بَلَغَت مِنْه الحَضارةُ مَأْرَبًا ... ولا نال منه العِلْمُ ما كان يَزْعُمُ[٦]

أَهَبْتَ بهذا مِنْ قُرُونٍ ثَلاثَةٍ ... وكُنْتَ على تِلْكَ الطَّبائِعِ تَنْقِمُ[٧]

وما هَدَمَ التَّجريبُ رَأْيًا بَنَيْتَهُ ... ولا زالت الآراءُ تُبْنَى وتُهْدَمُ

ألا إنّ ذِكْرَى شِكْسِبِيرَ بَدَتْ لنا ... بَشِيرَ السلامِ ثَغْرُهُ يَتَبَسَّمُ

فلو أَنْصَفُوا أَبْطَالَهُمْ لتَهادَنُوا ... قليلا وحَيَّوْا شِعْرَه وتَرَنَّمُوا[٨]

ولَمْ يُطْلِقُوا فى يَوْمِ ذِكْرَاهُ مِدْفَعًا ... ولَمْ يُزْهِقُوا نَفْسًا ولَمْ يَتَقَحَّمُوا[٩]

له قَلَمٌ ماضِى الشَّباةِ كأنّما ... أقامَ بِشِقَّيْهِ القَضاءُ المُحَتَّمُ[١٠]

---

(١) القصوى : البعيدة .
(٢) راقنى طلاؤه : أعجبنى ظاهره .
(٣) ظهرها : أى ظهر الأرض .
(٤) أصماه السهم : قتله .
(٥) أجج العلم نارها : أى أشعلها العلم بمخترعاته المهلكة .
(٦) منه : أى من الطبع .
(٧) أهبت : دعوت .
(٨) تهادنوا قليلا : أى كفوا عن الحرب . يشير إلى ما كان إذ ذاك من توقد نار الحرب العظمى .
(٩) تقحم الحرب واقتحمها : دخل فيها وخالطها .
(١٠) شباة القلم : سنه .

طَهُورٌ اذا مادُنِّسَتْ كفُّ كاتِبٍ وَثُوبٌ اذا ما قَرَّ فى الطِّرْسِ مِرْقَمُ[١]

وَلُوعٌ بتَصْويرِ الطِّباعِ فلَمْ يَجُزْ بعاطِفَةٍ إلّا حَسِبْناه يَرْسُمُ

أَرانِىَ فِى (ماكْبِيثَ) للحِقْدِ صُورَةً تَكادُ بها أَحْشاؤُه تَتَضَرَّمُ[٢]

ومَثَّلَ فى (شَيْلُوكَ) للبُخْلِ سِحْنَةً عليها غُبارُ الهُونِ والوَجْهُ أَقْتَمُ[٣]

وأَقْعَدَنِى عن وَصْفِ (هَمْلِيتَ) حُسْنُها وفى مِثْلِها تَعْيَا اليَراعَةُ والفَمُ

دَعِ السِّحْرَ فى (رُمْيُو) و(جُولِييتَ) إنّما يُحِسُّ بِما فيها الأديبُ المُتَيَّمُ

أتاهُمْ بشِعْرٍ عَبْقَرِىٍّ كأنّه سُطُورٌ مِنَ الإنْجِيلِ تُتْلى وتُكْرَمُ

نَدِىٍّ على الأيامِ يَزْدادُ نَضْرَةً ويَزْدادُ فيها جِدَّةً وهو يَقْدُمُ[٤]

يُؤَتِّى إلى قُرّائِه أنَّ نَسْجَه لِيَوْمٍ وأَنَّ الحائِكَ اليومَ فِيهِمُ[٥]

كتِلْكَ النُّقُوشِ الزّاهِياتِ بمَعْبَدٍ لِفِرْعَوْنَ لا زالت على الدَّهْرِ تَسْلَمُ

فلَمْ يَدْنُ مِنْ إحْسانِه مُتَأَخِّرٌ ولَمْ يَجْرِ فى مَيْدانِه مُتَقَدِّمُ

أَطَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَماءِ خَيالِه وحَلَّقَ حَيْثُ الوَهْمُ لا يَتَجَشَّمُ[٦]

وجاءَ بما فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَقْعُه فأَكْبَرَ قَوْمٌ ما أَتاهُ وأَعْظَمُوا

---

(١) المرقم : القلم .

(٢) يشير بهذا البيت إلى قصيدة شكسبير فى خنجر ماكبيث التى ترجمها حافظ ونشرت فى هذا الديوان .

(٣) الهون : الذل . والأقتم : العابس المتجهم .

(٤) يريد « بالندى » تشبيه شعره بالزهر المبتل بالندى ؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى (الندى) بتخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديدها .

(٥) يقول إن شعره لجدّة معانيه ومسايرتها لكل عصر يخيل لقرّائه أنه قد قيل فى هذا العهد الذى قرءوه فيه ، وأن قائله لا يزال حيا بينهم .

(٦) لا يتجشم : أى لا يتكلف .

وقالوا تَحَدّانا بما يُعْجِزُ النُّهَى ... فَلَسْنا إذَن آثارَه نَتَرَسَّمُ[1]

ولَمْ يَتَحَدَّ النـاسَ لكنَّه امْرُؤٌ ... بما كانَ فى مَقْدُورِه يَتَكَلَّمُ

لقد جَهِلُوه حِقْبَةً ثم رَدَّهُمْ ... اليه الهُدى فاستَغْفَرُوا وتَرَحَّمُوا[2]

كذاكَ رِجالُ الشَّرْقِ لو يُنْصِفُونَهُمْ ... لَقامَ لهم فى الشَّرْقِ والغَرْبِ مَوْسِمُ

أَضاءَ بهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ ... وأعقابُهُمْ عَنْ نُورِ آياتِهِمْ عَمُوا

فقُلْ لِبَنِى التّامِيزِ والجَمْعُ حافِلٌ ... به يُنْثَرُ الدُّرُّ الثَّمِينُ ويُنْظَمُ

لئن كان فى ضَخْمِ الأساطِيلِ فَخْرُكُمْ ... لَفَخْرُكُمْ بالشاعِرِ الفَرْدِ أَعْظَمُ

إلى عظمة السلطان حسين كامل[3]

ألقاها بين يديه فى أثناء زيارته لمدينة طنطا فى السرادق الذى أقيم له هناك

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩١٦ م]

فى ساحَةِ (البَدَوِىِّ) حَلَّتْ ساحَةٌ ... عِزُّ البِلادِ بِعِزِّها مَوْصُولُ[4]

وأَتَى (الحُسَيْنُ) يَزُورُ قُطْبَ زَمانِهِ ... يَرْعَى ويَحْرُسُ رَكْبَهُ (جِبْرِيلُ)

زادَتْ مَوَاسِمُنا (بطَنْطَا) مَوْسِمًا ... لَمَلِيكِهِ التَّقْدِيسُ والتَّبْجِيلُ

---

(١) تحدّانا : بارانا ونازعنا الغلبة . وترسم آثاره : اقتدى بها وسار عليها .

(٢) الحقبة : المدة من الدهر .

(٣) أنظر التعريف بالمغفور له السلطان حسين كامل فى الحاشية رقم ٥ ص ٦٢ من هذا الجزء .

(٤) يريد «بالبدوى» : السيد أحمد البدوى المعروف ضريحه ومسجده بطنطا . ويريد بالساحة الثانية : ساحة السلطان

بالسـاحَتَيْنِ لـكلِّ راجٍ مَوْئِلٌ ولكلِّ عافٍ مَرْبَعٌ ومَقِيـلُ[١]

قُلْ للفقير إذا سألْتَ فلا تَخَفْ رَدًّا فما فى السَّاحَتَيْن بَخِيـلُ

بَرَكاتُ هٰذى لا يَغِيضُ مَعِينُهـا نَفَحاتُ تِلْكَ كثيرُهـا مَأْمُـولُ[٢]

قد أخْصَبَ الإقليمُ حينَ حَلَلْتَه والغَيْثُ لا يَبْـقَى عَلَيْه مُحُـولُ[٣]

وبَدا يَمُوجُ بسَـاكِنيه وعطْفُه قد كادَ مِنْ طَرَبِ اللِّقـاءِ يَمِيـلُ[٤]

ذَكَرُوا بمَقْدَمِكَ المُبـارك مَوْنِفًـا فـد قامَ فيه أبُوكَ (إسْمـاعِيلُ)

فِى مِثْلِ هٰـذا اليوْمِ خَلَّدَ ذِكْرَه أَثَرٌ له بَيْنَ العِبـادِ جَلِيـلُ

نَثَرَ السُّـعُودَ على الوُفُودِ وحَوْلَه يَتَجَـاوَبُ التَّـكْبِيرُ والتَّهْلِيـلُ

دامَتْ مآثِرُه ومَنْ يَكُ صُـنْعُه كأَبِيـكَ اسْماعيلَ كَيْفَ يَزُولُ ؟

فاهْنَأ بمُلْكِكَ يا (حُسَيْنُ) فعهْدُه عَهْدٌ بتَحْقِيـقِ الرَّجاءِ كَفِيلُ

وانْهَضْ بشَعْبِكَ فى الشُّعُوبِ فإنَّما لكَ بَعْـدَ رَبِّكَ أَمْرُهُ مَوْكُولُ

ولِيَهْنِ البَـدَوِىَّ أن صَـدِيقَه عَنْ وُدِّه المَعْـهُود ليس يَحُـولُ

قد جاءَه يَسْـعَى اليـه وحَوْلَه أَعْلَى وأَكْرَمُ مَنْ سَقَـاهُ النِّيـلُ[٥]

---

(١) المعافى : طالب المعرف . والمربع : المكان يقام فيه وقت الربيع . والمقيل : موضع الراحة نصف النهار .

(٢) « هذى » : إشارة إلى ساحة البدوى . ولا يغيض معينها : أى لا يقل ولا ينقص مورِدها . والمعين فى الأصل : الماء الجارى . « وتلك » : إشارة إلى ساحة السلطان .

(٣) المحول : الجدب .

(٤) يموج : يضطرب . والعطف : الجانب .

(٥) يريد « بالأعلى » و « الأكرم » : من كان فى ركب السلطان .

عمر بن الخطاب[١]

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز
مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨م

حَسْبُ القَوافِى وحَسْبِى حينَ أُلْقِيها ... أَنِّى إلى ساحَةِ (الفَارُوقِ) أُهْدِيها[٢]
لاهُمَّ ! هَبْ لى بَياناً أَسْتَعِينُ به ... على قَضَاءِ حُقُوقٍ نامَ قاضِيها[٣]
قد نازَعَتْنِى نَفْسِى أَنْ أُوَفِّيَهَا ... وليسَ فى طَوْقِ مِثْلِى أنْ يُوَفِّيها[٤]
فُرَ سَرِىَّ المَعَانِى أنْ يُواتِيَنِى ... فيها فإِنِّى ضَعِيفُ الحَالِ واهِيها[٥]

(مقتل عمر)

مَوْلَى المُغِيرةِ ! لا جادَتْكَ غادِيَةٌ ... مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ما جادَتْ غَوادِيها[٦]
مَزَّقْتَ منه أَدِيمًا حَشْوُهُ هِمَمٌ ... فى ذِمَّةِ اللهِ عالِيها وماضِيها[٧]

---

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للاسلام وأهله، ثم أسلم رضى الله عنه بعد ست سنين من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها؛ ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى فى حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة؛ ولما أحس أبو بكر بدنو أجله استخلف عمر. وتاريخ عمر حافل بالأمور الجسام؛ وقتل رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليالى بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ

(٢) الفاروق: اسم لعمر بن الخطاب، سماه به رسوم الله صلى الله عليه وسلم، لأنه فرق بين الحق والباطل.

(٣) لاهم: أى اللهم.

(٤) الطوق: الجهد والطاقة.

(٥) سرى المعانى: شريفها ورفيعها. ويواتينى: يطيعنى ويمدنى.

(٦) مولى المغيرة: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الأصل، وكان قد شكا إلى عمر إرتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة، ورجاه فى تخفيفه، فلم يجبه إلى ماطلب، فأسرها فى نفسه، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصلى. ويقال: إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبى لؤلؤة عليه، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض. والغادية السحابة تنشأ غدوة والجمع الغداوى. وجادتك: أمطرتك؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه.

(٧) الأديم: الجلد. وقوله: «عاليها وماضيها» يصف همة عمر بالرفعة والمضاء.

طَعَنْتَ خاصِرَةَ (الفارُوقِ) مُنْتَقِمًا ... مِنَ الحَنِيفَةِ فى أَعْلَى مَجالِيها[١]

فأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الإسْلامِ حائِرَةً ... تَشْكُو الوَجِيعَةَ لمّا ماتَ آسِيها[٢]

مَضَى وخَلَّفَها كالطَّوْدِ راسِخَةً ... وَزَانَ بالعَدْلِ والتَّقْوَى مَغانِيها[٣]

تَنْبُو المَعاوِلُ عنها وهى قائِمَةٌ ... والهادِمُون كثيرٌ فى نواحِيها[٤]

حَتَّى إذا ما تَوَلَّاها مُهَدِّمُها ... صاحَ الزَّوالُ بها فاندَكَّ عالِيها

واهًا على دَوْلَةٍ ! بالأَمْسِ قد مَلأَتْ ... جَوانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيادِيها[٥]

كم ظَلَّلَتْها وحاطَتْها بأَجْنِحَةٍ ... عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قد كانت تُوارِيها[٦]

مِن العِناية قد رِيشت قوادمها ... ومِن صَمِيمِ التُّقى رِيشت خوافِيها[٧]

واللهِ ما غالَها قِدْمًا وَكادَ لها ... واجْتَثَّ دَوْحَتَها إلَّا مَوالِيها[٨]

لو أَنَّها فى صَمِيمِ العُرْبِ قد بَقِيَتْ ... لمَا نَعاها على الأَيَّامِ ناعِيها

يالَيْتَهُمْ سَمِعُوا ما قاله (عُمَرٌ) ... والرُّوحُ قد بَلَغَتْ منه تَراقِيها[٩]

لاتُكْثِرُوا مِنْ مَوالِيكُم فإنّ لهمْ ... مَطامِعًا بَسَماتُ الضَّعْفِ تُخْفِيها

---

(١) الخاصرة الخصر . وفى أعلى مجاليها : أى فى أوضح مظاهرها .

(٢) الآسى : الطبيب . (٣) الطود : الجبل العظيم . والمغانى : المنازل ، الواحد مغنى

(٤) تنبو : تكل وترتد . (٥) الأيادى : النعم .

(٦) كم ظللتها ، أى هذه الدولة ظللت جوانب الشرق .

(٧) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش . الواحدة قادمة . والخوافى : صغار الريش ، وهى تحت القوادم .

(٨) غالها : اغتالها وأهلكها . واجتث : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، والجمع دوح . ويد « بالموالى » : غير العرب . ويشير بهذا البيت إلى نكبة الدول الاسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا فى إسقاط الدولة الدموية و إضعاف الدولة العباسية حتى سقطت .

(٩) يقال بلغت روحه التراقى ، إذا شارف الموت . والتراقى : أعالى الصدر حيث يترقى النفس .

(إســـلام عمـــر)

رأيتَ فى الدِّين آراءً مُوَفَّقَـــةً ... فَأَنْزَلَ اللهُ قُـــرآنًا يُزَكِّيهـا (١)

وكنتَ أوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بصُحْبَتِـه ... عَيْنُ الحَنِيفَـةِ وٱجتازَتْ أَمانِيهـا

قد كنتَ أَعْدَى أعاديها فصِرْتَ لها ... بِنِعْمَةِ اللهِ حِصْنًا مِن أَعادِيهـا (٢)

خَرَجْتَ تَبْغِى أذاهَا فى (مُحَمَّدِها) ... ولِلحَنِيفَـةِ جَبّارٌ يُـوالِيهـا (٣)

فـلَمْ تَكَدْ تَسْمَعُ الآياتِ بالِغَـةً ... حتى ٱنْكَفَأْتَ تُناوِى مَنْ يُناوِيها (٤)

سَمِعْتَ (سُورَةَ طَه) مِنْ مُرَتِّلِها ... فَزَلْزَلَتْ نِيَّـةً قد كنتَ تَنْوِيهـا (٥)

وقُلْتَ فيهـا مَقالاً لا يُطـاوِلُه ... قَوْلُ المُحِبِّ الذى قد بات يُطْرِيها (٦)

ويومَ أَسْلَمْتَ عَزَّ ٱلحَقُّ وٱرتَفَعَتْ ... عن كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقالٌ يُعانِيهـا (٧)

---

(١) يزكيها : يعززها ويؤيدها . ويشير بهذا البيت إلى ما كان من عمر — رضى الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأى فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم فى الخمر لما قال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » . ومنها آية الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ؛ فقال : « اللهم حرم الدخول فنزلت آية الاستئذان الخ .

(٢) يشير الشاعر بهذا البيت إلى ما عرف عن عمر من شدته على النبى والمسلمين قبل إسلامه ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الاسلام بدخوله فيه .

(٣) يواليها : يناصرها ، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده إلى السبب فى إسلام عمر ، وذلك أنه خرج فى يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبى صلى الله عليه وسلم فلقيه نعيم بن عبد الله وأخبره باسلام أخته وزوجها سعيد ابن زيد ؛ وغيره ذلك ، فرجع عمر إليهما غاضبا . وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئهما إياها ؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختفى خباب ، ودخل عمر ، فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه إلى الاسلام ، فقصد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .

(٤) انكفأ : رجع . وتناوى : تناوئ ، تعادى .

(٥) يريد « بالنية » : النية التى كان ينويها عمر قبل إسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) لا يطاوله : لا يغالبه . وأطراه يطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ فى مدحه .

(٧) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

وَصاحَ فيه (بِلَالٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ ... لها ٱلقُلوبُ ولَبَّتْ أَمْرَ بَارِيها (١)
فأنتَ فى زَمَنِ (المُخْتارِ) مُنْجِدُها ... وأنتَ فى زَمَنِ (الصِّدِّيقِ) مُنْجيها (٢)
كم ٱستراكَ رَسُولُ اللهِ مُغْتَبِطاً ... بِحِكْمَةٍ لكَ عند الرَّأْيِ يُلْفيها (٣)

(عمر وبيعة أبى بكر)

ومَوْقِفٍ لكَ بَعْدَ (المُصْطَفَى) ٱفْتَرَقَتْ ... فيه الصحابةُ لمّا غابَ هاديها (٤)
بايَعْتَ فيه (أبا بَكْرٍ) فبايَعَه ... على الخِلافَةِ قاصِيها ودانِيها
وأطْفَئْتَ فِتْنَةً لولاكَ لاستَعَرَتْ ... بين القَبائِلِ وٱنسابَتْ أَفاعِيها (٥)
باتَ النبيُّ مُسَجًّى فى حَظِيرَتِه ... وأنتَ مُسْتَعِرُ الأَحْشَاءِ داميها (٦)
تَهِيمُ بين عَجِيجِ النّاسِ فى دَهَشٍ ... مِنْ نَبْأَةٍ قد سَرَى فى الأَرضِ سارِيها (٧)
تَصِيحُ مَنْ قال نَفْسُ المصطفى قُبِضَتْ ... عَلَوْتُ هامَتَه بالسَّيْفِ أُبْرِيها (٨)

---

(١) بلال : هو إبن رباح ، وكان مولى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، اشتراه ثم اعتقه ، وكان له خازنا ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى إظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، وجهر بلال بالأذان .

(٢) يريد بالصديق : أبا بكر أول الخلفاء الراشدين . ويشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى الخلاف الذى سبق مبايعة أبى بكر ، وحسمه عمر يوم السقيفة ، ومناصرته لأبى بكر مدة خلافته ، وسيشير الشاعر إلى ذلك بعد .

(٣) استراك : أجلها استرءاك ، أى طلب رأيك .

(٤) يشير إلى اختلاف المسلمين فى يوم السقيفة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة فى اختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها بلمه شعثهم وإسراعه إلى مبايعة أبى بكر بالخلافة .

(٥) استعرت : اتقدت . (٦) مسجى الميت : مد عليه ثوبه وغطاه به .

(٧) هام يهيم : ذهب على وجهه لايدرى أين يذهب . والعجيج : الصياح ورفع الصوت . والنبأة : الصوت الخفى ، ويريد نبأ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والأبيات الخمسة بعده إلى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى إن عمر وقف بينهم يهددهم بقطع رأس كل من يقول : "مات محمد" حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ، فعادوا إلى صوابهم .

(٨) الهامة : الرأس

أَنْسَاكَ حُبُّكَ طه أنّه بَشَرٌ ... يُجْرِى عليه شُؤونَ الكَوْنِ مُجْرِيها
وأنّهُ وارِدٌ لا بدّ مَوْرِدَهُ ... مِنْ المَنِيَّةِ لا يُعْفيه ساقِيها
نَسِيتَ فى حَقِّ طه آيةً نَزَلَتْ ... وقد يُذَكَّر بالآياتِ ناسِيها
ذَهِلْتَ يوما فكانت فِتْنَةٌ عَمَمٌ ... وَثَابَ رُشْدُكَ فانجابَتْ دَياجِيها[1]
فالسقيفةِ يومٌ أنتَ صاحِبُه ... فيه الخِلافةُ قد شِيدَتْ أَواسِيها[2]
مَدَّتْ لها (الأَوْسُ) كَفًّا كَيْ تَناوَلَها ... فمَدَّت (الخَزْرَجُ) الأَيْدى تُباريها[3]
وظَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ أنّ صاحِبَهُمْ ... أَوْلَى بها وَأَتَى الشَّحْنَاءَ آتِيها[4]
حتّى ٱنبَرَيْتَ لهمْ فٱرتدّ طامِعُهُمْ ... عنها وأَخّى (أَبو بَكْرٍ) أَواخِيها[5]

عمر وعلىّ

وقَوْلَةٍ (لعَلِيٍّ) قالها (عُمَرُ) ... أَكْرِمْ بسامِعِها أَعْظِمْ بمُلْقِيها[6]
حَرَقْتُ دارَكَ لا أُبْقِى عليكَ بها ... إنْ لم تُبايِعْ وبِنْتُ المصطفَى فيها
ما كان غيرُ (أبى حَفْصٍ) يَفُوهُ بها ... أَمامَ فارِسِ (عَدْنانٍ) وحامِيها
كِلاهُمَا فى سَبِيلِ الحَقِّ عَزْمَتُه ... لا تَنْثَنِى أو يكونَ الحَقُّ ثانِيها
فاذْكُرْهُمَا وتَرَحَّمْ كُلَّما ذَكَرُوا ... أَعاظِمًا أُلْهِمُوا فى الكَوْنِ تَأْلِيها

---

(١) عمم : عامة . وانجابت : انقشعت وزالت . والدياجى : الظلمات .

(٢) الأواسى : جمع آسية ، وهى العمود .

(٣) الضمير فى "لها" و"تناولها" للخلافة . والأوس ، والخزرج : قبيلتا الأنصار . وتباريها : تنازعها الغلبة على الخلافة .

(٤) صاحبهم : أى الذى نصبوه للخلافة منهم .

(٥) أخى أو أخيها : أى مكن لها ووثق صلاتها وقواها . والأواخى : العرا . الواحدة : آخية .

(٦) يشير بهذه الأبيات إلى امتناع على عن البيعة لأبى بكر يوم السقيفة ، وتهديد عمر إياه بتحريق بيته إذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

عمر وجبلة بن الأيهم

كَمْ خِفْتَ فى اللهِ مَضْعُوفًا دَعَاكَ بِهِ ... وَكَمْ أَخَفْتَ قَوِيًّا يَنْثَنِى تِيهَا[1]

وفى حَدِيثِ فَتَى غَسَّانَ مَوْعِظَةٌ ... لِكُلِّ ذِى نَعْرَةٍ يأبَى تَنَاسِيهَا[2]

فَالقَوِىُّ قَوِيًّا رَغْمَ عِزَّتِهِ ... عِنْدَ الخُصُومَةِ (والفَارُوقُ) قَاضِيهَا

وما الضَّعِيفُ ضَعِيفًا بَعْدَ حُجَّتِهِ ... وإنْ تَخَاصَمَ وَالِيهَا وَرَاعِيهَا

(عمر وأبو سفيان)

وما أَقَلْتَ (أَبَا سُفْيَانَ) حِينَ طَوَى ... عَنْكَ الهَدِيَّةَ مُعْتَزًّا بِمُهْدِيهَا[3]

لَمْ يُغْنِ عنه وقد حَاسَبْتَهُ حَسَبٌ ... ولا (مُعَاوِيَةٌ) بالشَّامِ يَجْبِيهَا

قَيَّدْتَ منه جَلِيلًا شَابَ مَفْرِقُهُ ... فى عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزٍّ يُدَانِيهَا[4]

---

(١) المضعوف : أى الضعيف . والقياس مضعف ، كقولهم : أسعده الله فهو مسعود ، والقياس مسعد (بفتح العين) . وبه ، أى بالله . وتيها : كبرا .

(٢) فتى غسان : وهو جبلة بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام ، كان قد اعتنق الاسلام ، وبينما هو يوما يطوف إذ وطىء أعرابى ثوبه ، فلطمه جبلة لطمة هشمت أنفه ، فشكاه الأعرابى إلى عمر ، فأمر أن يقتص منه ، وأبى جبلة ذلك ، وهرب ، والتجأ إلى القسطنطينية ، وتنصر . والنعرة (بتحريك العين) — وسكنت هنا للضرورة : الخيلاء والكبر .

(٣) وما أقلت أبا سفيان : أى ما تركته ولا تغاضيت عنه . وبمهديها ، أى معاوية ، ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن معاوية — وهو على الشام — بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدهم وكتب إلى أبيه أبى سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر ، فخرج الرسول حتى قدم على أبى سفيان بالمال والأدهم ، فذهب أبو سفيان بالأدهم ، والكتاب إلى عمر ، واحتبس المال لنفسه ، فلما قرأ عمر الكتاب قال : فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دين ومعونة ، ولنا فى بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئا قاضيتنا به ، فقال عمر : أطرحوه فى الأدهم (أى القيد) حتى يأتى المال فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال ، فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم ، فلما قدم الرسول على معاوية قال : أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ؟ قال : نعم ، وطرح فيه أباك ، قال : ولم ؟ قال : جاءه بالأدهم وحبس المال ، قال : أى والله ، والخطاب لو كان لطارحه فيه .

(٤) يريد بقوله : "جليلا" وما بعده من الأوصاف : أبا سفيان . والمفرق : وسط الرأس .

قد نوهوا باسمه فى جاهليته ... وزاده سيد الكونين تنويها[١]
فى فتح مكة كانت داره حرماً ... قد أمن الله بعد البيت غاشيها[٢]
وكل ذلك لم يشفع لدى (عمر) ... فى هفوة (لأبى سفيان) يأتيها
تالله لو فعل (الخطاب) فعلته ... لما ترخص فيها أو يجازيها[٣]
فلا الحسابة فى حق يجاملها ... ولا القرابة فى بطل يحابيها[٤]
وتلك قوة نفس لو أراد بها ... ثم اجبال لما قرت رواسيها[٥]

عمر وخالد بن الوليد[٦]

سل قاهر الفرس والروم هل شفعت ... له الفتوح وهل أغنى توليها[٧]
غزا فأبلى وخيل الله قد عقدت ... باليمن والنصر والبشرى نواصيها[٨]

(١) نوه به : رفع ذكره ومدحه وعظمه .

(٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان يوم فتح مكة من جعل بيته أمنا لمن دخله واعتصم به من المشركين . وقوله : "بعد البيت" أى بعد الكعبة .

(٣) ترخص فى الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل فى عقابه حتى يتجازيه .

(٤) الحسابة : الحسب . والبطل : الباطل .

(٥) الشم : المرتفعة . والرواسى : الثابتة .

(٦) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين فى فتح الشام إتجاه البريد من المدينة ينعى أبا بكر ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى أبى عبيدة بن الجراح ، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ريثما تم النصر للمسلمين ، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق . ويقال : أن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان فى نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتزوج امرأته فى حرب الردة ، وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحبهم له واستهتارهم بين يديه فى جميع حروبه فى العراق والشام ، وذلك لمين طالعه فى الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، فخشى من افتتان الناس به ، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة إلى المسلمين ، وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتم عمر عن خالد ما فى نفسه من جهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : "وما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، فخفت أن تفتتن بالناس" . وبقى خالد إلى آخر حياته مطيعا لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ، وقد أشار الشاعر إلى ذلك .

(٧) قاهر الفرس والروم : خالد بن الوليد .

(٨) النواصى : جمع ناصية وهى مقدم الرأس . والمسموع فى مثل هذه العبارة إدخال الباء على "النواصى" لا على "اليمن" كما هنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "الخيل معقود بنواصيها الخير" فدخولها على اليمن على سبيل القلب والقلب فى اللغة سماعى .

يَرْمِى الأَعادِى بآراءٍ مُسَدَّدَةٍ ... وبالفَوارِسِ قد سالَتْ مَذاكِيها[١]

ما وَاقَعَ الرُّومَ إلّا فَرَّ قَارِحُها ... ولا رَمَى الفُرْسَ إلّا طاشَ راميها[٢]

ولَمْ يَجُزْ بَلْدَةً إلا سَمِعْتَ بها ... اللهُ أكبرُ تَدْوِى فى نَواحِيها[٣]

عِشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحَجَّلَةً ... مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ بَنانُ الفَتْحِ تُحْصِيها[٤]

و (خالِدٌ) فى سَبِيلِ اللهِ مُوقِدُها ... و (خالِدٌ) فى سَبِيلِ اللهِ صَالِيها[٥]

أتاهُ أَمْرُ (أبى حَفْصٍ) فقَبَّلَه ... كما يُقَبِّلُ آىَ اللهِ تالِيها[٦]

وٱستَقْبَلَ العَزْلَ فى إبّانِ سَطْوَتِه ... وَمَجْدُه مُسْتَرِيحُ النَّفْسِ هادِيها

فٱعْجَبْ لسَيِّدِ مَخْزُومٍ وفارِسِها ... يومَ النِّزالِ إذا نادَى مُنادِيها[٧]

يَقُودُه حَبَشِىٌّ فى عِمامَتِه ... ولا تُحَرِّكُ مَخْزُومٌ عَوالِيها[٨]

أَلْقَى القِيادَ إلى الجَرّاحِ مُمْتَثِلا ... وعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَواشِيها[٩]

وٱنضَمَّ للجُنْدِ يَمْشِى تحتَ رايَتِه ... وبالحَياةِ إذا مالَتْ يُفَدِّيها

وما عَرَتْه شُكُوكٌ فى خَلِيفَتِه ... ولا ٱرتَضَى إمْرَةَ الجَرّاحِ تَمْوِيها[١٠]

---

(١) المذاكى : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها . وانسيال المذاكى : كناية عن انتشارها وكثرتها تشبيها بانسيال الماء.

(٢) قارحها : أى القوى المكتمل منهم . (٣) المسموع تدوّى (بتشديد الواو) ، أى يرتفع الصوت بها .

(٤) محجلة : أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها . ومعنى البيت أن خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .

(٥) صالبها : أى يقاسى حرها وشدتها . (٦) أمر أبى حفص : أى أمر عمر بعزله .

(٧) مخزوم : قبيلة خالد .

(٨) يريد "بالحبشى" بلال بن رباح ، وهو الذى نفذ أمر عمر فى خالد بأن يجره بعمامته حين استحيا أبو عبيدة من تنفيذه ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها فى رقبته ، ثم رجعها إلى رأسه ثانية ، وقال : نطيع أمراءنا ونكرم سادتنا . والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمرو الانتصاف لخالد .

(٩) الضمير فى "ألقى" يعود إلى فارس مخزوم خالد بن الوليد . والجراح : هو أبو عبيدة بن الجراح .

(١٠) التمويه : إظهار ما يخالف الباطن .

فخالدٌ كان يَدْرِى أنّ صاحبَه ... قد وَجَّهَ النَّفْسَ نَحوَ اللهِ تَوْجيها[١]

فما يُعالِجُ مِنْ قَوْلٍ ولا عَمَلٍ ... إلّا أرادَ به للنّاسِ تَرْفيها[٢]

لذاكَ أَوْصَى بأَولادٍ له (عُمَراً) ... لمّا دَعاهُ إلى الفِرْدَوْسِ داعيها

وما نَهَى (عُمَرٌ) فى يومِ مَصْرَعِهِ ... نِساءَ مَخْزومَ أَنْ تَبْكى بَواكيها[٣]

وقيل: خالَفْتَ يا (فارُوقُ) صاحِبَنا ... فيه وقد كان أَعْطَى القَوْسَ بارِيها[٤]

فقال: خِفْتُ آفتِتانَ المُسْلِمين به ... وفِتْنَةُ النَّفْسِ أَعيَتْ مَنْ يُداويها

هَبُوه أَخْطَأَ فى تَأْوِيلِ مَقْصِدِه ... وأَنّها سَقْطَةٌ فى عَيْنِ ناعيها[٥]

فلَنْ تَعيبَ حَصيفَ الرأْىِ زَلّتُه ... حتّى يَعيبَ سُيُوفَ الهِنْدِ نابيها[٦]

تاللهِ لَمْ يَتَّبِعْ فى (ابنِ الوَلِيدِ) هَوًى ... ولا شَفَى غُلَّةً فى الصَّدْرِ يَطْوِيها

لَكِنّه قد رَأَى رَأْياً فأَتْبَعَه ... عَزِيمَةً منه لم تُثْلَمْ مَواضيها[٧]

لَمْ يَرْعَ فى طَاعةِ المولَى خُؤُولَتَه ... ولا رَعَى غيرَها فيما يُنافيها[٨]

---

(١) صاحبه: أى عمر بن الخطاب.

(٢) الترفيه: الرغد والنعيم.

(٣) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بنى المغيرة اجتمعن فى دار يبكين على خالد ابن الوليد، فقال: وما علينن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة.

(٤) صاحبنا: يريد أبا بكر، "وفيه": أى فى خالد. وأعطى القوس باريها: أى استعان فى الحرب بمن له معرفة وحذق، وهو مثل يضرب فى تفويض الأمر إلى من يحسنه ويجيده.

(٥) هبوه: أى هبو عمر، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس. وفى عين ناعيها: أى فى عين من يعدّد سقطات عمر وزلاته.

(٦) حصيف الرأى: جيده ومحكمه. و"نابيها" أى ما ينبو من سيوف الهند ويكل ويرتد. يقول: من عرف بالحكمة فى الرأى لا تعيبه زلة، كما لا يحط من قدر سيوف أن الهند تنبو مرة.

(٧) المواضى: السيوف الماضية. و"لم تثلم" أى لم تكسر أشفارها.

(٨) خؤولته: أى خؤولة قبيلة خالد لعمر: فأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم. وفيما ينافيها: أى فى معصية المولى.

وما أصَابَ ٱبنُه والسَّوْطُ يأخُذُه ... لَدَيْه مِنْ رَأْفَةٍ فى الحَدِّ يُبْديها[1]

إن الّذى بَرَأَ (الفاروقَ) نَزَّهَه ... عن النّقائِصِ والأغْراض تَنْزيها[2]

فَذَاكَ خُلْقٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ طِينَتُه ... اللهُ أَوْدَعَ فيها ما يُنَقِّيها

لا الكِبْرُ يَسْكُنُها ، لا الظُّلْمُ يَصْحَبُها ، ... لا الحِقْدُ يَعْرِفُها ، لا الحِرصُ يُغْويها

(عمر وعمرو بن العاص[3])

شاطَرْتَ داهِيَةَ السَّواسِ ثَرْوَتَه ... ولَمْ تَخَفْـــه بمِصْرٍ وهْوَ والِيها[4]

وأنتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فى حَواضِرِها ... ولستَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فى بَوادِيها

لَمْ تُنْبِتِ الأرضُ كابْنِ العاصِ داهِيَةً ... يَرْمِى الخُطوبَ برَأْىٍ ليسَ يُخْطيها

فلَمْ يُرِغْ حِيلَةً فيما أَمَرْتَ به ... وقامَ (عَمْرٌو) الى الأَجْمالِ يُزْجيها[5]

ولَمْ تُقِلْ عامِلًا منهـا وقد كَثُرَتْ ... أَمْوالُه وفَشَا فى الأَرْض فَاشيها[6]

---

(١) يقول : إن ابنه لم ينل منه رأفة وهو يحده فى شرب الخمر ، والسياط تأخذ من جسمه . ويشير بذلك إلى حده ولديه عبد الرحمن فى الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات .

(٢) برأ الفاروق : خلقه

(٣) كان شأن عمر رضى الله عنه مع عماله أن يصادرهم فى أنصاف أموالهم ، لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما هو حق للمسلمين ، فينبغى أن يؤخذ منهم ويرد لبيت المال ، فعل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصدرها . وقد كتب إلى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر فكتب إليه عمرو : إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا . فكتب إليه : إنى قد خبرت من عمالى السوء ما كفى ، وكتابك إلى كتاب من أطلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظنا ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه عليه وأخرج اليه ما يطالبك به ، وأعفه من الغلظة عليك . فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله . وإلى هذه القصة يشير الشاعر .

(٤) داهية السواس : عمرو بن العاص .

(٥) أراغ : طلب . ويزجيها : يسوقها .

(٦) ولم تقل عاملا منها : أى لم تعف أحدا من عمالك من مشاطرة ماله . وفشا : اى انتشر وكثر .

(عمر وولده عبد الله[1])

وما وَفَى ٱبنُكَ (عبدُ اللهِ) أَيْنُقَه ... لمّا ٱطَّلَعْتَ عليها فى مَرَاعِيها[2]

رأيتَها فى حِماهُ وهى سارِحةٌ ... مثلَ القُصور قد ٱهتزت أَعالِيها

فقلتَ : ما كان (عبدُ الله) يُشْبِعُها ... لو لمْ يَكُنْ وَلَدِى أو كان يُرْوِيها

قد ٱستعانَ بِجاهِى فى تجارَتِه ... وباتَ بِاسمِ (أَبِى حَفْصٍ) يُنَمِّيها[3]

رُدُّوا النِّيَاقَ لبَيْتِ المالِ إنّ له ... حَقَّ الزِّيادةِ فيها قَبْل شاريها

وهٰذه خُطَّةٌ لِلهِ واضِعُها ... رَدَّتْ حُقوقاً فأَغْنَتْ مُسْتَمِيحيها[4]

ما الٱشتراكِيّةُ المَنْشُود جانِبُها ... بينَ الوَرَى غَيْرَ مَبْنًى مِنْ مَبانِيها[5]

فإِنْ نكنْ نَحْنُ أَهْلِيها ومَنْبِتَها ... فإِنّهمْ عَرَفُوها قَبْلَ أَهْلِيها[6]

---

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن عمر مر بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها ، فقيل له : عبد الله ، فساقها إلى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفى لها ، وأنه لولا جاهه بين الناس ما قدر على إطعامها .

(٢) الأينق : النياق .

(٣) ينميها : يزيدها .

(٤) أغنت مستميحيها : أى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال .

(٥) المنشود المطلوب . يريد أن المذهب الاشتراكى المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التى سار عليها عمر .

(٦) فإن نكن نحن : أى العرب ، أهل هذه الخطة وفينا نبتت ، فان الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها .

(عمر ونصر بن حجاج)

جَنَى الجَمَالُ على (نَصْرٍ) فغَرَّبَه ... عَنِ المَدِينةِ تَبْكِيه ويَبْكِيها

ولَمْ رَمَتْ قَسَماتُ الحُسْنِ صاحِبَها ... وأَتْعَبَتْ قَصَباتُ السَّبْقِ حاوِيها[1]

وزَهْرَةُ الرَّوْضِ لولا حُسْنُ رَوْنَقِها ... لَمَا اسْتَطالَتْ عليها كفُّ جانِيها

كانت له لِمَّةٌ فَيْنانَةٌ عَجَبٌ ... على جَبِينٍ خَلِيقٍ أنْ يُحَلِّيها[2]

وكان أنَّى مَشَى مالَتْ عَقَائِلُها ... شَوْقاً إليه وكادَ الحُسْنُ يَسْبِيها[3]

هَتَفْنَ تحتَ اللَّيالِي باسْمِه شَغَفًا ... وللحِسانِ تَمَنٍّ فى لَيالِيها

جَزَزْتَ لِمَّتَه لَمَّا أُتِيتَ به ... ففاقَ عاطِلُها فى الحُسْنِ حالِيها[4]

فَصِحْتَ فيه : تَحَوَّلْ عن مَدِينَتِهِمْ ... فإنَّها فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمادِيها

وفِتْنَةُ الحُسْنِ إنْ هَبَّتْ نَوافِجُها ... كفِتْنَةِ الحَرْبِ إنْ هَبَّتْ سَوافِيها[5]

---

(١) قسمات الحسن : مجاليه . وقصبة السبق : ما ينصب فى ميدان السباق ، فمن سبق اقتعلها وأخذها ليعلم أنه السابق .

(٢) اللة (بالكسر) : الشعر المجاور شحمة الأذن ، والجمع لم . وفينانة طويلة حسنة .

(٣) عقائلها : أى عقائل المدينة . وعقائل النساء : كرائمهن ، الواحدة : عقيلة . ويسبيها : يأسرها .

(٤) عاطل اللة : المجرد منها . وحاليها : المتزين بها .

(٥) نوافجها : أى روائحها الطيبة ، جمع نافجة . وسوافى الحرب : أى عواصفها . والأصل فى السوافى : الريح تحمل الغبار . يقول : إن الحسن يفعل فى النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها .

ويرويه بعض الأدباء نقلا عن حافظ " لوالحها " باللام مكان " نوافحها " بالنون ، واللوافح : الرياح الحارة المحرقة ، جمع لافحة ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر .

(عمر ورسول كسرى [١])

وَراعَ صاحبَ (كِسْرَى) أنْ رَأَى عُمَرًا ... بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلًا وهو راعِيها [٢]
وعَهْدُه بمُلُوكِ الفُرْسِ أنّ لها ... سُورًا من الجُنْدِ والأحراسِ يَحْمِيها
رآه مُسْتَغْرِقًا فى نَوْمِه فَرأى ... فيه الجَلالَةَ فى أسْمَى مَعانِيها
فوقَ الثَّرَى تحتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا ... بُرْدَةً كادَ طُولُ العَهْدِ يُبْلِيها [٣]
فهانَ فى عَيْنِه ما كان يُكْبِرُه ... مِنَ الأكاسِرِ والدّنيا بأيْدِيها
وقال قَوْلَةَ حَقٍّ أصْبَحَتْ مَثَلًا ... وأصْبَحَ الجِيلُ بَعْدَ الجِيلِ يَرْوِيها :
أمِنْتَ لَمّا أقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُ ... فنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هانِيها

(عُمَر والشورى [٤])

يا رافِعًا رايةَ الشُّورَى وحارِسَها ... جَزاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عن مُحَيِّيها
لَمْ يُلْهِكَ النَّزْعُ عن تأييدِ دَوْلَتِها ... وللمَنِيَّةِ آلامٌ تُعانِيها [٥]

---

(١) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى إلى قصره ، فعلم أنه لا يمكن قصده ، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب وهناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت ، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه ، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصغر فرد فى رعيته ؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش ، ووقف أمامه خاشعا وقال عبارته المعروفة : عدلت ياعمر وأمنت فنمت .

(٢) عطلا (بالضم) : أى متجردا من مظاهر الأبهة .

(٣) الدوح جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل . واشتمل الرجل بثوبه : تلفف به وأداره على جسده .

(٤) كان عمر ممن يأخذون بالشورى فى أمورهم ، وكان يقول : لا خير فى أمر أبرم من غير شورى . وهو أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة ، فقد سئل عند ما طعن عمن يوصى به بعده ، فقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتمونى فى حفرتى فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة أن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شىء له من الأمر ، وقم على رءوسهم ، فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ، وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس . و إلى هذه القصة يشير الشاعر .

(٥) دولتها : أى دولة الشورى .

لَمْ أُنْسَ أَمْرَكَ لِلْمِقْدادِ يَحْمِلُهُ ... الى الجَماعة انذارا وتَنْبِيها
إنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلاثٍ رأيُها شُعَبًا ... فَجَرِّدِ السَّيْفَ واضرِبْ فى هَوادِيها[1]
فَاعْجَبْ لقوةِ نَفْسٍ ليس يَصْرِفُها ... طَعْمُ المَنِيَّةِ مُرًّا عن مَرامِيها
دَرَى عَمِيدُ بَنِي الشُّورَى بِمَوْضِعِها ... فعاشَ ما عاشَ يَبْنِيها ويُعْلِيها
وما استَبَدَّ برأْيٍ فى حُكومَتِه ... إن الحُكومَةَ تُغْرِى مُسْتَبِدِّيها
رأْىُ الجَماعةِ لا تَشْقى البِلادُ به ... رَغْمَ الخِلاف ورأْىُ الفَرْدِ يُشْقِيها

(مثالٌ من زُهده)

يامَنْ صَدَفْتَ عن الدُّنيا وزِينَتِها ... فلَمْ يَغُرَّكَ مِنْ دُنْياكَ مُغْرِيها[2]
ماذا رأيتَ بباب الشامِ حين رَأَوْا ... أَنْ يُلْبِسوكَ مِن الأَثْوابِ زاهِيها
ويُرْكِبُوكَ على البِرْذَوْنِ تَقْدُمُه ... خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرائِيها[3]
مَشَى فَهَمْلَجَ مُخْتالا براكِبِه ... وفى البَرَاذِينِ ما تُزْهَى بِعالِيها[4]
فَصِحْتَ: يا قومُ، كادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنى ... وداخَلَتْنِى حالٌ لستُ أَدْرِيها
وكادَ يَصْبُو إلى دُنْياكُمُ (عُمَرٌ) ... ويَرْتَضِى بَيْعَ باقِيهِ بفانِيها[5]
رُدُّوا رِكابِى فلا أَبْغِى به بَدَلًا ... رُدُّوا ثِيابِى فحَسْبِى اليومَ بالِيها

---

(١) بعد ثلاث : أى بعد ثلاث ليال . والهوادى : الأعناق .

(٢) صدف : أعرض وصد . (٣) البرذون : ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمر . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما شخص إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى ، فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه ، فهزه ، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال : قبح الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما فركبه ، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس ، ولم يركب قبله ولا بعده برذونا .

(٤) الهملجة : حسن السير فى تبختر . وأزهى (بالبناء للمجهول) : اختال . وعاليها : راكبها .

(٥) يصبو : يميل .

(مِثالٌ مِنْ رَحْمَته[1])

ومَنْ رَآهُ أمامَ القِدْرِ مُنْبَطِحًا ... والنارُ تَأْخُذُ منه وهْوَ يُذْكِيها[2]

وقد تَخَلَّلَ فى أَثْنَاءِ لِحْيَتِهِ ... منها الدُّخانُ وَفُوهُ غابَ فى فِيها[3]

رأَى هُناكَ أميرَ المؤمِنِينَ عَلَى ... حالٍ تَرُوعُ — لَعَمْرُ اللهِ — رائِيها

يَسْتَقْبِلُ النارَ خَوْفَ النار فى غدِهِ ... والعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سالَتْ مَآقِيها[4]

(مثالٌ مِنْ تَقَشُّفِه ووَرَعه)[5]

انْ جاعَ فى شِدَّةٍ قَوْمٌ شَرِكْتَهُمُ ... فى الجُوعِ أو تَنْجَلِى عنهمْ غَواشِيها[6]

جُوعُ الخَلِيفةِ — والدُّنيا بقَبْضَتِه — ... فى الزُّهْدِ مَنْزِلَةٌ سُبْحَانَ مُولِيها

فَمَنْ يُبارِى (أَبا حَفْصٍ) وسِيرَتَه ... أَوْ مَنْ يُحاوِلُ (للفَارُوقِ) تَشْبِيها

يومَ اشتَهَتْ زَوْجُهُ الحَلْوَى فقالَ لها: ... مِنْ أَيْنَ لى ثَمَنُ الحَلْوَى فأَشْرِيها ؟

---

(١) يشير بالأبيات الآتية إلى ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يتعسس بالليل ، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء ، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا ، فحمل اليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق ، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام ، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا .

(٢) انبطح : نام على وجهه ممتدا على الأرض . وأذكى النار : أوقدها .

(٣) فوه غاب فى فيها : أى فمه غاب فى فم النار وهو ينفخها .

(٤) المآقى : جمع مأق ومؤق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع .

(٥) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية إلى حادثتين من تقشف عمر : (الأولى) ما يحكى عنه من أنه كان إذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته ، ويأخذ طعامه ويشترك مع القوم إلى أن تنتهى المجاعة ، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون . (الثانية) ما حكى عنه من أن امرأته اشتهت الحلواء ، فادّخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفى لصنعها ، فلما نمى هذا إلى عمر ردّ ما ادّخرته إلى بيت المال ونقص من نفقتها بقدر ما ادّخرت .

(٦) "أو تنجلى" الخ ، أى حتى تنكشف عنهم غواشيها أى ما يغشاهم ويشملهم من الشدّة والقحط . الواحدة : غاشية .

لا تَمْتَطِى شَهَواتِ النَّفْسِ جامِحَةً ... فكِسْرَةُ الخُبْزِ عَنْ حَلْواكَ تَجْزِيها[١]

وهَلْ يَنِى بَيْتُ مالِ المُسْلِمِين بِما ... تُوحِى اليكَ إذا طاوَعْتَ مُوحِيها

قالت : لكَ اللهُ إنِّى لَسْتُ ارزؤه ... مالًا لحاجَةِ نَفْسٍ كنتُ أبْغِيها[٢]

لَكِنْ أجَنِّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنا ... فِى كلِّ يَوْمٍ على حالٍ أُسَوِّيها[٣]

حتى إذا ما مَلَكْنا ما يُكافِئُها ... شَرَيْتُها ثُمَّ إنِّى لا أُثَنِّيها[٤]

قال : اذهَبِى وأعلَمِى إنْ كنتِ جاهِلَةً ... أنَّ القَناعَةَ تُغْنِى نَفْسَ كاسِيها[٥]

وأقْبَلَتْ بَعْدَ خَمْسٍ وهى حامِلَةٌ ... دُرَيْهِماتٍ لِتَقْضِى مِنْ تَشَهِّيها

فقال : نَبَّهْتِ مِنِّى غافِلًا فَدَعِى ... هٰذى الدَّراهِمَ إذْ لا حَقَّ لى فِيها

وَيْلِى عَلَى عُمَرٍ يَرْضَى بِمُوفِيَةٍ ... على الكَفافِ ويَنْهَى مُسْتَزِيدِيها[٦]

مازادَ (عَنْ) قُوتِنا فالمُسْلِمُون به ... أَوْلَى فقُومِى لِبَيْتِ المالِ رُدِّيها

كذاكَ أخْلاقُه كانتْ وما عُهِدَتْ ... بعد النُّبُوَّةِ أخْلاقٌ تُحاكِيها

(مِثالٌ مِنْ هَيْبَتِه)

فى الجاهِلِيَّةِ والإسْلامِ هَيْبَتُه ... تَنْبِى الخُطُوبَ فلا تَعْدُو عَوادِيها

فى طَىِّ شِدَّتِه أسْرارُ مَرْحَمَةٍ ... للعالَمِينَ ولكنْ ليسَ يُفْشِيها

---

(١) تجزيها : أى تغنى عنها .

(٢) لست أرزؤه مالا : أى لست أصيب من بيت المال شيئا .

(٣) وظيفتنا : أى ما يجرى علينا من بيت المال .

(٤) لا أثنيها : أى لا أعود إلى طلب ذلك مرة ثانية .

(٥) كاسيها : أى المتجمل بها .

(٦) بموفية على الكفاف : أى بما يزيد عن الحاجة من الرزق .

وبَيْنَ جَنْبَيْه فى أَوْفَى صَرامَتِه ... فُـؤادُ والـدةٍ تَرْعَى ذَرارِيها[١]

أَغْنَتْ عن الصَّارِمِ المَصْقُولِ دِرَّتُه ... فكَمْ أَخافَتْ غَوِىَّ النفسِ عاتِيها[٢]

كانت له كعَصَا (مُوسَى) لِصاحِبِها ... لا يَـنْزِلُ البُطْـلُ مُجْتـازًا بِوَادِيهـا[٣]

أَخافَ حتَّى الذَّرارِى فى ملاعِبِها ... ورَاعَ حتَّى الغَـوانِى فى مَلَاهِيها[٤]

أَرَيْتَ تِلْكَ التى لِلّٰهِ قـد نَذَرَتْ ... أُنْشُـودةً لِرَسُولِ اللهِ تُهْدِيهـا ؟[٥]

قالتْ : نَذَرْتُ لئن عادَ النَّبِى لَنَـا ... مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلَى دُفِّى أُغَنِّيهـا

ويَمَّمَت حَضْرَةَ الهادِى وقد مَلَأَتْ ... أَنْوارُ طَلْعَتِـــه أَرْجاءَ نادِيهـا

واسْتأْذَنَتْ ومَشَتْ بالدُّفِّ واندَفَعَتْ ... تُشْجِى بأَلْحانِها ما شاءَ مُشْجِيها[٦]

(والمصطفى) (وأبو بَكْرٍ) بجانِبِـه ... لا يُنكِران عليها مِنْ أَغانِيهـا

حتى إذا لاحَ منْ بُعْدٍ لها (عُمَرٌ) ... خارَتْ قُواهَا وكادَ الخَوْفُ يُرْدِيها[٧]

وخَبَّأَتْ دُفَّهَـا فى ثَوْبِهـا فَـرَقًا ... مِنْهُ ووَدَّتْ لو أَنَّ الأَرْضَ تَطْوِيها[٨]

قد كانَ حِلْمُ رَسُولِ اللهِ يُؤْنِسُهـا ... فجاءَ بَطْشُ (أَبِى حَفْص) يُخَشِّيها[٩]

---

(١) أوفى صرامته : أى فى أقصى شدته .

(٢) الصارم المصقول : السيف المجلو . والدرة : العصا يضرب بها ، ودرة عمر معروفة . والغوى : الضال .

(٣) البطل (بالضم) : الباطل . ويريد بالشطر الثانى أنه لا يضرب بها إلا فى حق .

(٤) الغوانى : النساء غنين بحسبهن وجمالهن عن الزينة . الواحدة : غانية .

(٥) أريت : أى أرأيت ، ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده إلى ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا فنذرت جارية من قريش لئن ردّه الله تعالى أن تضرب بالدف ، وتغنى بين يديه ، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتفى بنذرها ، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكران عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسقط فى يدها واضطربت فرحّب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبسما : " لقد فر شيطانها " حين رأى عمر .

(٦) تشجى : تطرب

(٧) خارت قواها : ضعفت . وأرداه : أهلكه .

(٨) الفرق : الخوف .

(٩) يخشيها : يخوفها .

فقـالَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ مُبْتَسِمًا ... وفى ابتِسامَتِـــه مَعْنًى يُواسِيها
قد فَرَّ شَيْطانُها ، لمّـا رَأَى عُمَرًا ... إن الشياطينَ تَخْشَى بأسَ مُخْزِيها

(مِثـالٌ مِنْ رُجوعِه إلى الحقّ[1])

وفِتْيَـةٍ وَلِعُوا بالرَّاحِ فانتَبَـــذُوا ... لهمْ مكانًا وجَدُّوا فى تَعاطِيها[2]
ظَهَرْت حائِطَهُم لمّـا عَلِمْتَ بهِمْ ... والليلُ مُعْتَـكِرُ الأَرْجاءِ ساجِيها[3]
حتّى تَبَيَّنْتَهُمْ والخَمْرُ قد أَخَذَتْ ... تَعْلُو ذُؤابَةَ ساقِيها وحاسِيها[4]
سَفَّهْتَ آراءَهُمْ فيهـا فمـا لَبِثُوا ... أَنْ أَوْسَعُوكَ على ما جِئْتَ تَسْفيها[5]
ورُمْتَ تَفْقيهَهُمْ فى دينِهِـمْ فاذا ... بالشّرْبِ قد بَرَعُوا (الفارُوقَ) تَفْقيها[6]
قالوا : مَكانَكَ قد جِئْنا بواحِدَةٍ ... وجِئْتَنـا بثَـــلاثٍ لا تُبالِيها
فأت البُيُوتَ مِن الأَبْوابِ (يا عُمَرُ) ... فقد يُزَنُّ من الحِيطانِ آتِيها[7]
واستأْذِنِ الناسَ أن تَغْشَى بيُوتَهُمُ ... ولا تُسَـــلِّمْ بِدارٍ أو تُحَيِّيها[8]

---

(١) يشير بهـذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسوّر الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فأنكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ، وهى دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، وتجسسه عليهم ، وكل هـذه نهى عنها الله ، فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم .

(٢) الراح : الخمر .

(٣) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل اختلط ظلامه : الساجى : الساكن الراكد الظلمة .

(٤) يريد بالذؤابة أعلى الرأس . والذؤابة فى الأصل : الضفيرة من الشعر . وحاسيها : شاربها .

(٥) فيها : أى فى الخمر .

(٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا .

(٧) نون " عمر " هنا لضرورة الوزن . وفى كتب النحو أن المنادى المبنى على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ، فمن الأول :

* سلام الله يا مطر عليها *

ومن الثانى :

* يا عديا لقد وقتك الأواقى *

ويزن : يتهم .

(٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

ولا تَجَسَّسْ فهٰذى الآىُ قد نزَلَتْ بالنَّهْى عنه فلَمْ تَذْكُرْ نواهيها
فعُدْتَ عنهم وقد أَكْبَرْتَ حُجَّتَهُمْ لمّا رَأَيْتَ كتابَ اللهِ يُمْليها
وما أَنِفْتَ وإنْ كانوا على حَرَجٍ مِنْ أَنْ يَحُجَّكَ بالآياتِ عاصيها[1]

(عُمَرُ وشَجَرَةُ الرِّضْوان[2])

وسَرْحَةٍ فى سَماءِ السَّرْحِ قد رَفَعَتْ بَيْعةِ المُصْطَفَى منْ رأْسها تيها[3]
أَزَلْتَها حينَ غالَوْا فى الطَّوافِ بها وكانَ تَطْوَافُهُم للدِّينِ تَشْويها[4]

(الخاتمة)

هٰذى مَناقِبُه فى عَهْدِ دَوْلَتِه للشّاهِدينَ وللأَعْقابِ أَحْكيها
فى كلِّ واحِدةٍ منهنّ نابِلَةٌ من الطبائِعِ تَغْذُو نَفْسَ واعِيها[5]
لَعَلَّ فى أُمّةِ الإسْلامِ نابِتَةً تَجْلُو لحاضِرِها مِرْآةَ ماضِيها[6]
حتّى ترَى بَعْضَ ما شادَت أوائِلُها مِن الصُّروحِ وما عانَاهُ بانِيها
وحَسْبُها أَنْ تَرَى ما كانَ مِن (عُمَرٍ) حتّى يُنَبِّهَ منها عَيْنَ غافِيها[7]

---

(١) الحرج : الاثم . وحجه يحجه : غلبه الحجة .

(٢) شجرة الرضوان : هى الشجرة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية ، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها و يطوفون بها ، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معانى الوثنية ، فأمر بقطعها ، فقطعت ، و إلى هذا يشير الشاعر بالأبيات الآتية .

(٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو هى من الشجر ما لا شوك فيه . يقول : إن هذه الشجرة قد تعالت تيها و افتخارا على مثيلاتها من أعالى الأشجار بهذه البيعة .

(٤) غالوا : بالغوا وأكثروا .

(٥) نابلة : أى سجية شريفة من سجايا النبل .

(٦) النابتة الناشئون .

(٧) الغافى : النائم .

تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتكريمه فى فندق شبرد فى ٧ يوليه سنة ١٩١٩ م حين استقال من الحكومة أول مرة . وهى على لسان تجار الغلال

لقد عاشَرْتَنا فلَبِثْتَ فِينَا ... مِثالاً للنَّزاهَةِ والكَمَالِ
بِحِلْمٍ كانَ مَحْمُودَ المَزايَا ... وعَدْلٍ كان مَمْدُودَ الظِّلالِ
فإنْ كُنْتَ اعتَزَلْتَ إباءَ ضَيْمٍ ... فمِثْلُكَ بالوظائِفِ لا يُبَالِي
فَحَبَّاتُ القُلوب تَسُوقُ شُكْرًا ... إليكَ بقَدْر حَبّات الغلال[٢]

تحية أحمد شوقى بك

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه الى مصر من منفاه بالأندلس ، ولكنه عجل بنشرها قبل قدومه مخافه أن يلحقه القدر المحتوم ، كما قال فى رسالته الى الأهرام

[نشرت فى ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩ م]

وَرَدَ الكِنَانَةَ عَبْقَرِيُّ زَمانِهِ ... فتَنَظَّرِى يا مِصْرُ سِحْرَ بيَانِهِ[٢]
وأَتى الحُسان فهَنّئوا مُلْكَ النُّهَى ... بقيامِ دَوْلَتِهِ وعَوْدِ حُسانِهِ[٣]
النِّيلُ قد أَلْقَى إليه بسَمْعِهِ ... والماءُ أَمْسَكَ فيه عن جَرَيانِهِ
والزَّهْرُ مُصْغٍ والخَمائِلُ خُشَّعٌ ... والطيرُ مُسْتَمِعٌ على أَفْنانِهِ[٤]

(١) حبات القلوب : سويداواتها .
(٢) تنظرى : انتظرى .
(٣) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك) : كلاهما بمعنى واحد .
(٤) الخمائل : المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة : خميلة .

والقطر فى شَوْقٍ لِأَنْدَلُسِيَّةٍ ... شَوْقِيَّةٍ تَشْفِيه مِنْ أَشْجَانِه[١]

يصغى لأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَنِّمًا ... إِصْغاءَ أَمَّةِ أَحْمَدٍ لِأَذَانِه[٢]

فاصدَح وغَنِّ النِّيلَ وآهزُزْ عِطْفَه ... يَكْفيه ما عناهُ من أَحْزَانِه[٣]

وآذكر لنا الحَمْراءَ كيف رَأَيْتَهَا ... والقَصْرَ ما ذا كان مِنْ بُنْيَانِه[٤]

ما ذا تَحَطَّمَ مِنْ ذُراهُ وما الّذى ... أَبْقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِه[٥]

واهًا عليه وأَهْلِه وبُناتِه ... أَيّامَ كان النَّجْمُ مِنْ سُكّانِه

إِذْ مُلْكُ أَنْدَلُسٍ عَرِيضٌ جاهُه ... وشَبابُه المَبْكِىُّ فى رَيْعانِه[٦]

الفَتْحُ والعُمْرانُ آيةُ عَهْدِه ... وكَتَائِبُ الأَقْدارِ مِنْ أَعْوانِه

لَبِسَتْ به الدُّنيا لِباسَ حَضَارَةٍ ... قد كانَ يَخْلَعُه على جِيرانِه[٧]

زالتْ بَشاشَتُه وزَالَ وأَقْفَرَتْ ... مِنْ أُنْسِه الدُّنيا ومِنْ إِنْسانِه[٨]

وطَوَى الثَّرَى سِرَّ الزَّوال فيا تُرَى ... هل ضاقَ صَدْرُ الأَرْض عن كِتْمَانِه ؟[٩]

فتكلَّمَتْ تِلكَ الطُّلُولُ وأَفْصَحَتْ ... لمّا وَقَفْتَ مُسائِلاً عن شانِه

---

(١) أندلسية شوقية : أى قصيدة من شعر شوقى فى وصف الأندلس .

(٢) يريد "بأحمد" الثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) صدح : رفع صوته بالغناء . والعطف : الجانب .

(٤) الحمراء : هى ذلك البناء الذى لا يزال على طول عهده فى غرناطة أجمل ما يرى فى البلاد الأسبانية ، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطانى ، وفى هذا القصر كان يعيش سلاطين بنى الأحمر .

(٥) تحطم : تهدم . وذراه : أعاليه . وصروف الزمان : حوادثه وتغيراته .

(٦) ريعان كل شىء : أوله .

(٧) جيرانه : أى ممالك الغرب المجاورة للأندلس .

(٨) إنسانه : أى أهله .

(٩) سر الزوال : أى السبب فى زوال ملك العرب عن الأندلس ، يستفسر الشاعر فى هذا البيت والذى بعده : هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السر فباح به لشوقى لما وقف على أطلال الحمراء ؟

ولَعلَّ نَكْبَتَه هُنالكَ تَفَرُّقٌ وتَعَدُّدٌ قد كان فى تِبْيانِه
عِبَرٌ رأيْناها على أيّامِنا قد هَوَّنَتْ ما نابَه فى آنِه
وحَوادثٌ فى الكَوْنِ إثْرَ حَوادِثٍ جاءَتْ مُشَمِّرةً لَهَدِّ كِيانِه
سُبْحانَ جَبّارِ السّمواتِ العُلا ومُقَلِّبِ الأكْوانِ فى أكْوانِه
أهْلاً بِشَمْسِ المَشْرِقَيْنِ ومَرْحَبًا بالأبْلَجِ المَرْجُوِّ مِنْ إخْوانِه[1]
أشْكُو إليكَ مِن الزّمان وزُمْرَةٍ جَرَحَتْ فُؤادَ الشِّعْرِ فى أعْيانِه[2]
كم خارِجٍ عن أُفْقِه حَصَبَ الوَرَى بقَريضِه والعُجْبُ مِلْءُ جَنانِه[3]
يَخْتالُ بين النّاسِ مُتَّئِدَ الخُطا رِيحُ الغُرُور تَهُبُّ مِنْ أرْدانِه[4]
كم صَكَّ مَسْمَعَنا بِجَنْدَلِ لَفْظِه وأطالَ مِحْنَتَنا بُطولِ لِسانِه[5]
ما زالَ يُعْلِنُ بَيْنَنا عن نَفْسِه حتّى اسْتَغاثَ الصُّمُّ مِنْ إعْلانِه
نَصَحَ الهُداةُ لهم فزادَ غُرُورُهُمْ واشْتَدَّ ذاكَ السَّيْلُ فى طُغْيانِه
أو لَمْ تَرَ الفُرْقانَ وهو مُفَصَّلٌ لَمْ يَلْفِت البُوذِىَّ عن أوْثانِه ؟
قُلْ للّذى قد قامَ يَسْأوا أحْمَدًا خَلِّ القَريضَ فلَسْتَ مِنْ فُرْسانِه[6]

---

(١) الأبلج : الطلق الوجه .

(٢) أعيانه : أى رجال الشعر المبرزين فيه . "ويريد بالزمرة" ضعاف الشعراء ، وكان منهم فى رأى حافظ عبد الحليم المصرى الشاعر ، وهو المقصود بقوله بعد : "كم خارج" الخ ، وكانا قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما اليه حين قدم .

(٣) أصل الحصب : الرمى بالحصا ، ثم استعمل فى كل رمى .

(٤) متئد : متمهل . وأردانه ، أى أثوابه . والأردان : جمع ردن بضم الراء ، وهو أصل الكم .

(٥) الجندل : الصخر .

(٦) يسأو أحمدا : أى يبلغ غاية شوقى .

الشِّعرُ فى أوْزانِه لو قِسْتَه ... لَظَلَمْتَه بالدُّرِّ فى مِيزانِه[١]

هَذا امْرُؤٌ قد جاءَ قَبْلَ أوانِه ... إنْ لم يَكُن قد جاء بَعْدَ أوانِه[٢]

إنْ قال شعْرًا أو تَسَنَّمَ مِنْبرًا ... فَتَعَوذُوا باللهِ مِنْ شَيْطَانِه[٣]

تَخِذَ الخيالَ له بُراقًا فَاعْتَلَى ... فوقَ السُّها يَسْتَنُّ فى طَيرَانِه[٤]

ما كان يَأْمَنُ عَثْرَةً لو لم يَكُنْ ... رُوحُ الحَقِيقَةِ مُمْسِكًا بِعِنانِه[٥]

فأَتَى بما لَمْ يَأْتِه مُتَقَدِّمٌ ... أو تَطْمَعُ الأَذْهانُ فى إتيانِه

هَلْ للخَيالِ وللحَقِيقَةِ مَنْهَلٌ ... لم يَبْغِه الرُّوّادُ فى دِيوانِه[٦]

إنا لَنَلْهُو إذْ نَجِدُّ وإنه ... لَيَجِدُّ إذْ يَلْهُو بنَظْمِ جُمانِه[٧]

أقْلامُه لو شاءَ شَكَّ قَصِيرُها ... هامَ الثُّرَيَّا والسُّها بِسِنانِه[٨]

يُمْلِى عليها عَقْلُه وجَنانُه ... ما ليسَ يُنْكِرُه هَوَى وِجْدانِه

بَسْلٌ على شُعَرائنا أنْ يَنْطِقُوا ... قَبْلَ المُثُولِ لَدَيْه واسْتِئْذانِه[٩]

عافَ القَدِيمَ وقد كَسَتْه يدُ البِلَى ... خَلَقَ الأَدِيمِ فهانَ فى خُلْقانِه[١٠] ٤١

---

(١) فى أوزانه : أى فى الأوزان التى ينظم منها شوقى . و « الدر » متعلق بقوله : « قسته » .

(٢) يريد أن شوقيا قد جاء فى غير زمانه ، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين ، أو ممن سيجود بهم الزمن بعد اكتمال الفن .

(٣) تسنم الشئ : علاه .

(٤) البراق : هى الدابة التى يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج . والسها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى . ويستن : يسرع .

(٥) العنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابة . يقول إن الذى حمى شعره من الزلل والخطل ، هو أنه جعل الحقيقة غرضه الذى يرمى إليه فى قصائده ، ولولا ذلك لم يأمن الزلل .

(٦) المنهل : المورد ينهل منه الظامئون . والرواد : الطالبون .

(٧) الجمان : اللؤلؤ .

(٨) الهام : الرءوس . الواحدة : هامة .

(٩) بسل : حرام .

(١٠) عاف القديم : تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التى رثت و بليت .

وَأَبَى الجَـديدَ وقد تَأَنَّقَ أَهْلُهُ ... فِي الرَّقْشِ حـتّى غَرَّ فى أَلْوانِهِ[١]

فَجديدُه بَعَثَ القَـديمَ مِنَ الِلَى ... وأعادَ سُـؤْدَدَه إلى إبّانِهِ[٢]

ورَمَى جَـديدَهُمُ نَفَـرَّ بِناؤُه ... بِرُواءِ زُخْرُفِـه وبَرْقِ دِهـانِهِ[٣]

شُـعراءُ نَفْحِ الطِّيبِ أَنْشَرَ ذِكْرَهُمْ ... فى أَرضِ أَنْدَلُسٍ أَديبُ زَمانِهِ[٤]

وَدَّ (ابنُ هانِئَ) (وابنُ عَمّارٍ) بِهـا ... لو يَظْفَـرانِ مَعًـا بِلَثْمِ بَنـانِهِ[٥]

ولو ٱستَطاعَا فَوْقَ ذاكَ لأَقْبَـلا ... رَغمَ البِـلَى والقَـبْرِ يَسْتَبِقانِهِ[٦]

يا كَرْمَةَ (المَطَرِيَّةِ) ٱبْتَهِجِي به ... واستَقْبِلِي الظَّمْآنَ مِنْ أَخْـدانِهِ[٧]

مُدِّى الظِّلالَ على الوُفُودِ وجَدِّدِى ... عَهْـدًا طَواهُ الدَّهْرُ فى بُسْتانِهِ

كم مَجْلِسٍ لِلَّهْوِ فيـه شَهِدْتُه ... فسَكِرْتُ مِنْ دِيوانِهِ ودِنانِهِ[٨]

غَنَّى مُغَنِّيـه فَهَـاجَ غِنـاؤُه ... شَجْوَ الحَمامِ على ذَوائِبِ بانِهِ[٩]

---

(٣) الرقش : النقش والتزيين .

(٤) السؤدد : السيادة والرفعة . وإبان الشيء : زمانه .

(٥) الرواء : حسن المنظر .

(٦) نفح الطيب : هو كتاب نفح الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقرى المغربي ، نزيل فارس ، ثم مصر ، المتوفى فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ . وصف فى هذا الكتاب جزيرة الأندلس ورجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم . ومعنى البيت أن شوقيا قد أحيا بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم فى هذا الكتاب .

(٧) بها : أى بالأندلس . وابن هانىء هو أبو القاسم محمد بن هانىء الأسدى الأندلسى الشاعر المعروف . ومنع « هانئا » من الصرف لضرورة الوزن . وابن عمار : هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسى الشاعر المشهور ، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وكانت ولادته سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

(٨) يستبقانه : أى يمشيان أمامه تجلة واحتراما .

(٩) المطرية : ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة ، وفيها كان بيت المرحوم شوقى بك المعروف بكرمة ابن هانىء .

(١) الدنان : جمع دن (بالفتح) ، وهو إناء كبير للخمر .

(٢) شجو الحمام : بكاؤه . والبان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانة . وذوائبه : أعاليه .

فَتَرَنَّحَتْ أَشْجارُه وتَمايَلَتْ أَعْوادُها طَرَبًا على عيدانِه[١]
فكأن مَجْلِسَنا هُنالكَ قَصيدَةٌ مِنْ نَظْمه طَلَعَتْ على عُبْدانِه[٢]
فالحمدُ لله الّذى قد رَدَّه —مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِه— إلى أَوْطانِه
فَتَنَظَّرُوا آياتِه وتَسَمَّعُوا قد قامَ بُلْبُلُكُمْ على أَغْصانِه

فى حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة فى حفل من الأدباء والشعراء برآسة أحمد شوقى بك بدار التمثيل العربى لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمى صاحب الجريدة هذا الحفل "سوق عكاظ". وهى تتضمن مدحا لشوقى بك رئيس الحفل ونعيا على المصريين امتهانهم لجثث ملوكهم الأقدمين

أَتَيْتُ سُوقَ عُكاظٍ أَسْعَى بأَمْرِ الرَّئيس
أَزْجِى إليه قَوافٍ مُنَكَّسات الرُّءوس[٣]
لَيْسَت بذاتِ رُواءٍ تُزْهَى به فى الطُّرُوس[٤]
وَلَا بذَاتِ جَمَالٍ يَسْرِى بِهَا فى النُّفُوس
لَم يَحْبُها فَضْلُ شَوْقى بَقيَّةً مِنْ نَسِيس[٥]
فهنّ قَفْرٌ خَوال مِنْ كُلِّ معنًى نفيس

(١) يريد عيدان الغناء .
(٢) الضمير فى "نظمه" لشوقى . وعبدانه (بضم العين وكسرها) ، أى عبيده من بقية الشعراء .
(٣) أزجى : أسوق .
(٤) الرواء : حسن المنظر . والطروس : الصحف يكتب فيها ، الواحد : طرس .
(٥) النسيس : بقية الروح .

وهنّ جُهْدُ مُقِلٍّ حَلِيفِ هَمٍّ وبُؤسِ
قال الرئيسُ ومَنْ ذا يقولُ بعدَ الرَّئيسِ
سقَى الحُضورُ شَرابًا يُنْسِى شرابَ القُسُوسِ[1]
مُعَتَّقًا قبلَ عادٍ فى مُظْلِماتِ الحُبُوسِ
تُذْكِى الدِّياراتُ منه نارا كنارِ المَجُوسِ[2]
يُريكَ والليلُ داجٍ شُموسَه فى الكُؤوسِ
بناتِ أفكارِ شَوْقٍ فى جَلْوةٍ كالعَرُوسِ
تُزْهَى بمعنًى سَرِىٍّ أتَى بمعنًى شَمُوسِ[3]
وليلةٍ من "عُكاظٍ" ضَمَّتْ حُماةَ الوَطِيسِ[4]
أحْيَا بها ذِكْرَ عَهْدٍ آثارُه فى الطُّرُوسِ[5]
عهدٌ سَما الشعرُ فيه الى مَجالِى الشُّموسِ
وِرْدُه كانَ أصْفَى مِنْ مَوْرِدِ القَامُوسِ[6]

---

(١) يريد "شراب القسوس" : الخمر ، وذلك لما اشتهر به القساوسة والرهبان من ادخار الخمر وتعتيقها فى الأديار .

(٢) تذكى : تشعل . ونار المجوس : النار التى يعبدونها ؛ ويضرب بها المثل فى قوة الاشتعال ودوامه . وقد شبه بها الخمر فى الحمرة ، حتى كأنها تلتهب .

(٣) السرى : الرفيع . والشموس : النفور الصعب المنال .

(٤) الوطيس : الحرب . ويريد "بحماة الوطيس" حملة الأقلام .

(٥) يريد عهد سوق عكاظ الأول فى الجاهلية ، أيام كان يحضرها فحول الشعراء يتناشدون الأشعار .

(٦) القاموس : البحر أو لجته .

بِفِتْنَتِهَا بِحَدِيثٍ أُسُوقُهُ لِلْجُلُوسِ
قد زُرْتُ مُتْحَفَ مِصْرٍ فى ظُهْرِ يَوْمِ الخَمِيسِ
فى زُمْرَةٍ مِنْ رِفَاقٍ غُرِّ الشمائل شُوسِ (١)
فضِقْتُ ذَرْعًا بأمرٍ على النُّفُوسِ بَئِيسِ (٢)
وكِدْتُ أصْرَعُ غَمًّا لحظِّها المَعْكُوسِ (٣)
وصَرْعَةُ الغَمِّ أدْهَى مِنْ صَرْعَةِ الخَنْدَرِيسِ (٤)
رأَيْتُ جُثَّةَ (خُوفُو) بِقُرْبِ (سِيزُسْتَرِيسِ) (٥)
فقُلْتُ يا قومُ هذا صُنْعُ العَقُوقِ الخَسِيسِ
أجسادُ أَمْلاكِ مِصْرٍ وشائدى مَنْفِيسِ (٦)
من بعد خَمْسِينَ قَرْنًا لَمْ تَسْتَرِحْ فى الرُّمُوسِ (٧)
أَرَى فَرَاعِينَ مِصْرٍ فى ذِلَّةٍ ونُحُوسِ
مَعْرُوضَةً للبَرَايَا أجْسادُهُمْ بالفُلُوسِ
عَنْهُمْ نَبَشْنَا زَمَانًا فى مُظْلِمَاتِ الدُّرُوسِ (٨)

---

(١) شوس : أى من علية القوم وعظمائهم ، الواحد أشوس وهو فى الأصل : الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا وتيها .

(٢) بئيس : شديد .

(٣) حظها : أى حظ مصر .

(٤) الخندريس : الخمر المعتقة .

(٥) خوفو وسيزستريس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين .

(٦) منفيس : مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير معروف فى تاريخ مصر القديم ؛ وموضعها الآن البدرشين ومبت رهينة .

(٧) الرموس : القبور ، الواحد رمس .

(٨) الدروس : العفاء والبلى . ويريد « بظلمات الدروس » : طبقات الأرض التى دفنوا فيها .

قَدِيسَ ظُلْمًا حِمَاهُمْ وَكَانَ غَيْرَ مَدُوسِ
لَعَلَّهُمْ حَصَّنُوهُمْ مِنْ هَادِمَاتِ الْفُؤُوسِ[1]
عِلْمًا بِأَنْ سَوْفَ يُمْنَى بِيَوْمِ شَرِّ عَبُوسِ[2]
لَوْ أَنَّ أَمْثَالَ (مِينَا) فِي الْغَرْبِ أَوْ (رَمْسِيسِ)[3]
بَنَوْا عَلَيْهِمْ وَخَطُّوا حَظَائِرَ التَّقْدِيسِ

مدحة للمغفور له (فؤاد الأول)[4]

أنشدها بين يدى جلالته حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران[5] فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ م

أَقَصْرَ الزَّعْفَرَانِ لَأَنْتَ قَصْرٌ خَلِيقٌ أَنْ يَتِيهَ عَلَى النُّجُومِ
كَلَا عَهْدَيْكَ لِلْأَجْيَالِ فَخْرٌ وَزَهْوٌ لِلْحَدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ[6]
ثَوَى بِالْأَمْسِ فِيكَ عُلًا وَمَجْدٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَثْوًى لِلْعُلُومِ[7]

(١) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها .

(٢) الضمير فى « يمنى » يعود على « حمى » المتقدم ذكره . ويمنى : يبتلى ويصاب .

(٣) مينا ورمسيس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين .

(٤) ولد المغفور له الملك فؤاد الأول بقصر الجيزة فى ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ هـ . وارتقى عرش المملكة المصرية فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ . وتوفى بعد ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ .

(٥) قصر الزعفران بالعباسية : من القصور التى بناها المغفور له إسماعيل باشا الخديو ، سمى قصر الزعفران لأن الأرض التى بنى فيها كان يزرع بها الزعفران قديما ، وكانت هناك ترعة يقال لها : ترعة الزعفران ، وردمت هذه الترعة قريبا . وهذا الموضع الذى بنى فيه القصر يتبع الوايلى الصغرى ، وقد استبدل به المغفور له الملك فؤاد الأول قطعة أرض فى مركز طلخا ، بمديرية الغربية من أملاك الحكومة .

(٦) يريد « بالعهدين » : عهد هذا القصر أيام إسماعيل ، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية .

(٧) ثوى : أقام . والمثوى : المكان يقام فيه .

فمِنْ نُبْلٍ ، إلى مَجْدٍ أَثِيلٍ ، إلى عِلْمٍ ، إلى نَفْعٍ عَمِيمِ
أَضَفْتَ إلى صُرُوحِ العِلْمِ صَرْحًا بِزَوْرَةِ ذٰلك المَلِكِ الحَكِيمِ
فيـالَكَ مَنْزِلًا رَحْبًـا سَرِيًّا بَنَتْـه أَنَامِلُ الذَّوْقِ السَّلِيمِ
وحاطَتْـه بِبُسْـتَانٍ أَنِيـقٍ يُرِيكَ جَمـالُه وَجْهَ النَّعِيمِ[1]
(أبا فارُوقَ) أنتَ وَهَبْتَ هٰذا لمِصْرَ وهٰكَذا مَنْحُ الكَرِيمِ
ولا عَجَبٌ فمِصْرُ على وَلاءٍ ومالِكُهـا على خُلُقٍ عَظِيمِ
يُطالِعُهـا بِبِرٍّ كُلَّ يَوْمٍ ويَرْعاها بِعَـيْنِ أَبٍ رَحِيمِ
ويُرْهِف مِنْ عَزائِمِ آلِ مِصْرٍ إذا خارَتْ لدَى الخَطْبِ الجَسِيمِ[2]
كَسَوْتَ الأَزْهَرَ المَعْمُورَ ثَوْبًا مِنَ الإِجْلالِ والعِزِّ المُقِيمِ
قَضَيْتَ به الصَّلاةَ فكادَ يُزْهَى بزائِرِه على رُكْنِ الحَطِيمِ[3]
رأَى فِيكَ (المُعِزَّ) زَمانَ أَعْلَى قَواعِدَه على ظَهْـرِ الأَدِيمِ[4]
فَهَشَّ وهَزَّه طَرَبٌ وشوق كما هَشَّ الحَمِيمُ إلى الحَمِيمِ[5]
وهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فيـه ودَوَّتْ به أَصْواتُ شَعْبِكَ كالهَزِيمِ[6]
كذا فَلْيَحْمِلِ التَّـاجَيْنِ مَلْكٌ يُعِـزُّ شَعائِرَ الدِّينِ القَوِيمِ[7]

---

(٢) الأنيق : الذى يعجبك بحسنه .
(٣) أرهف السيف والسكين ونحوهما : شحذه وحدده . وخارت : ضعفت .
(٤) الحطيم : حجر الكعبة (بكسر الحاء وسكون الجيم) .
(٥) يريد المعز لدين الله الفاطمى ، الذى اختطت فى أيامه القاهرة ، وبنى الأزهر . وظهر الأديم : وجه الأرض .
(٦) الحميم : الصديق . (٧) دوى : علا صوته فسمع . والهزيم : صوت الرعد .
(٧) يريد "بالتاجين" تاج الملك ، وتاج الدين .

ويَخْشَى رَبَّه ويُطيعُ مَوْلَى هَداهُ إلى الصِّراطِ المُسْتَقيم

أيَأْذَنُ لى المَليكُ البَرُّ أنِّى أهَنِّئُ مِصْرَ بالأَمْرِ الكَريم

فيا مِصْرُ اسْجُدى للهِ شُكْرًا وتيهِى واقْعُدى طَرَبًا وقُومى

فَقَدْ تَمَّ البِناءُ وعَنْ قَريبٍ تُزَفُّ لكِ البَشائِرُ مِنْ "نَسيم"[1]

فَدارُ (البَرْلَمانِ) أعزُّ دارٍ تُشادُ لطالِبِ المَجْدِ العَميم

بها يَتَجَمَّلُ العَرْشُ المُفَدَّى وتَحْيَا مِصْرُ فى عَيْشٍ رَخيم

فشَرِّفْها بَرَبِّكَ واخْتَتِمْها وأَسْعِدْها بدُسْتُورٍ تَميم[2]

بآىِ (مُحَمَّدٍ) وبآىِ (عِيسَى) فَعَوِّذْهُ وآياتِ (الكَليم)[3]

(أبا فارُوقَ) خُذْ بيَدِ الأَمانِى وحَقِّقْها على رَغْمِ الخَصيم

أفَقْنا بَعْدَ نَوْمٍ فَوْقَ نَوْمٍ على نومٍ كأَصْحابِ الرَّقيم[4]

وأَصْبَحْنا بُيُمْنِكَ فى نُهُوضٍ يُكافِئُ نَهْضَةَ النبتِ الجَميم[5]

فُحُطْنا بالرِّعايَةِ كلَّ يَوْمٍ نَحُفُّكَ بالوَلاءِ المُسْتَديم

---

(١) يريد بالبناء : دار (البرلمان) . ويريد "بنسيم" : محمد توفيق نسيم باشا ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك .

(٢) التميم : التام .

(٣) الضمير فى "عوذه" الدستور . والكليم : موسى عليه السلام .

(٤) يريد "بأصحاب الرقيم" أهل الكهف ؛ ويضرب المثل بطول نومهم ، قال تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) الآية . والرقم : لوح كتبت فيه أسماؤهم ، أو هو كهفهم الذى بأوا إليه .

(٥) اليمن : البركة . ويكافئ : يماثل . والجميم من النبت : الناهض المنتشر .

تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة [١]

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار فى محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الاسكندرية [٢]

[نشرت فى ١٣ يوليه سنة ١٩٢٤م]

أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ ... قد رَماها فى قَلْبِها مَنْ رَماكا
أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ ... ليس فيها لِيَوْمِ جِدٍّ سِواكا
أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ ... ووَقاها بِلُطْفِهِ مَنْ وَقاكا
قد شُغِلْنَا يا (سَعْدُ) عَنْ كلِّ شَيْءٍ ... وشُغِلْنا بأنْ يَتِمَّ شِفاكا
فى سَبِيلِ الجِهادِ والوَطَنِ المَحْـ ... ـبُوبِ ما سالَ أَحْمَراً مِنْ دِماكا
قلْ لِذَاكَ الأثِيمِ والفاتِكِ المَفْـ ... ـتُونِ: لا كنتَ، كَيْفَ تَرْمِى السِّماكا؟ [٣]
انّما قد رَمَيْتَ فى شَخْصِ (سَعْدٍ) ... أُمَّةً حُرَّةً فشَلَّتْ يَدَاكا

---

(١) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بابيانا من أعمال مركز فوة سنة ١٨٦٠ م . وبعد أن قضى فى الأزهر حينا من الزمن تولى بعض أعمال التحرير فى الوقائع ، وكتب فيها بعض المقالات فى الاستبداد والشورى والأخلاق ، ثم ألحق ببعض الأعمال الإدارية فى الحكومة ، وفصل لاتهامه بالاشتراك فى الثورة العرابية ، فاشتغل بالمحاماة إلى أن اختير للقضاء بمحكمة الاستئناف الأهلية سنه ١٨٩٢ م . وهو أول محام ولى مناصب القضاء فى مصر ، ثم ولى منصب وزارة المعارف ، وهو أول من قرر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية ، ثم تولى وزارة الحقانية ، ثم كان عضوا بالجمعية التشريعية ، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورآسة الوفد المصرى ، وظل زعيما لتلك النهضة من سنة ١٩١٩م إلى أن توفى فى أغسطس سنة ١٩٢٧م رحمه الله .

(٢) فى يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ م بينما كان سعد زغلول باشا والوزراء فى محطة القاهرة يريدون السفر إلى الإسكندرية لتهنئة جلالة الملك بعيد الأضحى سنة ١٣٤٢ هـ ، ومن ثم يسافرون إلى إنجلترا للمفاوضات ، تقدم من سعد باشا عبد الخالق عبد اللطيف الدلبشانى وأطلق عليه رصاصة مرت بالذراع اليمنى فيما يلى الأبط ، ومست الثدى الأيمن ، وكان الجرح غير شديد ، فشفى منه بعد أيام .

(٣) يريد بالأثيم الفاتك عبد الخالق الدلبشانى ، وهو الذى اعتدى على المغفور له سعد زغلول باشا .

وقال فيه أيضا :

أنشدها فى الحفل الذى أقامه أعضاء (البرلمان) يوم الخميس ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٤م بكازينو سان استفانو بالإسكندرية تكريما لسعد وابتهاجا بنجاته من حادث الاعتداء عليه

الشَّعْبُ يَدْعُو اللهَ يَا زَغْلُولُ ... أنْ يَسْتَقِلَّ على يَدَيْكَ النِّيلُ

إنّ الذى آندَسَّ الأَثِيمُ لقَتْلِه ... قد كانَ يَحْرُسُه لنا جِبْرِيلُ

أَيَمُوتُ (سَعْدٌ) قَبْلَ أَنْ نَحْيَا به ؟ ... خَطْبٌ على أَبْنَاءِ مِصْرَ جَلِيلُ

يا (سَعْدُ) إنّكَ أنتَ أَعْظَمُ عُدّةٍ ... ذُخِرَتْ لنا نَسْطُو بها ونَصُولُ

ولأَنْتَ أَمْضَى نَبْلَةً نَرْمِى بها ... فانفُذْ وأَقْصِدْ فالنِّبالُ قَلِيلُ[1]

النَّسْرُ يَطْمَعُ أنْ يَصِيدَ بأَرْضِنا ... سَنُرِيه كَيْفَ يَصِيدُه زَغْلُولُ[2]

إنّا رَمَيْنَاهُمْ بنَدْبٍ حُوَّلٍ ... عن قَصْدِ وادِى النِّيلِ لَيْسَ يَحُولُ[3]

بأَشَدِّنا بَأْسًا وأَقْدَمِنا على ... خَوْضِ الشَّدائِدِ والخُطوبُ مُثُولُ[4]

بفَتًى جَمِيعِ القَلْبِ غيرِ مُشَتَّتٍ ... إنْ مالَتِ الأَهْرامُ لَيْسَ يَمِيلُ[5]

فاوِضْ ولا تَخْفِضْ جَناحَكَ ذِلَّةً ... إنّ العَدُوَّ سِلاحه مَفْلُولُ[6]

فاوِضْ وأنتَ على الهَجَرَّةِ جالِسٌ ... لِمقامِكَ الإعْظامُ والتَّبْجِيلُ[7]

فاوِضْ نَخَلْفَكَ أُمَّةٌ قد أَقسَمَتْ ... ألّا تَنامَ وفِى البِلادِ دَخِيلُ

---

(١) أقصد السهم : أصاب المقتل .

(٢) يريد بالنسر : الإنجليز ؛ واستعمله هنا لإثارة العجب من أن يصيد الزغلول (فرخ الحمام) النسر .

(٣) الضمير فى «رميناهم» للإنجليز . والندب : الماضى فى الحاجة . النافذ فى قضائها . والحوّل : الشديد الاحتيال .

(٤) مثول أى ماثلات حاضرة .

(٥) جميع القلب : لا يتفرق من الخوف .

(٦) مفلول : مثلوم مكسر الحد لا يصلح للضرب والطعان .

(٧) يريد علو مكانته وارتفاع منزلته .

عُزْلٌ ولكنْ فى الجِهادِ ضَراغِمٌ ... لا الجَيْشُ يُفْزِعُها ولا الأُسْطُولُ[١]

أُسْطُولُنا الحقُّ الصُّراحُ وجَيْشُنا الـ ... ـحَجَجُ الفِصَاحُ وحَرْبُنا التَّدْلِيلُ

ما الحَرْبُ تُذْكِيها قَنًا وصَوارِمٌ ... كالحَرْبِ تُذْكِيها نُهًى وعُقُولُ[٢]

خُضْها هُنالكَ باليَقِينِ مُدَرَّعا ... واللهُ بالنَّصْرِ المُبِينِ كَفِيلُ

أَزَعِيمُهُمْ شاكى السِّلاحِ مُدَجَّجٌ ... وزَعِيمُنا فى كَفِّهِ مِنْدِيلُ؟[٣]

وكذلك المِنْدِيلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةً ... مِنْ صارِمٍ فى حَدِّهِ التَّضْلِيلُ

لكَ وَقْفَةٌ فى الشَّرْقِ تَعْرِفُها العُلا ... ويُحِقُّها التكبيرُ والتَّهْلِيلُ

زَلْزِلْ بها فى الغَرْبِ كلَّ مُكابِرٍ ... لِيَرى ويَعْلَمَ ما حَواهُ الغِيلُ[٤]

لا تَقْرَبِ (التَّامِيزَ) واحذَرْ وِرْدَه ... مَهْمَا بَدا لَكَ أنَّه مَعْسُولُ[٥]

الكَيْدُ مَمْزُوجٌ بأَصْفى مائِه ... والخَتْلُ فيه مُذَوَّبٌ مَصْقُولُ[٦]

كم وارِدٍ يا (سَعْدُ) قَبْلَكَ ماءَه ... قد عادَ عنه وفى الفُؤادِ غَلِيلُ[٧]

القومُ قد مَلَكُوا عِنانَ زَمانِهِمْ ... ولَهُمْ رِواياتٌ به وفُصُولُ[٨]

ولهُمْ أَحابِيلٌ إذا أَلْقَوْا بها ... قَنَصُوا النُّهَى فأَسِيرُهُمْ مَحْبُولُ[٩]

فاحذَرْ سِياسَتَهُم وكُنْ فى يَقْظَةٍ ... سَعْدِيَّةٍ إنّ السِّياسَةَ غُولُ

---

(١) العزل : الذين لا سلاح معهم . الواحد أعزل . والضراغم : الأسود .

(٢) أذكى الحرب : أشعل نارها . والقنا : الرماح . الواحدة قناة . والصوارم : السيوف القواطع .

(٣) شاكى السلاح : أى ذو شوكة وحدة فى سلاحه . والمدجج : اللابس السلاح .

(٤) الغيل : الأجمة وموضع الآساد .

(٥) معنى النهى عن قرب (التاميز) : التحذير من خداع أهله .

(٦) الختل : الخداع والمكر .

(٧) الغليل : شدة العطش .

(٨) القوم : الإنجليز . والعنان : سير اللجام الذى يمسك به الفرس .

(٩) الأحابيل : أى المصايد .

إنْ مَثَّلوا فدَعِ الخيالَ فإنّما ... عند الحقيقة يَسْقُطُ التَّمْثيلُ
الشِّبْرُ في عُرْفِ السِّياسَة فَرْسَخٌ ... واليومُ في فَلَكِ السِّياسَة جيلُ
ولكلِّ لَفْظٍ في المعاجم عِنْدَهُم ... مَعْنًى يُقالُ بأنَّه مَعْقُولُ
نَصَلَتْ سياسَتُهُمْ وَحَالَ صباغُها ... ولكلِّ كاذبةَ الخضابِ نُصُولُ[1]
جَمَعُوا عَقاقيرَ الدَّهاء ورَكَّبُوا ... ما رَكَّبُوه وعِنْدَكَ التَّحْليلُ
يا (سَعْدُ) أنتَ زعيمُنا ووَكيلُنا ... وعليكَ عِنْدَ مَليكِنا التَّعْويلُ
فادفَعْ وناضِلْ عَنْ مَطالِبِ أُمَّةٍ ... يا (سَعْدُ) أنت أَمامَها مَسْئُولُ
النِّيلُ مَنْبَعُه لَنا ومَصَبُّه ... ما إنْ له عن أَرْضِها تَحْويلُ
وثِقَتْ بكَ الثِّقَةَ التي لم يَنْفَرِجْ ... للرَّيْبِ فيها والشُّكوكِ سَبيلُ
جَعَلَتْ مَكانَكَ في القُلُوبِ مَحَبَّةً ... أوَ بَعْدَ ذاكَ على الوَلاءِ دَليلُ؟
كادَتْ تُجَنُّ وقد جُرِحْتَ وَخانَها ... صَبْرٌ على حَمْلِ الخُطُوبِ جَميلُ
لَمْ يَبْقَ فيها ناطِقٌ إلا دَعا ... لكَ ربَّه ودُعاؤُه مَقْبُولُ
يا سَعْدُ كادَ العيدُ يُصْبِحُ مَأْتَمًا ... الدمعُ فيه أَسًى عليكَ يَسيلُ[2]
لولا دِفاعُ اللهِ لانطَوَتِ المُنَى ... عند انطوائِكَ وانقَضَى التأميلُ
شَلَّتْ أَناملُ مَنْ رَمَى ، فلِكَفِّه ... حَزُّ المُدَى ، ولِكَفِّكَ التَّقْبيلُ[3]
هٰذا وِسامُكَ فوقَ صَدْرِكَ مالَه ... مِنْ بَيْنِ أَوْسِمَةِ الفَخارِ مَثيلُ[4]
حَلَّيْتَه بدَمٍ زَكِيٍّ طاهِرٍ ... في حُبِّ مِصْرَ مَصُونُه مَبْذُولُ

---

(١) نصلت : انكشفت وخرجت من لونها الكاذب إلى لونها الصادق . وحال : تحوّل .

(٢) العيد : أي عيد الأضحى من سنة ١٣٤٢ هـ . وقد عطلت فيه التهاني بسبب الاعتداء على سعد باشا .

(٣) المدى : جمع مدية وهي السكين .

(٤) يريد «بالوسام» ما أصاب صدره من الدم .

فى كُلِّ عَصْرٍ لِلْجُنَاةِ جَرِيرَةٌ ... لَيْسَتْ على مَرِّ الزَّمانِ تَزُولُ[١]

جارُوا على (الفارُوقِ) أَعْدَلِ مَنْ قَضَى ... فينَا وزَكَّى رَأْيَهُ التَّنْزِيلُ[٢]

وعَلَى (عَلِيٍّ) وهوَ أَظْهَرُنا قُمًا ... ويَدًا وسَيْفُ نَبِيِّنَا المَسْلُولُ[٣]

قِفْ يا خَطِيبَ الشَّرْقِ جَدِّدْ عَهْدَنا ... قَبْلَ الرَّحِيلِ لِيُقْطَعَ التَّأْوِيلُ

فاوِضْ فَإِنْ أَوْجَسْتَ شَرًّا فاعْتَزِمْ ... واقْطَعْ فَحَبْلُكَ بالهُدَى مَوْصُولُ

وارْجِعْ إِلَينا بالكَرَامَةِ كاسِياً ... وعايِلَكَ مِنْ زَهَراتِها إِكْلِيلُ

إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلْخَلاصِ ولاَنَى ... واللهُ يَقْضِي بَيْنَنا ويُدِيلُ[٤]

كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصَّباحُ جَلالَها ... وأَتَى عليها الليلُ وهِيَ فُلُولُ[٥]

وقُصُورِ قَوْمٍ زاهِراتٍ فى الدُّجَى ... طَلَعَتْ عليها الشمسُ وهِيَ طُلُولُ[٦]

يا أَيُّها النَّشْءُ الكِرامُ تَحِيَّةً ... كالرَّوْضِ قد خَطَرَتْ عليه قَبُولُ[٧]

يازَهْرَ مِصْرَ وزَيْنَها وحُماتَها ... مَدْحِي لَكُمْ بَعْدَ الرئيسِ فُضُولُ

جُدْتُمْ لها بالنَّفْسِ فى وَرْدِ الصِّبا ... والوِرْدُ لَمْ يُنْظَرْ إِليهِ ذُبُولُ[٨]

كَمْ مِنْ سَجِينٍ دُونَها ومُجاهِدٍ ... دَمُهُ على عَرَصاتِها مَطْلُولُ[٩]

سِيرُوا على سَنَنِ الرئيسِ وحَقِّقُوا ... أَمَلَ البِلادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ

أَنْتُمْ رِجالُ غَدٍ وقَدْ أَوْفَى غَدُ ... فَاسْتَقْبِلُوهُ وجَلِّلُوهُ وطُولُوا[١٠]

---

(١) الجريرة : الجناية .

(٢) الفاروق : هو عمر بن الخطاب . يشير إلى قتل أبى لؤلؤة إياه غيلة . وزكى : عزز . يريد ما كان ينزل من الآيات تعزيزا وموافقة لما كان يراه عمر .

(٣) يشير إلى قتل عبد الرحمن بن ملجم عليا رضى الله تعالى عنه غيلة أيضا .

(٤) ولى يلى : قصر . ويديل : يجعل الدولة لنا عليهم .

(٥) وهى فلول : أى متفرقة مهزومة .

(٦) الطلول : جمع طلل ، وهو الشاخص من آثار الديار .

(٧) القبول : ريح الصبا .

(٨) فى ورد الصبا : أى فى زهرة الشباب .

(٩) العرصات : جمع عرصة ، وهى كل بقعة ليس فيها بناء ، يريد ميادينها . ومطلول : لم يثأر به .

(١٠) أوفى : أتى . وجللوه : أى جعلوه يوما أبيض . وطولوا : افخروا واعتزوا .

إلى الأستاذ أحمد لطفى السيد بك (باشا)

وجهها إليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م

يا كاسِيَ الأخْـلاق فى بَلَدٍ عن الأَخْلاقِ عارى
لَم يَبْقَ فينا مَن يُجا دِلُ فى مَقامكَ أو يُمارى[1]
بالأَمْس قـد عَلَّمْتَنا أَدَبَ الكتابةِ والحِوارِ[2]
واليـومَ قـد أَلْطَفْتَنا بالطَّيِّباتِ مِنَ الثِّمارِ[3]
بكتاب رَسْطاليسَ تا جِ نَوادِرِ الفَلَكِ المُدارِ[4]
جاهَـدْتَ فى تَفْصيله ووَصَلْتَ لَيْلَكَ بالنَّهارِ
تَزِنُ الكلامَ كأنه ماسٌ بميزانِ التُّجارِ
وتَصُونُ مَعْنَى رَبِّه صَوْنَ اللآلئ فى الخِدارِ[5]
وتَضِنُّ دُهْقَانَ الكَلا مِ كضَنِّ دُهْقانِ النُّضارِ[6]
حتَّى حَسِبْتُكَ فى الأَنا ةِ والاختبارِ والاختيارِ
صَنَعًا يُصَوِّرُ فى الفُصُو ص لَدَى الفَراعنةِ النُّحارِ[7]

(١) يمارى : ينازع .
(٢) يشير بهذا البيت إلى عهد الممدوح فى رآسة تحرير « الجريدة » وما كان يكتبه فيها من مقالات .
(٣) ألطفه بكذا : أتحفه به .
(٤) تاج نوادر الفلك : أى أثمن نوادر الزمن وأنفسها .
(٥) ربه : أى مؤلفه أرسطوطاليس .
(٦) دهقان الكلام (بالنصب) ، على النداء . والدهقان (بكسر الدال وتضم) : التاجر . والنضار : الذهب .
(٧) الصنع (بالتحريك) : الحاذق بالصنعة ؛ وشبهه بالمصور فى الفصوص لما فى ذلك من مراعاة الدقة .

إنِّى قَـرَأْتُ كتابَهُ بَيْنَ الخُشُـوعِ والاعتبار
فإذا المُتَرْجِـمُ ماثِلٌ جَنْبَ المُؤَلِّف فى إطـار
وعَلَيْهما نُـورٌ يفيـ ضُ من المَهَـابَةَ والوَقَار
قالوا ، لقـد هَجَرَ السِّيا سَة وٱنْزَوَى فى عُقْر دار
تَرَكَ المجَالَ لغَـيْرِه ورَأَى النَّجاةَ مع الفـرار
لا تَظْـلِمُوا رَبَّ النُّهَى وحَذار منْ خَطَلٍ حَذار[1]
هَجَـرَ السِّيَـاسَةَ للسِّيـا سَة لا لنَوْمٍ أو قَـرارِ
لو أنّهمْ عَلِمُـوا الذى يَبْنِى لهمْ خَلْفَ السِّتـارِ
لَسَعَوْا إلى حامى الفَضيـ لة والحَقِيقـة والذِّمارِ[2]
وافاهُـمُ بدَعائم الـ أَخْلاق والحكَم السَّوارى[3]
أسِّ السِّـياسَة والنَّجا حِ وحصْن سَـيِّدَة البحار[4]
كَلِفَتْ بها وتَمَسَّكَتْ قَبْلَ الفَيـالِقِ والجَوارِى[5]
يا عاشقَ الخُـلُق الصَّرِيـ حِ وشانِئَ الخُلُق المُوارى[6]

---

(١) الخطل : الخطأ والزلل .

(٢) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٣) الدعائم : العمد ، الواحدة دعامة . والسوارى : جمع سارية ، أى التى تسير فى الناس .

(٤) يريد « بسيدة البحار » : انجلترا .

(٥) الفيالق : الجيوش العظيمة ، الواحد فيلق . والجوارى : السفن ، الواحدة جارية .

(٦) الشانىء : المبغض .

إِنِّى اخْتَبَرْتُكَ فى الكُهُو لَةِ والصِّبَا حَقَّ ٱختِيارِ
لَمْ يَجْرِ فى ناديكَ ذِكْـ ـرُ القَوْلِ أو خَلْعُ العِذارِ[1]
حُلْوُ التواضُعِ والتَّوا ضُعُ آيةُ القَوْمِ الخِيَارِ
مُرُّ التكبُّرِ حِينَ يَدْ عُوكَ التَّواضُعُ للصِّغارِ[2]
سِرْ فى طَرِيقِكَ وادِعاً فلأَنْتَ مَأْمُونُ العِثارِ
وٱجعَلْ على لُقَمِ الطَّرِ يقِ صُوًى تَلُوحُ لكلِّ سارِى[3]
إنّا إلى (كُتُبِ السِيا سَةِ) يا حَكِيمُ على أوارِ[4]
عَجِّلْ بها قَبْلَ (الفَسا دِ) وقَبْلَ عادِيَةِ البَوارِ[5]
إنّا نُناضِلُ أُمَّةً أَقْطابُها أُسْدٌ ضَوارِى[6]
عَرَكُوا الزَّمانَ وأَهْلَه وتَحَصَّنُوا مِنْ كلِّ طارِى[7]
أَمْسَتْ سِياسَتُهُمْ كطِلَّسْمٍ يُحَيِّرُ كلَّ قارِى
إنْ يُنْكِرُوا بَعْضَ الغُمُو ضِ على أَديبٍ ذِى ٱقتِدارِ

---

(١) هجر القول : القبيح منه . وخلع العذار : كناية عن التهتك وعدم المبالاة .

(٢) الصغار : الذل .

(٣) لقم الطريق (بفتح اللام وضمها) : وسطه . والصوى : العلامات التى تجعل على الطريق ليهتدى بها ؛ الواحدة صوة (بضم الصاد وتشديد الواو) .

(٤) يريد بكتب السياسة : كتاب أرسطو فيها . والأوار : شدة العطش .

(٥) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذى كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وقتئذ ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو فى السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد .

(٦) يريد الأمة الإنجليزية . والضوارى : المتعودة الصيد والافتراس .

(٧) عركوا الزمان : خبروه . والطارى : أى الطارئ ، أى ما يطرأ على الدول من أحداث .

فلأنّهم لَمْ يَذْكُرُوا أنّ المُتَرجِمَ فى إسارِ[١]
لَمْ يَعْىَ أَحْمَدُ أنْ يَجِى ءَ بآىِ قَيْسٍ أو نِزارِ[٢]
وهو المُجَلِّى فى أَسا لِيبِ الفَصَاحَةِ والمُبارِى[٣]
لُغَةُ العُلومِ حَقائِقٌ هِىَ عَنْ زَخارِفِنا عَوارِى[٤]
تَأْبَى الغُلُوَّ وتَحْسَبُ الـ إِغْراقَ كالثوبِ المُعارِ[٥]
والنَّقْلُ إنْ عَدِمَ الأَما نَةَ كان عُنْوانَ الخَسارِ

إلى حفنى بك محمود

قالها حين رشحه الوفد لعضوية (البرلمان) عن بندر الجيزة

[نشرت فى ١١ مايو سنة ١٩٢٦ م]

يا كاسِىَ الخُلُقِ الرَّضِىِّ وصاحبَ الْـ أَدَبِ السَّرِىِّ ويا فَتَى الفتْيانِ[٦]
إنْ رَشَّحوكَ فأنتَ مِنْ بَيْتٍ رَمَى بِسِهامه عَنْ حَوْزَةِ الأَوْطانِ[٧]
زَكّاكَ إقْدامٌ ورَأْىٌ شاهِدٌ ونَقِىُّ إيمانٍ وحُسْنُ بَيانِ
لو كنتَ بَيْنَ النّاخِبِينَ لأَدْرَكُوا ما فيكَ يا (حفْنِىُّ) منْ رِضْوانِ[٨]

---

(١) « أن المترجم » الخ : أى أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يعدوها .

(٢) يريد بقوله : "بآى قيس أو نزار" بيان العرب الأقدمين . وقيس ونزار : قبيلتان من العرب معروفتان .

(٣) المجلى : السابق الذى يجىء أوّلا .

(٤) زخارفنا : أى ما يزين به الأدباء أشعارهم ورسائلهم من تحلية وتنميق .

(٥) الغلو والإغراق فى الشئ : المبالغة فيه .

(٦) السرى : الرفيع .

(٧) حوزة الأوطان : أى ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها .

(٨) يشير بهذا البيت إلى أن الممدوح من بلد آخر غير البلد الذى رشح للنيابة عنه ، ولو كان منه لأدرك أهله ما فيه من رضى وخير .

إلى سعد زغلول باشا

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباخرة دندرة

[نشرت فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦ م]

ما بالُ (دَنْدَرَةٍ) تَميسُ تَهادِيًا ... مَيْسَ العَرُوسِ مَشَتْ على إسْتَبْرَقِ (١)

والنِّيـــلُ يَجْرى تَحْتَها مُتَهَلِّلاً ... والمَـوْجُ بَيْنَ مُهَلِّلٍ ومُصَفِّقِ

أَلَعَلَّهَا — والتِّيهُ يَثْنِى عِطْفَها — ... حَمَلَتْ رِكَابَ زَعِيمِ قَلْبِ المَشْرِقِ ؟ (٢)

إِنِّى أَرَى نُوراً يَفِيضُ وطَلْعَةً ... قد زانَها وَضَحُ الجَبِينِ المُشْرِقِ

هٰـذا زَعِيمُ النِّيلِ حَلَّ عَرِينَه ... بَعْـدَ الغِيابِ فيا وُفُودُ تَدَفَّقِى (٣)

وتَيَمَّـنِى بِقُـدُومِه وتَرَفَّقِى ... عنـد الزِّحامِ فسَلْمَى وتَفَـرُّقِ (٤)

وتَنَظَّرِى إنّ الخَـلاصَ مُحَتَّمٌ ... فاللهُ أَسْـلَمَ أَمْرَنَا لِمُـوَفَّقِ (٥)

كم أَزْمَةٍ مَرَّت بِنـا فاجتاحَها ... (سَعْدٌ) بِسَيْلِ بَيـانِه المُتَدَفِّقِ (٦)

يأَيُّها السَّبّاقُ فى طَلَبِ العُـلاَ ... ها قد أَتَيْتَ مُجَلِّيًا لَمْ تُسْبَقِ (٧)

سَبَقَ البَشِيرَ رِكابُ سَعْدٍ جارِيًا ... ورِكابُ سَعْدٍ وانِيًـا لم يُلْحَقِ (٨)

---

(١) تميس : تتمايل وتتبختر . والإستبرق : الديباج الغليظ ، وهو لفظ معرب .

(٢) العطف : الجانب ويريد « بقلب المشرق » : مصر ، لأنها منه بمنزلة القلب من الجسد .

(٣) العرين : مأوى الأسد .

(٤) يروى أن الرئيس ابتسم عند ما أنشد هـذا البيت ، وقال : " إلا أنت يا حافظ " .

(٥) تنظرى : انتظرى .

(٦) اجتاحها : استأصلها وأودى بها . ويقال : إن حافظا لما أنشد هـذا البيت خاطب الرئيس وقال : " ألم يحصل " ؟ ، فضحك سعد وقال : « أنا لا أعرف » .

(٧) المجلى : السابق الذى يجىء أولا .

(٨) يقول : إن سعدا قد أفاض من صفته — وهى السبق فى سبل العلا — على الباخرة ، فسبقت البشير وهو يجرى ، ولو كانت وانية لسبقته أيضا ، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها .

تهنئة أحمد شوقى بك[١]

أنشدها فى المهرجان الذى أقيم لتكريمه بالأوبرا فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧ م
وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

بَلَابِلَ وادى النِّيل بالمَشْرِقِ اسْجَعِى ... بِشِعْرِ أَمِيرِ الدَّولَتَيْنِ وَرَجِّعِى[٢]
أَعِيدِى على الأَسْماعِ ما غَرَّدَتْ به ... يَرَاعَةُ شَوْقِى فى ابتداءٍ ومَقْطَعِ[٣]
بَرَاها له البارى فَلَمْ يَنْبُ سِنُّها ... إذا ما نَبَا العَسَّالُ فى كَفِّ أَرْوَعِ[٤]
مَوَاقِعُها فى الشَّرْقِ والشرقُ مُجْدِبٌ ... مَوَاقِعُ صَيْبِ الغَيْثِ فى كُلِّ بَلْقَعِ[٥]
لَدَيْها وُفُودُ اللَّفْظِ تَنْساقُ خَلْفَها ... وُفُودُ المَعانِى خُشَّعًا عِنْدَ خُشَّعِ[٦]
إذا رَضِيَتْ جاءتْ بأَنْفاسِ رَوْضَةٍ ... وإنْ غَضِبَتْ جاءتْ بِنَكْبَاءَ زَعْزَعِ[٧]
أَحَنُّ على المَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ ... وأَحْنَى على المَوْلُودِ مِنْ ثَدْيِ مُرْضِعِ[٨]
على سِنِّها رِفْقٌ يَسِيلُ ورَحْمَةٌ ... ورَوْحٌ لِمَنْ يَأْسَى وذِكْرَى لِمَنْ يَعِى[٩]

---

(١) أنظر التعريف بالمرحوم (أحمد شوقى بك) فى الحاشية رقم ١ من ص ٤٥

(٢) يريد «بالدولتين» : النظم والنثر . والترجيع : ترديد الصوت بالغناء .

(٣) فى ابتداء ومقطع : أى فى أول القصيدة وآخرها .

(٤) نبا ينبو : كل وارتد . والعسال : الرمح يهتز لينا . والأروع : الشجاع الشهم .

(٥) صيب (بتسكين الياء) أصلها صيب (بتشديدها) ، وهو المطر المنهمر المنصب . والبلقع : الأرض القفر لا نبات بها . يقول : إن آثار قلمه تفعل فى نفوس الشرقيين الظامئة ما تفعل السحب فى الأرض المجدبة .

(٦) يقول : إن يراعة هذا الشاعر قد ملكت ناصيتى الألفاظ والمعانى لا يستعصى عليها منهما شىء .

(٧) النكباء : الريح تنحرف عن مهب الرياح ، وتقع بين ريحين . والزعزع : الشديدة العصف .

(٨) المكدود : من أضناه الكد والمشقة . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٩) الروح : الراحة والرحمة . ويأسى : يحزن . ويعى : يحفظ .

تَسابَقُ فوقَ الطِّرْسِ أفكارُ رَبِّها ... سِباقَ جِيادٍ فى مَجالٍ مُرَبَّعِ (١)

تَطِيرُ بُرُوقُ الفِكْرِ خَلْفَ بُرُوقِها ... تُناشِدُها باللهِ لا تَتَسَرَّعى (٢)

تُحاوِلُ فَوْتَ الفِكْرِ لَوْ لَمْ تَكُفَّها ... أَنامِلُهُ كَفَّ الجَموحِ المُرَوَّعِ (٣)

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنّا بِذُخْرَىٰ نَباغَةٍ ... نُفاخِرُ أَهْلَ الشَّرْقِ فى أَىِّ مَجْمَعِ (٤)

نُفاخِرُ مِنْ (شَوْقِينا) بِيَراعَةٍ ... وَنَزْدادُ فَخْرًا مِنْ (عَلِيٍّ) بِمِبْضَعِ (٥)

فذاكَ شِفاءُ الجِسْمِ تَدْمَى جِراحه ... وتلكَ شِفاءُ الوالِهِ المُتَوَجِّعِ (٦)

نَمَتْكَ ظِلالٌ وارِفاتٌ وأَنْعُمٌ ... وَلَيِّنُ عَيْشٍ فى مَصِيفٍ وَمَرْبَعِ (٧)

وَمَنْ كانَ فى بَيْتِ المُلُوكِ ثَواؤُهُ ... يُنَشَّأُ على النُّعْمَى وَيَمْرَحُ وَيَرْتَعِ (٨)

لَئِنْ عَجِبُوا أَنْ شابَ (شَوْقِى) وَلَمْ يَزَلْ ... فَتِىَّ الهَوَى وَالقَلْبِ جَمَّ التَّمَتُّعِ (٩)

لَقَدْ شابَ مِنْ هَوْلِ القَوافِى وَوَقْعِها ... وَإِتْيانِهِ بِالمُعْجِزِ المُتَمَنِّعِ

كَما شَيَّبَتْ هُودٌ ذُؤابَةَ أَحْمَدٍ ... وَشَيَّبَتِ الهَيْجاءُ رَأْسَ المُدَرَّعِ (١٠)

---

(١) تسابق : أى تتسابق . والطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمجال : حيث تجول الجياد ، أى تجرى .

(٢) بروق الفكر : أى بروق فكر الشاعر . والضمير فى « بروقها » يعود على « اليراعة » المتقدمة . شبه فكر الشاعر ويراعته فى سرعتهما بالبروق ، وجعل برق يراعته أسرع من برق فكره .

(٣) الجموح : الفرس الذى يركب رأسه لا يثنيه شىء . والمروع : المفزع . يقول : إن يراعته تسبق أفكاره لولا أن أنامله تردها وتكبحها .

(٤) بذخرى : متعلق ، بقوله : « نفاخر » . والنباغة : النبوغ ، فعلها من باب كرم .

(٥) يريد « بعلى » : على إبراهيم باشا الجراح المعروف . والمبضع : المشرط .

(٦) ذاك : أى المبضع . وتلك : أى اليراعة .

(٧) نمتك : أى تعهدتك بالتربية والنماء . والوارفات : المتسعة الممتدة . والمربع : المكان يقام به فى فصل الربيع .

(٨) الثواء : الإقامة . (٩) فتى الهوى : جديده . يريد أن عواطف قلبه لم يطفئها المشيب .

(١٠) يشير بالشطر الأول إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « شيبتنى هود وأخواتها » أى سورة هود ، لما فيها من آيات الوعيد . والذؤابة من الشعر : الضفيرة . والهيجاء : الحرب . ويشير بالشطر الثانى إلى قول الشاعر :

وما شاب رأسى من سنين تتابعت ... على ولكن شيبتنى الوقائع

يَعيبُون (شَوْقِى) أن يُرَى غَيْرَ مُنْشِدٍ ... وما ذاكَ عَنْ عِىٍّ به أو تَرَفُّعِ (١)

وما كانَ عاباً أَن يَجِىءَ بمُنْشِدٍ ... لآياتِه أو أنْ يَجِىءَ بمُسْمِعِ (٢)

فهذا (كَليمُ اللهِ) قد جاءَ قَبْلَه ... (بهارُونَ) ما يَأْمُرْه بالوَحْىِ يَصْدَعِ (٣)

بَلَغْتَ بوَصْفِ النِّيلِ منْ وَصْفِكَ المَدَى ... وأيامَ (فِرْعَوْنٍ) ومَعْبُودِه (رَعِ) (٤)

وما سُقْتَ منْ عَادِ البِلادِ وأهْلِها ... وماثُلْتَ فى أهْرامِ (خُوفُو) و(خَفْرَعِ) (٥)

فأَطْلَعْتَها شَوْقِيَّـــةً لو تَنَسَّقَتْ ... مع النَّيِّراتِ الزُّهْرِ خُصَّتْ بمَطْلَعِ (٦)

أ(منْ أىِّ عَهْدٍ فى القُرَى) قد تَفَجَّرتْ ... يَنابِيعُ هٰذا الفِكْرِ أمْ (أخْتُ يُوشَعِ)؟ (٧)

---

(١) العى : عدم القدرة على الكلام . والترفع : الكبر . ويشير إلى أن شوقيا كان فى الحفلات لا ينشد قصائده بنفسه كما يفعل غيره من الشعراء ، بل كان ينيب عنه فى كل مجتمع من ينشد قصائده .

(٢) العاب والعيب : كلاهما بمعنى واحد .

(٣) كليم الله : نبيه موسى عليه السلام . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . ويشير إلى ما ورد فى القرآن حكاية عن موسى عليه السلام : (واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى) الآيات .

(٤) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة لشوقى فى النيل وتاريخ من ملكه من الفراعنة بعث بها إلى مرجليوث المستشرق المعروف فى سنة ١٩١٤ م . وأولها :

من أى عهد فى القرى تتدفق ... وبأى كف فى البرية تغدق

و"رع" : اسم الشمس عند قدماء المصريين ، وهو من معبوداتهم .

(٥) العاد : جمع عادة ؛ يريد عادات قدماء المصريين . وخوفو وخفرع : ملكان معروفان من ملوك مصر الفراعنة .

(٦) تنسقت : انتظمت . والنيرات الزهر : النجوم .

(٧) "من أى عهد فى القرى" : مطلع القصيدة السابق ذكرها فى الحاشية رقم ٤ من هذه الصفحة . وأخت يوشع : الشمس ؛ وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن المغيب لأجل يوشع . ويشير إلى قصيدة لشوقى فى توت عنخ أمون ، أولها :

قفى يا أخت يوشع خبرينا ... أحاديث القرون الغابرينا

وفى (تُوتَ) ما أعْيَا ٱبتِكارَ مُوَفَّقٍ ... وفى (ناشئٌ فى الوَرْدِ) إلْهامُ مُبْدِعِ (١)

أَسَالَتْ (سَلَا قَلْبِى) شُئُونِى تَذَكُّرًا ... كما نَثَرَتْ (رِيمٌ على القاعِ) أدْمُعِى (٢)

و (سَلْ يَلْدِزًا) إنِّى رَأيْتُ جَمَالَهَا ... على الدَّهْرِ قد أَنْسَى جَمَالَ (المُقَنَّعِ) (٣)

أَطَلَّتْ علينا (أُخْتُ أنْدُلُسٍ) بما ... أطَلَّتْ فَكَانَتْ للنُّهَى خيرَ مَشْرَعِ (٤)

وفى نَسْجِ (صَدَّاحٍ) أَتَيْتَ بآيَةٍ ... مِن السَّهْلِ لا تَنْقادُ (لٱبنِ المُقَفَّعِ) (٥)

---

(١) يشير بقوله : "وفى توت" إلى قصيدة لشوقى فى توت عنخ أمون ، أولها :

درجت على الكنز القرون ... وأتت على الدن السنون

وبقوله : « ناشىء فى الورد » إلى قصيدة له فى المنتحرين لرسوبهم فى الامتحانات ، أولها :

ناشئ فى الورد من أيامه ... حسبه الله أبا لورد عثر

(٢) يشير بقوله : "سلا قلبى" إلى قصيدة لشوقى قالها فى استقباله لمصر عند عودته من منفاه بالأندلس ، أولها :

سلا قلبى غداة سلا وتابا ... لعل على الجمال له عتابا

وبقوله : "ريم على القاع" إلى قصيدة له فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم سماها : نهج البردة ، وأولها :

ريم على القاع بين البان والعلم ... أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

والشئون : الدموع .

(٣) يشير إلى قصيدة للدوح فى خلع السلطان عبد الحميد سماها : (عبرة الدهر) ، أولها :

سل يلدزا ذات القصور ... هل جاءها نبأ البدور

ويريد بالمقنع : المقنع الكندى ، وهو لقب غلب عليه لأنه كان أحسن الناس وجها وأمدهم قامة وأكملهم خلقة ، ويروون أنه كان إذا سفر اللثام أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت ، فكان لا يمشى إلا مقنعا ؛ واسمه محمد بن ظفر ابن عمير ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه .

(٤) أطلت علينا : أى ظهرت لنا من أعلى . ويشير إلى قصيدة لشوقى فى رثاء مدينة أدرنة ، وهى من أمهات مدن الدولة العثمانية ، وكانت قد سقطت فى يد البلغار فى الحرب البلقانية ، وأول القصيدة :

يا أخت أندلس عليك سلام ... هوت الخلافة عنك والإسلام

والمشرع : المورد الذى يستقى منه .

(٥) يشير إلى قصيدة لشوقى فى تفضيل حجاب المرأة على سفورها ، يخاطب بها المرحومة باحثة البادية ، أولها :

صداح يا ملك الكنا ... رويا أمير البلبل

وابن المقفع : هو عبد الله بن المقفع الكاتب المعروف .

ورائع وَصْفٍ فى (أبى الهَول) سُقْتَه ... كبُسْتان نَوْرٍ قَبْلَ رَعيكَ ما رُعِى[1]
خَرَجْتَ به عن طَوْق كلِّ مُصَوِّرٍ ... يجيدُ دَقِيقَ الفَنِّ فى جَوْفِ مَصْنَعِ[2]
وفى (انظُرْ إلى الأقمارِ) زَفْرةُ واجِدٍ ... وأَنَّةُ مَقْرُوحِ الفـــؤادِ مُوَزَّعِ[3]
بَكَيْتَ على سِرِّ السَّماء وطُهْـــرِها ... وما ٱبتَذَلُوا مِنْ خِدْرِها المُترفَعِ
شَياطِينُ إنْسٍ تَسْرِق السَّمْعَ خُلْسَةً ... ولا تَحْـــذَر الخُبْـــوءَ للمُتَسَمِّعِ[4]
وســـينِيَّةٍ (للبُحْتُرِىِّ) نَسَـــخْتَها ... بسِينِيَّةٍ قد أَخْرَسَت كلَّ مُدَّعى[5]
أَتَى لك فيها طائعًا كلُّ ما عَصَى ... على كلِّ جَبَّـــارِ القَرِيحَـــةِ أَلْمَعِى[6]
شَجَا (البُحْتُرِى) إيوانُ (كِسْرَى) وهاجَه ... وهاجَتْ بكَ (الحَمْراءُ) أَشْجانَ مُوجَعِ[7]

---

(١) الرائع : ما أعجب الناس بحسنه . ويشير إلى قصيدة لشوقى فى وصف أبى الهول ، أولها :

أبا الهول طال عليـك العصر ... وبلغت فى الأرض أقصى العمر

والنور (بفتح النون) : زهر النبات .

(٢) الطوق : الجهد والطاقة .

(٣) يشير إلى قصيدة لشوقى فى رثاء فتحى ونورى الطيارين العثمانيين ، وكانا قد سقطت بهما طائرتهما فى أثناء رحلتهما إلى مصر قبل نشوب الحرب العظمى ، وأولها :

انظر إلى الأقمار كيف تزول ... وإلى وجوه السعد كيف تحول

والواجد : ذو الوجد . والفؤاد الموزع : المفرق مما اختلف عليه من الشجون .

(٤) يريد بشياطين الإنس : الطيارين . ويريد « بالمخبوء للتسمع » : الشهب التى يرجم بها من الشياطين من يسترق السمع من السماء .

(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لأبى عبادة البحترى على قافية السين فى وصف إيوان كسرى ، أولها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى ... وترفعت عن جدا كل جبس

وقصيدة لشوقى يعارضه بها ، يذكر فيها بعده عن بلاده فى منفاه ، ويرثى فيها الأندلس ، وأولها :

اختلاف النهار والليـل ينسى ... اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

(٦) الألمعى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الذكى المتوقد .

(٧) البحترى : هو أبو عبادة الوليـد بن عبيد الله الطائى ، الشاعر المعروف . والحمراء : قصر بغرناطة بالأندلس ، بنى فى عهد دولة بنى الأحمر ، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم .

وَقَفْتَ بها تَبْكِى الرُّبُوعَ كما بَكَى ... فيا لَكُما مِنْ واقِفَيْنِ بَأَرْبُعِ

فَنَسْجُكَ كالدِّيباجِ حَلّاه وَشْيُه ... وفى النَّسْجِ ما يَأْتِى بَثَوْبٍ مُرَقَّعِ (١)

وشِعْرُكَ ماءُ النَّهْرِ يَجْرِى مُجَدَّدا ... وشِعْرُ سَوادِ النّاسِ ماءٌ بمَنْقَعِ (٢)

أ (أَفْضَى إلى خَتْمِ الزَّمانِ فَقَضَّه) ... مِن الوَحْى والإلْهامِ أَمْ قَوْلُ لَوْذَعِى ؟ (٣)

و (قَلْبى ادَّكَرْتَ اليومَ غَيْرَ مُوَفَّقٍ) ... رُقَى السِّحْرِ أَمْ أَنَّاتُ أَسْوانَ مُولَعِ ؟ (٤)

تَمَلَّكت مِنْ مُلْكِ القَرِيضِ فَسيحَه ... فلَمْ تُبقِ يا (شَوْقِى) لَنَا قِيدَ إصْبَعِ

فبالله دَعْ للنّاظِرين وَسِيلَةً ... تُفِيءُ عليهِمْ واتَّقِ اللهَ واقْنَعِ (٥)

عَمِلْتَ على نَيْلِ الخُلُودِ فنِلْتَه ... فَقُلْ فى مَقامِ الشُّكْرِ يا رَبِّ أَوْزِعِ (٦)

جَلَا شِعْرُهُ للنّاسِ مِرْآةَ عَصْرِه ... ومِرْآةَ عَهْدِ الشِّعْرِ مِنْ عَهْدِ (تُبَّعِ) (٧)

يَجِيءُ لنا آناً (بأَحْمَدَ) ماثِلًا ... وآوِنَةً (بالبُحْتُرِىِّ) المُرَصَّعِ (٨)

---

(١) الوشى : النقش . وشبه فى الشطر الثانى الشعر الذى لا تستوى أجزاؤه فى الحسن وضده بالثوب المرقع .

(٢) سواد الناس : عامتهم . والمنقع : الموضع يستنقع فيه الماء .

(٣) يشير إلى قول شوقى فى رثاء (اللورد) كارنارفون الذى كشف عن قبر توت عنخ أمون :

أفضى إلى ختم الزمان فقضه ... وحبا إلى التاريخ فى محرابه

واللوذعى : الذكى الذهن .

(٤) الأسوان : الحزين . والرقى : جمع رقية ، وهى العوذة يتعوذ بها من العلل والآفات .

(٥) تفىء عليهم : أى تعود عليهم بالخير والرزق .

(٦) أوزعه الله الشكر : ألهمه إياه . ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام فى سورة النمل : (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) الآية .

(٧) تبع : لقب لملوك حمير . ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صوّر القديم والجديد .

(٨) يريد « بأحمد » أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الكوفى الكندى الشاعر المعروف .

ويَشْأُو رُقَى (هُوجُو) ويَأْتِى نَسِيبُه لَنَا مِنْ ليالى (أَلْفَرِيدَ) بأَرْبَعِ (١)

وإن خَطَرَتْ ذِكْرَى الفُحُولِ بفارِسٍ وما خَلَّفُوا فى القَوْلِ مِن كلِّ مُشْبِعِ (٢)

أَتانا بَرَوْضٍ مُزْهِرٍ مِنْ رِياضِهِمْ و (حافظُهُمْ) فيه يُغَنِّى ويَرْتَعِى (٣)

فقُلْ لِلّذى يَبْغِى مَداهُ مُنافِسًا طَمِعْتَ لَعَمْرُ اللهِ فى غَيْرِ مَطْمَعِ (٤)

فذَلِكَ سَيْفٌ سَلَّهُ اللهُ قاطِعٌ فأَيّانَ يَضرِبْ يَفْرِ دِرْعاً ويَقطَعِ (٥)

وهَلْ تَدْفَعُ الدِّرْعُ المَنِيعَةُ صارِماً به يَضْرِبُ المِقدارُ فى كَفِّ سَلْفَعِ (٦)

نُفِيتَ فلَمْ تَجْزَعْ ولَمْ تَكُ ضارِعاً ومَنْ تَرْمِه الأيّامُ يَجْزَعْ ويَضْرَعِ (٧)

وأَخْصَبتَ فى المَنْفَى وما كُنْتَ مُجْدِباً وفى النَّفْىِ خِصْبُ العَبْقَرِىِّ السَّمَيْذَعِ (٨)

---

(١) يشأو ، يسبق . رقى هوجو ، أى أشعاره التى تشبه رقى السحر . وفكتور هوجو ، هو شاعر فرنسا المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٣ ، والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . وألفريد : هو ألفريد ديموسيه من كبار شعراء فرنسا ، ولد بباريس سنة ١٨١٠ م ، وتوفى بها سنة ١٨٥٧ م ، وكان ممتازا فى شعره بالرقة ولطف الصياغة ، وهو صاحب الليالى الأربع المشار إليها فى هذا البيت فى الحب والشك والسلوان ، وهى ليلة من (آيار) وليلة من (كانون أوّل) ، وليلة من (آب) وليلة من (تشرين أوّل) . وفى كل ليلة من هذه الليالى الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب ؛ وهذه الليالى هى التى رفعته إلى الطبقة الأولى بين شعراء فرنسا .

(٢) بفارس : يريد أمة الفرس ، وقد عرف شعراؤها بالإبداع فى المعانى ، وفى هذا يقول حافظ من قصيدة له فى مدح البارودى :

ومر كل معنى فارسى بطاعتى وكل نفور منه أن يتودّدا

(٣) يريد « بحافظ » : شمس الدين محمد الشيرازى الشاعر الغنائى المعروف ، ولد بشيراز فى مستهل القرن الثامن الهجرى ، وتوفى سنة ٧٩٣ هـ . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما أبدعوا فيه من المعانى وأجادوا ، نمق شوقى من رياض أشعاره ما يحكى رياض أشعارهم حتى إن شاعرهم الكبير حافظا الشيرازى ليتغنى ويرتعى فى رياض ذلك الشاعر العربى (شوقى) .

(٤) المدى : الغاية .

(٥) يفرى : يشق .

(٦) المقدار : القدر . والسلفع : الجرىء الشجاع .

(٧) يضرع : يذل .

(٨) يريد بقوله : «أخصبت فى المنفى» : أن شعره جاد وحسن فى النفى ، وما كان مجدبا من قبل . والسميذع : السيد الكريم .

لقد زادَ (هُوجُو) فيه خصْبَ قَريحَةٍ ... وآبَ إلى أوطانِهِ جدَّ مُمْرِعِ (١)

وأدْرَكَ (سامى) بالجزيرةِ غايَةً ... إليها مُلُوكُ القولِ لم تَتَطَلَّعِ (٢)

تَذَكَّرْتَ عَذْبَ النِّيلِ والنَّفْسُ صَبَّةٌ ... الى نَهْلَةٍ من كُوبِ ماءٍ مُشَعْشَعِ (٣)

وأرْسَلْتَ تَسْتَسْقِي بَنِي مِصْرَ شَرْبَةً ... فَقَطَّعْتَ أحْشائِي وأَضْرَمْتَ أَضْلُعِي (٤)

أَتَرْوَى ولا تَرْوَى وأنتَ أحَقُّنا ... بِرِيٍّ فيا قَلْبَ النُّبُوغِ تَقَطَّعِ

وإن شِئْتَ عَنّا يا سَماءُ فَأَقْلِعِي ... وَيَا ماءَها فاكْفُفْ ويا أرْضُ فابْلَعِي (٥)

حَرامٌ عَلَيْنا أنْ نَسُلَّ بِنَهْلَةٍ ... وأنتَ تُنادينا ونَحْنُ بِمَسْمَعِ

أَبَى اللهُ إلّا أنْ يَرُدَّكَ سالِمًا ... ومَنْ يَرْعَهُ يَسْلَمْ ويَغْنَمْ ويَرْجِعِ

وعُدْتَ فَقَرَّتْ عَيْنُ مِصْرٍ وأَصْبَحَتْ ... رِياضُ القَوافِي فى رَبِيعٍ مُوَشَّعِ (٦)

وأدْرَكْتَ ما تَبْنِي وشَيَّدْتَ آيَةً ... على الشاطِىءِ الغَرْبِيِّ فى خيرِ مَوْقِعِ (٧)

---

(١) « فيه » أى فى المنفى . والممرع : المخصب شبه شوقيا (بهوجو) كلاهما زاده النفى خصبا فى قريحته ونضجها فى شاعريته .

(٢) ملوك القول : فحول الشعراء . ويشير إلى نفى المرحوم محمود باشا سامى البارودى إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العرابية ، وما قاله فى أثناء النفى من الشعر .

(٣) النهلة : السقية . والمشعشع : الممزوج . يشير بهذا البيت وما بعده إلى الأبيات التى بعث بها شوقى وهو فى منفاه إلى حافظ ، وهى :

يا ساكنى مصر إنا لا نزال على ... عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

الأبيات . أنظر صفحة ٢٨٠ من هذا الجزء . وانظر رد حافظ عليها فى ص ١٧٩

(٤) أضرمت : ألهبت .

(٥) أقلعت السماء : كفت عن المطر . ويشير إلى قوله تعالى فى سورة هود : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى) .

(٦) الربيع الموشع الموشى بألوان الزهر والنبات .

(٧) يشير إلى قصر شوقى الذى بناه على الشاطىء الغربى للنيل بالجيزة .

يَحُفُّ بِهَا رَوْضٌ يُحَيِّي بُدُورَهَا ... بُكُوراً بِرَيَّا عَرْفِهِ المُتَضَوِّعِ (١)

حَمَى يَتَهَادَى النِّيلُ تَحتَ ظِلَالِهِ ... تَهَادِيَ خَوْدٍ فِي رِدَاءٍ مُجَزَّعِ (٢)

لَقَدْ كُنتَ تَرْجُو مِنْهُ بِالأَمْسِ قَطْرَةً ... فَدُونَكَهُ فَابْرُدْ غَلِيلَكَ وَانْقَعِ (٣)

أَمِيرَ القَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايِعًا ... وَهَذِي وُفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي

فَغَنِّ رُبُوعَ النِّيلِ وَاعْطِفْ بِنَظْرَةٍ ... عَلَى سَاكِنِي النَّهْرَيْنِ وَاصْدَحْ وَأَبْدِعِ (٤)

وَلَا تَنْسَ (نَجْدًا) إِنَّهَا مَنْبِتُ الهَوَى ... وَمَرْعَى المَهَا مِنْ سَارِحَاتٍ وَرُتَّعِ (٥)

وَحَيِّ ذُرَا (لُبْنَانَ) وَاجْعَلْ (لِتُونُسٍ) ... نَصِيبًا مِنَ السَّلْوَى وَقَسِّمْ وَوَزِّعِ

فَفِي الشِّعْرِ حَثُّ الطَّامِحِينَ إِلَى العُلَا ... وَفِي الشِّعْرِ زُهْدُ النَّاسِكِ المُتَوَرِّعِ

وَفِي الشِّعْرِ مَا يُغْنِي عَنِ السَّيْفِ وَقْعُهُ ... كَمَا رَوَّعَ الأَعْدَاءَ بَيْتُ (لأَشْجَعِ) (٦)

وَفِي الشِّعْرِ إِحْيَاءُ النُّفُوسِ وَرِيُّهَا ... وَأَنْتَ لِرِيِّ النَّفْسِ أَعْذَبُ مَنْبَعِ

فَنَبِّهْ عُقُولًا طَالَ عَهْدُ رُقَادِهَا ... وَأَفْئِدَةً شُدَّتْ إِلَيْهَا بِأَنْسُعِ (٧)

---

(١) الريا والعرف : الرائحة الطيبة . وبكورا : أى فى بكرة الصباح . والمتضوع : المنتشر الرائحة .

(٢) يتهادى : يمشى فى لين وخفة . والخود : الشابة الحسنة . والمجزع : المختلف الألوان .

(٣) تقع فلمأه بالماء : أرواه .

(٤) يريد بساكنى النهرين : أهل العراق . والنهران : دجلة والفرات . واصدح : أى غن بالشعر .

(٥) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة ؛ يريد النساء اللاتى يشبههن فى سعة العيون وجمالها : ويطلب إلى الشاعر أن يغنى نجدا بشعره ، كما يغنى أهل مصر .

(٦) يشير إلى بيت لأشجع بن عمرو السلمى الشاعر العباسى المعروف من قصيدة يمدح بها الرشيد :

وعلى عدوك يابن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا غفا ... سلت عليه سيوفك الأحلام

والمقصود هنا البيت الثانى .

(٧) الأنسع : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلد تشد به الرحال . يريد وصف الأفئدة بالتقيد والأسر فى أغلال العادات القديمة .

فقد غَمَرَتْهـا مِحْنَةٌ فوقَ مِحْنَةٍ ... وأنتَ لها يا شاعرَ الشَّرْق فادْفَعِ

وأنتَ بحَمْد الله ما زِلْتَ قادراً ... على النَّفْعِ فاستَنْهِضْ بيانَكَ وانْفَعِ

وخُذْ بزِمامِ القَوم وانزعْ بأهْلِه ... إلى المَجْد والعَلْياءِ أكرَمَ مَنْزِعِ[1]

وقِفْنا على النَّهْجِ القَويم فإنّنا ... سَلَكْنا طَريقًا للهُدَى غيرَ مَهْيَعِ[2]

مَلَأْنا طِباقَ الأرْض وَجْدًا ولَوْعَةً ... بِهِنْدٍ ودَعْدٍ والرَّباب وبَوْزَعِ

ومَلَّتْ بَناتُ الشِّعر منّا مَواقفًا ... بِسِقْطِ اللِّوَى (والرَّقْمَتَيْنِ) (ولَعْلَعِ)[3]

وأقْوامُنا في الشَّرْق قد طَالَ نَوْمُهُمْ ... وما كانَ نَوْمُ الشِّـــعْرِ بالمُتَوَقَّعِ

تَغَيَّرَت الدُّنْيـا وقد كانَ أهْلُها ... يَرَوْنَ مُتُونَ العيس أليَنَ مَضْجَعِ[4]

وكان بَرِيدُ العِـلْمِ عيرًا وأيْنُقًا ... مَتَى يُعْيِها الإيجافُ في البِيد تَظْلَعِ[5]

فأصْبَحَ لا يَرْضَى البُخارَ مَطِيَّـةً ... ولا السِّلْكَ في تَيّاره المتدفِّـعِ

وقد كانَ كُلَّ الأمْرِ تَصويبُ نَبْلَةٍ ... فأصبَحَ بَعْضَ الأمْرِ تَصْويبُ مِدْفَعِ

ونحنُ كما غَنَّى الأوائِلُ لم نَزَلْ ... نُغَنِّي بأرْماح وبِيضٍ وأدْرُعِ[6]

عَرَفنا مَدَى الشيءِ القَديم فهَلْ مَدًى ... لشيءٍ جَـديدٍ حاضرِ النَّفْعِ مُمْتِـعِ[7]

---

(١) وانزع بأهله : أى قد أهل الشرق وسربهم .

(٢) قفنا على النهج القويم : أى أرشدنا إلى الطريق المستقيم فى أغراض الشعر . والمهيع : الطريق الواضح البين .

(٣) بنات الشعر : أى معانيه وأغراضه . و «سقط اللوى» الخ : أسماء مواضع فى بلاد العرب وردت فى شعر القدماء .

(٤) متون العيس : ظهور الإبل .

(٥) العير : القافلة . والإيجاف : الإسراع . والبيد : جمع بيداء . وتظلع : تعرج فى مشيتها . يقول : كانت وسائل العلم فيما مضى السفر على ظهور الإبل التى لا تسعف راكبها .

(٦) يريد بالبيض : السيوف .

(٧) المدى : الغاية .

لَدَى كُلِّ شَعْبٍ فى الحَوادِثِ عُدَّةٌ ... وعُدَّتُنا نَدْبُ التُّرَاثِ المُضَيَّعِ[1]

فيا ضَيْعَةَ الأَقْلامِ إنْ لم نُقِمْ بِها ... دِعامَةَ رُكْنِ المَشْرِقِ المُتَزَعْزِعِ[2]

أَتَمْشى به شُمَّ الأُنوفِ عُداتُه ... ورَبُّ الحِمَى يَمْشى بأَنْفٍ مُجَدَّعِ[3]

عَزِيزٌ عليه يا بَنِى الشَّرْقِ أنْ تُرَى ... كَواكِبُه فى أُفْقِه غيرَ طُلَّعِ

وأَعْلامُه مِنْ فَوْقِه غيرَ خُفَّقٍ ... وأَقْلامُه مِنْ تَحتِها غير شُرَّعِ[4]

وكيف يُوَقَّى الشَّرّ أو يَبْلُغُ المُنَى ... على ما نَرَى مِنْ شَمْلِه المُتَصَدِّعِ؟

فإنْ كُنتَ قَوّالاً كَريمًا مَقالُه ... فَقُلْ فى سَبِيلِ النِّيلِ والشَّرْقِ أَوْدَعِ

إلى المحتفلين بتكريم حافظ

يبتان قالها فى المأدبة التى أقامها بعض أدباء العرب فى (جروبى) لتكريمه هو (وشوقى) (ومطران)

[نشرا فى ٣١ يناير سنة ١٩٢٨م]

قَدْ قَرَأْناكُمُ فَهَشَّتْ نُهانَا ... فاقْتَبَسْنَا نُورًا يُضِىءُ السَّبِيلاَ[5]

فاقْرَءونا ومَنْ لنا أَنْ تُصيبُوا ... بَيْنَ أَفْكارِنا شُعاعًا ضَئيلاَ؟

---

(١) ندب التراث المضيع : أى البكاء على ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفاخر .

(٢) الدعامة : عماد البيت . والمتزعزع : المضطرب .

(٣) شم الأنوف : وصف يقال للسادة الأعزاء . والمجدّع : المقطوع . ويقال ذلك للذليل . يقول : إن أعداء الشرق والطامعين فيه قد عزوا به وسادوا ، وأهله ذلوا به واستكانوا . ويشير بذلك إلى ما جنته الامتيازات على الشرق .

(٤) الشرع : المستدة المصوبة إلى الغرض .

(٥) قرأناكم : أى قرأنا ما أنشأتموه من نظم ونثر .

تحيـــة لجمعية المرأة الجديدة

[نشرت فى ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨م]

إليكُنّ يُهْـدِى النِّيلُ أَلْفَ تَحِيَّـةٍ ... مُعَطَّـــرَةٍ فى أَسْطُـرٍ عَطِـــرات

ويُثْنِي على أَعْمالِكُنّ مُوَكِّلِى ... بإطْراء أَهْـــلِ البِرِّ والحَسَنات[1]

أَقَمْتُنّ بالأَمْسِ الأَساسَ مُبارَكًا ... وجِئْتُنّ يومَ الفَتْحِ مُغْتَبِطاتِ

صَنَعْتُنّ ما يُعْيِي الرجالَ صَنِيعُـهُ ... فزِدْتُنّ فى الخَيْراتِ والبَرَكاتِ

يقولون: نِصْفُ النَّاسِ فى الشَّرقِ عاطِلٌ ... نِساءٌ قَضَيْنَ العُمْـرَ فى الحُجُـراتِ

وهذى بَناتُ النِّيلِ يَعْمَلْنَ للنُّهَى ... ويَغْـرِسْنَ غَرْسًا دانِيَ الثَّمَرَاتِ

وفى السَّنَـةِ السَّوْداء كُنتنَّ قُدْوَةً ... لنـا حِينَ سالَ المَوْتُ بالمُهَجاتِ[2]

وقَفْتُنَّ فى وَجْهِ الجَحِيمِ مُدَجَّجًـا ... وكُنْتُنَّ بالإيمَـانِ مُعْتَصِـمـاتِ[3]

وما هَالَكُنَّ الرُّمْحُ والسَّيْفُ مُصْلَتًـا ... ولا المَدْفَعُ الرَّشَّاشُ فى الطُّرُقاتِ[4]

تَعَـلَّمَ منكنّ الرجالُ فأَصْبَحُوا ... على غَمَراتِ المَوْتِ أَهْـلَ ثَبـاتِ

(صَفِيَّةُ) قادَتْكُنّ للمَجْدِ والعُـلاَ ... كما كان (سَعْدٌ) قائدَ السَّرَواتِ[5]

---

(١) موكلى : أى أن النيل قد أنابه عنه فى إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن .

(٢) يريد بالسنة السوداء : سنة ١٩١٩ م التى احتدمت فيها نار الثورة الوطنية ، وقد أخذ السيدات المصريات من الجهاد فيها بنصيب وافر .

(٣) الجحيم : الجيش . والمدجج : لابس السلاح . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى مظاهرة السيدات التى تعرض لها الجنود أيام اشتعال الثورة الوطنية ، وثبت السيدات لهم ولم يتفرقن ؛ وقال حافظ فى هذه الحادثة قصيدته المعروفة التى أولها :

خرج الغوانى يحتججـــــن ورحت أرقب جمعهنه

(٤) المصلت : المجرد من غمده .

(٥) سروات الناس : أشرافهم .

عَرَفْنا لها فى مَجْدِ (سَعْدٍ) نَصيبَها ... مِنَ الحَزْمِ والإقْدامِ فى الأَزَمات
تُهَوِّنُ للشَّيْخِ الجَليلِ هُجُومه ... على الهَوْلِ بالتشجيعِ والبَسَماتِ
وتَدْفَعُه للمَوْتِ والثَّغْرُ باسِمٌ ... وفى صَدْرِها نَوْءٌ مِنَ الزَّفَرَاتِ[1]
كذا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الكَرِيمِ وصَبْرُه ... على دَهْرِه والدَّهْرُ غيرُ مُواتِي[2]
لِتَحْيَ الغوانِي فى ظِلالِ مَليكَةٍ ... سَمَتْ فى مَعاليها على المَلِكاتِ
وظَلَّ (فُؤَادٌ) مَفْخَرَ الشَّرْقِ كلِّهِ ... كَثِيرَ الأيادِى صادِقَ العَزَمات

إلى "الدكتور" "صاحب المعالى" محمد حسين هيكل بك "باشا" وخليل مطران بك

قالها فى مناظرة كانت بين (هيكل) و(مطران) فى مدرج كلية الآداب ، موضوعها :
"هل الأدب العربى — قديمه وحديثه — يكفى وحده لتكوين الأديب؟"
[نشرت فى ١٨ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

سَمَا الخَطِيبانِ فى المَعالِى ... وجازَ شَأْوَاهُما السِّماكَا[3]
جالَا فلَمْ يَتْرُكَا مَجالًا ... واعْتَرَكَا بالنُّهَى عِراكَا[4]
فلَسْتُ أَدْرِى على اخْتِبارِى ... مَنْ مِنْهُما جَلَّ أَنْ يُحاكَى؟
فَوَحْيُ عَقْلِى يَقُولُ : هٰذا ... ووَحْيُ قَلْبِى يَقُولُ : ذَاكَا
وَدِدْتُ لو كلُّ ذِى غُرُورٍ ... أَمْسَى لنَعْلَيْهِمَا شِراكَا[5]

(١) نوء من الزفرات : أى ثقل منها تنوء باحتماله .
(٢) المواتى : الموافق .
(٣) الشأو : الغاية . والسماك : أحد كوكبين نيرين يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل .
(٤) النهى : العقول . الواحدة نهية .
(٥) شراك النعل : سيره الذى يكون على ظهر القدم ، وهو مثل فى القلة .

تحيـــة الشـــأم

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماع هذه القصيدة بالجامعة الأميركية ببيروت

[نشرت فى ٢ يونيه سنة ١٩٢٩ م]

حَيَّـا بَكُورُ الحَيَا أَرْباعَ لُبْنـانِ ... وطالَعَ اليُمْنُ مَنْ بالشَّأْمِ حَيّـانى[١]

أهلَ الشَّـآمِ لقـد طَوَّقْتُمُ عُنُقى ... بِمِنَّـةٍ خَرَجَتْ عن طَوْقِ تِبْيَانى[٢]

قُل للكَرِيمِ الّذى أَسْدَى إلَىَّ يَدًا ... أَنَّى نَزَحْتَ فأنتَ النازِحُ الدّانى[٣]

ما إنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِى ذِكْرَ عارِفَةٍ ... هل يَحْدُثُ الذِّكْرُ إلّا بَعْدَ نِسْيانِ[٤]

ولا عَتَبْتُ على حُرٍّ يَضَنُّ بهـا ... ما دامَ يَزْهَدُ فى شُكْرِى وعِرْفانى[٥]

أَقَرَّ عَيْنِيَ أنِّى قُمْتُ أُنْشِـدُكُمْ ... فى مَعْهَـدٍ بحُلَى العِرْفانِ مُزْدانِ

وشـاعَ فىَّ سُرُورٌ لا يُعـادِلُه ... رَدُّ الشَّبابِ إلى شَـعْرِى وجُثمانِى

لِى مَوْطِنٌ فى رُبُوعِ النِّيلِ أُعْظِمُه ... ولِى هُنـا فى حِماكُمْ مَوْطِنٌ ثانِى

إنِّى رأيتُ على أَهْرامِهـا حُلَلًا ... مِن الجَلالِ أراهَا فَوْقَ (لُبْنانِ)

لَمْ يَمْحُ مِنها ولا مِنْ حُسْنِ جِدَّتِها ... على التَّعاقُبِ ما يَمْحُو الجَدِيدانِ[٦]

---

(١) بكور الحيا : المطر المبكر . والأربع : المنازل الواحد ربع . وطالعه : طلع عليه . واليمن : البركة والخير .

(٢) الطوق : الطاقة والجهد .

(٣) أسدى : بذل وأعطى . واليد : المعروف والجميل . ونزح : بعد ، أى أنت إذا بعدت عنا بجسمك ، قريب بتذكرنا لأياديك علينا .

(٤) تقاضى : طلب . والعارفة المعروف . يريد أنه ما طلب إلى نفسه يوما أن تتذكر جميلا أسدى إليها ، فهى دائما تذكره ولا تنساه ، ولا يتذكر الإنسان شيئا إلا بعد نسيانه .

(٥) يضن بها : أى يبخل بالعارفة . وعرفانى : أى معرفتى .

(٦) الجدة : ضد القدم . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان ، فلا يقال الواحد منهما : الجديد .

حَسِبْتُ نَفْسِى نَزِيلاً بينكُمْ فإذا ... أَهْلِى وصَحْبِى وأحْبابِى وجيرانِى
من كلِّ أَبْلَجَ سامى الطَّرفِ مُضْطَلِعٍ ... بالخَطْبِ مُبْتَهِجٍ بالضَّيْفِ جَذْلانِ (١)
يَمْشِى إلى المَجْدِ مُخْتالاً ومُبْتَسِماً ... كأنّه — حينَ يَبْدُو — عُودُ مُرّانِ (٢)
سَكَنْتُمُ جَنّةً فَيْحاءَ ليس بها ... عَيْبٌ سِوَى أنّها فى العالَمِ الفانِى (٣)
إذا تأمّلْتَ فى صُنْعِ الإلٰه بها ... لَمْ تَلْقَ فى وَشْيِهِ صُنْعًا لإنْسانِ (٤)
فى سَهْلِها وأعاليها وسَلْسِلِها ... بُرْءُ العَلِيلِ وسَلْوَى العاشِقِ العانِى (٥)
وفى تَضَوُّعِ أَنْفاسِ الرِّياضِ بها ... رَوْحٌ لكلِّ حَزِينِ القَلْبِ أَسوانِ (٦)
أَنّى تَخَيَّرْتَ مِنْ (لُبْنانَ) مَنْزِلَةً ... فى كلِّ مَنْزِلَةٍ رَوْضٌ وعَيْنانِ (٧)
يالَيْتَنِى كنتُ مِنْ دُنْياىَ فى دَعَةٍ ... قَلْبِى جَمِيعٌ وأَمْرِى طَوْعُ وِجْدانِى (٨)
أَقْضِى المَصِيفَ بلُبْنانٍ على شَرَفٍ ... ولا أَحُولُ عَنِ المَشْتَى (بحُلْوانِ) (٩)
يا وَقْفَةً فى جِبالِ الأَرْزِ أَنْشُدُها ... بينَ الصَّنَوْبَرِ والشَّرْبِينِ والبانِ (١٠)

---

(١) الأبلج : الطلق الوجه . وسامى الطرف : مرتفعه ، أى طموح إلى المعالى . واضطلع بالأمر : نهض به . والجذلان : الفرح .

(٢) المران : الرماح اللدنة . الواحدة : مرانة . شبهه بالرمح فى استقامة القامة . (٣) الفيحاء : الواسعة .

(٤) الوشى : نمنمة الثوب ونقشه وتحسينه ، شبه به اختلاف الألوان فى الزهر والنبت .

(٥) السلسل : الماء العذب السلس السهل . والعانى : المعذب .

(٦) التضوع : انتشار الرائحة . والروح : الراحة والرحمة . والأسوان : الحزين .

(٧) « فى كل » جواب « أنى » الشرطية .

(٨) الدعة : السكون والراحة . وجميع : أى غير متفرق ولا مشتت الشئون .

(٩) الشرف : المرتفع من الأرض

(١٠) جبال الأرز : مرتفعات لبنان . والأرز : شجر معروف بها ، وكذلك الصنوبر . والشربين : شجر كالسرو إلا أنه أشد حمرة وأزكى رائحة وأعرض ورقا وأصغر ثمرا . والبان : شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف . الواحدة : بانة ، وبه تشبه القدود .

تَسْتَهْبِطُ الوَحْىَ نَفْسى مِنْ سَماوَتِها ... وَيَنْثَنى مَلَكًا فى الشِّعْرِ شَيْطانى[١]

عَلَّى أُجاوِدُكُمْ فى القَوْلِ مُقْتَدِيًا ... بِشاعِرِ الأَزْرِ فى صُنْعٍ وإتْقانِ[٢]

لا بِدْعَ إنْ أَخْصَبَتْ فيها قَرائِحُكُمْ ... فأَعْجَزَتْ وأَعادَتْ عَهْدَ (حَسَّانِ)[٣]

طيبُ الهَواءِ وطيبُ الرَّوْضِ قد صَقَلا ... لَوْحَ الخَيالِ فأَغْراكُمْ وأَغْرانى

مَنْ رامَ أَنْ يَشْهَدَ الفِرْدَوْسَ ماثِلَةً ... فَلْيَغْشَ أَحْياءَكُمْ فى شَهْرِ نَيْسانِ[٤]

تاهَتْ بِقَبْرِ (صَلاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُها ... وتاهَ أَحْياؤُها تِيهًا (بِمَطْرانِ)[٥]

يَبْنِي وَيَهْدِمُ فى الشِّعْرِ القَدِيمِ وفى الشِّـ ... ـعْرِ الحَدِيثِ فَنِعْمَ الهادِمُ البانِي

إذا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِى وَمْضَ بارِقَةٍ ... فَبَعْضُ إحْسانِهِ فى القَوْلِ إحْسانِي[٦]

رَعْيًا لشاعِرِكُمْ ، رَعْيًا لِكاتِبِكُمْ ... جَزاهُما اللهُ عَنِّى ما يَقُولانِ

أَرَى رِجالًا مِنَ الدُّنيا الجَدِيدَةِ فى الـ ... ـدُّنيا القَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُنْيانِ[٧]

قد شَيَّدُوا آيَةً بالشّامِ خالِدَةً ... شَتَّى المَناهِلِ تَرْوِى كُلَّ ظَمْآنِ

لئِنْ هَدَوْكُمْ لقد كانَتْ أَوائِلُكُمْ ... تَهْدِى أَوائِلَهُمْ أَزْمانَ أَزْمانِ[٨]

---

(١) من سماوتها : أى من أعلى هذه الجبال .

(٢) جاوده فى القول : أى باراه فى جودته . ويريد « بشاعر الأزر » : خليل مطران بك .

(٣) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف .

(٤) نيسان (بالفتح) : شهر من شهور السنة المسيحية ، وهو يقابل أبريل .

(٥) يريد بصلاح الدين : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، ورجل الحروب الصليبية المعروف ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٥٨٩ هـ . ويريد بمطران : خليل مطران بك الشاعر المعاصر المشهور .

(٦) الومض : اللمعان .

(٧) يريد « بالدنيا الجديدة » : أميركة . و « بالبنيان » : الجامعة الأميركية ببيروت التى أنشد فيها الشاعر قصيدته هذه .

(٨) يشير إلى فضل الشرق قديما على العالم . ويريد بقوله : « أزمان أزمان » الإبعاد فى القدم .

لا غَرْوَ إنْ عَمَّرُوا فى الأَرْض وٱبتكَرُوا ... فيها أَفانِينَ إصْلاحٍ وعُمْرانِ[١]

فتِلْكَ دُنْياهُمُ فى الجَوِّ قد نَزَعَتْ ... أعِنَّةَ الرِّيحِ مِنْ دُنْيا سُلَيْمانِ[٢]

أَبَتْ أُمَيَّةُ أَنْ تَفْنَى مَحامِدُها ... على المَدَى وأَبَى أَبْناءُ غَسّانِ[٣]

فمِنْ غَطارِفَةٍ فى (جِلِّقٍ) نُجُبٍ ... ومِنْ غَطارِفَةٍ فى أَرْض (حَوْرانِ)[٤]

عافُوا المَذَلَّةَ فى الدّنيا فعندهُم ... عزُّ الحياةِ وعِزُّ المَوْتِ سيّانِ[٥]

لا يَصْبِرُونَ على ضَيْمٍ يُحاوِلُهُ ... باغٍ مِنَ الإنْسِ أو طاغٍ مِن ٱلجانِ

شَقَقْتُ أَسْواقَ (بيرُوتٍ) فما أَخَذَتْ ... عَيْنَاىَ فى ساحِها حانُوتَ يُونانِى

فقلتُ فى غِبْطَةٍ : لِلّهِ دَرُّهُمُ ... ليسَ الفَلاحُ لِوانٍ غيرِ يَقْظانِ

تَيَمَّمُوا أَرْض كُولُمْبٍ فما شَعَرَتْ ... منهم بوَطْءِ غَرِيبِ الدارِ حَيْرانِ[٦]

سادُوا وشادُوا وأَبْلَوْا فى مَناكِبِها ... بَلاءَ مُضْطَلِعٍ بالأَمْرِ مِعْوانِ[٧]

---

(١) لا غرو : لا عجب . والأفانين : الضروب . الواحد : أفنون (بالضم) .

(٢) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وسليمان : هو سليمان بن داود عليهما السلام . ويشير بهذا إلى تفوق الأميركيين فى الطيران .

(٣) الغسانيون : أمراء تخوم الشام قديما من العرب ، وكانت لهم فيها حضارة ، ثم كان الشأم ملك بنى أمية ، وكانت دمشق دار خلافتهم نحو تسعين عاما ، وإلى هاتين الدولتين يشير الشاعر .

(٤) الغطارفة : الأشراف والسادة ، الواحد غطريف (بالكسر . وجلق (بكسرتين وتشديد اللام) اسم لكورة الغوطة كلها ؛ أو هى دمشق نفسها . وحوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع .

(٥) عافوا : أبوا وكرهوا .

(٦) تيمموا : قصدوا . وأرض كولمب : أميركة ، نسبة إلى كاشفها كريستوف كولمب . يشير إلى هجرة الشاميين إليها واستبطانهم لها حتى أصبحوا كأنهم من أهلها .

(٧) أبلوا فى مناكبها : جدّوا واجتهدوا فى نواحيها : ومضطلع بالأمر : ناهض به قوى عليه . والمعوان (بالكسر) الحسن المعونة الكثيرها .

إنْ ضاقَ مَيْدانُ سَبْقٍ مِنْ عَزائِمِهِمْ ... صاحَتْ بِهِمْ فأَرَوْهَا أَلْفَ مَيْدانِ[١]

لا يَسْتَشيرُونَ إنْ هَمُّوا سِوَى هِمَمٍ ... تأْبَى المُقامَ على ذُلٍّ وإِذْعانِ

ولا يُبالُونَ إنْ كانتْ قُبورُهُمُ ... ذُرَا الشَّوامِخِ أَوْ أَجْوافَ حِيتانِ[٢]

فى الكَوْنِ مَوْرِقُهُمْ فى الشامِ مَغْرِسُهُمْ ... والغَرْسُ يَزْكُو نِقالا بَيْنَ بُلْدانِ[٣]

إنْ لَمْ يَفُوزوا بِسُلْطانٍ يُقَرِّهُمُ ... ففِي المُهاجَرِ قد عَزُّوا بِسُلْطانِ[٤]

أَوْ ضاقَتِ الشأْمُ عَنْ بُرْهانِ قُدْرَتِهِمْ ... ففى المُهاجَرِ قد جاءُوا بِبُرْهانِ

إنَّا رأَينا كِرامًا مِنْ رِجالِهِمُ ... كانوا عليهِمْ لَدَيْنا خيرَ عُنْوانِ

أَنَّى الْتَقَيْنا التَقى فى كُلِّ مُجْتَمَعٍ ... أَهْلٌ بأَهْلٍ وإِخْوانٌ بإِخْوانِ

كَمْ فى نَواحى رُبُوعِ النِّيلِ مِنْ طُرَفٍ ... (لليازِجِيِّ) و (صَرُّوفٍ) و (زَيْدانِ)

وكَمْ لأَحْيائِهِمْ فى الصُّحْفِ مِنْ أَثَرٍ ... له (المُقَطَّمُ) و (الأَهرامُ) رُكْنانِ[٥]

مَتَى أَرَى الشَّرقَ أدناهُ وأَبْعَدَه ... عَنْ مَطْمَعِ الغَرْبِ فيه غيرَ وَسْنانِ[٦]

تَجْرى المَوَدَّةُ فى أَعْراقِه طُلُقًا ... بِكْرِيَّةِ الماءِ فى أَثْناءِ أَفْنانِ[٧]

---

(١) الضمير فى « صاحت » يعود على عزائمهم .

(٢) ذرا الشوامخ : أعالى الجبال .

(٣) مورقهم : أى حيث آثارهم النضرة وأعمالهم الناجحة ؛ وهو من ورق الشجر يرق (وزان وعد يعد) ؛ أى ظهر ورقه . يقول : إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموفقة فى مختلف نواحى العالم ، وموطنهم الذى نشأوا فيه بلاد الشأم . ويزكو : ينمو . شبههم بالغرس الذى يستفيد من تغيير بيئته وتربته قوة ونماء .

(٤) المهاجر (بضم الميم وفتح الجيم) : اسم المكان من هاجر .

(٥) المقطم والأهرام : صحيفتان مصريتان معروفتان أصحابهما من إخواننا اللبنانيين .

(٦) الوسنان : النائم

(٧) طلقا : منطلقة . والأفنان : الأغصان ، الواحد فنن بالتحريك . والذى فى نسخة الديوان أفناء أفنان ؛ ولم نجد لقوله « أفناء » معنى يناسب سياق البيت . وقد أثبتناها بالتاء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه .

لا فَرْقَ ما بَيْنَ بُوذِىٍّ يَعِيشُ به ... ومُسْـــلِمٍ ويَهُـــودِىٍّ ونَصْرانى

ما بالُ دُنْياهُ لمّـا فاءَ وارفُهـا ... عليه قد أَدْبَرَتْ مِنْ غَيْرِ إِيذانِ (١)

عَهْدُ (الرَّشِيد) (بِبَغْدادٍ) عَفَا ومَضَى ... وفى دِمَشْق انطَوَى عَهْدُ (ابنِ مَرْوَان) (٢)

ولا تَسَلْ بَعْدَه عَن عَهْدِ (قُرْطُبَةٍ) ... كيف انْمَحَى بين أَسْيافٍ ونِيرانِ (٣)

فعَلِّموا كلَّ حَىٍّ عنـــد مَوْلِدِه ... عليكَ لِلّهِ والأوطانِ دَيْنـانِ

حَتْمٌ قَضاؤُهُمـا ، حَتْمٌ جَزاؤُهُمـا ... فارْبَأْ بنَفْسكَ أنْ تُمْنَى بخُسْرانِ (٤)

(النِّيلُ) وَهْوَ إلى (الأُرْدُنِّ) فى شَغَفٍ ... يُهْدِى إلى (بَرَدَى) أَشْواقَ وَلْهـانِ (٥)

وفى (العِراقِ) به وَجْدٌ (بِدِجْلَتِـه) ... و (بالفُراتِ) وتَحْنانٌ (لَسَيْحانِ) (٦)

إنْ دامَ ما نَحْنُ فيـــه مِنْ مُدَابَرَةٍ ... وفِتنـــةٍ بين أَجْناسٍ وأَدْيانِ (٧)

رأيتُ رَأْىَ (المَعَرِّى) حينَ أَرْهَقَه ... ما حَلَّ بالناسِ مِنْ بَغْىٍ وعُدْوانِ (٨)

---

(١) فاء وارفها : أقبل خيرها ونعيمها . والوارف : الظل المنتشر المتسع . والإيذان : الإعلام .

(٢) يشير إلى عهد بغداد الحافل أيام الرشيد من سنة ١٧٠ هـ (سنة ٧٨٦ م) إلى سنة ١٩٣ هـ (سنة ٨٠٩ م) و إلى عهد دمشق الزاهر أيام بنى أمية ؛ وقد بقيت فيها الخلافة ٩٠ عاما من سنة ٤١ هـ (سنة ٦٦١ م) إلى سنة ١٣٢ هـ سنة (٧٥٠ م) .

(٣) قرطبة : بلد معروف بالأندلس . ويريد بعهدها : دولة العرب بها .

(٤) يقال : إنى أربأ بك عن هذا الأمر ، أى أرفعك عنه ولا أرضاه لك . وتمنى : تصاب .

(٥) الأردن : نهر معروف بالشام ، يصب فى البحر الميت . وبردى (بالتحريك) : نهر عليه دمشق .

(٦) دجلة والفرات : نهران معروفان فى العراق يصبان فى الخليج الفارسى . ويريد « بسيحان » : نهر سيحون فى آسيا الوسطى الروسية الذى يصب فى بحر آرال .

(٧) المدابرة : المقاطعة .

(٨) أرهقه : آذاه . والمعرّى : هو أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف .

لا تَطْهُرُ الأَرْضُ من رِجْسٍ ومن دَرَنٍ ... حتَّى يُعاوِدَها (نُوحٌ) بطُوفانِ (١)

وَلَّى الشَّبابُ وجازَتْنى فُتُوَّتُه ... وهَدَّمَ السُّقْمُ بَعْدَ السُّقْمِ أَرْكانِي (٢)

وقد وَقَفْتُ على السِّتِّين أَسْأَلُها ... أَسَوَّفَت أم أَعَدَّتْ حُرَّ أَكْفانِي ؟ (٣)

شاهَدْتُ مَصْرَعَ أَتْرابِي فَبَشَّرَنِي ... بِضَجْعَةٍ عندها رَوْحِي ورَيْحانِي (٤)

كم من قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فأَوْجَعَنِي ... وكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فأَبْكانِي

مَنْ كان يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فإِنَّهُمُ ... وَلَّوْا سِراعاً وخَلَّوْا ذٰلِكَ الوَادِي (٥)

إِنِّي مَلِلْتُ وُقُوفِي كلَّ آوِنَةٍ ... أَبْكِي وأَنْظِمُ أَحْزَاناً بأَحْزانِ

إِذا تَصَفَّحْتَ دِيوانِي لتَقْرَأَنِي ... وَجَدْتَ شِعْرَ المَرَاثِي نِصْفَ دِيوانِي

أَتَيْتُ مُسْتَشْفِياً والشَّوْقُ يَدْفَعُ بِي ... إِلى رُبَاكُمْ وعُودِي غيرُ فَيْنانِ (٦)

فأَنْزِلُونِي مَكاناً أَسْتَجِمُّ به ... ويَنْجَلِي عن فُؤادِي بَرْحُ أَحْزانِي (٧)

وجَنِّبُونِي على شُكْرٍ مَوائِدَكُمْ ... بِما حَوَتْ مِنْ (أَفاوِيهٍ) وأَلْوانِ (٨)

حَسْبِي وحَسْبُ النُّهَى ما نِلْتُ مِنْ كَرَمٍ ... قد كِدْتُ أَنْسَى به أَهْلِي وخُلَّانِي

---

(١) الرجس : النجس . والدرن : الدنس . ونوح : هو نوح النبي عليه السلام ؛ وقصة الطوفان فى عهده معروفة ، ورد ذكرها فى القرآن . ويشير بهذا البيت إلى قول أبى العلاء :

وإن الأرض للطوفان مشتاقة ... لعلها من درن تغسل

(٢) جازتنى : خلفتنى وتركتنى . (٣) حر كل شئ : خالصه .

(٤) الروح : الراحة . (٥) الوانى : أى المتأخر عنهم .

(٦) غير فينان : يريد أن عوده ذابل ذاو . والفينان من النبات : ما طال منه وحسن .

(٧) أستجم : أستريح . والبرح : الأذى والسقم .

(٨) يريد « بالأفاويه » : التوابل . وهى جمع الجمع ومفردها الأفواه ، وواحد الأفواه فوه كذوق .

تهنئة "صاحب المقام الرفيع" محمد محمود باشا

بلقب (دكتور) الشرف فى الحقوق الذى منحته إياه جامعة أكسفورد ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك

[نشرت فى ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩ م]

شَرَفُ الرِّآسَـــةِ يا مُحَـمَّـدُ زانَهُ شَرَفُ النُّهَى
بُرْدَانِ مِنْ نَسْجِ الجَلَا لِ إليهما الفَخْرُ انْتَهَى
جَعَـــلَا مَقَرَّكَ يا مُحَـمَّـدُ فَوْقَ أَكْنَافِ السُّهَى[1]
زانَتْكَ أَلْقَـابُ الرِّجَا لِ العامِلِينَ وزِنْتَهَـا
أُمْنِيَّـــةٌ قـد نَالَهَـا أَمَـــلُ الخُلُودِ ونِلْتَهَـا
فاسلكْ سَبِيلَكَ فى الجِهَا دِ مُوَفَّقًـا ومُـنَزَّهَـا
واحفَظْ لِمِصْرَ حُقُوقَ مِصْـ ـرَ فَأَنْتَ فى الجُلَّى لَهَا[2]

إلى (الدكتور) "السر" على ابراهيم بك (باشا)

قالها وقد عمل (الدكتور) عملية لصاحب (الدولة) المقام الرفيع محمد محمود باشا

[نشرت فى ٢٥ يوليه سنة ١٩٣٠ م]

أيَا يَدًا قَدْ خَصَّهَا رَبُّهَا بآيَةِ الإعْجَازِ فى الخَلْقِ
وَمِشْرَطًا جُمِّعَ مِنْ رَحْمَةٍ وصِيغَ مِنْ يُمْنٍ ومِن رِفْقِ
نَجَّيْتُمَا مِنْ مَرَضٍ قاتِلٍ مَطْلَعَ آمالِ بَنِي الشَّرْقِ

(١) السهى : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .
(٢) الجلى : ما جل من الشدائد .

لَوْلاَكُمَا لاندَكَّ صَرْحُ العُلاَ وٱنحَدَرَ البَدْرُ عَنِ الأُفْقِ
وباتَتِ الأَخْلاقُ فى حَسْرَةٍ على نَبِيلِ النَّفْسِ والخُلْقِ
صانَكُمَا اللهُ لبُرْءِ الوَرَى وصانَهُ للعُرْفِ وٱلحَقِّ[1]

وقال فيه أيضا :

(ارتجلها فى حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠ م)

قُلْ للطَّبِيبِ الَّذِى تَعْنُو ٱلجِراحُ له ماذا ٱعْتَدَدْتَ لجُرْحِ العاشِقِ العانِى[2]
قد كان مِبْضَعُه والجُرْحُ يَرْمُقُه يُمْنَى الحَبِيبِ تُواسِى صَدْرَ وَلْهَانِ[3]

إلى المستشار "صاحب المعالى" محمود غالب (بك) باشا[4] والأستاذ أحمد لطفى السيد (بك) باشا مدير الجامعة المصرية

[نشرت فى ٣١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

قد رَاعَ دَارَ العَدْلِ طُغْـ ـيانٌ ورَاعَ الجامِعَهْ
فَحَمَيْتُمَا حَرَمَيهِمَا رَغْمَ الخُطُوبِ الفاجِعَهْ

(١) العرف : الخير والجود . (٢) تعنو : تخضع وتذل . واعتددت أى أعددت . والعانى : الأسير .

(٣) المبضع : المشرط .

(٤) يشير الشاعر بهذه القصيدة إلى حادثتين : إحداهما ، أن محمود بك غالب المستشار بمحكمة الاستئناف كان رئيسا لإحدى دوائر محكمة الجنايات ، وقد عرضت على الدائرة التى يرأسها قضية القنابل المعروفة ، اتهم فيها جماعة بالقاء القنابل على بيوت بعض الكبراء ، واستمر غالب بك ينظر هذه القضية ثلاث جلسات ، فلما كانت الجلسة الرابعة يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٣٢ م تنحى عن النظر فيها ، وقال إنه يرى من الحكمة أن يمسك عن ذكر الأسباب التى حملته على هذا التنحى . و إنه لم يخضع فى هذا إلا لسلطان ضميره . والثانية ، أن الأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م لنقل (الدكتور) (طه حسين) عميد كلية الآداب إلى وزارة المعارف بدون رضاه ، ودون رضا الجامعة .

وقَهَرْتُمَا الباغى عَلَى ... رَدِّ الحُقُوق الناصعَهْ[1]
للهِ دَرُّ المُسْتَشَا ... رِ ودَرُّ ذَاكَ الباقِعَهْ[2]
فُهما اللَّذان تَكَفَّلاَ ... عَنّا بصَدِّ القارِعَهْ
نَظَرَ الحِيادُ بعَيْنِه ... فى النّاسِ هَوْلَ الواقِعَهْ[3]
أَمُنَى الحُايِد أنْ يَرَى ... مِصْرَ العزِيزَةَ ضارِعَهْ ؟[4]
كَذَبَ الحيادُ فلَنْ تَكُو ... نَ جُهُودُ مِصْرٍ ضائِعَهْ
فالحَقُّ لا تُلْوِى به ... تِلْكُ السُّيُوفُ اللَّامِعَهْ[5]
أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خاطرى ... والنَّفْسُ مِنِّى جازِعَهْ
أَنَعِيشُ تَحْتَ اللَّيْلِ أمْ ... تَحْتَ الشُّمُوس الساطِعَهْ

الى (الدكتور) طه حسين

أنشدهما فى حفل أقامه (للدكتور) بفندق مينا هاوس طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

[نشرت فى ٧ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

قد أَجْدَبت دارُ الحِجَا والنُّهَى ... بَعْدَكَ منْ آرائِكَ النافِعَهْ[6]
وأَخْصَبَتْ أَرْجاءُ مِصْرٍ بِمَنْ ... صَيَّرَ مِصْراً كلَّها جامِعَهْ

(١) الناصعة : أى الظاهرة التى لا يسع أحدا نكرانها .

(٢) الباقعة : الذكى العارف ، الذى لا يفوته شئ ولا يدهى .

(٣) كنى "بالحياد" عن الإنجليز، لأنهم كانوا فى هذا العهد يدعون أنهم على الحياد فى الشؤون الداخلية فى مصر، وأن التبعة كلها على الوزراء المصريين .

(٤) ضارعة : ذليلة .

(٥) ألوى بالشىء : ذهب به .

(٦) يريد "بدار الحجا والنهى" : الجامعة المصرية .

تهنئة المغفور له جلالة الملك "فؤاد" الأوّل بعيد جلوسه

أَرَأَيْتَ رَبَّ التَّاجِ فى عِيدِ الجُلُوسِ وقد تَبَدَّى[1]
وشَهِدْتَ جِبْرِيلا يَمُدُّ عليه ظِلَّ اللهِ مَدّا
ونَظَرْتَ تَطْوَافَ القُلُو بِ بِسَاحَةِ العَرْشِ المُفَدَّى
وسَمِعْتَ تَسْبِيحَ الوُفُو دِ بِحَمْدِه وَفْدا فوَفْدا
هٰذا ابْنُ إِسْمَاعِيلَ رَبِّ النِّيلِ مَنْ أَغْنَى وأَسْدَى[2]
النِّيلُ يَجْرِى تَحْتَهُ فَيَخُدُّ وَجْهَ الأَرْضِ خَدّا[3]
يَهَبُ النُّضَارَ كأنّه مِنْ فَيْضِ جَدْواه اسْتَمَدّا[4]
وكأنّما هُو عالِمٌ بالكيمياءِ أَصَابَ جَدّا[5]
يَدَعُ الثَّرَى تِبْرًا فَهَلْ شَهِدَ الوَرَى للنِّيلِ نِدّا ؟
النَّاسُ يومَ جُلُوسِهِ يَسْتَقْبِلُونَ العَيْشَ رَغْدا
أَنّى سَلَكْتَ سَمِعْتَ أَدْ عِيَةً له وسَمِعْتَ حَمْدا
عِشْ يا (أَبَا الفَارُوقِ) والْ بَسْ مِنْ نَسِيجِ الحَمْدِ بُرْدا
ها صَوْلَجَانَ المُلْكِ مِنْ شَجَرِ الجِنَانِ إليكَ يُهْدَى[6]

---

(١) تبدى : بدا وظهر . (٢) أسدى : أعطى . (٣) يخد : يشق .
(٤) النضار : الذهب . والجدوى : العطية والمعروف . (٥) الجد : الحظ .
(٦) الصولجان : العصا المنعطفة الرأس . والجمع صوالجه ، وهو لفظ فارسى معرب ، ويقال : صولجان الملك ، لأن الملوك قديما كانوا يتخذونه شعارا للملك .

حُدَّتْ عُلَا صِيد المُلُو ... كِ ولا أَرى لُعلاكَ حَدّا[1]
فابنِ الرِّجالَ بِنايَةً ... يَشقَى العَدُوّ بها ويَرْدَى[2]
وٱضرِبْ بسَوْطِ البَأْسِ أَعْـ ... ـطافَ الزّمانِ إذا ٱستَبَدَّا[3]
أَىُّ المُلُوكِ أَجَلُّ مِنْـ ... ـكَ مَكانَةً وأَعَزُّ جُنْدَا ؟
مَنْ مِنهُمُ كَفّاه يو ... مَ البَذْلِ مِن كَفَّيْكَ أَنْدَى ؟[4]
مَنْ مِنهُمُ نامتْ رَعـ ... ـيّتُهُ وقامَ اللّيلَ سُهْدَا ؟
مَنْ مِنهُمُ ساماكَ أَوْ ... سامَى جَلالَكَ أوتَحَدَّى ؟[5]
مَنْ مِنهُمُ أوفَى حِجًا ... وحَصافَةً وأَبَرُّ وَعْدا ؟[6]
فى الشَّرْقِ فانظرْ هَلْ تَرَى ... حَسَبًا (كإِسْماعِيلَ) عُدّا ؟
هٰذى (الجَزيرةُ) و (العِرا ... قُ) و (فارِسٌ) يُهْدَدْنَ هَدّا[7]
وإليكَ (مَكّةَ) هلْ تَرَى ... أَحَدًا بِها وإليكَ (نَجْدا)
وإليكَ (تُونُسَ) و (الجَزا ... ئِرَ) قد لَبِسْنَ العَيْشَ نَكْدا
لَمْ يَرْتَفِعْ فى الشَّرقِ تا ... جٌ فوقَ تاجِ (النِّيلِ) مَجْدا
جَدَّدَت عَهْدَ (الرَّاشِدِيـ ... ـنَ) تُقًى وإِحْساناً وزُهْدا
ونَرَى عَلَيْكَ مَخايِلَ الـ ... ـخُلَفاءِ إنْصافاً ورُشْـدا

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر المزهو .
(٢) يردى : يهلك .
(٣) الأعطاف : الجوانب الواحد عطف (بالكسر) .
(٤) أندى : أسخى .
(٥) ساماك : أى غالبك فى السمو . وتحداك : نازعك الغلبة .
(٦) الحجا : العقل . والحصافة : جودة الرأى .
(٧) يهددن هدا : أى أن أركان العمران تتداعى فيها

جَلَّتْ صِفاتُكَ ، كم مَحَوْ تَ أَسًى وكَمْ أَوْرَيْتَ زَنْدا[١]

أَعْطَيْتَ لا مُتَرَبِّحًا أو مُخْفِيًا فى الجُودِ قَصْدا[٢]

رَوَّيْتَ أفئدةَ الرَّعِـ ـيَّةِ من هَواكَ فكيفَ تَصْدَى[٣]

ومَلَكْتَهُنّ كما مَلَكْـ ـتَ زِمامَ (مِصْرَ) أَبًا وجَدّا[٤]

فإذا نَهَيْتَ فطاعةٌ وإذا أَمَرْتَ فلا مَرَدَّا

أَعْطَوْكَ طاعةَ مُخْلِصٍ ومَنَحْتَهُمْ عَطْفًا ووُدّا

أَوْضَحْتَ للمِصْرِىِّ نَهْـ ـجَ صَلاحِهِ فسَعَى وجَدّا[٥]

أَعْدَدْتَه وكَفَلْتَه ورَعَيْتَه حتّى اسْتَعَدّا

ودَعَوْتَه أنْ يَسْتَرِ دَّ نَخَارَ مِصْرٍ فاسْتَرَدّا

ورَدَ الحَياةَ عَزِيزةً فنَجَا وكان الموتُ وِرْدَا

وحَمَى الكِنانَةَ بَعْدَ ما حَفَرَتْ لها الأَطماعُ لَحْدا

فَتَحَتْ أَعيُنَنا فأَبْـ ـصَرْنَ الضِّياءَ وكُنّ رُمْدا[٦]

وأَقَمْتَ جامِعَةً بمِصْـ ـرَ تَشُدّ أَزْرَ العِلْمِ شَدّا[٧]

كَمْ سَيِّدٍ بالعِلْمِ كا نَ برَغْمِه للجَهْلِ عَبْدا[٨]

---

(١) الأسى : الحزن . وايراء الزند : كناية عن إغاثة الملهوف وإجابة السائل . والأصل فى ايراء الزند ، استخراج ناره .

(٢) لامتربحا ، أى غير مترقب من وراء معروفك وإعطائك نفعا لك . (٣) تصدى : تظمأ

(٤) الزمام (بالكسر) : ما تقاد به الدابة . (٥) النهج : الطريق . وجد : اجتهد .

(٦) الرمد : المصابة بالرمد ، الواحدة رمداء . وكنى بذلك عن الجهل . و" بالضياء " عن العلوم والمعارف .

(٧) تشد أزر العلم : أى تقويه وتنهضه .

(٨) يقول : كم من رجل سوّده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبدا لجهله .

ورَفَعْتَ فى ثَغْرِ الثُّغُو ... رِ لِمُنْشَآتِ البَحْرِ بَنْدا[1]
أَسَّسْتَ مَدْرَسَةً تُعِيـ ... ـدُ لنا بِمُلْكِ البَحْرِ عَهْدا
فَمَتَى أَرَى أَسْطُولَ مِصْـ ... ـرَ يُثِيرُ فَوْقَ البَحْرِ رَعْدا
ومَتَى أَرَى جَيْشَ البِلا ... دِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدّا
ونَظَرْتَ فى الطَّيَرانِ نَظْـ ... ـرَةَ مُصْلِحٍ لم يَأْلُ جُهْدا[2]
أَعْدَدْتَ عُدَّتَه ولَمْ ... تَرَ منه للأَوْطانِ بُدّا
أَعْظِمْ بأَسْطُولِ الهَوا ... ءِ إذ انْبَرَى فَسَطَا وشَدّا
مَنْ راءَه يومَ النِّزا ... لِ رَأَى النُّسورَ تَصِيدُ أُسْدا[3]
وتَراهُ عندَ السِّلْمِ سِرْ ... بًا مِنْ طَواوِيسٍ تَبَدَّى[4]
وطَوائِفَ العُمّالِ كَمْ ... أَوْلَيْتَها رِفْدًا فَرِفْدا[5]
مَنْ ذا يُطِيقُ لِبَعْضِ ما ... أَصْلَحْتَ أو أَسْدَيْتَ عَدّا
دُمْ يا (فُؤادُ) مُؤَيدا ... بالمالِ والأَرْواحِ تُفْدَى
وأَعِدْ لنا عَهْدَ المُعِـ ... ـزِّ الناطِمِيِّ فأَنْتَ أَهْدَى[6]

(١) يريد "بثغر الثغور" الاسكندرية . والمنشآت : السفن . والبند : العلم الكبير ، فارسى . يشير إلى مدرسة البحرية التى أنشأها المغفور له الملك فؤاد الأول .

(٢) لم يأل : لم يقصر . وفى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نظمت مصر الطيران ، وأنشأت أول أسطول جوى .

(٣) راءه : رآه . والنزال : الحرب .

(٤) السرب : جماعة الطير . والمعنى أن هذه الطائرات فى أيام السلم تشبه الطواويس فى الاعجاب بجمالها والاختيال بحسنها .

(٥) الرفد : العطاء والصلة . يشير إلى ما نالته نقابات العمال فى عهد جلالته من تأييد ومساعدات .

(٦) كان "المعز" رابع خلفاء الدولة الفاطمية . ولى الخلافة سنة ٣٤١ هـ . وتوفى سنة ٣٦٥ هـ . وفى أيامه دخل الفاطميون مصر ، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهرها .

تهنئة لصاحب السعادة أحمد نجيب الهلالى بك

قال هذين البيتين مرتجلا عند ما تولى وكالة المعارف للتعليم الفنى والفنون الجميلة سنة ١٩٢٩ م

أَضْحَى (نَجِيبٌ) وَكِيلاً لنا وَنِعْمَ الوَكِيلُ
فَلْيَنْعَمِ الشِّعْرُ بالاً فالشِّعْرُ فَنٌّ جَمِيلُ

التقريظات

تقريظ كتاب "فحول البلاغة" لمؤلفه السيد توفيق البكرى[1]

[نشر هذان البيتان فى سنة ١٣١٣ هـ]

هٰذا كِتَابٌ مُذْ بدا سِرُّهُ للنّاس قالوا : مُعْجِزٌ ثانى
أَثَابَكَ اللهُ على جَمْعِهِ ثوابَ (عُثْمَانَ بنِ عَفّان)[2]

تقريظ جريدة "مصباح الشرق"[3] لصاحبها إبراهيم المويلحى بك

أَهْلَ الصَّحافَةِ لا تَضِلُّوا بَعْدَه فَمِياؤُكُمْ قد زانَها (المِصْباحُ)
الحقُّ فيه زَيْتُـه ، وفَتِيلُه صِدْقُ الحَدِيثِ، ونُورُه الإصْلاحُ[4]

---

(١) ولد السيد الشيخ توفيق البكرى فى سنة ١٨٧٠ م ، وقد كان نقيبا للأشراف ومشيخة الطرق الصوفية ، كما كان عضوا بمجلس شورى القوانين . وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية فوق إجادته العربية التى عدّ فيها من أئمة الأدب والبيان . وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد ، وسمو الخديو عباس بكثير من الأوسمة . وله غير هذا الكتاب ، صهاريج اللؤلؤ ، وأراجيز العرب ، والمستقبل للاسلام ، وتوفى رحمه الله يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٢ م .

(٢) خص "عثمان بن عفان" بالذكر لأنه هو الذى نال ثواب جمع القرآن .

(٣) مصباح الشرق : صحيفة سياسية أدبية ، وكانت تصدر فى كل أسبوع فى مصر ، أنشئت فى سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٧ م) ، واحتجبت فى سنة ١٣٣١ هـ (سنة ١٩٠٣ م) .

(٤) الفتيل : جمع فتيلة ، وهى ذبالة المصباح .

تقريظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعى

(سنة ١٣٢١ هـ — سنة ١٩٠٤ م)

أَرَاكَ — وأَنتَ نَبْتُ اليومِ — تَمْشِي ... بِشِعْرِكَ فوقَ هامِ الأَوَّلِينا[١]
وأُوتِيتَ النُّبوّةَ فى المَعانى ... وما دانَيْتَ حَدَّ الأَرْبَعِينا[٢]
فزِنْ تاجَ الرِّآسَةِ بَعْدَ (سامى) ... كما زانَتْ فرائدُه الجَبِينا[٣]
وهٰذا الصَّوْلجانُ فكُنْ حَرِيصا ... على مُلْكِ القَريضِ وكُنْ أمينا[٤]
فَحَسْبُكَ أنّ مُطْرِيَكَ (ابنُ هانى) ... وأنّكَ قد غَدَوْتَ له قَرِينا[٥]

تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدين

[نشرت فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

أَحْيَيْتَ مَيْتَ رَجائِنا بصَحِيفَةٍ ... أَثْنَى عليها الشَّرْقُ والإِسْلامُ[٦]
أَضْحَتْ مُصَلًّى للبَلاغةِ عِنْدَما ... سَجَدَتْ بِرَحْبِ فِنائِها الأَقْلامُ[٧]
فعَلَى مُؤَيِّدِكَ الجَدِيدِ تَحِيَّةٌ ... وعَلَى مُؤَيِّدِكَ القَدِيمِ سَلامُ

---

(١) الهام : الرءوس . الواحدة : هامة .

(٢) يشير بهذا إلى ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : بعثت على رأس الأربعين .

(٣) يريد "بسامى" : المرحوم محمود سامى البارودى باشا . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ، وفرائد اللؤلؤ : يتائمه التى لا تواتم لها .

(٤) الصولجان (فى أصل معناه) : العصا المعوجة من طرفها ؛ وهو لفظ فارسى معرّب ، ويقال : صولجان الملك ، لأن الملوك كانوا فى القديم يتخذونه علامة على توليهم الملك .

(٥) مطريك : مادحك . ويريد "بابن هانىء" : المرحوم أحمد شوقى بك ، وكان يلقب بابن هانىء ، وسمى داره بالمطرية : كرمة ابن هانىء تشبيها (بالحسن بن هانىء) المعروف بأبى نواس .

(٦) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ على يوسف .

(٧) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة أمام البيت .

تقريظ "حديث عيسى بن هشام"

لصاحبه محمد المويلحى بك[١]

[نشر فى أول مارس سنة ١٩٠٧م]

قَلَمٌ إذا رَكِبَ الأَنامِلَ أو جَرَى ... سَجَدَتْ له الأَقلامُ وهْىَ جَوارِى

يَخْتالُ ما بَيْنَ السُّطُورِ كَضَيْغَمٍ ... يَخْتالُ بَيْنَ عَوامِلٍ وشِفارِ[٢]

تَأوِى الظُّباءُ إليه وهىَ أَوانِسٌ ... وتَحِيدُ عنه الأُسْدُ وهِىَ ضَوارِى[٣]

ما حالَ خُلْقُ الماءِ بَيْنَ سُطُورِه ... إلّا إلى خُلُقِ الزِّنادِ الوارِى[٤]

فإذا رَضِيتَ فأَحْرُفٌ مِنْ رَحْمَةٍ ... وإذا غَضِبْتَ فأَحْرُفٌ مِن نارِ

يا ابنَ الذى غَنِىَ اليَراعُ بكَفِّه ... فصَبَتْ إليه مَسامِعُ الأَقْدارِ[٥]

لكَ فى دَمِى حَقٌّ أَرَدْتُ وفاءَهُ ... يومَ الوَفاءِ فقَصَّرَتْ أَشْعارِى[٦]

لَمْ يُنْسِنى مَرُّ الزَّمانِ ولَمْ يَزَلْ ... حِفْظُ الوِدادِ سَجِيَّتِى وشِعارِى

---

(١) هو محمد بك ابن ابراهيم بك المويلحى ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٨ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولى عدة مناصب فى الحكومة المصرية ، واشتغل فى تحرير عدة صحف ، وكان هو وأبوه ابراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين فى مصر إذ ذاك ، وهما صاحبا صحيفة مصباح الشرق . ومحمد بك المويلحى ، هو مؤلف كتاب عيسى بن هشام ؛ وتوفى يوم السبت أول مارس سنة ١٩٣٠ م .

(٢) الضيغم : الأسد ؛ ويريد به هنا : الشجاع والعوامل : صدور الرماح : الواحد عامل . والشفار : جمع شفرة ، وهى حد السيف .

(٣) الضوارى : المدربة على الصيد والافتراس . يريد أن هذا القلم إذا رق ولطف أنست إليه الظباء ؛ وإذا قسا : خافته الآساد .

(٤) ما حال : أى ما تحول . ويريد « بخلق الماء » : الرقة والعذوبة . و « بخلق الزناد » : ما فيه من التوقد والالتهاب . والزناد الوارى : الذى خرجت ناره .

(٥) صبت : مالت .

(٦) كان الممدوح كثير الإغداق على حافظ . فهو إلى ذلك يشير بهذا البيت .

هَـذا كِتابُكَ قد حَكَتْ آياتُه ... آياتِ موسى التِّسْعَ فى الإِظْهارِ[١]

نَسَجَ الحريرَ أَبُوكَ نَسْجَ نِجارِه ... ونَسَجْتَ أنتَ جَرائرَ الأَقْطارِ[٢]

فإذا نَثَرْتَ على الصَّحيفةِ خِلْتَها ... غَرْسًا أَلَحَّ عليه صَوْبُ قِطارِ[٣]

يا صاحِبَ المِصْباحِ ما ذَنْبُ النُّهَى ... حتّى حَجَبْتَ مَطالِعَ الأَنْوارِ[٤]

قد كنتَ تَهْدِيها السَّبِيلَ بضَوْئِه ... فَتَرَكْتَها فى ظُلْمَةٍ وحِصارِ[٥]

باتتْ تُرَجِّى منكَ عَوْدَةَ غائبٍ ... نُورُ البَصائرِ فيه والأَبْصارِ

وشَمائلِ الفِكْرِ الّتى أَرْسَلْتَها ... حِكَمًا فَأَغْنَتْها عن الأَسْفارِ[٦]

فَاشْرَعْ يَراعَكَ يا (مُحَمَّدُ)، إنّه ... نارُ اللِّئامِ وجَنَّةُ الأَحْرارِ[٧]

وأَبعثْ لنا (عِيسَى) فهٰذا وَقْتُه ... فالناسُ بَيْنَ مُخادِعٍ ومُوارِى[٨]

---

(١) آيات موسى التسع : أى معجزاته ، وهى مذكورة كلها فى القرآن ، قال الله تعالى فى سورة الإسراء : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية .

(٢) النجار : الأصل والمحتد . ويشير بهذه العبارة إلى أن أبا الممدوح وهو إبراهيم بك المويلحى كان من كبار تجار الحرير بمصر ، وكان شريكا فى هذه التجارة لأخيه عبد السلام المويلحى باشا عم الممدوح وقد أخطأهما التوفيق فى تجارتهما ، فمد إليهما يد المساعدة المغفور له إسماعيل باشا الخديو ، واختصهما بجعلهما وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم للبيت الخديو من أنواع الحرير؛ واقتدى به فى ذلك سراة مصر ووجهاؤها ، فصلحت حالها بعد ذلك .

(٣) الح للسحاب على النبات : دام مطره عليه . والقطار : الأمطار ، الواحد قطر (بفتح فسكون) . يريد تشبيه ما يكتب فى صحفه بأنواع الزهر الغض المترعرع مما توالى عليه من الأمطار . وفى الديوان المطبوع : « نثار » مكان « قطار » .

(٤) قد سبق التعريف بصحيفة « مصباح الشرق » فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٣٨ من هذا الجزء .

(٥) تهديها : أى تهدى النهى .

(٦) الأسفار : الكتب ، الواحد سفر (بكسر السين وسكون الفاء) .

(٧) اشرع يراعك : أى سدد قلمك وصوبه نحو الأغراض السامية .

(٨) يريد كتاب عيسى ابن هشام . ويشير بذلك إلى ما ورد من أن نبى الله عيسى عليه السلام سيعود فى آخر الزمان لهداية الناس . والموارى : المدارى الذى يبطن خلاف ما يظهر .

ومُطاوِلٍ فى الكاتِبين ومُـدَّعٍ ... فى العَـالِمين ومُـولَعٍ بفَخَارِ[1]
أَمِنُوا يَرَاعَكَ حِين طالَ سُكُونُه ... فَتَطَلَّعُوا لمَـراتِبِ الأَبْـرَارِ[2]
إِنِّى لأَنْظِمُ ما نَثَرْتَ وإِنْ يَكُنْ ... نَثْرُ النَّظِيمِ مَطِيَّـةَ النَّظَّـارِ[3]

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبوع سنة ١٣٢٥ هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان الحرزى القاضى الشرعى

(عُثْمانُ) إِنَّكَ قد أَتَيْتَ مُوَفَّقًـا ... شَرْوَى سَمِيِّكَ جامِـعِ التَّنْزِيلِ[4]
جَمَّعْتَ أَشْتاتَ القَرِيضِ وزِدْتَه ... حُسْنًا بِهَـذا الشرحِ والتَّذْيِيلِ
وجَلَوْتَ (مِرْآةَ العُرُوضِ) صَقِيلةً ... لِلنِّيـلِ فَاسْتَوْجَبْتَ شُكْرَ النِّيـلِ

تقريظ صحيفة كوكب الشرق

لصاحبها محمد حافظ عوض بك

[نشر هذان البيتان فى أول عدد صدر منها فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م]

يا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ ... فالحَـادِثاتُ تَجِـدُّ
لا تَخْشَ طَالِعَ سَـوءٍ ... فكَوْكَبُ الشَّرْقِ سَـعْدُ

(١) المطاول : المفاخر . والعالمين : جمع عالم (بكسر اللام) فيما .

(٢) يقول : إن هؤلاء المدعين قد أمنوا بطش قلمك بهم حين احتجبت صحيفتك فتطلعوا إلى المراتب العالية التى لم يكونوا ليتطلعوا إليها لو أنك دائب على الكتابة .

(٣) يقول : إن شعرى فى الحقيقة ليس إلا نظما لما تنثر ، فهو مقتبس من وحى قلمك ، وإن تكن عادة الكتاب نثر ما ينظم الشعراء .

(٤) شروى سميك : أى مثل سميك عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه جامع القرآن .

تهنئة المقتطف[١] بعيدها الخمسيني

[نشرت فى أول يونيو سنة ١٩٢٦ م]

شَيْخانِ قد خَبَرَا الوُجُودَ وأَدْرَكَا ... ما فيه مِنْ خَلَلٍ ومِنْ أَسْبابِ[٢]

واستَبْطَنَا الأَشْيَاءَ حتّى طالَعَا ... وَجْهَ الحَقِيقَةِ مِنْ وَراءِ حِجابِ[٣]

خَمسونَ عاما فى الجِهادِ كِلاهُما ... شاكِي البَراعَةِ طامِحُ الطِّلْبابِ[٤]

لا تَعْجَبُوا انْ خَضَّبَا قَلَمَيْهِما ... وبَياضُ شَيْبِهما بغَيْرِ خِضابِ

فلِكُلِّ حُسْنٍ حِلْيَةٌ يُزْهى بِها ... وأَرَى البَراعَةَ حِلْيَةَ الكُتّابِ

إِنِّى نَظَرْتُ إلى البَراعَةِ فى يَدى ... فحَسِبْتُها فى القَدْرِ عُودَ ثِقابِ

ونَظَرْتُها تَنْقَضُّ مِنْ كَفَّيْهِما ... فوقَ الطُّرُوسِ خِفَّتُها كشِهابِ

يُزْهى مُدَجَّجَنا بِرُمْحٍ واحِدٍ ... وأَراهُما لا يُزْهَيانِ بِغابِ[٥]

مُتَواضِعانِ ولا أَرَى مُتَكَبِّرًا ... غيرَ الجَهُولِ مُدَنَّسًا بالعابِ[٦]

---

(١) أنشئت هذه المجلة فى سنة ١٨٧٦ م وكان مقرها أولا سورية ، ثم انتقلت إدارتها إلى مصر فى سنة ١٨٨٥ م

(٢) يريد « بالشيخين » : (الدكتور) فارس نمر باشا و (الدكتور) يعقوب صروف ؛ أما الأول منهما فهو العالم السورى المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكى فى مصر ، ومنشىء مجلة المقتطف وجريدة المقطم مشتركا مع صاحبه السابق ذكره فى كلتا الصحيفتين . أما الثانى وهو (الدكتور) يعقوب صروف ، فولد بلبنان فى سنة ١٨٥٢ م وكان (الدكتور) منقطعا إلى تحرير المقتطف ، وانقطع (الدكتور) نمر إلى تحرير المقطم ، وكانت وفاة (الدكتور) صروف فى سنة ١٩٢٧ م .

(٣) استبطنا الأشياء : اختبرا بواطنها .

(٤) شاكى البراعة : أى ذو شوكة وحدّة فى قلمه .

(٥) المدجج : لابس السلاح . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر الكثير . ويطلق أيضا على القصب الفارسى تتخذ منه الأقلام . والشاعر يومىء إلى المعنيين .

(٦) العاب : العيب .

يَتَجاذَبُ القُطْرانِ مِن فَضْلَيْهِما ذَيْلَ الفَخارِ وليسَ ذَا بِعُجابِ[١]

فهُما هُنا عَلَمانِ مِنْ أَعْلامِنا وهُما هُنالِكَ نُخْبَةُ الأَنْجابِ

جازَا مَدَى السَّبْعِينَ لَمْ يَتَوانَيا عَنْ وَصْلِ حَمْدٍ وٱجْتِنابِ سِبابِ[٢]

نَسَباهُما قَلَماهُما فليَسْحَبا ذَيْلاً على الأَحْسابِ والأَنْسابِ[٣]

قَلَمانِ مَشْرُوعانِ ، فى شِقَّيْهِما وَحْيٌ يُفِيضُ على أُولِى الأَلْبابِ[٤]

مُتَساندانِ إذا ٱلخُطوبُ تَأَلَّبَتْ مُتَعانِقانِ تَعانُقَ الأَحْبابِ[٥]

نَفَحاتُ (آذارٍ) إذا لَمْ يُظْلَما فإذا هُما ظُلِمَا فلَفْحَةُ (آبِ)[٦]

ما سَوَّدَا بَيْضاءَ إلّا بَيَّضَا بالكاتِبَيْنِ صَحِيفَةَ الإِعْجابِ[٧]

للمَقْصِدِ الأَسْمَى لَدَى حَرَمِ النُّهَى رَفَعَا قِباباً حُوجِزَتْ بقِبابِ[٨]

خَطَّا بِمُقْتَطَفِ العُلُومِ بَدائِعاً ورَوائِعاً بَقِيَتْ على الأَحْقابِ[٩]

جاءَا لنا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نافِعٍ أو كُلِّ فَنٍّ مُمْتِعٍ بلُبابِ

فى كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ مَجْلُوَّةٌ وبكُلِّ سَطْرٍ مَهْبِطٌ لِصَوابِ

فاللَّفْظُ فيه مُقَوَّمٌ بصَحِيفَةٍ والسَّطْرُ فيه مُقَوَّمٌ بِكِتابِ

---

(١) القطران : مصر وسورية . (٢) جاوزا : جازوا . الغاية .

(٣) يقال : سحب الذيل على كذا ، أى أنه لم يحفل به ولم يأبه له .

(٤) مشروعان : أى مصوّبان مسدّدان . (٥) تألبت : تجمعت وتضافرت .

(٦) آذار وآب : شهران من شهور السنة المسيحية معروفان ، وتكثر الأزهار فى الأول ، ويشتد الحر فى الثانى : واللفحة من قولهم : لفحته النار والسموم (بفتح السين) : أى أحرقته بحرها .

(٧) بالكاتبين : متعلق بقوله بعد « الإعجاب » . أى لم يكتبا بالمداد الأسود صحيفة بيضاء إلا كتبا عند قرائهما صحيفة أخرى مملوءة بالإعجاب بهما . (٨) قبابا حوجزت بقباب : أى متصلة بعضها ببعض .

(٩) الروائع من الأشياء : ما أعجبتك بحسنها . والأحقاب : الدهور .

دَانِي القُطُوفِ كَرِيمَةٌ أَفْيَاؤُهُ ... عَذْبُ الوُرُودِ مُفَتَّحُ الأَبْوَابِ[١]

ذُلُلٌ مَسالِكُه فأَنَّى جِئْتَه ... أَلْفَيْتَ نَفْسَكَ فى فَسِيحِ رِحَابِ[٢]

تَتَسابَقُ الأَقْلامُ فيه ولا تَرَى ... مِنْ عاثِرٍ فيها ولا مِنْ نابِي[٣]

كَمْ مِنْ يَراعَةِ كاتِبٍ جالَتْ به ... ولُعابُها فى الطِّرْسِ حُلْوُ رُضَابِ[٤]

كَمْ مِنْ سُؤالٍ فيه كان جَوابُه ... إِلْهامَ نابِغَةٍ وفَصْلَ خِطابِ

كَمْ فيه مِنْ نَهْرٍ جَرَى بِطَرِيقَةٍ ... تَرِدُ النُّهَى مِنْهُ أَلَذَّ شَرابِ[٥]

وَقَفَتْ سُقَاةُ الفَضْلِ فى جَنَباتِه ... تُرْوِى النُّفُوسَ بِمُتْرَعِ الأَكْوابِ[٦]

ماذا أَعُدُّ وهٰذه آياتُه ... فى العَدِّ تُعْجِزُ أَمْهَرَ الحُسَّابِ

قَدْ نُسِّقَتْ وتآلَفَتْ فكأَنَّها ... فى الحُسْنِ مِثْلُ تآلُفِ الأَحْزابِ[٧]

وتَرَى تَهافُتَنا عليه وحِرْصَنا ... فَتخالُ فيه مَقاعِدَ النُّوَّابِ

يا ثَرْوَةَ القُرَّاءِ مِنْ عِلْمٍ ومِنْ ... فَضْلٍ ومِنْ حِكَمٍ ومِنْ آدابِ

الشَّرْقُ أَثْبَتَ يَوْمَ عِيدِكَ أَنَّه ... ما زالَ فى رِيٍّ وخِصْبِ جَنابِ

عادَتْ سَماءُ الفَضْلِ فيه فأَطْلَعَتْ ... زُهْرًا مِنَ الأَعْلامِ والأَقْطابِ[٨]

---

(١) الأفياء : الظلال ويريد بقوله : « دانى القطوف » قرب مأخذه وسهولة الاستفادة من بحوثه .

(٢) ذلل مسالكه : سهلة ممهدة .

(٣) نبا يذبو : كل وارتد عن المقصد

(٤) اللعاب : الريق . ويريد به هنا : المداد . والرضاب : لعاب العسل .

(٥) النهر : مجرى الماء المعروف . ويومئ به إلى العمود من الصحيفة ، وهو استعمال صحفى معروف فى هذا العصر .

(٦) المترع : المملوء .

(٧) نسقت : نظمت ، ويشير الشاعر بالتشبيه الذى فى هذا البيت إلى ما كان فى هذا العهد الذى أنشدت فيه هذه القصيدة من تآلف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الافتراق ، وتكوين وزارة و (برلمان) ائتلافيين .

(٨) الزهر : النجوم .

العِلْمُ شَرْقٌ تَغَافَلَ أَهْلُهُ عنه فعاقَبَهُمْ بِطُولِ غِيابِ
وتَنَبَّهُوا لِمُصابِهِمْ فتَضَرَّعُوا فعَفَا وعاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتابِ
فَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الحَيَاةِ وأَدْرَكُوا ما فى الجَهالَةِ مِنْ أَذًى وتَبابِ[1]
العِلْمُ فى البَأْسَاءِ مُزْنَةُ رَحْمَةٍ والجَهْلُ فى النَّعماءِ سوط عذابِ[2]
ولَعَلَّ وِرْدَ العِلْمِ ما لَمْ يَرْعَه ساقٍ مِنَ الأَخْلاقِ وِردُ سَرابِ
إِنِّى قَرَأْتُكَ فى الكُهُولَةِ والصِّبا ومَلَأْتُ مِنْ ثَمَرِ العقولِ وِطابِى[3]
وَأَتَيْتُ أَقْضِى بَعْضَ ما أَوْلَيْتَنِى وأَقُولُ فيكَ الحَقَّ غيرَ مُحابِى
لو كنتُ فى عَهْدِ الفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ لَوَهَبْتُ للشَّيْخينِ بُرْدَ شَبابِى
لكنَّنِى أَبْلَيْتُه وطَوَيْتُه وتَخِذْتُ مِنْ نَسْجِ المَشيبِ ثِيابِى
وأَرَى ركابِى حِينَ شابَتْ لِمَّتِى يَحْثُثْها سَفَرٌ بغَيْرِ إِيابِ[4]
(يَعْقُوبُ) إِنَّكَ قد كَبِرْتَ ولَمْ تَزَلْ فى العِلْمِ لَا تَزْدادُ غَيْرَ تَصابِى
لاحَتْ بِرَأْسِكَ هِزَّةٌ ولَعَلَّها مِنْ وَقْعِ فِكْرِكَ لا مِنَ الأَعْصابِ
فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرُّه مُتَدَفِّعٌ كتَدَفُّعِ الأَمْواجِ فوقَ عُبابِ[5]
لا يَسْتَقِرُّ ولا يُحَدِّثُ نَفْسَه أَنْ يَنْثَنِى عَنْ جَيْئَةٍ وذَهابِ
أو أَنَّها طَرَبٌ بِنَفْسِكَ كلَّما وُفِّقْتَ فى بَحْثٍ وكَشْفِ نقابِ[6]

---

(١) التباب : النقص والخسران .
(٢) المزنة : السحابة المثقلة بالماء .
(٣) الوطاب : جمع وطب ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد هنا : أنه ملأ فكره ونفسه .
(٤) اللمة : الشعر المجاور لشحمة الأذن . ويحثها : يسرع بها . ويريد « بالسفر » : الموت .
(٥) العباب : معظم السيل .
(٦) أو أنها : أى هزة رأسه . والنقاب : اللثام .

أو أنّها استِنْكارُ ما شاهَدْتَه ... فى النّاس منْ لَهْوٍ وسُوءِ مآب
لَم يُلْهِكَ الإثْراءُ عن طَلَبِ العُلا ... بالجِدِّ لا بتَصَيُّد الأَلْقَابِ[1]
لك فى سَبيلِ العِلْمِ أَجْرُ مُجاهِدٍ ... والصَّبْرِ أَجْرُ مُلازِمِ المِحْراب
وإليكَ مِنْ جُهْدِ المُقِلِّ قَصيدةً ... يُغْنيكَ مُوجَزُها عن الإسْهاب[2]
لولا السَّقامُ وما أُكابِدُ من أَسًى ... لَحَقَقْتُ فى هٰذا المَجالِ صِحابى[3]

تقريظ كتاب "فى ظلال الدموع"

لصاحبه محمد شوكت التونى

[نشر فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م] .

قَدْ قَرَأْنا ظِلالَكُمْ فاشْتَفَيْنا ... بارَكَ اللهُ فى (ظِلالِ الدُّمُوعِ)
عَلَّمَتْنا لَدَى الأَسَى كَيْفَ تَشْفِى ... مُرْسَلاتُ الدُّمُوعِ داءَ الضُّلُوعِ
وأَرَتْنَا مِنَ الجَدِيدِ بَيانًا ... لَمْ يَكُنْ قَبْلَها كَثِيرَ الشُّيُوعِ[4]
فى طِرازٍ كأَنَّما نَسَّقَتْه ... مِنْ مَجانِى الرُّبَا بَنانُ الرَّبِيعِ[5]
فعَلَى كاتِبِ الظِّلالِ سَلامٌ ... مِنْ حَزِينٍ وبائِسٍ وصَرِيعِ

---

(١) الإثراء : كثرة الأموال . والجد : الاجتهاد .

(٢) المقل : الفقير . والإسهاب : الإطالة .

(٣) صحابى : أى الذين تكلموا فى هذا الحفل وأثنوا عليكما .

(٤) الجديد : أى الأدب الجديد .

(٥) نسقته : نظمته ؛ شبه بيانه بأزهار الربا فى الربيع .

الأهاجى

قال فى هجاء الجرائد

[نشرا فى أول ديسمبر سنة ١٩١٧ م]

جَرائِدٌ ما خُطَّ حَرْفٌ بِها لغَيْرِ تَفْريقٍ وتَضْلِيلِ
يَحْلُو بِها الكذْبُ لأَرْبابِها كأَنَّها أوّل إبريلِ (١)

فى عيّاب كثير العيوب

[نشرا فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ م]

يا ساكِنَ البَيْتِ الزُّجا جِ هَبِلْتَ ، لا تَرْمِ الحُصُونَا (٢)
أَرَأَيْتَ قَبْلَكَ عارِيًا يَبْغِى نِزالَ الدَّارِعِينَا (٣)

فى مَلك ضعيف الرأى

لا تَعْجَبُوا فَمَلِيكُكُمْ لَعِبَتْ به أَيْدِى البِطانَةِ وهو فى تَضْلِيل
إنِّى أَراهُ كأنّه فى رُقْعَةِ الشِّطْرَنْجِ أو فى قاعَةِ التَّمْثِيلِ

---

(١) أوّل إبريل : يوم يتملح فيه بالكذب عند بعض الإفرنج ؛ وكذبة إبريل معروفة

(٢) كنى ببيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجوّ ، وأنه من اليسير على الناس فضيحته والحط من شأنه ، كما كنى بالحصون عن عكس ذلك . « وهبلت : بالبناء للفاعل ، كما قاله بعض اللغويين » وقال ثعلب : القياس « هبلت » للمجهول ، أى ثكلتك أمك .

(٣) الدارعون : لابسو الدروع .

فى رَجلٍ عظيمِ البطن ضخمِ البدن

عَطَّلْتَ فَنَّ الكَهْرباءِ فَلَمْ نَجِدْ شَيْئا يَعُوقُ مَسِيرَها إلّا كَا[1]
تَسْرى على وَجْهِ البَسِيطةِ لَحْظَةً فتَجُوبُها وتَحارُ فى أَحْشاكَا[2]

وقال على لسان بعض المتصوفة[3]

[فى محبوب نافر]

أَحْرِقُ الدُّفَّ لو رَأَيْتُ شَكِيبَا وَأَقُضُّ الأَذْكَارَ حتّى يَغِيبَا[4]
هُوَ ذِكْرِى وقِبْلَتِى وإمامِى وطَبِيبِى إذا دَعَوْتُ الطَّبِيبَا
لو تَرانِى وقد تَعَمَّدْتَ قَتْلِى بالتَّنائى رأيتَ شَيْخًا حَرِيبَا[5]
كان لا يَنْبَغِى لغَيْرِكَ إجْلا لًا ولا يَشْتَهِى سِواكَ حَبِيبَا
لا تَعِيبَنَّ يا شَكِيبُ دَبِيبِى (إنّما الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَبِيبا)[6]

---

(١) الكهربا : مقصور ويمد

(٢) تسرى ، أى الكهربا والبسيطة : الأرض . وتجوبها : تقطعها . يقول : إن أحشاءه أوسع من الأرض مسالك .

(٣) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة فى باب الهجاء لما تفيده من وصف هذا الصوفى بصفة قبيحة ؛ وهو ما يقصد إليه حافظ وإن كانت القصيدة فى الغزل .

(٤) شكيب : غلام تركى زعموا أنه كان يعشقه هذا المتصرف . والدف (بالضم) أو (بالفتح) ، والأول أفصح : نوع من الطبل معروف ، يضربون عليه فى الليو وبعض حلقات الذكر .

(٥) تعمدت : قصدت . والتنائى : التباعد . والحريب : المسلوب .

(٦) الدبيب : المشى على هينة كمشى الشيوخ ؛ ويستعمل فى الزحف السلالا . والشطر الأخير من هذا البيت عجز بيت لشاعر قديم ، وصدره :

زعمتنى شيخا ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب دبيبا

كم شربتَ المُدامَ فى حَضْرةِ الشَّيْـ ـخِ جِهارًا وكَمْ سُقيتَ الحَليبا
فَسلُوا سُبْحَتِي ، فهَلْ كان تَسْبيـ ـحِيَ فيها إلّا (شَكيبًا شَكيبا)؟
وإذا أَدْنَفَ الشُّيُوخَ غرَامٌ كنتُ فى حَلْبَةِ الشّيوخِ نَقيبا[1]
عُدْ إلينا فقد أَطَلْتَ التّجافِي وٱركب البَرْقَ إنْ أَطَقْتَ الرُّكُوبا
وإذا خفْتَ ما يُخَاف مِن اليَمِّ فَرَشْنا لأَخْمَصَيْكَ ٱلقُلُوبا[2]
ودَعَوْنا بِساطَ صاحِبِ بِلْقيـ ـسَ فلَبَّى دُعَاءَنا مُسْتَجيبا[3]
وأَمَرْنا الرِّياحَ تَجْرِى بأَمْرٍ منكَ حتّى تَرَاكَ مِنّا قَريبا[4]

فى بائع كُتُب صفيق الوجه

أَديمُ وَجْهِكَ — يازِنْديقُ — لو جُعلَتْ منْه الوِقايَةُ والتَّجْليدُ للكُتُبِ[5]
لَمْ يَعْلُها عَنْكَبُوتٌ أَيْنَمَا تُرِكَتْ ولا تُخَافُ عليها سَطْوَةُ اللَّهَبِ

فيمن كثرت مخازيه

هُنَا يَسْتَغيثُ الطِّرْسُ والنِّفْسُ والّذى يَحُطُّ ومَنْ يَتْلُو ومَنْ يَتَسَمَّعُ[6]
مَخازٍ وما أَدْرِى إذا ما ذَكَرْتُها إلى الحَمْدِ أَدْعَى أَوْ إلَى اللَّوْمِ أُدْفَعُ

---

(١) أدنفه المرض : أثقله وأضناه .

(٢) اليم : البحر . والأخمص : ما لا يمس الأرض من باطن القدم ؛ ويراد به القدم كلها كما هنا .

(٣) بلقيس : هى ملكة سبأ ، وصاحبها هو نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، وقصتها مع ذلك النبى الكريم مشهورة ؛ وقد ورد ذكرها فى القرآن فى سورة النمل .

(٤) يريد بهذا البيت والذى قبله أننا نمهد لك وسائل الاسراع فى العودة .

(٥) أديم الوجه : جلده ؛ يصف فى هذا البيت وما بعده جلدة وجهه بالصفاقة .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة يكتب فيها . والنفس بكسر النون : المداد .

الإخوانيات

ذكرى وتشوّق

كتب بها من السودان إلى صديقه محمد بك بيرم

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

أَثَرْتَ بِنا مِنَ ٱلشَّوْقِ القَدِيم ... وذِكْرَى ذٰلِكَ ٱلعَيْشِ الرَّخِيم (١)

وأيّامٍ كَسَوْناها جَمالًا ... وأَرْقَصْنا لها فَلَكَ النَّعِيم

مَلَأْناها بِنا حُسْناً ، فكانت ... — بِجِيدِ الدَّهْرِ — كالعِقْدِ النَّظِيم (٢)

وفِتْيانٍ مَسامِيحٍ عليهِم ... جَلَابِيبٌ مِن الذَّوْقِ السَّلِيم (٣)

لَهُمْ شِيَمٌ أَلَذُّ مِن الأَمانِي ... وأَطْرَبُ مِنْ مُعاطاةِ ٱلنَّدِيم (٤)

كَهَمِّكَ فى ٱلخَلاعَةِ والتَّصابِي ... وإنْ كانوا على خُلُقٍ عَظِيم (٥)

دَعَوْتَهُمُ إلى أُنْسٍ فَوافَوْا ... مُوافاةَ الكَرِيمِ إلى الكَرِيم

وجاءُوا كالقَطَا وَرَدَتْ نَمِيراً ... على ظَمَإٍ وهَبُّوا كالنَّسِيم (٦)

---

(١) أثرت : هيجت . والعيش الرخيم : اللين الناعم .

(٢) الجيد : العنق .

(٣) المساميح : جمع مسماح ، وهو الجواد الكريم .

(٤) الشيم : السجايا والأخلاق . والمعاطاة : المناولة ؛ ويريد بها مناولة الخمر .

(٥) كهمك : أى كعزمك وإرادتك ، أى هم كما شئت من خلاعة وطرب .

(٦) القطا : الحمام ، الواحدة قطاة ، ويضرب بها المثل فى الاهتداء ، فيقال : « أدل من قطاة » لأنها لا تخطىء الطريق ليلا فى الفلاة . والماء النمير الناجع فى الرى .

وكانَ اللَّيْلُ يَمْرَحُ فى شَبابٍ ... ويَلْهُو (بالمَجَرَّةِ) والنُّجُومِ[١]

فواصَلْنا كُؤُوسَ الرَّاحِ حَتّى ... بَدَتْ للعَيْنِ أنْوارُ الصَّرِيمِ[٢]

وأعْمَلْنا بها رَأْىَ (ابنِ هانِى) ... فأُلْحِقْنا بأَصْحابِ الرَّقِيمِ[٣]

وظَبْيٍ مِنْ بَنِى مِصْرٍ غَرِيرٍ ... شَهِىِّ اللَّفْظِ ذى خَدٍّ مَشِيمِ[٤]

ولَحْظٍ بابِلِىٍّ ذى انْكِسارٍ ... كأن بطَرْفِه سِيما اليَتِيمِ[٥]

سَقانا — فى مُنادَمَةٍ — صَبِيحاً ... نَدِيمَا عندَه بِنْتَ الكُرُومِ[٦]

سَلامُ اللهِ يا عَهْدَ التَّصابِى ... عليكَ وفِتْيَةِ العَهْدِ القَدِيمِ

أحِنُّ لهُمْ ودُونَهُمُ فَلاةٌ ... كأن فَسِيحَها صَدْرُ الحَلِيمِ[٧]

كأنّ أَدِيمَها أَحْشاءُ صَبٍّ ... قد التَهَبَتْ مِنَ الوَجْدِ الأَلِيمِ[٨]

---

(١) مرح يمرح (وزان فرح يفرح) : تجبر واختال . وشباب الليل : أوله . والمجرة : مجموعة نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بياض فى السماء ، وتشبه بالنهر ، فيقال : نهر المجرة .

(٢) الصريم (هنا) : الصبح .

(٣) يريد أبا على الحسن بن هانىء الحكمى ، المشهور بأبى نواس من أئمة شعراء الدولة العباسية ، ولد بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل سنة ست وثلاثين ومائة . وتوفى سنة خمس وتسعين ومائة ، وقيل ثمان وتسعين ومائة ، ودفن ببغداد ، وكان كثير المجون ، دائم التشبيب ، مدمنا للخمر . وأصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف المذكورون فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) الآية ، ويشير الشاعر بهذا البيت إلى نومهم فى كهفهم ، أى مغارتهم ، مدة طويلة ، قال تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) . والرقيم : قريتهم التى خرجوا منها ، أو جبلهم الذى كان فيه الكهف . وقيل : الرقيم لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسماؤهم وقصصهم ودينهم ، ولم يعربوا . يريد أنهم جروا على مذهب أبى نواس فى الشرب حتى ناموا نومة أهل الكهف .

(٤) الغرير : الحديث السن الغافل ، الذى لم يجرب الأمور لحداثته . والمشيم : الذى فيه شامة ، أى خال فى خده .

(٥) البابلى : نسبة إلى بابل ، وهى ناحية بالعراق ، منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . ويريد « بالحظ البابلى » أنه يعمل فى العقول والنفوس عمل الخمر والسحر . وانكسار الحظ : فتوره . وسيما اليتيم : ضعفه ومذلته ، لأنهما أظهر ما يكونان فى اليتيم . والسيما والسيماء : العلامة والهيئة .

(٦) بنت الكروم : الخمر ، لأنها تعتصر منها .

(٧) الفلاة : الصحراء الواسعة .

(٨) أديم الفلاة : وجهها وظاهرها .

كأنّ سَرابَها إذْ لاحَ فيها ... خِداعٌ لاحَ فى وَجْهِ اللَّئيمِ (١)

تَضِلُّ بلَيْلِها (لِهْبٌ) فتَحْكى ... (بِوادِى ٱلتِّيهِ) أَقْوامَ ٱلكَلِيمِ (٢)

وتَمْشِى السّافياتُ بها حَيارَى ... إذا نُقِلَ الهَجِيرُ عن ٱلجَحِيمِ (٣)

فَمَنْ لى أنْ أَرَى تلكَ ٱلمَغانِى ... وما فيها مِن الحُسْنِ ٱلقَدِيمِ (٤)؟

فما حَظُّ (ٱبنِ داوُدٍ) كَحَظّى ... ولا أُوتِيتُ مِنْ عِلْمِ العَلِيمِ (٥)

ولا أنا مُطْلَقٌ كالفِكْرِ أَسْرِى ... فأَسْتَبِقُ الضَّواحِكَ فى الغُيُومِ (٦)

ولٰكِنّى مُقَيَّدَةٌ رِحالِى ... بقَيْدِ العُدْمِ فى وادِى ٱلهُمومِ (٧)

نَزَحْتُ عن الديار أَرُومُ رِزْقى ... وأَضْرِبُ فى ٱلمَهامِهِ والتُّخُومِ (٨)

---

(١) السراب : هو ماتراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) . ويشبهون به من يطمعك ظاهره وتونسك حقيقته .

(٢) لهب (بكسر اللام وسكون الهاء) : قبيلة من الأزد باليمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتتعرف بها السبل ، كما كان يضرب بها المثل فى العيافة والزجر . ووادى التيه : هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طور سيناء ؛ وسمى بالتيه لأن بنى إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة ، كما قص الله تعالى ذلك فى القرآن الكريم . والكليم : نبى الله موسى عليه السلام . يقول : إنما بيننا من فيافٍ لو سرت فيها لهب لما أفادتها خبرتها وضلت كما ضل قوم موسى فى التيه .

(٣) السافيات الريح التى تسفى التراب ، أى تحمله وتذروه . والهجير : شدة الحر . أى أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدى إلى وجهة من اتساع أقطارها ، وتبحث عن كنف من ذلك الحر الذى كأنه اقتطع من الجحيم .

(٤) المغانى : المنازل التى غنى بها أهلها : أى أقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون الغين) .

(٥) ابن داود : هو نبى الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه . والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتى سليمان بن داود من تسخير الرياح والجن لأمره ، فيحملانه إلى تلك المغانى والمنازل التى يتشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها .

(٦) « أستبق الضواحك » الخ : أسبق البروق فى السحب ، أى أجاوزها وأخلفها ورائى .

(٧) العدم : الفقر .

(٨) نزحت : بعدت . وضرب فى الأرض : خرج فيها ساعيا . والمهامه : جمع مهمه ومهمهة . وهى المفازة البعيدة المتسعة . والتخوم : الحدود بين الأرضين .

وما غادَرْتُ فى السُّودان قَفْراً ولَمْ أَصْبُغْ بتُرْبَتِه أَدِيمِى[١]

وهٰأَنَا بَيْنَ أَنْيابِ ٱلمَنَايا وتَحْتَ بَرَاثِنِ ٱلخَطْبِ ٱلجَسِيمِ[٢]

ولولا سَوْرةٌ للمَجْدِ عِنْدِى قَنِعْتُ بِعِيشَتِى قَنَعَ الظَّلِيمِ[٣]

* * *

أَيَا ٱبْنَ الأَكْرَمين أَباً وجَدًّا ويابنَ عُضادَةِ ٱلدِّينِ ٱلقَوِيمِ[٤]

أقامَ لدينِنا أَهْلُوكَ رُكْناً له نَسَبٌ إلى رُكْنِ ٱلحَطِيمِ[٥]

فما طافَ العُفاةُ به وعادُوا بغَيْرِ العَسْجَدِيَّةِ وٱللَّطِيمِ[٦]

---

(١) الأديم : الجلد . يريد أنه لم يترك قفرا فى السودان إلا خلط جلده بترابه . فقوله : « لم أصبغ » الخ : صفة لقوله « قفرا » ، واقتران جملة الصفة بالواو كما هنا غير مقيس ، وزيادتها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، ومنه قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) .

(٢) المعروف المشهور « هأنذا » إلا أن مثل هذا ورد فى الشعر ، ومنه قوله :

فهأنا تائب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تذوب

والبراثن : مخالب الأسد ، الواحد برثن (بضم الباء والثاء وسكون ما بينهما) .

(٣) سورة المجد : أثره وأمارته . والظليم : ذكر النعام . وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلا فى الاكتفاء بأقل القوت ولو كان مما لا يقتات به ، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده فى الفلاة من الحصى والحجارة إذا أعوزه القوت وعز عليه الكلأ .

(٤) العضادة : الذى يعاضدك أى يعاونك .

(٥) الحطيم : حجر الكعبة ؛ أو هو ما بين الركن والمقام .

(٦) العفاة : طلاب الأرزاق والمعروف ، مفرده العافى . والعسجدية : الإبل التى تحمل العسجد أى الذهب . واللطيم : الإبل التى تحمل الطيب والبز ، واحده لطيمة . أى ما قصد أهلك قاصد إلا عاد مثقلا بالعطاء من ذهب وثياب .

أَتَيْتُكَ وٱلخُطُوب تُزِفُّ رَحْلى ولى حالٌ أَرَقُّ منَ السَّديم[١]
وقد أَصْبَحْتُ مِنْ سَعْيِي وكَدْحِى على الأرزاق كالثَّوْبِ الرَّدِيم[٢]
فلا تُخْلق — فُديتَ — أَديمَ وَجْهِى ولا تَقْطَعْ مُواصَلَةَ ٱلحَمِيم[٣]

عتاب محمد البابلى بك[٤]

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

أَخِى واللهِ قد مُلِئَ ٱلوِطابُ وداخَلَنِى بُصحْبَتِكَ ٱرْتِيابُ[٥]
رَجَوْتُكَ مَرَّةً وعَتَبْتُ أُخْرَى فلا أَجْدَى الرَّجاءُ ولا ٱلعِتابُ[٦]
نَبَذْتَ مَوَدَّتِى فٱهْنَأْ بِبُعْدِى فآخِرُ عَهْدِنَا هٰذا ٱلكِتابُ

(١) تزف رحلى : أى تحملنى على الإسراع إليك ؛ يقال : أزفه : إذا حمله على الزفيف ، وهو الإسراع . ويجوز أن يقرأ تزف (بفتح التاء وضم الزاى) على سبيل التشبيه بزفاف العروس ، وهو إهداؤها . السديم : الضباب الرقيق ، جمعه سدم (بضمتين) .

(٢) الكدح : هو الدءوب فى طلب الرزق وكسبه بمشقة . والرديم : الثوب الخلق البالى .

(٣) تخلق : من أخلق الثوب إذا أبلاه . وأديم الوجه : جلدته . وإخلاق أديم الوجه : كناية عن إذلاله وابتذال حيائه بالإلحاف فى المسألة . والحميم : الصديق : جمعه أحماء (بكسر الحاء وتشديد الميم) .

(٤) هو محمد البابلى بن عبده البابلى بك الذى كان من كبار تجار الجواهر فى مصر ؛ وقد أدخل ولديه محمدا وأحمد فى مدرسة الشرطة (البوليس) ، وبعد إتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال فى الحكومة المصرية ، ولكنهما لم يمكثا طويلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالهما ؛ واشتهر محمد بظرفه وفكاهته الحلوة حتى إن بعض الأدباء قد جمع كتابا ممتعا فى نكته وطرائفه ؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له ؛ وكانت وفاته فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ م .

(٥) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد أنه قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك فى صدق مودّته .

(٦) أجدى : نفع .

بين حافظ وداود عمون

بعث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبنانى والمحامى المعروف
فأجابه عليها بقصيدة تأتى بعد

[نشرت فى ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ م]

شَجَتْنا مَطالِعُ أَقْمارِها ... فسالَتْ نُفُوسٌ لتَذْكارِها[١]
وبِتْنا نَحِنُّ لِتِلْكَ القُصُور ... وأَهْلِ القُصُورِ وزُوّارِها
قُصُورٌ كأَنَّ بُرُوجَ السَّماء ... خُدُورُ الغَوانِي بأَدْوارِها[٢]
ذَكَرْنا حِماها وبَيْنَ الضُّلُوع ... قُلوبٌ تَلَظّى على نارِها[٣]
فمَرَّتْ بأَرْواحِنا هِزَّةٌ ... هِيَ الكَهْرَباءُ بتَيّارِها
وأَرضٌ كَسَتْها كِرامُ الشُّهور ... حَرائِرَ مِنْ نَسْجِ (آذارِها)[٤]
إذا نَقَّطَتْها أَكُفُّ الغَمام ... أَرَتْكَ الدَّرارِي بأَزْهارِها[٥]
وإِنْ طالَعَتْها ذُكاءُ الصَّباح ... أَرَتْكَ اللُّجَيْنَ بأَنْهارِها[٦]

---

(١) شجتنا : أطربتنا وشوقتنا : وسالت نفوس : أى ذابت من اللوعة والشوق . والضمير فى قوله : « أقمارها » و « تذكارها » : للقصور فى البيت التالى .

(٢) يشبه خدور الغوانى ، أى حيث يستترن ببروج السماء فى الامتناع على من رامها . وأدوار القصور : طبقاتها ؛ وهو استعمال عامى .

(٣) تلظى : تتلظى ، أى تحترق .

(٤) وأرض (بالرفع) : عطف على قوله فى البيت الثالث : « قصور » وآذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية ، وهو شهر تكثر فيه الأزهار .

(٥) الدرارى (بتشديد الياء ، وخففها الشاعر لضرورة الوزن) : الكواكب المتوقدة المتلألئة ، الواحد درى (بتشديد الياء بعد الراء المشددة) . يقول إن هذه الأرض إذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب فى إشراقها ولمعانها .

(٦) ذكاء : الشمس . واللجين : الفضة . يقول : إذا طلعت الشمس على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع كأنها الفضة فى صفائها وبريقها .

وإنْ هَبَّ فيها نَسيمُ الأَصيل أَتاكَ النَّسيمُ بأَخْبارِها[١]

وخِلٌّ أَقَام بأَرْض الشَّآم فبِاتَتْ تُدِلُّ على جارِها[٢]

وأَضْحَتْ تَتِيهُ بربِّ القَريض كتيبِه البَوادِي بأَشْعارِها

وللنِّيلُ أَوْلَى بذاكَ الدَّلال ومِصْرُ أَحَقُّ (بِبَشّارِها)

فشَمِّرْ وعَجِّلْ إليها ٱلمَآب وخَلِّ الشآمَ لأَقْدارِها[٣]

فكيفَ لَعَمْرِى أَطَقْتَ ٱلمُقام بأرضٍ تَضيقُ بأَحْرارِها ؟

وأنتَ المُشَمِّرُ إثْرَ المَظالِمِ تَسْعَى إلى مَحْوِ آثارِها

ثَأَرْتَ اللَّيالِى وأَقْعَدْتَها بمَصْقُولِ عَزْمِكَ عَنْ ثارِها[٤]

إذا ثُرْتَ ماجَتْ هِضابُ الشَّآم وباتَتْ تَرامَى بثُوّارِها[٥]

أَلَسْتَ فَتاها ومُخْتارَها وشِبلَ فَاها ومُخْتارها ؟[٦]

وإنْ قُلْتَ أَصْغَتْ مُلُوكُ الكَلام ومالَتْ إليكَ بأَبْصارِها

---

(١) الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب . يقول : إن النسيم ذاهب على هذه الأرض حمل من طيبها وروائحها العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين .

(٢) يريد بالخل : داود بك المدوح . وتدل : من الدل وهو معروف . ويريد « بجارها » : وادى النيل .

(٣) المآب : الرجوع .

(٤) المصقول من السيوف : المجلو . ومعنى البيت أنه جعل لليالى عنده ثأرا بانتصاره على أحداثها ونوائبها ، ثم أعجزها عن طلب ثأرها بمضاء عزمه .

(٥) ترامى : تترامى .

(٦) الشبل : ولد الأسد .

أَ(داوُدُ) حَسْبُكَ أنّ المَعالِـ ـيَ تَحْسَبُ دارَكَ فى دارِها
وأنَّ عَمائرَ هٰذا الوُجود تَبُوحُ إليكَ بأَسْرارِها
وأنّكَ إمّا حَلَلْتَ الشّآم رأَيْناكَ جَذْوَةَ أَفْكارِها[1]
وإنْ كنتَ فى مِصْرَ نِعْمَ النّصير إذا ما أَهابَتْ بأَنْصارِها[2]

أبيات داود (بك) التى أجاب بها حافظا

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى وتَذْكارِها نَثَرْتَ الدُّمُوعَ على دارِها ؟[3]
وعِفْتَ القُصورَ لأَجْلِ الطُّلُول تُطالِعُ طامسَ آثارِها[4]
وَقَفْتُ بها لَيْلَتى ناشِدًا عَساها تَبُوحُ بأَسْرارِها[5]
ولَلدّار أَنْطَقُ آياتُها مِنَ الرّاوياتِ وأَخْبارِها[6]
تُعِيدُ عليكَ لَيالى الحِمَى بأَنْجُمِها وبأَقْمارِها
سَلامٌ عَلَيْكَ زَمانَ الشَّباب رَبيعَ الحياةِ بآذارِها[7]
لأَنْتَ مُخَفِّفُ أَحْزانِها وأَنْتَ مُسَوِّغُ أَكْدارِها[8]

---

(١) الجذوة (بتثليث الجيم) : الجمرة الملتهبة .
(٢) أهاب به : دعاه .
(٣) يلاحظ أن التذكار هو نفس الذكر ؛ فالجمع بينهما تكرار ظاهر .
(٤) عاف الشيء : رغب عنه وزهد فيه . وتطالع : تنظر . والطامس من آثار الديار وغيرها : ما اندثر منها وامحى .
(٥) الناشد : السائل .
(٦) أنطق آياتها : أى آثارها أنطق ؛ وفى هذه العبارة نبو واضطراب ظاهران ؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أوضح بيانا عن أنباء من سكنوها ممن يحدث عنها ويروى أخبارها .
(٧) شبه زمن الشباب بالربيع ، وهو أنضر فصول السنة .
(٨) مسوغ أكدارها : أى مسهل وقع مصائبها وأحزانها .

ولَوْلا الشَّبابُ وذِكْرَى الشَّباب ... لَعاشَ الفَتَى عُمْرَه كارِها
قَطَفْنا الحَياةَ به حُلْوَةً ... وقد جاء إبّانُ إمْرارِها[1]
أُطَوِّفُ فى الشَّرْقِ عَلِّى أَرَى ... بِلادًا تَطِيبُ لأَحْرارِها
فلَمْ أَرَ إلّا أُمُورًا تَسُوء ... وتَصْدَعُ أَكْبادَ نُظّارِها
فظُلْمٌ بتلكَ وذُلٌّ بهٰذى ... وجَهْلٌ مُغَشٍّ لأَبْصارِها[2]
تَعُقُّ مَراحِمَ رُعْيانِها ... وتَرْعَى الوِلاءَ لجَزّارِها[3]
إذا شاءَ (قاسِمُ) رَفْعَ الحِجاب ... تُسَمِّيه هاتِكَ أَسْتارِها[4]
فلا قَوْلَ إلّا لجُهّالِها ... ولا رَأْىَ إلّا لأَغْرارِها[5]
يَدِبُّ التَّرانِحِى على تُرْبِها ... ويَجْرِى النُّمولُ بأَنْهارِها
مَنالُ التَّرَقِّى بإِرْغامِها ... ومَرْجَى الفَلاحِ بإِجْبارِها[6]
أهٰذا الّذى أَوْرَثَتْ أَهْلَها ... بِلادُ العُلومِ وأَنوارِها ؟

*
* *

عَدِمْتُ حَياتِى إذا لَمْ أَقِفْ ... حَياتِى على نَفْعِ أَمْصارِها
أَ(حافِظُ) هٰذَا مَجالُ العُلا ... فشَمِّرْ لَسَبْقٍ بمِضْمارِها

---

(١) إبان الشيء : وقته .
(٢) مغش لأبصارها : أى يحجبها بغشاوة .
(٣) الولاء الحب . يريد أن الأمم الشرقية تجحد الجميل لأنصارها وأوليائها ، وتسدى المودة لخصومها وأعدائها .
(٤) يريد المرحوم قاسم بك أمين . وقد منعه من الصرف هنا لضرورة الوزن . ويشير بهذا البيت إلى رأى قاسم أمين فى حرية المرأة وما لقيه فى سبيل ذلك من النقد الشديد .
(٥) الأغرار : الذين لا تجربة لهم ، واحده غر (بكسر الغين وتشديد الراء) .
(٦) يريد أن الرقى والفلاح إنما ينالها فى هذه الأمم الشرقية من أطاع المستعمرين فى إرغامها على ما تكره وإكراهها على ما لا تحب .

أَ(شَوْقى)أَ(حافظُ)طالَ السُّكُوت وتَرْكُ الأُمُـــورِ لأَقْدَارِها
فصُـــوغَا القَوافِىَ مَصْقُولَةً وشُـــقَّا الجُـــلُودَ بِبَتّارِها[1]
عَسَـاها تُحَـرِّكُ أَوْطانَنَـا وتَنْشُـرُ مَيِّتَ أَحْيائِهـــا[2]
أقولُ وأَعْـلَمُ أَنِّى سـأُرْمَى بأَنِّى مُحَـــرِّكُ ثُـوّارِهـا
وأَنِّى الدَّخيـلُ وأَنِّى الغَريب وأَنِّى النَّصِـــيرُ لقهّـارِها[3]
أُحِبُّ بِلادِى على رَغْمِهـا وإنْ لَمْ يَنَلْنِى سِوَى عارِها
ولَسْتُ بأوّل ذِى هِمَّـةٍ تَصَـدَّى الزّمانُ لإنْكارِها[4]

إلى إسماعيل صبرى باشا[5]

عند استقالته من وكالة الحقانية (وزارة العدل)

[نشرت فى ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ م]

يا صارِمًا أَنِفَ الثَّـواءَ بِغِمْـده وأَبَى القَرَار ، ألَا تَزالُ صَقِيلَا[6]
فالبِيضُ تَصْدَأُ فى الجُفُون إذا ثَوَتْ والمـاءُ يَأْسَنُ إنْ أَقامَ طَوِيلَا[7]

(١) المصقولة : الصافية المجلوة . والبتار من السيوف والباتر : القاطع منها .

(٢) نشر الميت وأنشره : أحياه . ويلاحظ أن هنا غلطا فى حرف الروى ، إذ عدل الشاعر فى هذا البيت عن الراء إلى الهمز ، ولو قال أخبارها لاستقام البيت .

(٣) الدخيل فى القوم : الداخل فيهم المنتسب إليهم وليس منهم .

(٤) تصدّى : تعرض .

(٥) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا فى سنة ١٨٥٤ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق سافر إلى أوربة فأتم علومه القانونية هناك؛ ونال الشهادة من كلية إكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالته للحقانية ، واعتزله فى سنة ١٩٠٧ م وكانت وفاته فى مارس سنة ١٩٢٣ م وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة فى المقطعات الصغيرة . وله ديوان قيم جمعه صاحب العزة صهره حسن رفعت بك ، وصححه العالم الاديب الشيخ أحمد الزين ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ م .

(٦) الصارم : السيف القاطع . والثواء : الإقامة . والصقيل : المجلو ؛ يقال : صقله يصقله (بضم القاف) صقلا وصقالا ، إذا جلاه وكشف صدأه . شبه صبريا بالسيف القاطع المجلو ، ومنصبه الحكومى بالغمد الذى يستقر فيه السيف .

(٧) البيض : وصف يكنى به عن السيف . وجفون السيوف : أغمادها ، الواحد جفن . وثوت : أقامت . وأسن الماء (من باب ضرب ونصر وعلم) فهو آسن : تغير فلم يشرب .

أَهْلًا بمَوْلاىَ الرَّئِيسِ وليس مِنْ ... شَرَفِ الرِّآسةِ أَنْ أَرَاكَ وَكِيلا[1]

فاطرَحْ مَعاذِيرَ السُّكوتِ وقُلْ لنا ... هَلَّا وَجَدْتَ إلى الكَلامِ سَبِيلا ؟

وآضْرِبْ على الوَتَرِ الذى آهتزَّتْ له ... أَعْطافُنا زَمَنًا ، وغَنَّ النِّيلا[2]

وآرْدُدْ على مُلْكِ القَريضِ جَمالَه ... تَصْنَعْ بصاحِبِكَ القَديمِ جَمِيلا[3]

ما زال يَرْجُو أنْ يُقالَ عثارُه ... حتَّى أَقالَ اللهُ (إسْماعِيلا)[4]

ذكرى وتشوّق

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو فى كلية ادنبره بإنجلترا

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩٠٨ م]

مُلِكَتْ علىَّ مَذاهِبِي ... وعَصانِيَ الطبعُ السَّلِيمُ[5]

وجَفَا يَراعِى الصَّاحبا ... نِ فلا النَّثِيرُ ولا النَّظِيمُ

أَشْقَى وأَكْتُمُ شَقْوَتِى ... واللهُ بى وبِها عَلِيمُ

حَلِمِ الأَدِيمُ وما الذى ... أرجو وقد حَلِمِ الأَدِيمُ[6]

---

(١) وكلا : يريد وكالة ممدوحه لوزارة الحقانية ، وهى آخر المناصب التى تولاها .

(٢) الأعطاف : الجوانب ، الواحد عطف .

(٣) يريد « بصاحبه القديم » : الشعر .

(٤) يقال : أقلت فلانا عثرته وأقلته منها ، أى عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها . ويريد بالإقالة الثانية : تخلى ممدوحه عن منصبه . وأصل الإقالة فى البيع فسخه والتحلل مما يوجبه عقده .

(٥) ملكت عليه مذاهبه : أى سدت عليه سبل القول .

(٦) حلم الأديم : مثل يضرب فى فساد الأمر حتى لا يرجى صلاحه . والأديم : الجلد . يقال : حلم الأديم يحلم (وزان علم يعلم) ، إذا وقع فيه الحلم (بالتحريك) ، وهو دود يقع فيه حتى يفسد و يثقب .

لا مِصْرُ تُنْصِفُنِي ، ولا أنا عَنْ مَوَدَّتِها أَرِيمُ[١]
وإذا تَحَوَّل بائسٌ عن رَبْعِها فأنا المُقِيمُ
فيها صَحِبْتُكَ وٱصْطَفَيْ تُكَ أيُّها الخلُّ الحَمِيم
أنَا مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ خَبَرْ تَ ومَنْ مَوَدَّتُه تَدُومُ
للّه ذَيّاكَ الجوا رُ وذٰلكَ العَيْشُ الرَّخِيمُ[٢]
بالجانِبِ الغَرْبِيِّ فَوْ قَ النِّيلِ والدُّنيا نَعِيمُ
أيّامَ يَعْرِفُنا السُّرُو رُ بها وتُنْكِرُنَا الهُمُومُ
أيَّامَ نَلْهُو بالظِّبَا ءِ وفى مَسارِحِها نَهِيمُ[٣]
لا أنتَ تُصْغِي للعذُو لِ ولا أبالى مَنْ يَلُومُ
لِلّهِ أَنْدِيَةٌ لَنا قَد زانَها ٱلخُلُقُ الكَرِيمُ
لَمْ يَغْشَها وَغْدٌ ولَمْ يَنْزِلْ بِساحَتِها لَئِيمُ
تَمْشى ٱلخَلاعَةُ فى نَوا حِيها تُراقِبُها ٱلحُلُومُ[٤]
لَهْوٌ كما شاءَ الصِّبا وحِجاً كما شاءَ الحَكِيمُ[٥]
ومُدامَةٌ يَسْعَى بها مُتَأَدِّبٌ ويَطُوفُ رِيمُ[٦]
يَجْرِى على كاساتِها أُنْسٌ يَخِفُّ له الحَلِيمُ

---

(١) أريم : أتحول .
(٢) العيش الرخيم ، اللين الرغد .
(٣) المسارح : المراعى ، الواحد مسرح .
(٤) الحلوم : العقول ، الواحد حلم . ويريد بقوله : «تراقبها الحلوم» : أن هذه الخلاعة لم يتجاوز فيها الحدّ .
(٥) الحجا : العقل .
(٦) الريم : الظبي الخالص البياض ، شبه به الساقى .

لا تَشْتَكى مِنّا ، ولا يَشْكُو عَواقبَها النَّديمُ
والنِّيلُ مِرْآةٌ تَنَفَّسَ فى صَحِيفَتِها النَّسيمُ
سَلَبَ السماءَ نُجُومَها فهَوَتْ بلُجَّتِه تَعُومُ[1]
نُشِرَتْ عليه غِلالةٌ بَيْضاءُ حاكَتْها الغُيُومُ[2]
شَفَّتْ لأَعْيُنِنا سِوَى ماشابَهُ منها الأَديمُ[3]
وكأَنَّنا فوقَ السَّما ءِ وتحتَنا ذاكَ السَّديمُ[4]
تَجْرى الحَوادثُ حَيْثُ تَجْ رِى لانُضامُ ولا نُضيمُ
لا الصُّبْحُ يُزْعِجُنا بأَنْ باءِ الزَّمان ولا الصَّرِيمُ[5]
يالَيْتَ شِعْرِى ! كيف أَنْ تَ وكيفَ حالُكَ يازَعِيمُ؟
أمّا أَنا فكمَا أنَا أَبْلَى كما يَبْلَى الرَّدِيمُ[6]
لا خِلَّ بَعْدَكَ مُؤْنِسٌ نَفْسِى ولا قَلْبٌ رَحيمُ
كادَ الزَّمانُ لَنَا ، وَلَا عَجَبٌ إذا كادَ الغَريمُ[7]
أَمْسَى آحتَوَاكَ الزَّمْهَرِيـ رُ وظَلَّ يَصْهَرُنى الجَحِيمُ[8]

---

(١) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمثلت على صفحته لصفاء مائة .

(٢) الغلالة (بالكسر) : ثوب رقيق . وحاكتها : نسجتها .

(٣) شفت : رقت . وشابه : خالطه ومازجه . « ويريد بالأديم » أديم السماء ، أى ظاهرها يقول : إن هذه الغلالة تمثلت على صفحة الماء كالثوب الممزق . وكانت الغيوم قطعا فى السماء ، فما صادف من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافا يبين ما تحته ، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف .

(٤) السديم : الضباب الرقيق ، شبه به البحر الذى يجرى من تحتهم .

(٥) الصريم : الليل . (٦) الرديم : الثوب القديم .

(٧) الغريم : الخصم . (٨) الزمهرير : شدّة البرد . ويريد بالزمهرير : شدّة البرد فى اسكلندا .

فَشرابُكَ المـاءُ الشَّـنَا نُ ، وشُرْبِي المـاءُ الحَمِيمُ[١]
ومُناكَ لو طَلَعَتْ ذُكا ءُ عليكَ فى يَوْمٍ يَصُومُ[٢]
ومُنـاىَ لو مُحِقَتْ ذُكا ءُ وغالَهـا لَيْلٌ بَهِـيمُ[٣]
فَبِلَيَّتِى الحَـرُّ الأَلِـيـ ـمُ وخَطْبُكَ القُرُّ الأَلِيمُ[٤]
فكأنّنى فِرْعَوْنُ مِصْـ ـرَ وأنتَ شَيْطانٌ رَجِيمُ[٥]
فَابْعَثْ إلىّ بنَفْحَـةٍ بَرْدًا بهـا يَحْدُو الهَزِيمُ[٦]
أَبْعَثْ إليكَ بِلَفْحَـةٍ حَرّى بها تَجْرِى السَّمُومُ[٧]
أَمّا تَحِيَّتُنـــا إلي ـكَ فسَوْفَ يَشْرَحُها الرَّقِيمُ

شكر

أنشد هذه القصيدة فى فندق الكونتنتال فى الحفل الذى أقيم لتكريمه
فى يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢ م

مَلَكْتُمْ علىَّ عِنانَ الخُطَب وجُزْتُمْ بقَـدْرى سَمَاءَ الرُّتَبْ
فَمَنْ أنا بَيْنَ مُلُوكِ الكَلام ؟ ومَنْ أنا بَيْنَ كِرامِ الحَسَبْ ؟

---

(١) الماء الشنان) بالضم) : البارد . والماء الحميم : الحار .

(٢) ذكاء (بالضم) : اسم الشمس ، غير منصرف للعلمية والتأنيث . ويقال : صام النهار : إذا قام قائم الظهيرة واعتدل ، ويقال : صامت الشمس (أيضا) إذا استوت .

(٣) ليل بهيم : مظلم .

(٤) القر (بالضم) : البرد .

(٥) شبه الشاعر نفسه بفرعون مصر ، لأنه يعذب بالنار ، وصديقه بالشيطان الرجيم ، لأن الشيطان نارى الطبع يعذب بالزمهرير .

(٦) البرد : أحب النيام ، وهو مفعول « يحدو » . يقول : أهد إلى نفحة من جوّ بلادكم بردا يسبقه رعد . ويحدو ، من الحداء . والهزيم : الرعد .

(٧) السموم : الريح الحارة . ولفحتها ، إحراقها .

أَتَسْعَى إِلَىَّ حُمَاةُ القَرِيض ؟ وتَمْشِى إِلَىَّ سَرَاةُ العَرَبْ ؟[١]
وتَنْظِمُ فِىَّ عُقُودَ الجُمَان وتَنْثُرُ فَوقِى نِثَارَ الذَّهَبْ ؟[٢]
وأُكرَمَ حتّى كأنِّى نَبَغْت وقُمْتُ لمصرَ بما قدْ وَجَبْ ؟
فماذا أَتَيْتُ من الباقيات ؟ ! وهَذا شبابى ضَياعاً ذَهَبْ !
عَمِلْتُ لقَوْمِى جُهْدَ المُقِلّ على أنّه عَمَلٌ مُقْتَضَبْ[٣]
فلَمْ يُغْنِ شَيْئاً ولَمْ يُجْدِهِمْ ولَمْ يَبْقَ إلّا بَقَاءَ الحَبَبْ[٤]
وهل أنا إلّا امْرُؤٌ شاعِرٌ كثيرُ الأَمانِى قليلُ النَّشَبْ ؟[٥]
يَقُولُ ويُطْرِبُ أَتْرابَه ويَقْنَعُ منهمْ بذاكَ الطَّرَبْ[٦]
تَعَلَّقْتُ حِينًا بذَيْلِ البيان وأَدْخَلْتُ نَفْسِى فِيمَنْ كَتَبْ
فلا السَّبْقُ لى فى مَجالِ النُّهَى ولا لىَ يَوْمَ الفَخارِ الغَلَبْ
ولا أنَا مِنْ عِلْيَةِ الكاتِبِين ولا أنا بالشّاعِرِ المُنْتَخَبْ
ولكنْ سَمَا بِىَ عَطْفُ الأَمِير ورَأْىُ الوَزِير وفَضْلُ الأَدَبْ[٧]

---

(١) حماة القريض : رجال الشعر . والسراة : جمع سرى ، وهو الرفيع القدر من الناس .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة . شبه به و بنثار الذهب ما قيل من الشعر والخطب فى مدحه والثناء على أدبه .

(٣) المقتضب : المقطع قبل التمام .

(٤) الحبب : الفقاقيع التى تكون على سطح الماء ، ويشبه به زوال الشىء بسرعة .

(٥) النشب : المال .

(٦) أترابه : أمثاله فى السن ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

(٧) يريد « بالوزير » : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . ولد فى كفر المصيلحة من إقليم المنوفية فى (سنة ١٢٧٥ هـ) (سنة ١٨٥٨ م) و بعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية فى الحكومة المصرية ، وآخر المناصب التى تولاها نظارته للمعارف العمومية ، وتوفى فى سنة ١٩٢٦ م وكان له من الأيادى البيضاء على حافظ ما جعله يلهج بشكره فى هذه القصيدة .

وما كنتُ أحْلُمُ ـ لولا الوزير ـ بِهذا الهَنَاءِ وهٰذا اللَّقَبْ[١]
عَلَى أيادٍ له جَمَّةٌ وفَضْلٌ قَديمٌ شَرِيفُ السَّبَبْ[٢]
فآنًا أقَالَ به عَثْرَتِي وأَوْرَى زِنادِي ، وآنًا وَهَبْ[٣]
تَفَيَّأْتُ مِنْهُ ظِلالَ النَّعِيم وأصبَحْتُ أعْرِفُ لُبْسَ القَصَبْ[٤]
وأمْشِي آختِيالًا إلى عابِدِين يُطالِعُنِي بَدْرُها عَنْ كَثَبْ[٥]
وأَلْثُمُ كَفَّ كَرِيمِ الجُدُود غِياثِ العُفاةِ مُزِيلِ الكُرَبْ[٦]
وأَحْثُثُ بَيْنَ وُفُودِ السَّراة مَطايَا الرَّجاءِ لذاكَ الرَّحَبْ[٧]
أَتَوا خالِصِين لِوَجْهِ الأَمِير فلا عَنْ رِياءٍ ولا عَنْ رَهَبْ[٨]
لهُمْ ما يَشَاءُونَ مِنْ رَبِّهِمْ رِضاءُ الأَمِير ونَيْلُ الأَرَبْ
ولِلكاشِحِينَ نَكالُ الزَّمانِ ونَحْسُ النُّجُومِ ذَوَاتِ الذَّنَبْ[٩]
فعَهْدُ الأَمِيرِ كعَهْدِ الرَّشِيد يَمُتُّ إليه بحَبْلِ النَّسَبْ

---

(١) يريد لقب (البكوية) الذى أنعم عليه به فى السنة المشار إليها فى أول هذه القصيدة .

(٢) الأيادى : النعم .

(٣) الضمير فى « به » للفضل . يقال : أورى فلان زندى ، إذا أجابنى إلى ما أطلب . والأصل فى إيراء الزند ، أن تستخرج ناره .

(٤) تفيأ الظل : التجأ إليه واستظل به .

(٥) « يريد بالبدر » : الخديو عباس الثانى . والكثب (بالتحريك) : القرب .

(٦) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كقاض) .

(٧) أحث مطايا الرجاء : أى أبعثها فى سرعة . والسراة من الناس : الرفيعو المنزلة ، الواحد سرى (بفتح السين وكسر الراء) .

(٨) الرهب : الخوف .

(٩) الكاشحون : الأعداء الذين يطوون العداوة ، الواحد كاشح ، وذلك لأنه يتباعد منك ويوليك كشحه .

إليـــكَ (أبا حَسَنٍ) أنْتَمى ... فمـا زَلَّ مَوْلًى إليـكَ انْتَسَبْ[1]

عَرَفْتَ مَكَانِي فأَدْنَيْتَنِـــي ... وشَرَّفْتَ قَدْرِى (بدار الكُتُبْ)[2]

وعَرَّفْتَ دَهْرِى مَكَان الأَدِيب ... وقد كانَ دَهْرِى شَـدِيدَ الكَلَبْ

فلو أنّ لى مُرْقصاتِ(الخَلِيل) ... وإعْجـازَ (شَـوْقى) إذا ما رَغِبْ[3]

لَقُمْتُ بشُـكْرِكَ حَقَّ القِيام ... ولكنْ طَلَبْتُ فَعَـزَّ الطَّلَبْ

فشُكْرِى لصُنْعِكَ شُـكْرُ النَّبات ... ببَطْنِ الفَـلاةِ لقَطْـرِ السُّحُبْ

وشُكْرًا (لشَوْقى) رَسُولِ القَريض الـ ... ـكَرِيمِ الإخاءِ المَتِينِ السَّبَبْ

وشُكْراً (لداوُدَ) ربِّ الـيراع ... وشُكرا (لسَرْكيسَ) ربِّ العجَبْ[4]

وشُـكْرا لكلِّ كَرِيمٍ سَـعَى ... إلىَّ وكُلِّ أَدِيبٍ خَطَبْ

هُمُ شَجَّعُونِى على أنْ أَقُول ... وما كان لى بَيْنَهُـمْ مُضْطَرَبْ[5]

هُـمُ أَلْهَمُونى فصِيحَ الكلام ... هُـمُ عَلَّمُـونى طَرِيقَ النَّخَبْ[6]

فعَنْهُمْ أَخَذْتُ وعنهم صَـدَرْتُ ... ومِنْ عِنْـدِهِمْ فَضْـلِىَ المُكْتَسَبْ

---

(١) انتمى : انتسب . ويريد « بأبى حسن » : المرحوم أحمد حشمت باشا . وهو خير من عمل لإنهاض الأدب العربى فى العصر الحاضر .

(٢) يشير إلى أن حشمت باشا هو الذى عين حافظا فى منصبه المعروف بدار الكتب .

(٣) يريد « بالخليل » : الخليل بك مطران الشاعر المعروف ؛ ومرقصاته : قصائده .

(٤) داود : هو داود بركات بك الكاتب اللبنانى المعروف ، وكان رئيسا لتحرير جريدة الأهرام . ولد بقرية يحشوش من أعمال لبنان سنة ١٨٧٠ م ، وتوفى فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م . وسركيس : هو سليم سركيس الكاتب ، اللبنانى المعروف محرر جريدة المشير ومجلة سركيس ، ولد فى بيروت عاصمة لبنان سنة ١٨٦٩ م وكانت وفاته فى سنة ١٩٢٥ م .

(٥) المضطرب : المذهب .

(٦) طريق النخب : أى طريق المنتخب من الكلام المختار منه ، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمها)

فَحَيُّوا عَزِيزَ البِلادِ الّذى على السُّحْبِ ذَيْلَ المَعالِى سَحَبْ
وحَيُّوا (سَعِيداً) وَزِيرَ الأَمِير قَرِيبَ الصَّوابِ بَعِيدَ الغَضَبْ[1]
تَوَلَّى الرَّاسَةَ والحادِثات تَرُوعُ النُّفُوسَ بِوَقْعِ النُّوَبْ
فَسَاسَ البِلادَ وأَرْضَى العِباد وأَرْضَى الأَمِيرَ وأَرْضَى الأَدَبْ

إلى حفنى[2] ناصف بك

قالها فى حفل أقامه أعضاء نادى طنطا لتكريم حفنى بك لانتقاله من القضاء إلى التفتيش (بنظارة) بوزارة المعارف

[نشرت فى ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢ م]

يا يومَ تكريم (حفْنِى) أَرْهَفْتَ للقَوْلِ ذِهْنِى[3]
فيا قَرِيضُ أَجِبْنِى ويا بَيانُ أَعِنِّى
عَلِّى أَفِى بَعْضَ دَيْنِى إِنْ كان ذٰلكَ يُغْنِى
يا مَنْ ضَرَبْتَ بَسْهْمٍ فى كلِّ علْمٍ وفَنِّ
بَنَيْتَ للشِّعْرِ فِينا والنَّثْرِ أَعْظَمَ رُكْنِ

(١) يريد المرحوم محمد سعيد باشا وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك .

(٢) محمد حفنى بك ناصف هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف ؛ ولد عام ١٢٧٢ هـ فى ضاحية من ضواحى القاهرة تدعى بركة الحاج ، ثم دخل كتاب القرية فالأزهر فدار العلوم ، ثم كان أستاذ اللغة العربية فى مدارس الحكومة ، واختير للتدريس فى مدرسة الحقوق ، فرأى أن يشارك طلبتها فى دروسهم ، فتعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومى ، ثم عين قاضيا بالمحاكم الأهلية سنة ١٨٩٢ م فوكيلا لإحدى المحاكم ، وانتخب لتدريس الأدب العربى فى الجامعة المصرية وهى أهلية ، ثم انتخب مفتشا أوّل للغة العربية بوزارة المعارف ؛ بعد المغفور له الشيخ حمزة فتح الله . وتوفى حفنى سنة ١٣٣٧ هـ (سنة ١٩١٩ م) وكان رحمه الله فكه الحديث ، مليح النادرة ، مشاركا فى كل علم وفن من علوم اللغة وفنونها .

(٣) الإرهاف : الشحذ والتحديد .

وما خُلِقْتَ لعَصْرِى فى الشَّرْقِ إلّا لتَبْنِى
فكلُّ ربٍّ يَراعٍ فى مِصْرَ خِرِّيجُ (حفْنِى)
إنْ قال شعْرًا فَراحٌ تُدارُ فى يَوْمِ دَجْنِ[1]
أو قال نَثْرًا فَرَوْحٌ يَجْتازُنا غبَّ مُزْنِ[2]
فإنْ بَدَأْتَ بقَوْلٍ منه فبالكأْسِ ثَنِّ
وطِرْ إلى اللَّهْوِ وارْغَبْ عن حِكْمَةِ المُتَأَنِّى
فالعَيْشُ فى بِنْتِ فِكْرٍ تُجْلَى وفى بِنْتِ دَنِّ[3]
وإنْ طَلَبْتَ مَزِيداً ففِى مُناجَاةِ خِدْنِ
لولا الحَياءُ ولَوْلا دِينِى وعَقْلِى وسِنِّى
لَقُمْتُ فى يَوْمِ (حفْنِى) أَدْعُو لسَكْرَةِ (يَنِّى)[4]
ولَا أَقُولُ (لحفْنِى) ما قيلَ قدْمًا (لمَعْنِ)[5]
لا تَنْسَ عَيْشًا تَوَلَّى ما بَيْنَ شَرْحٍ ومَتْنِ[6]

(١) الراح : الخمر . والدجن : ظل الغيم فى اليوم المطير . وقديما مدح الشعراء الشرب واللهو فيه .

(٢) الروح : الريح . والمزن المطر ، وأدنى ما يكون النسيم غب مطر .

(٣) بنت الفكر : نتاج القرائح والأفكار . وبنت الدن : وعاء كبير لها .

(٤) سكرة ينى : مثل بلدى مصرى يضرب فى كثرة الشرب والإفراط فى السكر .

(٥) يشير بهذا البيت إلى ما ورد من أن شاعرا أراد أن يجرب حلم معن بن زائدة الشيبانى ويستثير حفيظته ، فهجاه بقصيدة ٥ منها :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير ؟

(٦) يريد بهذا البيت وما بعده من الأبيات تذكير حفنى بعهده فى الأزهر وما لاقاه من شظف العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان محمد بك .

وَلَّى شَبابُكَ فيه ما بَيْنَ مدٍّ وغَنّ
وذُقْتَ منْ (جاءَ زَيْدٌ) ومنْ شُرُوح (الشُّمُنّى)[١]
ومِنْ حَواشِي الحَواشي على مُتُون (ابنِ جنّى)[٢]
ـ ما لَمْ تُذقْكَ اللّيالى قَلَبْنَ ظَهْرَ المجَنّ[٣]
أيّامَ (سُلْطانُ) يَلْهُو (بمشّه) ويُغَنّى[٤]
يَبِيتُ يَقْصَع ما لَمْ أُسَمِّه أو أُكَنّى
يَشْكُو إليكَ وتَشْكُو إليه عيشَةَ غَبْنِ
أيّامَ يَدْعُوكَ (حفْنِي): منَ الحَياةِ أَجِرْنِي
هاتِ المُسَدَّسَ إنّى سَبَيْتُ (مشّى) و(جُبْنِي)
مَنْ لى بدِرْهَمِ لَحْمٍ عَلَيْه حَبَّةُ سَمْنِ[٥]
قَرِمْتُ واللهِ حتّى صاحَتْ عَصافيرُ بَطْنِي[٦]

---

(١) الشمنى : هو أبو العباس تقى الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمى الدارى الحنفى من علماء القرن التاسع ولد بالإسكندرية سنة ٨٠١ هـ وتوفى فى شهر ذى الحجة سنة ٨٧٢ هـ .

(٢) ابن جنى : هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، إمام من أئمة النحو معروف ، ولد قبل سنة ٣٣٠ هـ وتوفى فى صفر سنة ٣٩٢ هـ .

(٣) " ما " : مفعول به لقوله قبل : " وذقت " . والمجن : الترس . وقلبن له ظهر المجن ، أى تغيرن عليه وتنكرن له ، وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودّة ثم تحوّل عنها .

(٤) يريد بسلطان : المرحوم سلطان محمد بك زميل حفنى بك ، وكان (مجاورا) معه فى الأزهر ، وتخرج فى دار العلوم ، ثم كان أستاذا بها و بالجامعة المصرية القديمة أيضا .

(٥) الحبة : جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم .

(٦) قرم إلى اللحم قرما (بالتحريك) : اشتدت شهوته إليه . وصياح عصافير البطن : كناية عن شدّة الجوع .

أيّامَ عيـــدُكَ يَـومٌ تَفُـــوزُ فيه بدُهْن
أيّامَ (مَهْيَـــأُ) أَشْـــهَى إِلَيْكَ منْ (سَنْ جُونِّى)[1]

* * *

أَقُـولُ هٰـــذا وإِنِّى لَمُحْسِنٌ فيكَ ظَـــنِّى
فإِنْ غَدَوْتَ وزِيرًا يومًا وجِئْنا نُهَـــنِّى
فلا تَكُنْ ذاحِجابٍ ولا تُطِـــلْ فى التَّجَنِّى
ولا تَقُلْ من غُرُورٍ يأيُّهـا النـــاسُ إِنِّى[2]

* * *

أَخْشَى عليـكَ المَنـايا حتّى كأنّكَ مِنِّى[3]
إذا شَكَوْتَ صُـداعا أَطَلْتُ تَسْهِيـدَ جَفْنِى
وإِنْ عَراكَ هُزالٌ هَيَّأْتُ لَحْـدى وقُطْنِى
وإِنْ دَعَـوْتُ لِحَيٍّ يـومًا فإِيّاكَ أَعْـنِى
عُمْرِى بعُمْرِكَ رَهْنٌ فعِشْ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنِ
نَبْـقى وإِبْلِيس فيهـا نُبْـلِى اللّيـالِى ونُفْنِى
أَسْرَفْتُ فى المَزْحِ فاصفَحْ ياسَـيِّدى واعفُ عَنِّى

---

(١) مهيأ : اسم لبائع أطعمته أكثرها من الفول بجوار الأزهر . (وسان جونى) : اسم لبائع حلواء فى مدينة حلوان . أنشأ قصرا فى روضة ، على الشاطىء الشرقى للنيل ، عند حلوان ، لا يزال يعرف باسمه إلى اليوم مع تغيير الملكية

(٢) إنى : أى إنى كذا وكذا مما يحدث به عن نفسه فى معرض الفخر .

(٣) يشير بهذا البيت والأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفنى وحافظ ، وذلك أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأبينه ستة من الخطباء ، وهم : الشيخ أبو خطوة ، وحسن عاصم باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، وقاسم أمين بك ، وحفنى ناصف بك ، وحافظ ابراهيم بك ، وقد مات الأربعة الأولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم فى يوم التأبين وجاءت النوبة على حفنى بك ، وكان قد بعث إلى حافظ بأبيات يذكره فيها بالموت ، ويدعوه إلى الاستعداد له إذا نزلت به المنية .

فالذنبُ ذَنْبُ (شُدُودى) فالْعَنْ (شُدُودى) ودَعْنى[١]
قدسَنَّ فينَا مُزاحًا على الحقيقَة يَجْنِي
دُقْتُ الأَمَرَّيْنِ منْه فسَلْ (سَلِيمًا) وسَلْنِي[٢]
واسمَعْ مَديحَ مُحِبٍّ يُطْرِى بحَقٍّ ويُثْنِي
لقد جَمَعْتَ خِلالاً تَضَمَّنَتْ كلَّ حُسْن
مُفَتِّشًا وفَقِيهًا وقاضيًا وابنَ فَنٍّ[٣]
إنَّ (المَعارِفَ) فازَتْ بِمُنْيَةِ المُتَمَنِّى
(بحِشْمَتٍ) و (عَلِىٍّ أبِى الفُتوحِ) و (حفنى)[٤]

اعتذار إلى أحمد شوقى بك

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد العلايلى بك
فى كرمة (ابن هانىء) ولم يحضره حافظ لمرض ألم به

[نشرت فى ١٥ يناير سنة ١٩١٣ م]

يا سَيِّدى وإمامى ويا أَديبَ الزَّمان
قد عاقَنِي سُوءُ حَظِّى عَنْ حَفْلَةِ المِهْرَجان

(١) هو (الدكتور) ابراهيم شدودى الرمدى الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة فى تكريم حافظ نحا فيها هذا النحو من المزح ، وذكر حافظا عهده السابق فى الجيش .

(٢) يريد سليم سركيس (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٧ من هذا الجزء) .

(٣) ابن فن : كلمة شائعة الاستعمال بمصر يوصف بها الظرفاء وأصحاب النكت الطريفة والفكاهات الرقيقة .

(٤) يريد بحشمت : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك ، وعلى أبو الفتوح باشا : وكيلها .

وكنتُ أوّلَ ساعٍ إلى رِحابِ (ابنِ هانِي)[1]
لكنْ مَرِضْتُ لنَحْسِي في يَوم ذاكَ القِرانِ
وقد كفانِي عِقاباً ما كانَ منْ حِرْمانِي
حُرِمْتُ رُؤْيَةَ (شَوْقِي) ولَثْمَ تلْكَ البَنانِ
فاصفَحْ فأنتَ خَلِيقٌ بالصَّفْحِ عن كلِّ جانِي
وعشْ لعَرْشِ المعانِي ودُمْ لتاجِ البَيانِ
إنْ فاتَنِي أنْ أُوَفِّي بالأَمْسِ حَقَّ التَّهانِي
فاقْبَلْهُ منِّي قَضاءً وكُنْ كَرِيمَ الجَنانِ[2]
واللهُ يَقْبَلُ مِنَّا الصَّلاةَ بَعْدَ الأَوانِ

دعابة

رزق الشيخ أمين تقى الدين الأديب السورى مولودا سماه حافظا وقال فيه :

لِي وَلَدٌ سَمَّيْتُهُ حافِظًا تَيَمُّنًا بحافِظِ الشّاعِرِ[3]

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩١٣]

فقال حافظ :

كحافِظِ ابراهِيمَ لكنّهُ أَجْمَلُ خَلْقًا منه فى الظّاهِرِ
فَلَعْنَةُ اللهِ على (حافِظٍ) إنْ لَمْ يَكُنْ بالشّاعِرِ الماهِرِ

(١) يريد بابن هانى : أحمد شوقى بك ، وكان يكنى بهذه الكنية تشبها بأبى نواس الحسن بن هانى الحكمى الشاعر العباسى المعروف ، لما بين الشاعرين من الشبه فى الاتصال بالملوك ومخالطتهم ، والاتحاد فى بعض أغراض شعرهما .

(٢) الجنان : القلب .

(٣) لم ينون اسم حافظ لضرورة الوزن .

لَعَـلَّ أَرْضَ الشـام تُزْهَى به ... على بـلادِ الأَدَبِ الـزّاهِرِ[١]
على بلاد النِّيـل تلْكَ التِي ... تاهَتْ بأَصْحابِ الذّكا النّادرِ[٢]
(شَوْقِى)و(مَطْرانَ)و(صَبْرِى)ومَنْ ... سَمَيْتُـه فى مَطْلَعِى البـاهِرِ

فقال الشيخ أمين :

وانجَلَتِي إنْ لَمْ يَجِئْ شـاعِرًا ... يُنْسِى أَباهُ حِكْمَةَ النّـاثِرِ
شـعْرٌ نَظَمْناهُ ولَوْلا الّذى ... رُزِقْتُـه ما مَرَّ بالخـاطِرِ

فقـال حافظ :

فيـا وَلِيدِى كُنْ غَدًا شـاعِرًا ... وابْـدَأْ بِهَجْـوِ الـوالِدِ الآمِرِ[٣]
فالذَّنْبُ ذَنْبِى وأَنَا المُعْتَـدِى ... هَلْ يَسْلَمُ الشّـاعِرُ مِنْ شاعِرِ؟

بين شوقى وحافظ

[نشرت فى سنة ١٩١٧ م]

كان (أحمد شوقى بك) قد بعث بأبيـات ثلاثة وهو فى منفـاه بالأندلس إلى حافظ ، وهى :

يا سَاكِنِي مصْرَ إنّا لا نَزالُ عَلَى ... عَهْدِ الوَفاءِ — وإنْ غِبْنا — مُقيمِينَا
هَـلّا بَعَثْتُمْ لَنـا مِنْ ماءِ نَهْرِكُمُ ... شيئًـا نَبُـلُّ به أَحْشاءَ صادِينَا[٤]
كُلُّ المَنـاهِلِ بَعْدَ النِّيلِ آسِـنَةٌ ... ما أَبْعَدَ النِّيلَ إلّا عَنْ أَمانِينَـا[٥]

(١) يريد "بلاد الأدب" : مصر . (٢) تاهت : افتخرت . (٣) الآمر : أى الذى يأمرك بصنع الشعر .
(٤) الصادى : الظمآن . (٥) المناهل : الموارد . والماء الآسن : المتغير .

فأجابه حافظ بهذه الأبيات

[نشرت فى ٨ مايو سنة ١٩١٧]

عَجِبْتُ لِلنِّيلِ يَدْرى أنَّ بُلْبُلَه ... صادٍ ويَسْقِى رُبَا مِصْرٍ ويَسْقِينا
واللهِ ما طابَ للأَصْحَابِ مَوْرِدُه ... ولا ارْتَضَوْا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لِينا
لَمْ تَنْأَ عنه وإنْ فارَقْتَ شاطِئَه ... وقد نأَينا وإنْ كُنّا مُقِيمِينا[1]

بين حافظ والهرّاوى

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام فى بيته بالجيزة سنة ١٩١٨ م فذهب صديقه المرحوم محمد الهراوى الشاعر المعروف ليزوره ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعانى فى خاطره ، فارتجل الهراوى الأبيات الآتية :

يا رَئِيسَ الشِّعْرِ قُلْ لِى ... ما الّذى يَقْضِى الرَّئِيسُ[2]
أَنْتَ فى الجِيزَةِ خَافٍ ... مِثْلَما تَخْفَى الشُّمُوسُ
قَابِعٌ فى كِسرِ بَيْتٍ ... قد أَظَلَّتْه الغُرُوسُ
زاهِدٌ فى كُلِّ شَىْءٍ ... مُطْرِقٌ ساهٍ عَبُوسُ
أينَ شِعْرٌ منك نَضٌّ؟ ... فَلَنَا فيه مَسِيسُ[3]
وحَدِيثٌ منكَ حُلْوٌ ... يَتَشَهّاه الجُلُوسُ ؟

(١) ينأى : يبعد .
(٢) يقضى : يصنع ويعمل . قال تعالى : (فقضاهن سبع سموات فى يومين) .
(٣) مسيس : أى حاجة ماسة ، يقال : مست الحاجة إلى كذا ، أى ألجأت إليه .

وفُكاهاتٌ عذابٌ تتمنّاها النُّفوسُ
قد جَنَوْتَ الشّعر حتّى حَدَّثَتْ عنك الطُّرُوسُ
وبَهَرْتَ الناسَ حتّى ساءلُوا : أين الأَنِيسُ ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضا :

أنا فى الجيزةِ ثاوٍ ليس لى فيها أَنِيسُ[1]
أنكرَ الأُنسُ مكانى ونأى عنّى الجليسُ
ليس يدرى مَن رآنى أطليقٌ أم حَبِيسُ ؟

دعابة كتب بها إلى السيد محمد البيلاوى نقيب الأشراف

[لما ولى نقابة الأشراف سنة ١٩٢٠ م]

قُلْ للنّقيب لقد زُرْنا فضيلتَهُ فذادنا عنه حُرّاسٌ وحُجّابُ[2]
قد كان بابُكَ مفتوحا لقاصده واليومَ أُوصِدَ دُونَ القاصد البابُ[3]
هَلّا ذَكَرْتَ (بدار الكُتْبِ) صُحْبَتَنا إذْ نحنُ رَغْمَ صُرُوفِ الدّهرِ أَحْبابُ[4]
لو أنّنى جِئْتُ (للبابا) لأكرَمَنى وكان يُكرِمُنى لو جِئْتُه (الباب)[5]
لا تَخْشَ جائزةً قد جِئْتُ أَطْلُبُها إنّى شَرِيفٌ وللأَشْرافِ أَحْسَابُ[6]
فاهْنَأْ بما نِلْتَ من فَضْلٍ وإنْ قُطِعَتْ بَيْنى وبَيْنَكَ بَعْدَ اليومِ أَسْبابُ[7]

(١) الثاوى : المقيم .
(٢) ذادنا : منعنا .
(٣) أوصد الباب : أغلقه .
(٤) صروف الدهر : نوائبه ؛ يشير إلى أن السيد محمد البيلاوى كان هو والشاعر يعملان معا فى دار الكتب المصرية .
(٥) يريد بالبابا كبير القسوس برومة ، ويريد "بالباب" : رأس الطائفة المعروفة بالبابية ، وهم فرقة من غلاة الشيعة ، وسمى بابا ، لأنهم يعدونه باب المهدى ، أى نائبه .
(٦) يشير بقوله "إنى شريف" ، إلى الحكم الشرعى المعروف من أن الصدقة لا تجوز على الأشراف .
(٧) يريد بالأسباب : روابط المودة .

استئذان الرئيس

بيتان أرتجلهما فى الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشرا فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م]

قُلْ للرَّئيس أَدَام اللهُ دَوْلَتَـــهُ ... بأنّ شاعرَه بالبـاب مُنْتَظِـرُ
إنْ شاءَ حَدَّثَهُ أوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ ... بكلِّ نادِرَةٍ تُجْلَى بهـا الفِكَرُ

دعابة

قالهـا فى (الدكتور) محجوب ثابت سنة ١٩٢٧ م ، وكان كلاهما فى ضيـافة المرحوم سعد زغلول باشـا فى مسجد وصيف ، وكان (الدكتور) — فيما قالوا — مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفتاة غنية من بيت عريق يتزوّجها وإلى هذا يشير الشاعر فى القصيدة الاتية :

يُرْغِى ويُزْبِدُ بالقَـافَاتِ تَحْسَبُهـا ... قَصْفَ المَـدافِـعِ فِى أُفْقِ البَساتِينِ[1]
من كلِّ قافٍ كأنّ اللهَ صَوَّرَها ... من مارِجِ النـارِ تَصْويرَ الشَّياطِينِ[2]
قد خَصَّهُ اللهُ بالقَـافَاتِ يَعْلُكُها ... وٱختَصَّ سُبْحَانه بالكاف والنُّـونِ[3]
يَغِيبُ عنـه الحِجَا حِينًا ويَحْضُرُه ... حِينًـا فَيَخْلِطُ مُخْتَـــلًا بمَوْزُونِ[4]

(١) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود حرف القـاف فى حديث (الدكتور) محجوب ثابت وحرصه على النطق بها . ويزيد بالشطر الثانى منه أن هذه القافات الثقيلة الوقع على الأذن فى وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصـوات المدافع المرعدة فى البساتين الغناء .

(٢) المـارج : النار التى لا دخان لهـا .

(٣) يعلكها : يمضغها . ويريد "بالكاف والنون" : قوله تعالى لما يريد خلقه : "كن فيكون" .

(٤) الحجا : العقل والفطنة .

لا يَأمَنُ السامعُ المِسْكِينُ وَثْبَتَـه ... مِنْ (كردفان) إلى أَعْلَى (فِلَسْطِينِ)[١]
بَيْنَـا تَراه يُنادِى الناسَ فى (حَلَبٍ) ... إذا بِه يَتَحَـدَّى القَوْمَ فِى (الصِّينِ)[٢]
ولَمْ يَكُنْ ذاكَ عَنْ طَيْشٍ ولا خَبَلٍ ... لكنَّها عَبْقَـرِيّاتُ الأَساطِينِ[٣]
يَبِيتُ يَنْسُـجُ أَحْلامًا مُذَهَّبَـةً ... تُغْنِي تفاسِيرُها عن (إبْنِ سِيرِينِ)[٤]
طَـوْرًا وزِيرا مُشاعًا فى وزارَتِه ... يُصَرِّفُ الأَمْرَ فى كُلِّ الدَّواوِينِ[٥]
وتارَةً زَوْجَ عُطْبُـولٍ خَدَلَّجَـةٍ ... حَسْناءَ تَمْلِكُ آلافَ الفَـدادِينِ[٦]
يُعْفَى من المَهْـرِ إكْرامًا لِلِحْيَتِه ... وما أَظَلَّتْه مِنْ دُنْيَـا ومِنْ دِينِ[٧]

دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للمجمع العلمى بدمشق

شَكَرْتُ جَمِيـلَ صُنْعِكُمُ بِدَمْعِى ... ودَمْعُ العَيْنِ مِقْياسُ الشُّعُورِ
لأوّل مَرّةٍ قـد ذاقَ جَفْـنِي ... — على ما ذاقَه — دَمْعَ السُّرورِ

(١) كردفان : بلد بالسودان معروف . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى كثرة تنقل (الدكتور) محجوب بين المجالس والأندية ، وتنقله فى موضوعات الحديث ، وعدم استقراره فى مكان واحد ولا موضوع واحد ، وبعد المسافات التى يقطعها فى هذا التنقل .

(٢) تحداه : باراه ونازعه الغلبة .

(٣) يريد "بالأساطين" : الأعلام المبرزين فى مختلف العلوم والفنون ، جمع أسطوانة ، وهى فى الأصل العمود والسارية .

(٤) أظهر الهمز فى "ابن سيرين" لضرورة الوزن . وابن سيرين : عالم بصرى معروف بتفسير الأحلام ، وينسب له كتاب مشهور فى ذلك ، ومات فى سنة ١١٠ هـ .

(٥) يشير بهذا البيت إلى أمنية (الدكتور) محجوب فى أن يكون وزيرا فى إحدى الوزارات ، وهو لا يستقر فى أمنيته على وزارة واحدة .

(٦) العطبول من النساء : الفتية الجميلة الممتلئة ، الطويلة العنق . والخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين . يشير إلى أمنية (الدكتور) محجوب فى أن يتزوج ممن تلك صفتها .

(٧) يشير بهذا البيت إلى طول لحية (الدكتور) محجوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير حتى إنهم ليعفونه من مهور بناتهم إكراما لها إذا أراد التزوج من إحداهن .

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جوابا عن قصيدة دعابية أيضا بعث بها اليه هذا الصديق

وافى كتابُكَ يَزْدَرى بِالدُّرِّ أو بالجَوْهَرِ
فَقَرَأْتُ فيه رِسالةً مُزِجَتْ بذَوْبِ السُّكّرِ
أَجْرَيْتَ فى أَثْنائها نَهْرَ ٱنسجام الكَوْثَرِ(١)
وفَرَطْتَ بين سُطورها مَنْظُومَ تاجِ القَيْصَرِ(٢)
وخَبَأْتَ فى أَلْفاظها مِنْ كلِّ مَعْنًى مُسْكِرِ
فتَرَى ٱلمَعانِى الفارسيّةَ فى مَغانِى الأَسْطُرِ(٣)
كالغانِيات تَقَنَّعَتْ خَوْفَ المُرِيبِ المُجْتَرِى(٤)
مَعْنًى أَلَذُّ مِن الشّما تَةِ بالعَدُوِّ المُدْبِرِ(٥)
أَوْ مِنْ عتابٍ بَيْنَ مَحْبُوبٍ وحبٍّ مُعْذِرِ(٦)
أو فَتْرَةٍ أَضاعَها الْ قَامِرُ عند ٱلمَيْسِرِ(٧)

(١) الكوثر : نهر فى الجنة . وٱنسجامه : انسيابه واطراده ؛ وفى هاتين الكلمتين قلب ظاهر دعت إليه ضرورة الوزن والأصل : انسجام نهر .

(٢) منظوم تاج القيصر : جواهره .

(٣) المعانى الفارسية : أى البديعة ؛ وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع فى الفنون . وشبه الأسطر المحتوية على المعانى بالمغانى ، وهى المنازل المسكونة .

(٤) الغانيات : جمع غانية ؛ وهى المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . والمجترى : المجترئ .

(٥) المدبر : المنهزم .

(٦) الحب (بالكسر) : المحبوب . والمعذر : المنصف العادل . ويجوز أن يراد به معنى المقصر فيما يرضى محبوبه .

(٧) يشبه لذة معانيه بلحظة اللعب فى الميسر . والقامر : المقامر .

أو مَجْلِسٍ للخَمْرِ مَعْقُودٍ بيَوْمٍ مُمْطِرِ
تِسْعُون بيتاً شِدْتَها فوقَ سِنانِ السَّمْهَرِى[١]
والسَّمْهَرِىُّ قَلَمٌ فى كَفِّ لَيْثٍ قَسْوَرِ[٢]
أَفَتَى القَوافِى ! كيفَ أَنْتَ ؟ فقَدْ أَطَلْتَ تَحَسُّرِى!
أَتُرَى أَرَاكَ اَمِ اللِّقا ءُ يكونُ يومَ ٱلْمَحْشَرِ
... ...[٣]
ما كان ظَنِّى أنْ تَعِيشَ أيا لَئِيمَ المَكْسِرِ[٤]
ولقد قُذِفْتَ الى الجحيمِ وبئسَ عُقْبَى المُنْكَرِ
تاللهِ لو أَصْبَحْتَ (أَفْلاطُونَ) تِلْكَ الأَعْصُرِ[٥]
وغَدَا (أبقراط) بِبا بِكَ كالعَدِيمِ المُعْسِرِ
وبَرَعْتَ (جالِينُوسَ) أو (لُقْمانَ) بَيْنَ الحُضَّرِ[٦]
ما كنتَ إلّا تافِهَ الْـ آدابِ عندَ المَعْشَرِ
غُفْرانَكَ اللّهُمّ إنِّى مِنْ ظُلامَتِهِ بَرِى[٧]

---

(١) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو نسبة إلى سمهر زوج ردينة اللذين كانا يثقفان الرماح ؛ أو إلى قرية فى الحبشة . ومعنى (شاهدها فوق سنان السمهرى) أنه أنشأها بقدمه الجبار .

(٢) القسور : اسم من أسماء الأسد ؛ سمى بذلك لغلبته وقهره .

(٣) هنا نضرب عن ذكر أبيات اقتضاها مقام المداعبة بين صديقين حميمين لا يصح نشرها .

(٤) اللئيم المكسر : الذى يظهر لؤمه بعد الاختبار . وأصله من العود الذى يظهر ضعفه حين يكسر .

(٥) أفلاطون : فيلسوف يونانى معروف ؛ ولد فى سنة ٤٢٧ ق م ، وكانت وفاته فى سنة ٣٤٧ ق م .

(٦) الحضر : جمع حاضر .

(٧) برى : برىء .

سَـــوَّيْتَـــه كالكَرْكَدَنِّ وجاءَنا كالأَخْدَرِى[١]
وَجْهٌ ولا وَجْهُ الخُطُو ب وقامَـــةٌ لَم تُشْـــبَرِ[٢]
ومن العَجائِبِ أنَّ مثْـ ـلَ لِسـانِه لَمْ يُبْـــتَرِ[٣]
كَم باتَ يَلْتَحِـمُ العُرُو ضَ وجاءَ بالأَمْرِ الفَرى[٤]
فافعَلْ به اللُّهُـــمَّ كالنُّـــمْرُوذ فهْوَ بهـا حَرِى[٥]
وأنزِلْ عليه السُّخْطَ إنْ أَمْسَى ولَمْ يَسْـــتَغْفِرِ[٦]
فهـو الّذى ابتَدَع الرِبَا وأَقامَ رُكْنَ الفُجَّـــرِ
وأقامَ دينَ عبادة الـدِّ ينـار بَيْنَ الأَظْهُرِ
ولقـد عَجِبتُ لبُخْـــله ولكَفِّـــه المُتَحَجِّـــرِ
لا يَصْرِفُ السُّحْتُوتَ إلَّا وهْـــوَ غَـــيْرُ مُخَيَّرِ[٧]

---

(١) سويته : خلقته . والكركدن : ويسمى الحمار الهندى ، حيوان فى جثة الفيل خلقته كخلقة الثور إلا أنه أعظم منه ذو حافر ، وعلى رأسه قرن واحد ، وهو بتشديد الدال وتخفيف النون ، ومجيئه هنا مشدّد النون مخفف الدال من لغة العامة ، وكذلك ورد فى شعر المتنبى . والأخدرى : حمار الوحش .

(٢) لم تشبر : لم تقس بالشبر لشدة قصرها .

(٣) يبتر : يقطع .

(٤) يلتحم العروض : أى ينال من أعراض الناس . والمعروف فى هـذا "لحم" و"ألحم" ؛ يقـال : لحم فلان فلانا من باب نصر ، إذا أضر به وناله بمكروه ؛ وألحى عرض فلان ، إذا أمكنى منه أشتمه ، أى جعل عرضه لحمة للعائب . والفرى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : المصنوع المختلق (بفتح اللام) ، أو الأمر العظيم .

(٥) النمروذ بالذال والدال لغتان : ملك جبار من القدماء كان فى زمن نبى الله إبراهيم عليه السلام . وحرى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : خليق وجدير .

(٦) وأنزل ؛ أصله "وأنزل" باثبات الهمزة ، ووصلها لضرورة الوزن ، ولو حذف الواو وهمز الألف لصح الشعر والنحو ، واستقام الصرف .

(٧) السحتوت : أصله السويق القليل الدسم ، ثم أطلق على الشىء القليل ؛ واستعمل فى نوع من العملة قليل القيمة .

لو أنّ فى إمْكانه عَيْشًا بغَيْرِ تَضَوُّر[١]
لاختارَ سَدَّ الفَتْحَتَيْ ن وقال : ياجَيْبُ احذَر[٢]

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباظة بك[٣]

طَال الحَديثُ عَلَيْكُمْ أيُّهَا السَّمَرُ ولاحَ للنَّوْمِ فى أجْفَانِكُمْ أثَرُ[٤]
وذلكَ اللَّيْلُ قد ضاعَتْ رَواحِلُه فايسَ يُرْجَى له مِنْ بَعْدها سَفَرُ[٥]
هٰذى مَضاجِعُكُمْ ياقَوْمُ فالتَقِطوا طيبَ الكَرَى بعُيونٍ شابَها السَّهَرُ[٦]
هل يُنكِرُ النَّومَ جَفْنٌ ـ لو أُتيحَ له ـ إلَّا أنا ونُجومُ اللَّيْلِ والقَمَرُ؟
أبيتُ أسْأَلُ نَفْسِى كيف قاطَعَنِي هٰذا الصَّديقُ؟ ومالى عنه مُصْطَبَرُ
فما مُطَوَّقَةٌ قد نالَهَا شَرَكٌ عند الغُرُوبِ إليه ساقَها القَدَرُ[٧]
باتَتْ تُجاهِدُ هَمًّا وهى آيِسَةٌ مِن النَّجاة وجُنْحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ[٨]
وبات زُغْلُولُها فى وَكْرِها فَزِعًا مُرَوَّعًا لُرجوعِ الأُم يَنْتَظِرُ[٩]

---

(١) التضوّر : التألم من شدّة الجوع .

(٢) يريد "بالفتحتين" مدخل الطعام ومخرجه . وآحذر : أى آحذر الإنفاق .

(٣) ذكر فى هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة فقد أكثر أبياتها ؛ وقد حاولنا العثور على بقيتها فلم نوفق .

(٤) السمر : المتسامرون .

(٥) الرواحل : الركائب . يشبه الليل فى طوله بمسافر فقد رواحله ، فهو لذلك مقيم متحول .

(٦) التقطوا طيب الكرى : أى تصيدوا لذيذ النوم . وشابها : خالطها .

(٧) المطوقة : الحمامة ذات الطوق ؛ وهو لون يخالف لون سائرها يحيط بالعنق .

(٨) جنح الليل (بالكسر وبضم) : طائفة منه . واعتكر الظلام : اختلط .

(٩) زغلولها : (بضم الزاى) فرخها الصغير .

يُحَفِّزُ الخَوْفُ أَحْشاهُ وتُزْعِجُه إذا سَرَتْ نَسْمَةٌ أو وَسْوَسَ الشَّجَرُ[١]
ـ منِّى بأَسْوَأَ حالًا حِينَ قاطَعَنى هٰـذا الصَّدِيقُ فهَلَّا كان يَدَّكِرُ[٢]
يابنَ الكرامِ أَتَنْسَى أنّنى رَجُلٌ لِظِلِّ جاهِكَ بَعْدَ اللهِ مُفْتَقِرُ ؟
إنِّى فَتاكَ فلا تَقْطَعْ مُواصَلَتِى هَبْنِى جَنَيْتُ فقُلْ لى كَيْفَ أَعْتَذِرُ ؟

استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لقد بِتُّ مَحْسودًا عليكَ ، لأنّنى فَتاكَ ، وهَلْ غَيْرُ المُنَعَّمِ يُحْسَدُ ؟
فلا تُبْلِغْ الحُسَّاد مِنّى شَماتَةً ففِعْلُكَ مَحْمُودٌ وأنتَ مُحَمَّدُ

وداع محمد المويلحى بك[٣]

حين سفره إلى معرض باريس

يا كاتِبَ الشَّرْق ويا خَيْرَ مَنْ تَتْلُو بَنُو الشَّرْقِ مَقاماتِهِ[٤]
سافِرْ وعُدْ يَحْفَظْكَ رَبُّ الوَرَى وٱبعَثْ لنا عيسَى بآياتِهِ[٥]

---

(١) يحفز أحشاه : يفزعها ويدفعها إلى الاضطراب . ويريد "بوسواس الشجر" : حفيفه .

(٢) أسوأ : خبر "ما" فى قوله السابق : "فما مطرقة" ... الخ . ويذكر : يتذكر .

(٣) انظر التعريف بالمويلحى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٤٠

(٤) يريد "بمقاماته" : كتاب عيسى بن هشام الذى أنشأه محمد بك المويلحى على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات .

(٥) يريد عيسى بن هشام ، الذى افترضه محمد المويلحى بك صاحب حديثه ؛ ويشير بذلك إلى أن مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل جزء ثان خاص بأوربة ؛ فهو يستنجزه وعده بذلك .

وقال يستقبله عند هذا المؤتمر :

مَنْ لَمْ يَرَ المَعْرِض فى ٱتَّساعِ وَفاتَهُ ما فيه منْ إبْداعِ
فَمَعْرِضُ القَوْمِ بلا نِزاعِ فى نَقْشَةٍ منْ ذٰلكَ ٱليَراعِ(١)

عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

تَناءَيْتُ عنكمْ فَٱنْتَأَتْ عُرَا وضاعَتْ عُهودٌ على ما أَرَى(٢)
وأَصبَحَ حَبْلُ ٱتِّصالى بكمْ نَحِيْطَ الغَزالةِ بَعْدَ ٱلنَّوَى(٣)
وقد زالَ ما كانَ منْ أُلْفَةٍ وُدٌّ زَوالَ شهابِ الدُّجَى
كأنَّ بَقاءَ الوَفا بَيْنَكُمْ وبَيْنِي بَقاءُ حَبابِ ٱلحَيَا(٤)
سَكَنْتُ إليكمْ ولَمْ تَسْكُنوا إلَىَّ وقد كُنْتُ نِعْمَ الفَتَى(٥)
ونَفْسى فَريقانِ : هٰذا به مَزَجْتُ ٱلوَفاءَ ، وذاكَ النَّدَى
أَصَبْتُمْ تُراثًا وأَلْهاكُمُ ٱلتَّكاثُرُ عَنّا فسُرَّ ٱلعُدا(٦)
ومَنْ كانَ يُنْسِيه إثراؤُه صَديقَ ٱلخَصاصَةِ لا يُصْطَفَى(٧)

(١) اليراع : القلم . ويريد بنقشته : ما يخطه من عبر وجودة وصف ، شبه ذلك بنفث السحر .
(٢) تناءيت : بعدت . والعرا : جمع عروة ، وهى معروفة ؛ وقد كنى بها عن العهود والمواثيق ، أى أنه بعد عنهم فقطعوا الصلة به .
(٣) الغزالة : الشمس . وخيطها : شعاعها . وقد شبه به حبل اتصاله بأصدقائه فى الضعف والوهن .
(٤) حباب الماء (بفتح الحاء) : فقاقيعه التى تكون على سطحه . والحيا : المطر .
(٥) سكن إليه : اطمأن إليه ووثق به .
(٦) التراث (بالضم) : ما يصاب من المال الموروث . ويريد "بالتكاثر" : التنافس فى كثرة الأموال والمفاخرة بها .
(٧) الإثراء : كثرة الأموال . والخصاصة : الفقر والاحتياج .

ذكرى

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

* مَنْ واجِدٍ مُنَفِّرِ المَنامِ[1] *
* طَريدِ دَهْرٍ جائِرِ الأَحْكامِ *
* مُشَتَّتِ الشَّمْلِ على الدَّوامِ *
* مُلازِمٍ لِلْهَمِّ والسَّقامِ *
* إليكُمُ يا نُزهَةَ الأَنامِ *
* وفِتْيَةَ الإيناسِ والمُدامِ *
* مَن أَقْسَموا بأَلْزَمِ الأَقْسامِ *
* بأَنْ يُقَضُّوا دَوْلَةَ الظَّلامِ *
* ما بَيْنَ بِنْتِ الحانِ والأَنْعامِ[2] *
* ومُطْرِبٍ مِنْ خيرةِ الأَقْوامِ *
* أَرَقَّ مِنْ شِعْرِ (أَبي تَمّامِ)[3] *
* ومَجْلِسٍ في غَفْلَةِ الأَيّامِ *

---

(١) الواجد : ذو الوجد . ومنفر المنام : مطرود عنه النوم . وقوله : "من واجد" : خبر مقدم ، والمبتدأ قوله : "تحية" بعد أبيات طويلة .

(٢) بنت الحان : الخمر . والحان : موضع بيعها .

(٣) أبو تمام : هو حبيب بن أوس الطائي شاعر عباسي معروف .

* قد مَلَّ فيه كاتبُ الآثامِ[١] *
* تَحِيَّـةٌ كالوَرْدِ فى الْكِمَامِ[٢] *
* أَزْهَى مِنَ الصِّحَّةِ فى الأَجْسامِ *
* يَسُوقُها شَوْقٌ إليكمْ نامِى[٣] *
* تَقْصُرُ عنه هِمَّـةُ الأَقْلامِ *
* يالَيْتَ شِعْرِى بَعْدَ هٰذا العامِ *
* إِلَيْـكُمُ تَرْمِى بِىَ المَـرَامِى *
* أَمْ يَنْتَـوِينى رائِدُ الحِمامِ[٤] *
* فَأَنْطَوِى فى هٰذِهِ الآكامِ[٥] *
* وتُولِمُ الضَّبْعُ على عِظامِى[٦] *
* وَلائِمًا لِلوَحْشِ فِى الإِظْلامِ *
* فإِنْ أَتَى يَوْمِى وأَوْدَى لامِى[٧] *
* وباتَ زادَ الدُّود والرَّغامِ[٨] *

---

(١) مل : تعب . وكاتب الآثام : الملك الذى يكتب سيئات المرء وذنوبه . يريد أن المجلس قد أتى من المعاصى ما يعيى كاتب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب و يحصى .

(٢) الكمام (بكسر الكاف) : جمع كمامة ، وهى غطاء الزهر .

(٣) نامى : زائد .

(٤) انتواه : قصده . والحمام الموت . ورائده : رسوله .

(٥) الآكام : جمع أكمة ، وهى الرابية والحجارة تجتمع فى مكان واحد ؛ يريد آكام السودان .

(٦) تولم : تقيم الولائم .

(٧) أودى : هلك . ولام الإنسان ، شخصه .

(٨) الرغام : التراب .

* باللهِ أَدْعُوكُمْ وبالإِسْــلامِ *
* أنْ تَذْكُروا ناظمَ ذا الكَلام *
* إذا جَلَسْتُمْ مَجْلِسًا للجامِ[1] *
* وكانَ ساقِيكُمْ مِن الآرامِ[2] *
* فى لَيْــلَةٍ والبَدْرُ فى تَمامِ *

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم

سِيرَا أيا بَدْرَىْ سَمَــاءِ العُلا ... واســتَقْبِلا الــتَّمَّ ولا تَأْفُلا[3]
سيرَا إلى مَهْدِ العُــلومِ التّى ... كانت لنــا ثُمَّ ازْدَهاها اللِّيَلَ[4]
سيرَا إلى الأَرضِ الّتى أَنْبَتَتْ ... عِزًّا وأَضْحَتْ لِلمَــلا مَوْئِلا[5]
يَمْشى عليها الدَّهْرُ مُسْتَخْذِياً ... وتَجْزَعُ الأَحْدَاثُ أن تَنْزِلا[6]
شِعارُ أَهْلِيهــا وأَبْنَــائِهــا ... أَنْ يَعْلَمَ المَــرْءُ وأَنْ يَعْمَلا

(١) الجام : الإناء من فضة ؛ ويريد به هنا : قدح الخمر ؛ وهو لفظ فارسى معرب .
(٢) الآرام : الغزلان ؛ الواحد رئم .
(٣) تم البدر : تمامه واكتماله . وأفل القمر والشمس يأفل (بكسر الفاء وضمها) : غابا .
(٤) ازدهاها الليل : تهاون بها واستخف .
(٥) يريد "بالأرض" : بلاد الإنجليز . والموئل : الملجأ .
(٦) استخذى استخذاء : خضع وذل .

فزيّنا المجدَ بنور النُّهى ... وجمّلا الجاهَ بأنْ تكمُلا[١]

واستبقا العلياءَ واستمسكا ... بعُروة الصّبرِ ولا تعجلا

وخبِّرا الغربَ وأبناءَه ... بأننا نحن الرِّجالُ الأُلَى[٢]

لئن غدا الدّهرُ بنا مُدبِرًا ... لا بُدّ للمُدبِر أنْ يُقبِلا

لا زلتُما فرعَيْنِ فى دَوْحةٍ ... تُظِلّ مَنْ رَجّى ومَنْ أمّلا[٣]

نمتكُما مِصرٌ وربّاكُما ... أبٌ كريمٌ جدّ حتّى علا

مضَى وقد أوْلاكُما نِعمةً ... لا تَبْسُطا فيها ولا تَغْلُلا[٤]

فرحمةُ اللهِ على والدٍ ... كَساكُما الإعزازَ بَيْنَ المَلا

إلى أحمد شوقى بك[٥]

يودّعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

يا شاعرَ الشّرقِ ! أتئِدْ ... ماذا تُحاوِلُ بَعْدَ ذاكْ؟[٦]

هٰذى النّجومُ نَظَمْتَها ... دُرَرَ القَريضِ وما كَفَاكْ

---

(١) النهى العقول .

(٢) الألى : أى الذين كان لهم تاريخ حافل بالسبق فى ميادين الحضارة والعلوم ؛ فحذف الصلة للعلم بها .

(٣) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٤) لا تبسطا فيها : أى لا تتسعا فى الإنفاق . وغل يده يغلها (من باب نصر) : إذا قبضها عن الإنفاق . وأصله من وضع اليد فى الغل (بضم الغين وتشديد اللام) ، وهو طوق من حديد أو جلد يجعل فى العنق أو فى اليد .

(٥) انظر التعريف بشوقى فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٥٠

(٦) أتئد : مهل .

والبَـدْرُ قـد عَلَّمْتَـه أَدَبَ ٱلْمُثُـولِ إذا رَآكْ[١]
وسَمَـوْتَ فى أُفُـقِ السُّعُـودِ فكِدْتَ تَعْـثُرُ بالسِّماكْ[٢]
وحَبـاكَ عَبّـاسُ المَحـا مِدِ بالمَواهِبِ وٱصطَفـاكْ[٣]
ودَعَتْـكَ مِصْرُ رَسُولَهـا للغَرْبِ مُـذْ عَرَفَتْ عُلاكْ
فارحَلْ وعُدْ بوَدِيعَـةِ الـرَّحْمٰنِ أنتَ وصـاحِبـاكْ

إلى صديقه محمد عبده البابلى بك يعاتبه[٤]

كتب بها إليه من السودان

إن عَضِّيـكَ يا أخِى بٱلمَـلامِ لا يُؤَدِّى لِمِثْـلِ هٰـذا ٱلحِصـامِ[٥]
أنتَ(والشَّمْسِ)(والضُّحٰى)واللَّيالى الـعَشْرِ (والفَجْرِ) غـيرُ راعِى الذِّمامِ[٦]
ما عَهِـدْناكَ يا كـريمَ السَّجايَا تَصْرِفُ النَّفْسَ عن هَناتِ الكِرامِ![٧]
ليس فى كُتْبِنـا سُـؤالُ نَوالٍ منـكَ حَتَّى خَشِـيتَ رَدَّ السَّـلامِ[٨]

(١) أدب المثول : أى أدب الوقوف بين يديك .
(٢) السماك : أحد كوكبين نيرين ، يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل .
(٣) حباك : أعطاك .
(٤) انظر التعريف بمحمد البابلى فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٥٥
(٥) عضيك : أى عضى إياك .
(٦) يقسم بما أقسم الله به فى سور (الشمس) (والضحى) (والفجر) . والذمام : الحق والحرمة .
(٧) يريد بالهنات : الهفوات اليسيرة التى يحتمل مثلها ، الواحدة هنة ؛ أى ما عهدناك تتسامح لغيرك فى أقل هفوة ، فما بالك تأتى بالأخطاء الكبيرة ؟ !
(٨) النوال : العطاء .

نحن نَرْضَى بالقُوتِ مِنْ هٰـذه الدُّنْـــيا وإنْ باتَ دُونَ قُوتِ النَّعـامِ[١]
وإذا خانَ قِسْمُنا ما شَكَوْنا لِسوَى اللهِ أَعْـــدَلِ القُسَّـامِ[٢]
كيف تَنْسَى يا (بابِـلُ) غَرِيبًا ؟ باتَ بَيْنَ الظُّنُونِ والأَوْهـامِ
وحَـــزِينًـا إذ تَنَفَّس عادَتْ فَحْـمَةُ اللَّيْـلِ جَمْـرَةً مِنْ ضِرامِ ؟[٣]
وإذَا أَنَّ كادَ يَنْصَـدِعُ الأفْـــقُ وتَعْتَـلُّ دَوْرَةُ الأَجْـرامِ ؟[٤]
بات تحت البَـلاءِ حتَّى تَمَنَّى لو يَكونُ المَيتُ تحتَ الرَّغامِ[٥]

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه :

أَدَلالٌ ذاكَ أَمْ كَسَلُ ؟ أَمْ تَنـاسٍ منكَ أَمْ مَلَلُ ؟
أَمْ غَرِيقٌ أَنْتَ فى جَذَلٍ أَمْ بكاساتِ الهَنـا ثَمِلُ ؟[٦]
أَمْ — وَقَاكَ اللهُ — فى كَدَرٍ أَمْ عَلَى الأَعْذَارِ مُتَّكِلُ ؟
أَمْ مَشُـوقٌ مُغْـرَمٌ وَلِهٌ شَفَّهُ التَّشْبِيبُ والغَـزَلُ ؟[٧]
أَمْ غَنِيٌّ باتَ يَشْـــغَلُه مالُه والكَسْبُ والأَمَلُ ؟

---

(١) ضرب الشاعر قوت النعام مثلا فى التفاهة والقلة ، لأن النعامة تقتات بالحصى والحجارة إذا لم تجد ما تقتات به .

(٢) القسم (بكسر القاف) : النصيب والحظ من الخير والرزق .

(٣) يريد "بفحمة الليل" : سواده الشديد المشبه للفحم .

(٤) الأجرام : الأفلاك .

(٥) الرغام (بفتح الراء) : التراب . وكنى بالميت تحت الرغام عن الموت .

(٦) الجذل (بالتحريك) : الفرح . والثمل : النشوان .

(٧) الوله المتحير من شدة الوجد . وشفه : هزله وأوهنه . والتشبيب بالنساء : وصفهن وذكر محاسنهن .

أَمْ وَشَى واشٍ إليكَ بنا ... فاحتواكَ الشَّكّ (يا بَطَلُ)؟[١]
قد مَضى شَهْرٌ وأَعْقَبَه ... ضِعْفُه والفِكْرُ مُشْتَغِلُ
لا كِتابٌ منكَ يُطْفِئُ ما ... فى فُؤادى باتَ يَشْتَعِلُ
لا ولا رَدٌّ يُعَلِّلُنى ... أو عَلَى التَّسْلِيم يَشْتَمِلُ[٢]
يا صَديقِي لا مُؤاخَذَةٌ ... أنتَ يابن البابِلِي ...[٣] هُوَلُ

وكتب إليه أيضا يتشوق :

نَمْى يا (بابِلِيٌّ) إليكَ شَوْقى ... وعَيْنى لازَمَتْ سَكْبَ الدُّموع[٤]
ولو أنِّى تَرَكْتُ سَراحَ قَلْبى ... لَطارَ إليكَ منْ قَفَصِ الضُلُوع

شُكْرُ وزير زار حافظا فى منزله

لا غَرْوَ إنْ أَشْرَقَ فى مَنْزِلِي ... فى لَيْلَةِ القَدْرِ مُحَيَّا الوَزِير
فالبَدْرُ فى أَعْلَى مَداراتِهِ ... للعَيْنِ يَبْدُو وَجْهُه فى الغَدِيرْ[٥]

---

(١) احتواه : ملكه وغلب عليه .

(٢) علله : شغله وألهاه .

(٣) موضع هذه النقط كلمة يستحيا من ذكرها ، ولا تخفى على القارئ .

(٤) نمى : زاد .

(٥) يقول فى هذين البيتين إن الوزير على سمق منزلته قد أشرق نوره فى منزلى على ضمته ، ولا عجب ، فالبدر فى السماء تظهر صورته فى غدير الماء .

دعابة[١] كتب بها إلى الأستاذ حامد سرى (بك)

فى يوم زفافه (٢ نوفمبر سنة ١٩١٧) يستبديه من طعام العرس ثيابا يلبسها ، وكان إذ ذاك متجاورين بالجيزة :

أَحامِدُ كَيْفَ تَنْسانِي ؟ وبَيْنِي ... وبَيْنَكَ يا أَخى صِلَةُ الجِوارِ
سأَشْكُو للوَزِيرِ فإِنْ تَوانَى ... شَكَوْتُكَ بَعْدَه للمستشار[٢]
أَيَشْبَعُ مُصْطَفَى الحُولِى وأَمْسِى ... أُعانِجُ جَوْعَتِى فى كِسْرِ دارِى ؟[٣]
وبَيْتِى فارِغٌ لا شَىْءَ فِيهِ ... سوايَ وإِننى فى البَيْتِ عارِى
ومالى (جَزْمَةٌ) سَوْداءُ حَتَّى ... أُوافِيَكُمْ على قُرْبِ المَزارِ
وعِنْدِى مِن صِحابِى الآنَ رَهْطٌ ... إِذا أَكَلُوا فاسادٌ ضَوارِى
فإِنْ لم تَبْعَثُنَّ إِلَىَّ حالاً ... بمائِدَةٍ على مَتْنِ البُخارِ
تُغَطِّيها منَ الحَلْوَى صُنُوفٌ ... ومِن حَمَلٍ تَقَبَّلَ بالبِهارِ
فإِنِّى شاعِرٌ يُخْشَى لِسانِى ... وسوف أُرِيكَ عاقِبَةَ ٱحتِقارِى

---

(١) وردت الينا هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأثبتناها فى آخره ؛ وكان مقتضى طريقتنا فى ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا أن توضع قبل ذلك ، أى بعد الأبيات التى رد بها حافظ على شوقى فى سنة ١٩١٧ م .

(٢) يريد وزير الزراعة ؛ وكان حامد سرى بك من رجال هذه الوزارة ولا يزال بها إلى اليوم .

(٣) إنما خص الأستاذ مصطفى الحولى بك بالذكر لما بينه وبين الأستاذ حامد سرى من صلة المصاهرة .

الوَصْف

وصف كساء له

قالها ارتجالا فى مجلس من إخوانه

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

لى كِساءٌ أَنْعِمْ به مِنْ كِساءِ ... أَنا فِيه أَتيهُ مِثْلَ الكِسائِي[1]

حاكَهُ العِزُّ مِنْ خُيوطِ المَعالى ... وسَقاهُ النَّعِيمُ ماءَ الصَّفاءِ

وتَبَدَّى فى صِبْغَةٍ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْـ ... ـلِ مَصْقُولة بِحُسْنِ الطِّلاءِ[2]

خاطَهُ رَبُّهُ بِإِبْرةِ يُمْنٍ ... أَوجَرُوا سَمَّها خُيُوطَ الهَناءِ[3]

فكأَنِّى — وقد أَحاطَ بِجِسْمِى — ... فى لِباسٍ من العُلا والبَهاءِ!

تُكْبِرُ العَيْنُ رُؤْيَتِى وتَرانِى ... فى صُفوفِ الوُلاةِ والأُمَراءِ

أَلِفَ الناسُ — حيث كنتُ — مكانِى ... أُلْفَةَ المُعْدمينَ شَمْسَ الشِّتاءِ

يا ردائِى وأنتَ خَيْرُ رِداءٍ ... أَرْتَجِيهِ لزِينةٍ وازْدِهاءِ[4]

---

(١) الكسائى هو على بن حمزة ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، وكان معلما لأولاد أمير المؤمنين هارون الرشيد ؛ وتوفى حوالى سنة ١٨٩ هـ .

(٢) تبدى : ظهر . والأديم : الجلد . وأديم الليل : سواده . لأنه كالجلد يغشى الشىء ويغطيه .

(٣) الهناء : البركة . " وأجروا سمها " الخ أى أدخلوا الخيوط فى ثقبه ، والإيجار فى الأصل : إدخال الوجور (وهو الدواء) فى فم المريض ؛ أو هو الطعن بالرمح فى الفم أو الصدر .

(٤) الازدهاء : الزهو والاختيال .

لا أحالَتْ لكَ الحَوادثُ لَوْناً ... وتَعَدَّتْكَ ناسِجاتُ الهواءِ[1]

غَفَلَتْ عنكَ لا لِلى نَظَراتٌ ... وتَخَطَّتْكَ إبْرَةُ الرَّقّاءِ

صَحِبَتْنِي قَبْلَ اصطِحابِكَ دَهْراً ... بِذْلَةٌ فى تَلَوُّنِ الحِرْباءِ[2]

نَسَبُوها لطَيْلَسانِ (ابنِ حَرْبٍ) ... نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بذاتِ افتراءِ[3]

كُنتُ فيها إذا طَرَقْتُ أُناساً ... أنكَرُونِي كطارِقٍ مِنْ وَباءِ

كَسَفَ الدهرُ لَوْنَها واستَعارَتْ ... لَوْنَ وَجْهِ الكَذُوبِ عند اللِّقاءِ

يا رِدائِي جَعَلْتَنِي عندَ قَوْمِي ... فوقَ ما أَشْتَهِي وفوقَ الرَّجاءِ

إنّ قومِي تَرُوقُهُمْ جِدَّةُ الثَّوْ ... بِ ولا يَعْشَقُون غيرَ الرُّواءِ[4]

قِيمَةُ المرءِ عندَهُمْ بينَ ثَوْبٍ ... باهِرٍ لَوْنُه وبَيْنَ حِذاءِ

قَعَدَ الفَضْلُ بي وقُمْتَ بِعِزِّي ... بين صَحْبِي ؛ جُزِيتَ خيرَ الجَزاءِ[5]

---

(١) أحاله : حوّله من حال إلى حال . وناسجات الهواء : الرياح التى تذهب فى الأجواء طولا وعرضا كما يفعل الناسج فيما ينسجه ، لأنه يعترض السَّدى فيلحم ما أطال من السدى . والجواء جمع جوّ بالمعنى المعروف ؛ أو بمعنى الفلاة الواسعة .

(٢) البذلة من الثياب : ما لا يصان منها . والحرباء : دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت ، وتتلوّن ألوانا بحرّ الشمس ؛ ويضرب بها المثل فى التقلب .

(٣) الطيلسان (بالفتح وتثليث اللام) : كساء مدوّر أخضر لا أسفل له ، لحمته وقيل سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء ، وأصله من لباس العجم . وطيلسان بن حرب : مثل يضرب لكل ثوب قديم خلق ، وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب ، فخلع عليه طيلسانا باليا ، فقال فى ذلك الطيلسان شعرا كثيرا حتى صير ذلك الطيلسان مثلا لكل ما بلى ورث من الثياب ؛ فمن ذلك قوله :

يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا ... رق من صحبة الزمان وصلّى

طال تردادُه إلى الرفو حتى ... لو بغشاه وجهُه لتهلّى

وغير ذلك من الشعر . والافتراء : اختلاق الكذب .

(٤) تروقهم : تعجبهم . والرواء : حسن المنظر .

(٥) قعد بى : عجز عن رفع شأنى ، إذ لم يقرّمه قومى بجهلهم به .

الحاكى

[نشرت فى سنة ١٩٠٠]

وَجَدُوا السَّبِيلَ إلى التَّقاطُعِ بَيْنَنا ... والسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الكَذُوبُ الحاذِقُ
لا تَجْعَلى الواشينَ رُسْلَكِ فى الهَوَى ... فلَأَصْدَقُ الرُّسُلِ الجَمادُ النّاطِقُ (١)

الشمس

[نشرت فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠]

لاحَ منها حاجبٌ للنّاظِرِينْ ... فنَسُوا باللَّيلِ وَضّاحَ الجَبِينْ (٢)
ومَحَتْ آيَتُها آيَتَه ... وتَبَدَّتْ فِتْنَةً للعالَمِينْ
نَظَرَ ابراهامُ فيها نَظْرَةً ... فأَرَى الشَّكَّ وما ضَلَّ اليَقينْ (٣)
قال : ذا رَبِّى ، فلمّا أَفَلَتْ ... (قَالَ : إِنِّى لَا أُحِبُّ الآفِلِينْ) (٤)
ودَعَا القَوْمَ إلى خالِقِها ... وأَتَى القومَ بسُلْطانٍ مُبِينْ (٥)

---

(١) يصف فى البيت الأول الوشاة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحبها بما يلقون إليها من أكاذيب ؛ وما أقدر الكذوب على ذلك ، و ينهاها فى البيت الثانى عن أن توسط الوشاة بينه و بينها ، فإن فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكى ، فهو الجماد الناطق الصادق .

(٢) وضاح الجبين : القمر .

(٣) أبراهام : لغة فى إبراهيم ، وهو نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى فى القرآن فى سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية . وقوله " فأرى الشك " ... الخ ، أى أظهر لقومه أنه شك فى الإله لكى يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .

(٤) أفلت : غابت .

(٥) السلطان : الحجة .

رَبِّ إنّ النـاسَ ضَـلُّوا وغَوَوْا ورَأَوْا فى الشَّمسِ رأىَ الخاسِرِينْ
خَشَعَتْ أبصارُهُمْ لمّـا بَدَتْ وإلَى الأَذْقانِ خَرُّوا ساجِدِينْ
نَظَرُوا آياتِهـا مُبْصِـرَةً فعَصَوا فيهـا كَلامَ المُرْسَلِينْ
نَظَـرُوا بَدْرَ الدُّجَى مرْآتَهـا تَتَجَلَّى فيه حينًـا بَعْدَ حِـينْ
ثمّ قالوا : كيف لا نَعْبُـدُها هلْ لها فيما تَرَى العَيْنُ قَرِينْ
هِى أُمُّ الأَرْضِ فى نِسْبَتِهـا هِى أُمُّ الكَوْنِ والكَوْنُ جَنِينْ[1]
هِىَ أُمُّ النَّـارِ والنُّـورِ مَعًا هِىَ أُمُّ الرِّيحِ والمـاءِ المَعِينْ[2]
هِىَ طَلْعُ الرَّوْضِ نَوْرًا وجَنِى هِىَ نَشْرُ الوَرْدِ ، طِيبُ الياسَمِينْ[3]
هِىَ مَوْتٌ وحيـاةٌ للـوَرَى وضَلالٌ وهُـدًى للغابِرِينْ
صَـدَقُوا لكنّهُمْ ما علِمـوا أنّها خَـلْقٌ سيَبْلَى بالسِّنِينْ
أَءِلٰهٌ لَمْ يُـنَزِّهْ ذاتَـه عن كُسوفٍ؟ بئسَ زَعْمُ الجاهِلِينْ!
إنّمـا الشَّمسُ وما فى آيِهَـا مِنْ مَعانٍ لمَعَتْ للعـارِفِينْ
حِكْمَـةٌ بالِغَـةٌ قد مَثَّلَتْ قدْرَةَ اللهِ لقَـوْمٍ عاقِلِينْ

---

(١) يشير بقوله : "هى أم الأرض" إلى المعروف من أن الأرض كانت جزءا من الشمس . ثم انفصلت وبرد ظاهرها بتعاول الزمن .

(٢) المعين : الماء من العيون .

(٣) يريد "بالطلع" : ما يبدو من الثمرة فى أول ظهورها . ونور النبات : زهره . والجنى : ما يجنى من الشجر . ونشر الورد رائحته المنتشرة منه .

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م.]

* يا دَوْلَةَ القَواضِبِ الصِّقـالِ[١] *
* وصَـوْلَةَ الذَّوابِـلِ الطِّـوالِ[٢] *
* كَمْ شدْتِ بين الأَعْصُرِ الخَوالِي[٣] *
* مَمـالِـكًا عـزيزةَ المَنـالِ[٤] *
* قامَتْ بحَـدِّ الأَبيَضِ القَصّالِ[٥] *
* وسِنِّ ذاكَ الأَسمَـرِ العَسّـالِ[٦] *
* راحتْ بهـا الأيّامُ واللَّيـالِي *
* وخَلَفَتْهـا دَوْلَةُ الجَـلالِ *
* مَمْـلَكَةُ المـدْفَعِ ذاتُ الخـالِ[٧] *
* قامَتْ بحَـوْلِ النـارِ والزِّلْزالِ[٨] *

(١) القواضب : السيوف القواطع ، الواحد قاضب . والصقال : السيوف المجلوة ، الواحد صقيل .

(٢) الصولة : السطوة والقهر . والذوابل : الرماح الرفيقة اللاصقة بالليط ، وهو القشر ؛ وهى أجود الرماح ، الواحد ذابل .

(٣) الخوالى : الماضية .

(٤) عزيزة المنال : ممتنعة على من يريدها .

(٥) يريد "بالأبيض" : السيف والقصال (بالقاف) : القطاع .

(٦) الأسمر : صفة للرمح . والعسال : الشديد الاهتزاز والاضطراب لينه ، وهو من صفات الرماح الجيدة .

(٧) الخال : الكبر والخيلاء .

(٨) الحول : القوة .

* فأَرْهَبَتْ أفئِدَةَ الأَبْطالِ *
* أَرْهَبَها مُزَعْزِعُ الجِبالِ[1] *
* ومُفْزِعُ اللُّيُوثِ فى الدِّحالِ[2] *
* وقاطِعُ الآجالِ والآمالِ *
* وخاطِفُ الأرْواحِ مِنْ أَمْيالِ *
* يَثُورُ (كالبركانِ) فى النِّزالِ[3] *
* فيُتْبِعُ الأَهْوالَ بالأَهْوالِ *
* ويُرْسِلُ النّارَ على التَّوالِى *
* فيَحْطِمُ الهامَ ولا يُبالِى[4] *
* ما كَوْكَبُ الرَّجْمِ — هَوَى مِنْ عالِى *
* فمَرَّ كالفِكْرِ سَرى بالبالِ *
* على عَنِيدٍ مارِدٍ مُحْتالِ *
* مُسْتَرِقٍ للسَّمْعِ فى ضَلالِ *

---

(١) يريد "بمزعزع الجبال" : المدفع .

(٢) الدحال جمع دحل (بفتح الدال وسكون الحاء) وهو نقب ضيق فمه ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه وبما أنبت السدر ، ويستتر فيه السباع .

(٣) (البركان) : جبل النار . والنزال : القتال .

(٤) يحطم : يكسر . والهام : الرءوس ، الواحدة هامة .

(٥) العنيد : المخالف للحق الذى يردّه وهو يعرفه ، والجمع عند (بضمتين) . ويريد "بالعنيد المارد" : الشيطان .

(٦) استرق السمع : استمع مستخفيا . ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة ، فرجموا بالشهب ؛ ذكر الله ذلك فى القرآن فى سورة الجن .

* مِنْ عالَمِ التَّسْبِيحِ والإهْلالِ[١] *
* ــ أمْضَى وأنْكَى منه فى القتالِ[٢] *
* إذا سَرَتْ (قُنْبُلَةُ) الوَبالِ[٣] *
* مِنْ فَمِهِ المَحْشُوِّ بالنَّكالِ[٤] *
* يُنْذِرُهُمْ فى ساحَةِ المَجالِ *
* بالبَرْقِ والرَّعْدِ وبالآجالِ *
* ولَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الخَتَّالِ[٥] *
* يَحُزُّ فى آلهامِ وفى الأَوْصالِ[٦] *
* صامِتَ قَوْلٍ ناطِقَ الفِعالِ *
* رأيْتُهُ كالقَوْمِ فى المِثالِ[٧] *
* مالُوا عن القَوْلِ إلى الأَعمالِ *
* فامتَلَكُوا ناصِيَةَ المَعالِى[٨] *

---

(١) الإهلال : رفع الصوت بذكر الله . ويريد "بعالم التسبيح والإهلال" : عالم الملائكة .

(٢) قوله "أمضى" ... الخ خبر "لما" فى قوله قبل : "ما كوكب الرجم" . وأنكى : أبلغ نكاية ، أى قتلا وجرحا .

(٣) استعمال « القنبلة » بمعنى ما يخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم ترد به لغة العرب ، وإنما ورد ذكر القنبلة بمعان أخرى . والوبال : الهلاك .

(٤) النكال : العذاب .

(٥) الختال : الخداع . ويريد به السيف ، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة ، بل ينذرهم بشرره المشبه للبرق ، ثم بصوته المشبه للرعد ؛ ولم يكن كالسيف الذى يفتك بهم على غفلة فلا يشعرون به إلا وهو يجز رءوسهم ويقطع فى أوصالهم .

(٦) يحز : يقطع . وهى من الأفعال التى تتعدى بنفسها ، وعديت هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف . والأوصال : المفاصل ، الواحد وصل (بالكسر والضم) .

(٧) يريد « بالقوم » : أمم الغرب .

(٨) الناصية : مقدّم الرأس . وامتلكوا ناصية المعالى ، أى بلغوا ذروتها وأعلاها .

ليلة عيد جلوس الخديو عباس الثانى

يصف فيها الزينة الكبرى التى أقيمت بحديقة الأزبكية فى مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

يالَيْلَةً أَهْمَتْنى ما أَتيهُ به ... على حُماةِ القَوافى أَيْنَما تاهُوا (١)

إنِّى أَرَى عَجَبا يَدْعو إلى عَجَبٍ ... الدَّهرُ أَصْمَرَه والعِيدُ أَفْشاهُ

هل ذاكَ ماوَعَدَ الرَّحْمٰنُ صَفْوَتَهُ ... رَوْضٌ وحُورٌ وولْدانٌ وأَمْواهُ؟ (٢)

أَم الحَديقةُ ذاتُ الوَشْىِ قد حَلِيَت ... فى مَنْظَرٍ يستعيدُ الطَّرْفُ مَرْآهُ؟ (٣)

أَرَى المصابيحَ فيها وهىَ مُشْرِقةٌ ... كأَنَّها النَّوْرُ والوَسْمِىُّ حَيّاهُ (٤)

أو إنَّما هىَ ألفاظٌ مُدَبَّجةٌ ... وكُلُّ لَفْظٍ تَجَلّى فيه مَعْناهُ (٥)

أَرَى عليها قُلوب القومِ حائمةً ... كالطَّيْرِ لاحَ له وِرْدٌ فَوافاهُ (٦)

أَرَى بَنى مِصْرَ تحت اللَّيْلِ قد نَسَلُوا ... إلى سُعودٍ به ضاحٍ مُحَيّاهُ (٧)

أَرَى على الأَرْضِ حَلْيًا قد كَسِيتُ به ... حَلْىَ السَّماءِ وحُسْنًا لَسْتُ أَنْساهُ (٨)

---

(١) حماة القوافى : فحول الشعراء .

(٢) صفوته : من اصطفاهم . والأمواه : جمع ماء .

(٣) يريد « بالوشى » هنا : ما اختلف من ألوان النبات والزهر ، تشبيها بالوشى فى الثوب ، وهو النقش . « ويستعيد الطرف مرآه » أى أن جمال المنظر يغرى بتكرار النظر .

(٤) النور : زهر النبات . والوسمى : المطر أول الربيع .

(٥) مدبجة : مزخرفة مزينة . وتجلى : تكشف .

(٦) حام الطائر على الماء : دار حوله . والورد (بكسر الواو) : الماء المورود .

(٧) نسلوا : أسرعوا إليه . وضاحى المحيا : مشرق الوجه .

(٨) الحلى : ما يتزين به .

أَرَى أَرِيكَةَ (عَبَّاسٍ) تَحُفُّ بِهَا ... وِقَايَةُ اللهِ والإِقْبَالُ وَالْجَاهُ [١]

أَرَى سُمُوَّ (خِدِيوِينَا) وقد بُسِطَتْ ... بالعَدْلِ والبَذْلِ يُمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ

قُلْ للأُلَى جَعَلُوا للشِّعرِ جائِزَةً ... فيمَ الخلافُ ؟! أَلَمْ يُرْشِدْكُمُ اللهُ ؟!

إِنِّي فَتَحْتُ لَهَا صَدْرًا تَلِيقُ بِهِ ... إِنْ لَمْ تُحَلُّوهُ فالرَّحْمٰنُ حَلَّاهُ [٢]

لَا أَخْشَ مِنْ أَحَدٍ فِي الشِّعرِ يَسْبِقُنِي ... إِلَّا فَتًى مالَهُ فِي السَّبْقِ إِلَّاهُ [٣]

ذاكَ الَّذِي حَكَمَتْ فِينَا يَرَاعَتُهُ ... وَأَكْرَمَ اللهُ (والعَبَّاسُ) مَثْوَاهُ [٤]

سوق الأسعار (البورصة)

[نشرت فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤ م]

بِبَابِكِ النَّحْسُ والسُّعُود ... ومَوْقِفُ اليَأْسِ والرَّجاءِ

وفِيكِ قد حارَتِ اليَهُود ... يا مَطْلَعَ السَّعْدِ والشَّقاءِ [٥]

* * *

(١) الأريكة : سرير الملك .

(٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء ، منهم أحمد زكى باشا ، وإسماعيل صبرى باشا ، وحفنى ناصف بك ، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواط مختلفة تمنح للشعراء بحسب درجاتهم فى الشعر ؛ فخاطبه يقول : لا تختلفوا فى تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فالأمر فى تفضيل بين لا جدال فيه ، وإنكم إن لم تحلوا صدرى بأغلى هذه الأنواط وأفضلها ، فإن الله قد حلاه بما وهبنى من شاعرية مبدعة ، وملكة فياضة .

(٣) يريد « بالفتى » : أحمد شوقى بك الشاعر الأمير .

(٤) اليراعة : القلم . والمثوى : المنزلة .

(٥) إنما خص اليهود ؛ لأنهم أعلم من غيرهم بمسائل المال وطرق اكتسابه واستغلاله ، كما هو معروف .

ووَجْهُكَ الضَّاحِكُ العَبُوسُ قد ضَاق عن وَصْفِه البَيَانْ[١]
كَم سُطِّرَتْ عِنْدَه طُرُوسُ بِقِسْمَةِ العِزِّ والهَوَانْ[٢]
وطُؤْطِئَتْ دُونَه رُءُوسُ يَهْتَزُّ مِنْ خَوْفِها الزَّمَانْ[٣]

* * *

وكَمْ أَطافَتْ بِه وُفُودُ وأَكْثَرُوا حَوْلَه الدُّعَاءْ
فَرابِحٌ نَجْمُه سَعِيدُ وطامِعٌ بالخَسَارِ باءْ[٤]

* * *

لمّا عَلَتْ صَيْحَةُ المُنَادِي وأَصْبَحَ القَوْمُ فى عَنَاءْ
وشَمَّرَتْ ثَرْوَةُ البِلادِ وضَجَّتِ الأَرْضُ والسَّماءْ[٥]
قَنِعْتُ بالقُطْنِ فى الوِسَادِ وفى الحَشِيّاتِ والغِطاءْ[٦]
وإنّما العاقِلُ الرَّشِيدُ مَنْ سارَ فى مَنْهَجِ النَّجاءْ
باللهِ يا قَومُ لا تَزِيدُوا فإنّ آمالَكم هَبَاءْ[٧]

* * *

(١) سكنت هذه القافية دفعا لما يترتب على تحريكها من وجود إقواء فى البيت الثانى ، وهو اختلاف فى حركة الروى . ويلاحظ أن فى هذه القصيدة أبياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم .

(٢) الطروس : الصحائف يكتب فيها ، الواحد طرس (بكسر فسكون) .

(٣) طؤطئت ، أى انخفضت وتطامنت .

(٤) باء بالخسارة : أى رجع به .

(٥) شمرت ثروة البلاد : أى استعدت للإسراع فى الذهاب والضياع .

(٦) الحشيات : الفرش المحشوة ، الواحدة حشية (بفتح الحاء وتشديد الياء) ، وهى المعروفة بالمرتبة .

(٧) الهباء : الغبار ؛ أو هو الشئ المنبث فى ضوء الشمس يشبه الدخان .

مُضارَباتٌ هى المَنَايا ورُسْلُها أَحْرُف البُرُوقْ[١]
صَبُوحُ أَصْحابِها الرَّزايا وما لَهُمْ دونَها غَبُوقْ[٢]
قد أَتْلَفَتْ أَنفُس البَرَايَا بأَسْهُمِ الغَدْرِ والعُقُوقْ

* * *

هُبوطُها المَوْت ، والصُّعودُ ضَرْبٌ من البُؤْسِ والبَلاءْ
وما لَها عِنْدَهُمْ عُهُودُ إلّا كَما تَعْهَدُ النِّساءْ

* * *

كم "بالَةٍ" سَبَّبَتْ وَبالَا وأَشْبَهَتْ لامِعَ السَّرابِ[٣]
وبَدْرَةٍ أَنْبَتَتْ خَبالَا وأَثْمَرَتْ عاجِلَ الخَرابِ[٤]
وكم غَنِيٍّ أَضاعَ مالَا وشابَ فى مَوْقِفِ الحِسابِ

* * *

فليتّعِظْ منكُمُ البَعيدُ وليَتَّقِ اللهَ ذُو الثَّراءْ[٥]
فذلك التّاجِرُ الشَّهِيدُ قد عافَ مِن أَجْلِها البَقاءْ[٦]

---

(١) يريد « بأحرف البروق » ، الرسائل (التلغرافية) .

(٢) الصبوح : ما يشرب فى الصباح . والغبوق : ما يشرب فى العشى .

(٣) (البالة) : مقدار وزن معروف .

(٤) الخبال : ذهاب العقل .

(٥) الثراء : الغنى .

(٦) يشير بقوله : « التاجر الشهيد » إلى أن بعض التجار كان قد انخرحين ذهبت ثروته كلها فى تلك المضاربات . وعاف الشيء يعافه ويعيفه : كرهه وزهد فيه .

زلزال مِسِّـــــينا[١]

ســـنة ١٩٠٨ م

نَبِّئانى إنْ كُنْتُما تَعْلَمانِ ما دَهَى الكَوْن أيُّها الفَرْقَدان[٢]
غَضِبَ اللهُ أم تَمَرَّدت الأَر ضُ فأَتْحَتْ على بَنِى الإنسان؟[٣]
ليسَ هٰذا سُبْحانَ رَبِّى ولا ذا كَ ولٰكِنْ طَبِيعةُ الأَكْوَان
غَلَيانٌ فى الأَرْض نَفَّسَ عنه ثَوَرانٌ فى البَحْر و (البُرْكان)[٤]
رَبِّ، أينَ المَفَرُّ والبَحْرُ والبَرُّ على الكَيْدِ للوَرَى عاملان ؟
كنتُ أَخْشَى البِحارَ والموتُ فيها راصِدٌ غَفْلةً مِن الرُّبّان[٥]
سابحٌ تَحْتَنا ، مُطِلٌّ عَلَيْنا حائمٌ حَوْلَنا ، مُناءٍ مُدانِى
فإذا الأرضُ والبحارُ سَواءٌ فى خَلاقٍ كلاهُما غادران[٦]
ما (لِمِسِّينَ) ؟ عُوجِلَت فى صِباها ودَعَاها مِن الرَّدَى داعِيان

---

(١) مسينا : بلد بجنوبى إيطالية معروف وقع فيه هذا الزلزال .

(٢) الفرقدان : نجمان معروفان .

(٣) أتحت على بنى الإنسان : أى أقبلت عليهم بالعذاب . ويرويه بعض الأدباء : « فأخنت » ، أى أهلكتهم وأتت عليهم .

(٤) تنفس عنه : خفف .

(٥) الربان : رئيس السفينة .

(٦) الخلاق : الحظ والنصيب من الخير والصلاح . يقول فى هذه الأبيات الثلاثة : إنه كان لا يخشى إلا غائلة البحر ، ويأمن جانب البر فإذا بهما فى الغدر سواء .

وَمَحَتْ تِلْكُمُ المحَاسِنَ منها حِينَ تَمَّتْ آياتُها آيتَانِ[١]

خُسِفَتْ، ثم أُغْرِقَتْ، ثمّ بادَتْ قُضِيَ الأمْرُ كلُّه فى ثَوانِى

وأَتَى أَمْرُها فأَصْبَحْتَ كأَنْ لَمْ تَكُ بالأَمْسِ زِينَةَ البُلْدَانِ

لَيْتَهَا أُمْهِلَتْ فَتَقْضِى حُقوقًا مِنْ وَداعِ اللَّدات والجِيرانِ![٢]

لَمْحَةً يَسْعَد الصَّدِيقانِ فيها باجتماعٍ ويَلْتَقِى العاشقانِ

بَغَتِ الأرضُ والجبالُ عليها وطَغَى البحرُ أيَّما طُغْيانِ[٣]

تلكَ تَغْلِى حِقْدًا عليها فتَنْشَقُّ انْشِقاقًا مِنْ كَثْرَةِ الغَلَيانِ[٤]

فتُجِيبُ الجبالُ رَجْمًا وقَذْفًا بشُواظٍ مِنْ مارِجٍ ودُخانِ[٥]

وتَسُوقُ البِحارُ رَدًّا عليها جَيْشَ مَوْجٍ نائِى الجَنَاحَيْنِ دانِى[٦]

فهُنا الموتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ وهُنا المَوْتُ أحمرُ اللَّونِ قانِى[٧]

جَنَّد الماءَ والثَّرَى لِهَلاكِ الـ ـخَلْقِ ثمّ استَعانَ بالنِّيرانِ[٨]

ودَعَا السُّحْبَ عاتِيًا فأَمَدَّتْـ ـهُ بجَيْشٍ مِن الصَّواعِقِ ثانِى[٩]

---

(١) يريد «بالآيتين» : زلزال الأرض ؛ وفيضان البحر .

(٢) اللدات : الأتراب ، الواحدة لدة (بكسر اللام وتخفيف الدال) . والمراد نظائرها من البلاد .

(٣) بغى عليه : ظلمه .

(٤) تلك : أى الأرض .

(٥) الشواظ : لهب لا دخان فيه . والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .

(٦) نائى الجناحين : أى بعيد ما بين الجنانين . والدانى : القريب . يريد أن الموج يتسع مرة ويضيق أخرى .

(٧) الجون : الشديد السواد . والقانى والقانئ : الشديد الحمرة . والعرب تطلق الموت الأسود على الموت خنقا ، والموت الأحمر على الموت قتلا لما يحدثه القتل من سيلان الدم .

(٨) الضمير فى «جند» و «استعان» : للوت .

(٩) عاتيا : معتديا ظالما .

فٱستَحالَ النَّجاءُ وٱستَحْكَمَ اليأ ... سُ وخارَتْ عَزائمُ الشُّجْعانِ[١]

وشَفَى الموتُ غِلَّهُ مِن نُفُوسٍ ... لا تُبالِيه فى مَجالِ الطِّعانِ[٢]

أينَ (رِدْجُو)؟ وأينَ ما كانَ فيها؟ ... مِنْ مَغانٍ مَأْهُولَةٍ وغَوانِى[٣]

عُوجِلَتْ مِثْلَ أُخْتِها ودَهاها ... ما دَهاها مِنْ ذٰلِكَ الثَّوَرانِ[٤]

رُبَّ طِفْلٍ قد ساخَ فى باطِنِ الأر ... ضِ يُنادِى: أمِّى! أَبِى! أَدْرِكانِى![٥]

وفَتاةٍ هَيْفاءَ تُشْوَى على الجَمْ ... رِ تُعانِى مِنْ حَرِّهِ ما تُعانِى[٦]

وأَبٍ ذاهِلٍ، إلى النَّارِ يَمْشِى ... مُسْتَمِيتًا تَمْتَدُّ منه ٱليَدانِ

باحِثًا عن بَناتِهِ وبَنِيهِ ... مُسْرِعَ الخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الجَنانِ[٧]

تأكُلُ النَّارُ منه لا هُوَ ناجٍ ... مِنْ لَظاهَا ولا اللَّظَى عنه وانِى[٨]

غَصَّتِ الأرضُ أُتْخِمَ البَحْرُ مِمَّا ... طَوَياهُ مِنْ هٰذِهِ الأَبْدانِ[٩]

وشَكَا الحُوتُ للنُّسُورِ شَكاةً ... رَدَّدَتْها النُّسُورُ لِلحِيتانِ

---

(١) خارت : ضعفت .

(٢) الغل : الحقد والموجدة .

(٣) ردجو كالبريا : ولاية فى إيطالية ، وهى القصوى من جهة الجنوب ، متاخمة للبحر الأيونى ومضيق مسينا ، وقد هدمها ما انتابها من الزلازل . وإلى هذا يشير الشاعر . والمغانى : المنازل التى غنى بها أهلها أى سكنوا وأقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم والنون وسكون الغين) . والغوانى : النساء غنين بجمالهن وحسنهن عن الزينة .

(٤) أختها : مسينا .

(٥) ساخ : غاص .

(٦) الهيفاء : الضامرة البطن ، الرقيقة الخصر .

(٧) مستطير الجنان : أى ذاهب القلب جزعا وإشفاقا .

(٨) اللظى : حر النار واشتعالها .

(٩) غصت : أى امتلأت . وأتخم : امتلأ جوفه ، من التخمة ، وهى الامتلاء من الطعام .

أَسْرَفَا فى الجُسُوم نَقْرًا ونَهْشًا ... ثمّ باتَا مِنْ كَظَّةٍ يَشْكُوانِ[1]

لا رَعَى اللهُ ساكنَ القِمَمِ الشُّـ ... ـمِّ ولا حاطَ ساكنَ القيعانِ[2]

قد أَغارَا على أَكُفٍّ بَراها ... بارئُ الكائناتِ للإِتْقانِ[3]

كيف لَمْ يَرْحَمَا أَناملَها الغُـ ... ـرُّ ولَمْ يَرْفُقَا بتلكَ البَنانِ ؟[4]

لَهْفَ نَفْسِى وأَلْفَ لَهْفٍ عليها ... مِنْ أَكُفٍّ كانتْ صَناعَ الزَّمانِ[5]

مُولَعاتٍ بصَيْدِ كلِّ جَميلٍ ... ناصباتٍ حَبائلَ الأَلْوانِ[6]

حافراتٍ فى الصَّخْرِ أو ناقشاتٍ ... شائداتٍ رَوائعَ البُنْيانِ

مُنْطِقاتٍ لِسانَ كلِّ جَمادٍ ... مُفْحِماتٍ سَواجِعَ الأَفْنانِ[7]

مُلْهَماتٍ مِنْ دِقَّةِ الصُّنْعِ مالا ... يُلْهَمُ الشِّعْرُ مِنْ دَقيقِ المَعانِى

مِنْ تَماثِيلَ كالنُّجومِ الدَّرارِى ... يَهْرَمُ الدَّهْرُ وهى فى عُنْفُوانِ[8]

---

(١) الكظة : البطنة وما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام .

(٢) ساكن القمم : يريد النسر لأنه يسكن أعالى الجبال . والشم : العالية المرتفعة ، الواحدة شماء . وحاط : حفظ ورق . ويريد « بساكن القيعان » : ما يسكن قيعان البحر من الحيتان ، كما يدل على ذلك ما سبق .

(٣) براها : خلقها . ويريد أكف أصحاب الفنون .

(٤) البنان : الأصابع ، الواحدة بنانه .

(٥) الصناع : الحاذقة الماهرة فى العمل .

(٦) الحبائل : الأشراك . ويريد بقوله : « ناصبات حبائل الألوان » أن هذه الصور تتصيد القلوب والأنظار بما فيها من دقة وإتقان . ويحكى أن رفائيل المصور المعروف صور مرة عنقودا من العنب على حائط فخدع به بعض الطيور ، قال إليه ينقر حبه .

(٧) سواجع الأفنان : الحمائم التى تسجع ، أى تغرد . والأفنان : الأغصان ، الواحد فنن (بالتحريك) . ويشير بالسطر الأول إلى ما تصنعه هذه الأيدى من التماثيل التى تقرب من الحقيقة حتى تكاد تنطق ؛ وبالشطر الثانى إلى أيدى الموسيقيين البارعين .

(٨) الدرارى (بتشديد الياء ، وتخفف للشعر) : جمع درى ، وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافى الشعاع . وعنفوان الشباب : أوله وريعانه .

عَجَبٌ صُنْعُها ! وأَعْجَبُ منه صُنْعُه ! تلكَ قُدْرَةُ الرَّحْمنِ (١)

إيهِ "مُسِّينَ" آنِسِي اليَوْمَ "بُمْبِيـــيَ" فقد أَوْحَشَتْ بذاكَ المَكانِ (٢)

آنِسِي الدُّرَّةَ التِي كانت الحُلْـــيَةَ فى تاجِ دَوْلَةِ (الرُّومانِ)

غالَهَا قَبْلَكِ الزَّمانُ اغْتِيالًا وهِيَ تَلْهُـــو فى غِبْطَةٍ وأَمانِ (٣)

جاءَها الأَمرُ والسَّراةُ عُكُوفٌ فى لَمَـلاهِى على غِناءِ القِيانِ (٤)

بَيْنَ صَبٍّ مُـــدَلَّهٍ وطَرُوبٍ وخَلِيعٍ فى اللَّهْوِ مُرْخَى العِنانِ (٥)

فانطَوَوْا كانْطواءِ أَهْلِكِ بالأَمْـــسِ وزَالَتْ بَشاشَةُ العُمْرانِ

أنتِ (مِسِّينَ) لن تَزُولِى كما زا لَتْ ولٰكنْ أَمْسَيْتِ رَهْنَ الأَوانِ (٦)

إنَّ إيطاليا بَنُـــوها بُنَاةٌ فاطْمَئِنِّى مادامَ فى الحَيِّ بانِى

فَسَـــلامٌ عليـــكِ يـومَ تَوَلَّيْـــتِ بما فِيكِ مِنْ مَغانٍ حِسانِ!

وَسَـــلامٌ عليـــكِ يومَ تَعُودِينَ كما كنتِ جَنَّـــةَ الطُّلْيَـانِ!

---

(١) صنعه : أى صنع الله تعالى . يقول : إن هذه التماثيل — مهما بولغ فى إتقانها ودقتها — لا تبلغ صنع الله الذى أتقن كل شىء .

(٢) بمبى : مدينة قديمة من إيطالية الجنوبية تبعد اثنى عشر ميلا عن نابلى إلى الجنوب الشرقى وموقعها بجوار جبل فيزوف ؛ وقد حدث فيها زلزالتان خربتا قسما منها فى سنة ٦٣ م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر ، ثم خربت بالمواد المتقذفة فى ٢٤ آب سنة ٧٩ م ، وبقيت هـذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلك مطمورة ، طامسة الذكر ؛ حتى كشفت أخيرا .

(٣) غالها : أهلكها .

(٤) يريد « بالأمر » : الهلاك والفناء . والسراة : جمع سرى (بفتح السين وتشديد الياء) ، وهو الرفيع القدر من الناس . والقيان : المغنيات ، الواحدة قينة .

(٥) المدله : الذاهب العقل من عشق ونحوه . والخليع : المتهتك . ومرخى العنان : الممدود له فى حبل الشهوات .

(٦) يريد بقوله : «أمسيت رهن الأوان» : أنه الوقت الذى يجدد الشعب فيه عمارتك ، ويعيد ما هدمته الزلازل من مغانيك فتصبحين كما كنت ، كما يدل عليه البيت الذى بعده .

وسَلامٌ مِنْ كلِّ حَيٍّ على الأَرْ ... ضِ على كلِّ هالكٍ فيكِ فانِي!
وسَلامٌ على الأُلَى أَكَلَ الذِّئْ ... بُ وناشَتْ جَوارحُ العِقْبانِ![1]
وسَلامٌ على آمرئٍ جادَ بالدَّمْـ ... ـعِ وثَنَّى بالأُصْفَرِ الرَّنَّانِ![2]
ذاكَ حَقُّ الإنْسانِ عند بَنِي الإنْـ ... ـسانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إلى إحْسانِ
فآكْتُبُوا فى سَماءِ (رِدْجُو) و(مِسِّيـ ... ـنَا) و(كالَبْرِيَا) بكلِّ لِسانِ
ها هُنا مَصْرَعُ الصِّناعَةِ والتَّصْـ ... ـويرِ والحِذْقِ والحِجَا والأَغانِي[3]

براعة غِنـاء

قالها فى جاك رومانو المغنى الإسرائيل المعروف[4]

[نشرت فى ١ نوفمبر سنة ١٩٠٨م]

ارْحَمُونا بَنِي اليَهودِ كَفاكُمْ ... ما جَمَعْتُمْ بِجِذْقِكُمْ مِنْ نُقُودِ
وآصفَحُوا عَنْ عُقولِنا ودَعُوا الخَلْـ ... ـقَ بِسِرِّ التَّوْراةِ والتَّلْمُودِ[5]
لا تَزِيدُوا على الصُّكُوكِ فِخاخًا ... مِنْ غِناءٍ ما بَيْنَ دُفٍّ وعُودِ[6]

---

(١) ناشت : نهشت .

(٢) الأصفر الرنان : الذهب ؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون فى عمارة هذا البلد

(٣) الحجا : العقل .

(٤) جاك رومانو : يهودى من أهالى الاسكندرية ، كان من رجال المال ، يعمل عملا رئيسيا فى أحد المصارف ، وكان حسن المنادمة والغناء ، ظريف الشمائل ، وكان صديقا حميما للمرحوم عبده الحامولى .

(٥) التلمود : سفر دينى لليهود نما فى القرون الأربعة أو الستة من العهد المسيحى : وصار مع التوراة كتاب اليهود المقدس .

(٦) الصكوك : وثائق الديون التى اشتهر بها اليهود .

وَيْحَكُمْ إنَّ (جاكَ) أَسْرَفَ حَتّى زادَ فى قوْمِه على (داوُد)[١]
أَسْكَتُوه ، لاأَسْكَتَ اللهُ ذاكَ الصَّوْتَ صَوْتَ المُتَيَّم الغرِّيدِ[٢]
أَوْ دَعُوه، فداؤهُ — إنْ تَغنَّى — كلُّ نفس وكلُّ ما فى الوُجُود

وقال فيه ايضا :

[نشرت فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨م]

يا (جاكُ) إنّك فى زَمانِكَ واحِدٌ ولِكلِّ عَصْرٍ واحدٌ لا يُلْحَقُ
إنّ الألَى قد عاصَرُوكَ وفاتَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوكَ كأنّهمْ لَمْ يُخْلَقُوا
قد جاء (مُوسَى) بالعَصَا وأَتَيْتَنا بالعُودِ يَشْدُو فى يَدَيْكَ ويَنْطِقُ[٣]
فإذا ٱرْتَجَلْتَ لنا الغِناءَ فكُلُّنا مُهَجٌ تَسِيلُ وأَنْفُسٌ تَتَحَرَّقُ
فمُطالِبٌ بإعادَةٍ ، ومُطالِبٌ بزِيادَةٍ ، ومُهَلِّلٌ ومُصَفِّقٌ
تَتَسابَقُ الأَسْماعُ صَوْبَكَ كلَّما غَنَّيْتَها شَوْقا إليكَ وتُعْنِقُ[٤]
وتَوَدُّ أَفْئِدةٌ هَتَكْتَ شَغافَها لو أنّها بذُيُولِها تَتَعَلَّقُ[٥]
خُلُقٌ كما شاءَ الجَلِيسُ وشِيمَةٌ يَذْكو بها صَدْرُ النَّدِىِّ ويَعْبَقُ[٦]
ومروءَةٌ لو أنّها قد قُسِّمَتْ بَيْنَ اليَهُودِ لأَحْسَنُوا وتَصَدَّقُوا

(١) خص داود عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت ، ولما اشتهرت به مزاميره من الترنم بها وترتيلها .
(٢) الغريد : المغرد .
(٣) موسى : هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ؛ ومعجزته فى عصاه مشهورة ورد ذكرها فى القرآن .
(٤) صوبك جهتك . وتعنق : تسرع . (٥) بذيولها : أى الأسماع . وشغاف القلب : غلافه .
(٦) الندى مجلس القوم . ويذكو ويعبق : أى يطيب ويتعطر .

نادى الألعاب الرياضية

أنشدها فى ليلة أحياها نادى الألعاب الرياضية (بالأوبرا الملكية)

[ليلة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦م]

بنادى الجَزِيرَةِ قِفْ ساعةً ... وشاهِدْ بربِّكَ ما قد حَوَى

تَرَى جَنّةً مِنْ جِنان الرَّبِيع ... تَبَدَّت معَ الخُلْدِ فى مُسْتَوَى[1]

جَمالُ الطَّبِيعَة فى أُفْقِها ... تَجَلَّى على عَرْشِه وٱستَوَى[2]

فقُلْ للحَزِين وقُلْ للعَلِيل ... وقُلْ للمَلُولِ : هُناكَ الدَّوَا

وقُلْ للأَدِيبِ : ابتَدِرْ ساحَها ... إذا ما البَيانُ عَلَيْكَ الْتَوَى[3]

وقُلْ للمُكِبِّ على دَرْسِه ... إذا نَهَكَ الدَّرْسُ منه القُوَى :[4]

تَنَسَّمْ صَباها تُجَدِّدْ قُواك ... فأَرْضُ الجَزِيرَةِ لا تُجْتَوى[5]

ففِيها شِفاءٌ لمَرْضَى الهُمُوم ... ومَلْهًى كَرِيمٌ لمَرْضَى ٱلهَوَى

وفيها وفى نِيلِها سُلْوَةٌ ... لكلِّ غَرِيبٍ رَمَتْه النَّوَى[6]

وفيها غِذاءٌ لأَهْلِ العُقُول ... إذا الرأسُ إثْرَ كَلال خَوَى[7]

---

(١) تبدّت : ظهرت .

(٢) تجلى : ظهر . واستوى أى استقر .

(٣) الساح : جمع ساحة . والتوى : صعب واستعصى .

(٤) المكب على درسه : المقبل عليه المجتهد فيه .

(٥) لا تجتوى : أى لا تكره الإقامة بها .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الكلال الإعياء والتعب . وخوى : خلا .

ويارُبَّ يومٍ شـــديد اللظَى رَوَى عن جَهَنَّمَ ما قد رَوَى[١]

به الرِّيحُ لَفَّـاحَةٌ للوُجُـوه به الشَّـمْسُ نزَّاعَةٌ للشَّـوَى[٢]

قَصَدْتُ الجَزِيرَةَ أَبْغِي النَّجاة وجِسْمِي شَواهُ اللظَى فَاشْتَوَى

فَأَلْفَيْتُ ناديهَـا زاهـــرا وأَلْفَيْتُ ثَمَّ نَعِيـمًا ثَوَى[٣]

فأَنْزَلَـــنِي مُـنْزَلًا طَيِّبًـا ورَوَّى فؤادِيَ حتّى ارْتَوَى

وأَطْفَأَ وارفُ تِلْكَ الظِّـلَال سَـعِيرَ الهَجِيرِ وحَرَّ الجَـوَى[٤]

وحَلَّ الأصـيلُ عِقالَ الشَّمال فهَبَّت بنَشْر إليهَـا انْضَـوَى[٥]

فأَحْيَتْ بنَفْسِيَ ذِكْرَى الشَّبَاب وما كان منهـا ومنـه انْطَوَى[٦]

وعاوَدَ قَلْبِيَ ذاكَ الخُفُـوق وقد كانَ بَعْدَ المَشِيب ارْعَوَى[٧]

فمـا بالُ قَوْمِيَ لا يأْخُذُونَ لتِلْكَ الجِنـان طَرِيقًا سَـوَا؟[٨]

وما بالُ قَوْمِيَ لا يَنْزِلُونَ بغَيْرِ (جُرُوبِّي) و (بارِ اللُّوا)؟[٩]

---

(١) اللظى : شدّة الحر .

(٢) لفاحة الوجوه : محرقة لها مغيرة لألوانها . والشوى : اليدان والرجلان وقحف الرأس . وكنى بقوله : « نزاعة للشوى » : عن شدّة الحر . يشير إلى قوله تعالى فى وصف جهنم : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) .

(٣) ثوى بالمكان : أقام به .

(٤) الوارف من الظلال : ما اتسع وامتد منها . والهجير : شدّة الحر . والجوى : الحزن والحرقة وشدّة الوجد .

(٥) الأصيل وقت العشى . يقول : إن ريح الشمال انطلقت فى هذا الوقت . والنشر : الرائحة الطيبة . وانضوى انضم إليها وامتزج بها .

(٦) الضمير فى « منها » للذكرى ؛ وفى « منه » للشباب .

(٧) ارعوى عن الأمر : رجع عنه وكف .

(٨) طريقا سوا (بفتح السين والقصر) ، أى سواء (بالمدّ) بمعنى المستوى الذى لا عوج فيه .

(٩) جربى ، وبار اللوا : مقهيان معروفان فى القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس .

تَراهُـمْ على نَرْدِهِـمْ عُكَّفًا يُبـادرُ كـلٌّ إلى ما غَوَى[١]
ولو أَنْصَفُوا بِالجِسْمِ لَاسْتَظْهَرُوا له (بالمران) وطِيبِ الهَوَا[٢]

* * *

فيـا نادِيًا ضَمَّ أُنْسَ النَّـدِيم ولَهْـوَ الكَرِيمِ وُقِيتَ البِـلَى
لَيالِيـكَ أُنْسٌ جَلَاها الصَّـفا فأَسْرَتْ إليـكَ وُفُودُ المَـلَا[٣]
فكَمْ ليلةٍ طابَ فيكَ الحَدِيث فكان الكُئُوسَ وكان الطِّلا[٤]
فمِنْ مُشْجِيـاتٍ إلى مُطْرِبات إلى مُضْحِكاتٍ تُسَلِّى ، إلَى...[٥]
وقد زانَ لَهْوَكَ ثوبُ الوَقار فلَهْوُكَ فى كلِّ ذَوْقٍ حَـلَا
تَخِفُّ إليـه رِزانُ الحِجَـا وتَمْشِى إليـه السَّراةُ الأُلَى[٦]
فقُلْ لِلَّذِى باتَ تَحْتَ العُقُود بحَرْبٍ على نَفْسِـه مُبْتَـلَى[٧]
أَتِلْكَ الأَماكِنُ لا تُسْـتَرَاد ؟ أَتِلْكَ المَـناظِرُ لا تُجْتَـلَى ؟[٨]

(١) النرد : هو اللعبة المعروفة (بالطاولة) .

(٢) استظهروا : اى استعانوا . و « له » أى لأجله . والذى وجدناه فى كتب اللغة مرن الجسم مرونا ومرانة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعة لما شاع فى كلام أهل العصر .

(٣) الإسراء والسرى : السير بالليل .

(٤) الطلا (بالمد ، وقصر للضرورة) : الخمر ؛ شبه به طيب الحديث .

(٥) إلى : أى إلى غير ذلك من أنواع اللهو .

(٦) الرزان : جمع رزين ، يريد العقول الراجحة . وتخف له : أى إلى ما فى هـذا النادى من لهو ومتاع . وسراة القوم : ذوو الأقدار الرفيعة ، الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) والألى : أى الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبلغا عظيما ؛ لحذف الشاعر الصلة للعلم بها .

(٧) العقود : نوع من الأبنية معروف فى مصر ؛ ومنه ما يسمى (بالبواكى) ؛ وكان بعض أصحاب المقاهى يتخذون تحتها مقاعد للناس .

(٨) تسترد : تبتغى وتطلب .

أَتَحْتَ السَّماء وبَـدْرِ السَّماء ... وبَيْنَ الرِّياض وبَيْنَ الخَـلَا
يُمَلُّ الجُلُوسُ ويَفْنَى الحَديث ؟ ... فهٰـذا النَّعيمُ وإلّا فَـلَا !
سَأَلْتُ الأُلَى يَقْدرُون الحَيـاة ... أَلَمْ تَفْتَنِكُمْ ؟ فقالوا : بَلَى
مَكانٌ لعَمْـرُكَ ما حَلَّ فى ... نَواحيه ذُو الحُـزْنِ إلّا سَلا
فما أنتَ فى مِصْرَ إنْ لَمْ تَطِرْ ... إليه فتَشْهَـدَ تلك الحُـلى
له مَلْعَب فيـه ما يَشْتَهِى ... مُحِبُّ الرِّياضَـةِ مَهْمَا غَلَا
لكلِّ فَـريقٍ به لُعْبَـةٌ ... تُلائِمُ مِنْ سِنِّـه ما خَلَا[1]

* * *

ولِعْبٌ هو الجِـدُّ لو أنّنـا ... نَظَـرْنا إليـه بعَيْنِ النُّهَى
لَدَى غير (مِصْرَ) له حُظْـوَةٌ ... فكم راحَ يَلْهُـو به مَنْ لَهَا
وفى أَرْض (يُونانَ) شاهَدْتُه ... فأىُّ جَمالٍ إليـه انْتَهَى
وشاهَدْتُ مَوْسِمَهُ قد حَوَتْ ... نَواحيـه غايَةَ ما يُشْتَهَى
وماجَ بزُوارِهِ المُـولَعين ... وأضْحَى بعَرْشِ المُـلُوكِ ازْدَهَى[2]
وقد زادَ ألْعابَه بَهْجَـةً ... مَكانٌ فَسيـحٌ مُعَـدٌّ لَهَا
صِراعٌ وعَدْوٌ بَعيدُ المَـدَى ... ووَثْبٌ يَكادُ يَنـالُ السُّهَا[3]

---

(١) ما خلا : أى ما مضى من عمره .

(٢) ازدهى : افتخر واختال .

(٣) العدو : الجرى . والسها : كوكب خفى لشدة بعده .

وشاهَدْتُ عَدّاءَهُمْ قد عَدَا ثَلاثِينَ ميلًا وما إِنْ وَهَى[١]

وقامَتْ مُلاكَمَةُ اللّاعِبِين فأَنْسَت تَناطُحَ وَحْشِ ٱلمَهَا[٢]

بأَوْحَى منَ اللّمْحِ كانَ النِّزال فيا وَيْلَ مَنْ مِنْهُمَا قد سَهَا[٣]

ولو رُحْتُ أَنْعَتُ تِلْكَ الضُّرُوب لَضَاقَ القَرِيضُ وأَعْيَا بِها[٤]

على أنّ فى أُفْقِنا نَهْضَةً سَتَبْلُغُ رَغْمَ القُعُودِ المَدَى

وإنْ لم تَكُنْ بلغت أَوْجَها كَذا كلُّ شَىْءٍ إِذا ما ٱبْتَدَا[٥]

ونادِى الرِّياضةِ أَوْلَى بأنْ يكونَ عليها مَنارَ الهُدَى[٦]

أَظَلَّتْ جَلَائِلَ أَعْمالِه ظِلالُ (حُسَيْنٍ) حَلِيفِ النَّدَى[٧]

مَلِيكٌ رَعاه بإقْبالِه وحُسْنِ عِنايَتِه والجَدَا[٨]

فَفِى عَهْدِه فَلْيُجِدَّ المُجِدّ فإِنَّ السُّعودَ به قد بَدَا

---

(١) عدا : جرى . ووهى : ضعف .

(٢) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة .

(٣) أوحى من اللمح : أى أسرع منه . والوحى (بالألف المقصورة ، والوحاء بالمد) السرعة . ومنهما ، أى من المتلاكمين .

(٤) الضروب : أنواع اللعب .

(٥) أوجها : أى غاية ما تسمو إليه .

(٦) عليها : أى تلك النهضة السابق ذكرها .

(٧) يريد المغفور له السلطان حسين كامل . والندى : الجود .

(٧) الجدا : العطاء .

رحلة حافظ إلى إيطاليا

[نشرت فى نوفمبر سنة ١٩٢٣ م]

عاصِفٌ يَرْتَمِى وبَحْرٌ يُغِيرُ ... أَنا باللهِ مِنْهُما مُسْتَجِيرُ(١)

وكأنَّ الأَمواجَ — وهىَ تَوالَى ... مُحْنَقاتٍ — أَشْجانُ نَفْسٍ تَثُورُ(٢)

أَزْبَدَتْ، ثمّ جَرْجَرَتْ، ثم ثارَتْ ... ثمّ فارَتْ كما تَفُورُ القُدُورُ(٣)

ثمّ أَوْفَتْ مِثْلَ الجِبالِ على الفُلْـ ... ـكِ وللفُلْكِ عَزْمَةٌ لا تَخُورُ(٤)

تَتَرامَى بجُؤْجُؤٍ لا يُبالى ... أَمِياهٌ تَحُوطُه أَم صُخُورُ؟(٥)

أَزْعَجَ البَحْرُ جانِبَيْها مِنَ الشَّدِّ ... فَجَنْبٌ يَعْلُو وجَنْبٌ يَغُورُ

وَهْوَ آناً يَنْحَطُّ مِنْ عُلْوٍ كالسَّيْـ ... ـلِ وآناً يَحُوطُها منه سُورُ(٦)

وهىَ تَزْوَرُّ كالجَوادِ إذا ما ... ساقَهُ للطِّعانِ نَدْبٌ جَسُورُ(٧)

وعليها نُفُوسُنا خائِراتٌ ... جازِعاتٌ كادت شَعاعاً تَطِيرُ(٨)

---

(١) يرتمى : يشتد فى هبوبه .

(٢) توالى : أى تتوالى ومحنقات : غاضبات . وتثور : تهيج .

(٣) أزبدت : قذفت بالزبد (بالتحريك) ، وهو الرغوة التى تعلو الماء عند فورانه . وجرجرت : صوتت .

(٤) أولى عليه : أشرف . وتخور : تضعف .

(٥) تترامى : أى الفلك ؛ وهو يذكر و يؤنث . وجؤجؤ السفينة : صدرها .

(٦) ضمير وهو ، والهاء فى قوله : « منه » للبحر . ومن علو (مثلث الواو) ، أى من أعلى .

(٧) تزور : تنحرف وتميل . والندب : الماضى الخفيف فى الحاجة .

(٨) طارت نفسه شعاعا : أى ذهبت متفرقة من خوف أو نحوه .

فى ثَنَايَا الأَمْواجِ والزَّبَدِ المَنْـــدُوف لاحَتْ أكفانُنَا والقُبُورُ[١]

مَرَّ يَوْمٌ وَبَعْضُ يَوْمٍ علينا والمَنَايا إلى النُّفُوسِ تُشِيرُ

ثمّ طافَتْ عنايَةُ اللهِ بالفُلْـــك فزالَتْ عمّن تُقِلُّ الشُّرُورُ[٢]

مَلَكَتْ دَفَّةَ النَّجاةِ يَدُ اللّـــهِ فسُبْحانَ مَنْ إليه المَصِيرُ

أَمَرَ البَحْرَ فاستكانَ وأَمْسَى منه ذاكَ العُبابُ وهو حَصِيرُ[٣]

أيّها البحرُ لا يَغُرَّنْكَ حَوْلٌ واتِّساعٌ وأنتَ خَلْقٌ كَبِيرُ[٤]

إنّما أنتَ ذَرَّةٌ قد حَوَتْها ذَرَّةٌ فى فَضَاءِ رَبِّى تَدُورُ[٥]

إنّما أنتَ قَطْـــرَةٌ فى إناءٍ ليسَ يَدْرى مَداهُ إلّا القَدِيرُ[٦]

إيهِ (إسْبِيرِيَا) فَدَتْكِ الجَوارى مُنْشَآتٍ كأنّهنّ القُصُورُ[٧]

ياعَرُوسَ البِحارِ إنّكِ أَهْلٌ أنْ تُحَلِّيكِ بالجُمَانِ البُحُورُ[٨]

فالْبَسِى اليومَ مِنْ ثَنَائِىَ عِقْداً تَشْتَهِيه من الحسان النُّحُورُ

*
* *

(١) يقال : ندف القطن يندفه ، وذلك إذا ضربه بالمندف ليرق . وشبه الشاعر زبد البحر بالقطن المندوف .

(٣) تقل : تحمل .

(٣) استكان : سكن وخضع . والعباب : الموج . وهو حصير : أى مستوى السطح كالحصير .

(٤) الحول : القوة .

(٥) أى أن البحر ذرة من الكرة الأرضية التى هى ذرة فى الفضاء .

(٦) مداه : أى مدى الإناء . ويريد « بالإناء » الكون .

(٧) إسبيريا : اسم الباخرة التى أقلت الشاعر إلى إيطاليا . والجوارى : السفن ، الواحدة جارية .

(٨) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة ، وخص الجمان لأنه مما تحويه البحار فى أجوافها .

إيه إيطاليا عدتك العوادى ... وتنحى عن ساكنيك الثبور[١]
فيك يامهبط الجمال فنون ... ليس فيها عن الكمال قصور
ودمى جمع المحاسن فيها ... صنع الكف عبقرى شهير[٢]
قد أقيمت من الجماد ولكن ... من معانى الحياة فيها سطور
فهى تبدو من الملائك يكسو ... ها جمال على حفافيه نور[٣]
أمرت بالسكوت من جانب الحـ ... ـق بدنيا فيها الأحاديث زور
أرضهم جنة وحور وولدا ... ن كما تشتهى وملك كبير
تحتها — والعياذ بالله — نار ... وعذاب ومنكر ونكير[٤]
إن يوما كيوم (ردجو) و (مسـ ... ـنا) و (كالبريا) ليوم عسير[٥]
ساعة منه تهلك الحرث والنسـ ... ـل وتمحو ماسطرته الدهور[٦]
ذاك (فيزوف) قائما يتلظى ... قد تعالى شهيقه والزفير[٧]
ينذر القوم بالرحيل ولكن ... ليس يغنى مع القضاء النذير[٨]

(١) عدتك العوادى : جاوزتك النوائب وتخطتك . والثبور : الهلاك .

(٢) يريد بالدمى : التماثيل ، الواحدة دمية . وصنع الكف (بالتحريك) : حاذق بصنعته . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التماثيل التى تنطق بمهارة صناعها وحذقهم .

(٣) على حفافيه : على جانبيه .

(٤) منكر ونكير : ملكان يمتحنان ويفتنان الميت فى قبره ؛ وهما مثلان فى الفزع والرعب . ويشير بهذا البيت إلى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود (البراكين) وكثرة الزلازل بها .

(٥) يريد بيوم ردجو (Reggio) و (Calabria) . ومسينا : يوم الزلزال الذى وقع فى هذه المناطق . أنظر القصيدة السابقة فى زلزال مسينا . وردجو مدينة فى جنوب إيطاليا على مضيق مسينا ، وكالبريا مقاطعة .

(٦) الحرث : الزرع .

(٧) فيزوف : (بركان) بإيطاليا معروف .

(٨) أى أن فيزوف بما يتصعد منه من دخان دائم كأنه نذير للقوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آخر يقيمون به ، ولكن إذا حم القضاء فلا تغنى النذر .

وكذاكَ الأَوْطانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ ... ليسَ للحُرِّ عن حماهَا مَسِيرُ
شَمْسُهُمْ غادَةٌ عليها حجابٌ ... فهِيَ شَرْقِيَّةٌ حَوَتْهَا الخُدُورُ[1]
شَمْسُنا غادة أَبَتْ أَنْ تَوارَى ... فهِيَ غَرْبِيَّةٌ جَلاهَا السُّفُورُ[2]
جَوُّهُمْ فى تَقَلُّبٍ واخْتِلافٍ ... غيرَ أنَّ الثَّباتَ فيهِمْ وَفِيرُ
جَوُّنا أَثْبَتُ الجَواءِ ولٰكِنْ ... ليسَ فِينا على الثَّباتِ صَبُورُ[3]
ولَدَيْهِمْ منَ الفُنُونِ لُبابٌ ... ولَدَيْنَا منَ الفُنُونِ قُشُورُ
أَنْكَرَ الوقفَ شَرْعُهُمْ فلِهٰذا ... كلُّ رَبْعٍ بأَرْضِهِمْ مَعْمُورُ[4]
ليسَ فيها مُسْتَنْقَعٌ أو جِدارٌ ... قد تَدَاعَى أو مَسْكَنٌ مَهْجُورُ[5]
كلُّ شِبْرٍ فيها عليهِ بِناءٌ ... مُشْمَخِرٌّ أو رَوْضَةٌ أَوْ غَدِيرُ[6]
قَسَّمُوا الوَقْتَ بَيْنَ لَهْوٍ وجِدٍّ ... فى مَدَى اليَوْمِ قِسْمَةٌ لاتَجُورُ
كُلُّهُمْ كادِحٌ بَكُورٌ إلى الرِّزْ ... قِ وَلاهٍ إذا دَعاهُ السُّرُورُ[7]
لا تَرَى فى الصَّباحِ لاعِبَ نَرْدٍ ... حَوْلَهُ للرِّهانِ جَمٌّ غَفِيرُ

---

(١) الغادة : المرأة الناعمة الليّنة . وشرقية : أى امرأة شرقية ؛ ويشير إلى ما يحجب الشمس فى بلادهم من الضباب و الغيم .

(٢) غربية : أى امرأة غربية . ويشير إلى صحو الجو وصفائه من الغيم فى بلاد المشرق .

(٣) الجواء : جمع جو .

(٤) يشير إلى ما يلحق منازل الأوقاف فى مصر من التخريب والدمار لقلة العناية بها . وكان للشاعر كلمة مأثورة فى هذا وهى : « بيوت الوقف كالجدرى فى وجه المدينة » .

(٥) تداعى : تهدّم .

(٦) مشمخر : مرتفع .

(٧) الكادح : الساعى المجدّ فى طلب الرزق . والبكور (بفتح الباء) : المبكر .

لَا ولَا باهِـلًا سَلِيمِ النَّواحى ... للقَهاوِى رَواحُـــه والبُكُورُ[١]

لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وبينَ المَلاهِى ... أو شُؤُون الحَياة جَوٌّ مَطِيرُ[٢]

لايُبالُون بالطَّبِيعةِ حَنَّتْ ... أمْ تَجَنَّتْ أمْ احتَواهَا النَّعورُ؟[٣]

عَصَفَتْ فوقَهُمْ رِياحٌ عَواتٍ ... أمْ أجازَت بهِمْ صَبًا أمْ دَبُورُ؟[٤]

قد أَعَدُّوا لحادثاتِ اللَّيالى ... عُدَّةً لا يَحُوزُها التَّقْدِيرُ

نَضَّرُوا الصَّخْرَ فى رُءُوسِ الرَّواسِى ... ولَدَيْنَا فى مَوطِنِ الخِصْبِ بُورُ[٥]

قد وَقَفْنا عند القَديم وسارُوا ... حيثُ تَسْرِى إلى الكَمالِ البُدُور

والجَوارى فى النِّيلِ منْ عَهْدِ (نُوحٍ) ... لَمْ يُقَدَّرْ لصُنْعِها تَغْيِيرُ

وَلِعَ القَوْمُ بالنَّظافَةِ حَتَّى ... جُنَّ فيها غَنِيُّهُمْ والفَقِيرُ

فاذا سِرْتُ فى الطَّرِيقِ نَهارًا ... خِلْتُ أنِّى على المَرايا أَسِيرُ

أَفْرَطَ القَوْمُ فى النِّظامِ وعِنْدى ... أنْ فَرْطَ النِّظامِ أَسْرٌ ونَيرُ[٦]

---

(١) الباهل : المتردد بلا عمل . وسليم النواحى ، أى صحيح الجسم ليس به عاهة تمنعه العمل . وإطلاق « القهوة » على المكان الذى يشرب فيه : مجاز ، كإطلاق النار على جهنم .

(٢) يريد بهذا البيت أن الأمطار فى تلك البلاد مهما غزرت فلن تعوق السائرين عن مقاصدهم لما لديهم من الوسائل التى تجعل ذلك من الأمور المألوفة . ويشير الشاعر إلى المفاضلة بين ما لديهم من تلك الوسائل وما لدينا .

(٣) النعور : الريح التى تفاجئك بحر وأنت فى برد ، أو ببرد وأنت فى حر .

(٤) العواتى من الرياح : الشديدة العصف ، التى جاوزت حد هبوبها . وأجازت بهم : أى مرت بهم . وفى كتب اللغة أن أجاز وجاز ، كلاهما بمعنى جاوز . ومنه حديث المسعى : « لاتجيزوا البطحاء إلا شدًا » أى لا تجوزوا . والصبا : ريح الشمال ، وتقابلها الدبور ، وهى ريح الجنوب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى ما امتازت به أمم الغرب من دؤوب على العمل وعلم جم حتى إنهم جعلوا الصخور فى رءوس الجبال التى لا تنبت شيئا نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النبات ، وهذا على عكس ما لدينا من كسل وتوان كل جعلا أرضنا الخصبة مقفرة من الزرع .

(٦) النير : الخشبة المعترضة فى عنق الثورين بأداتها .

ولَذِيذُ الحَيـاةِ ما كان فَوْضَى ... ليسَ فِيهـا مُسَـيْطِرٌ أو أَمِـيرُ

فإذا ما سَأَلْتَنِي قلتُ عنهـمْ ... أُمّـةٌ حُـرّةٌ وفَـرْدٌ أَسِـيرُ[1]

ذاكَ رَأْيِي وهَـلْ أشارَكُ فِيـه ... إنّه قَوْلُ شاعِـرٍ لا يَضِـيرُ

فِي جِبالِ (التِّيرُولِ) إنْ أَقْبَلَ الصَّيْـ ... ـفُ نَعِيمٌ وإنْ مَضَى زَمْهَـرِيرُ[2]

أَذْكَرَتْنِي ما قالَه عَـرَبِيٌّ ... طارِقِيٌّ أَمْسَى آحتَـواهُ (شُلَيْرُ):[3]

حَلَّ تَرْكُ الصَّلاةِ فِي هٰـذه الأَرْ ... ضِ وحَلَّتْ لنـا عَلَيْهـا الخُمُـورُ

إنّ صَدْرَ السَّـعِيرِ أَحْنَى علينـا ... مِنْ (شُـلَيْرٍ) وأَيْنَ مِنّـا السَّعِيرُ

قد بَلَوْتُ الحَياةَ فِي الشَّرْقِ والغَرْ ... بِ فمـا فِي الحَيـاةِ أَمْرٌ يَسِـيرُ

مِنْ ثَـواءٍ فيـه المَـلالُ بِزامٌ ... أَوْ رَحِيلٍ فيـه العَنـاءُ كَثِيرُ[4]

---

(١) يشير بقوله : وفرد أسير ، إلى كثرة ما سنوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد فى نواحى الحياة ولا تجعلهم مطلق الحرية .

(٢) التيرول : إقليم جبلى من جبال الألب يقع فى الشمال الشرقى من إيطاليا .

(٣) طارق ، نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس . وشلير (بلفظ التصغير) : جبل بالأندلس من أعمال البيرة ، لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وفى هذا البيت سناد حذو ، وهو اختلاف حركة الحرف الذى قبل الردف ، والردف : حرف مد قبل الروى . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى قول بعض المغاربة وقد مر بشلير فوجد ألم البرد :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم ... ونشرب الحميا وهو شىء محرم

فرارا إلى نار الجحيم فإنها ... أخف علينا من شلير وأرحم

إذا هبت الريح الشمال بأرضكم ... فطوبى لعبد فى لظى يتنعم

أقول ولا أنحى على ما أقوله ... كما قال قبلى شاعر متقدم

فإن كان يوما فى جهنم مدخلى ... ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

وقد ضمن حافظ معنى هذه الأبيات فى البيتين الآتيين .

(٤) الثواء : الإقامة .

حـــريق

قال هذه الأبيات فى حريق رآه بمنزل عبد الله أباخان بك

عَجِبَ النّاسُ منْكَ يابنَ سُلَيْما ... نَ وقــد أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجيبا
أَبْصَروا فى حِماكَ غَيْثًا ونارًا ... ذاكَ يَهْمِى وتِلْكَ تَذْكُو لَهِيبا[1]
ونَسُوا أنّ جُودَ كَفِّكَ غَيْثٌ ... ظَــلَّ لِلمُرْتَجِى الوُرود قَريبا
وهِىَ ضَيْفٌ أَصابَه عَنَتُ الدَّهْـ ... ـرِ وأَلْفَى هٰــذا الفِنــاءَ رَحيبا[2]
فأَتَى يُبْرِدُ الغَلِيــلَ بقَطْــرٍ ... مِنْ نَدَى سَــيِّدٍ يُواسى الغَرِيبا[3]

خنجـــر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزى شكسبير ، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخيله حينما هم باغتيال ابن عمه دانكان الملك ليخلفه فى ملكه ، ويصف تردده أولا ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد :

كأَنِّى أَرَى فى اللَّيْلِ نَصْلًا مجرَّدا ... يَطير بكِلْتَا صَفْحَتَيْه شَــرارُ[4]
تُقَلِّبُه للعَيْنِ كَــفٌّ خَفيَّةٌ ... ففيه خُفُــوقٌ تارةً وقَــرارُ[5]

(١) يهمى : ينصب ويريد « بالغيث » : كرم الممدوح . وتذكو : تضطرم وتشتعل .
(٢) هى : أى النار . والعنت : الشدة والمشقة . والفناء (بكسر الفاء) : ساحة البيت .
(٣) الغليل : شدة العطش .
(٤) نصل السيف : حده . والمجرد من السيوف : المسلول من غمده .
(٥) الخفوق : الاضطراب . والقرار : الاستقرار .

يُماثِلُ نَصْلِي فى صَفاء فِرنْده ... ويَحْكِيه منه رَوْنَقٌ وغِرارُ[1]

أَراهُ فتُدْنِينِي إليه شَراسَتى ... فيَنْأى وفى نَفْسِى إليه أُوَارُ[2]

وأَهْوِى بزَنْدِى طامِعًا فى التقاطه ... فيُدرِكُه عند الذُّنُوِّ نِفارُ[3]

تَخَبَّطَنِي مَسٌّ مِنَ الجِنِّ أمْ سَرَتْ ... بأجزاءِ نَفْسِى نَشْوَةٌ وخُمَارُ[4]

أَرانِى فى لَيْلٍ مِن الشَّكِّ مُظْلِمٍ ... فيالَيْتَ شِعْرِى هَلْ يَلِيه نَهارُ؟

سأَقْتُلُ ضَيْفِى وابنَ عَمِّى ومالِكى ... ولو أنَّ عُقْبَى القاتِلِين خَسارُ

وأُرْضِى هَوَى نَفْسِى وإنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ ... هَوَى النَّفْسِ ذُلٌّ ، والخِيانةُ عارُ

فيا أيُّها النَّصْلُ الّذى لاحَ فى الدُّجَى ... وفى طَيِّ نَفْسِى للشُّرُورِ مَثَارُ[5]

تُرَى خَدَعَتْنِي العَيْنُ أَمْ كنتُ مُبْصِرًا ... وهٰذا دَمٌ ، أَمْ فى شَباتِكَ نارُ[6] ؟

وهل أنتَ تِمْثَالٌ لِكَيْدٍ نَوَيْتُه ... وذاكَ الدَّمُ الجارِى عليكَ شِعارُ[7] ؟

فإنْ لم تكنْ وَهْمًا فكُنْ خيرَ مُسْعِدٍ ... فإنِّى وَحِيدٌ والخُطُوبُ كُثارُ[8]

وكُنْ لى دَلِيلًا فى الظَّلامِ وهادِيًا ... فلَيْلِى بَهِيمٌ والطَّرِيقُ عِثارُ[9]

---

(١) فرند السيف : جوهره ومائه الذى يترقرق فى صفحته ؛ وهو فارسى معرب . وغرار السيف (بالكسر) : حدّه . والمعنى أن هذا الخنجر يشبه خنجرى فى لمعانه وبريقه ومضاء حدّه .

(٢) الشراسة : الحدة وسوء الخلق . وينأى : يبعد . والأوار : شدة العطش .

(٣) الزند من الذراع : ما فوق المرفق . والنفار (بكسر النون) والنفور (بضمها) كلاهما بمعنى واحد .

(٤) يقال : تخبطه الشيطان : أى مسه بأذى أو جنون . والنشوة : السكر . وخمار الخمر : ما خالطك من سكرها .

(٥) مثار : أى مكان لثوران الشر ، ويجوز أن يراد به المصدر ، أى ثورة الشر واهتياجه .

(٦) شباة السيف : حدّه .

(٧) الشعار : العلامة .

(٨) الكثار (بضم الكاف) : الكثير . يقول : إن كنت أيها الخنجر خنجرا حقيقيا فأعنى على ما هممت به من قتل ابن عمى : فإنى وحيد لا أقوى على احتمال هذه المصائب المحيطة بى .

(٩) العثار : الشر .

على الفَتْكِ يا (دُنْكان) صَحَّتْ عَزِيمَتِي ... وإنْ لم يَكُنْ بَيْنِي وبَيْنَكَ ثارُ
فإنْ يَكُ حُبُّ التاجِ أَعْمَى بَصِيرَتِي ... فما لى على هٰذا القَضاءِ خِيارُ
أَعِرنى فُؤادًا منكَ يا دَهْرُ قاسِيًا ... لو آنّ القُلوبَ القاسياتِ تُعارُ
ويا حِلْمُ قاطِعْنِي ويا رُشْدُ لا تَئُبْ ... ويا شَرُّ مالِي مِنْ يَدَيْكَ فِرارُ[1]
ويا لَيْلُ أَنْزِلْنِي بجَوْفِكَ منزِلًا ... يَضِلُّ به سِرْبُ القَطَا ويَحارُ[2]
وإنْ كنتَ لَيلَ (المانَوِيَّة) فلْيَكُنْ ... على سِرِّ أَهْلِ الشَّرِّ منكَ سِتارُ[3]
ويا قَدَمِي سِيرِي حِذارًا وخافِتِي ... مِن المَشْيِ لو يُنْجِي الأثيمَ حِذارُ[4]
وقُمْتُ بجَوْفِ اللَّيْلِ وَقْفَةَ ساحِرٍ ... له الجِنُّ أَهْلٌ والمَكَايِدُ دارُ
إذا اشتَمَلَ اللّيلُ البَهِيمُ على الوَرَى ... تَجَرَّدَ للإيذاءِ حيثُ يُثارُ[5]
فمالى ؟ كأنّى فاتِكٌ ذو عَشِيرةٍ ... خِيارُهُمُ تحتَ الظَّلامِ شِرارُ[6]
إذا ما عَوَى ذِئْبُ الفَلا هَبَّ جَمْعُهُمْ ... إلى الشَّرِّ واستَلَّتْ ظُبًا وشِفارُ[7]

---

(١) لا تئب : أى لا ترجع .

(٢) سرب القطا : جماعة الحمام . وخص القطا بالذكر لأنها يضرب بها المثل فى الهداية . يطلب إلى الليل أن يستره بظلامه حتى لا يهتدى أحد إلى خيانته وغدره .

(٣) أضاف الليل إلى المانوية ، وهى الطائفة المنسوبة إلى مانى لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل إله الشر ، والنهار إله الخير ، قال أبو الطيب المتنبى .

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

يقول : إن كنت أيها الليل إلها للشر كما تزعم المانوية ، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحدا عليهم .

(٤) خافتى من المشى : أى خففيه وخفضى من صوته حتى لا يسمعه أحد .

(٥) البهيم : الشديد الظلمة . وتجرد للإيذاء : انبعث إليه وأسرع نحوه . ويثار : يهاج ، أى أسرع إلى الإيذاء حيث يكون الإيذاء .

(٦) يريد بهذه العشيرة : جماعة اللصوص وقطاع الطرق وسفاكى الدماء .

(٧) عوى : صوّت . والفلا : الصحارى ، الواحدة فلاة . واستلت : أخرجت من أغمادها . والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح) ، وهى حد السيف . والشفار : السكاكين والواحدة شفرة .

طول الليـــل

يا ساهدَ النَّجْمِ هَلْ للصُّبْحِ مِنْ خَبَرِ ... إِنِّى أَرَاكَ على شَىْءٍ من الضَّجَـرِ (١)
أَظُنُّ لَيْلَكَ مُـذْ طال المُقَـامُ به ... كالقَوْمِ فى مِصْرَ ، لا يَنْوِى على سَفَرِ (٢)

وقال فى هذا المعنى أيضا (٣) :

أُقَضِّيهِ فى الأَشْواقِ إِلّا أَقَـلَّهُ ... بَطِئَ سُرًى أَبْدَى إلى اللُّبْثِ مَيْلَهُ (٤)
وليسَ اشتياقى عَنْ غَرَامٍ بشادِنٍ ... ولـكنّه شَوْقُ امْرِئٍ فاتَ أَهْـلَهُ (٥)
فيالَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعَرْتُ نُجُومَـه ... تَوَقُّـدَ أَنْفاسِى وعانَيْتُ مِثْـلَهُ (٦)
ومَلَّ كلانَا مِنْ أَخِيه وهٰكذا ... إذا طال عَهْدُ المَرْءِ بالشَّىْءِ مَلَّهُ

الشّـــعر

ضعتَ بينَ النهى وبين الخيَالِ ... يا حَكِيمَ النُّفُوسِ يابْنَ المَعَـالِى (٧)
ضعتَ فى الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ هُجُودٍ ... لَمْ يُفِيقُـوا وأُمَّـةٍ مِكْسالِ (٨)

---

(١) الساهد : الساهر .

(٢) يريد «بالقوم» : الإنجليز . ولا ينوى ، أى الليل . شبه الليل بجيش الاحتلال فى مصر فى طول الإقامة ، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء .

(٣) أشير فى الديوان المطبوع إلى أنها قصيدة طويلة ، ولم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، ولم نقف نحن أيضا على بقيتها .

(٤) أقضيه أى أقضى الليل . واللبث : المكث .

(٥) الشادن : ولد الظبية . والمراد هنا : المليح .

(٦) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد أنفاسه ، وفى قلبه من اللوعة والشوق مثل هذا التوقد .

(٧) النهى العقول ، الواحدة نهية .

(٨) الهجود : النيام .

أذالوك بين أنيس وكأس ... وغرام بظبية أو غزال[1]

ونسيب ومدحة وهجاء ... ورثاء وفتنة وضلال[2]

وحماس أراه فى غير شىء ... وصغار يجر ذيل اختيال[3]

عشت ما بينهم مذالا مضاعا ... وكذا كنت فى العصور الخوالى[4]

حملوك العناء من حب (ليلى) ... و(سليمى) ووقفة الأطلال[5]

وبكاء على عزيز تولى ... ورسوم راحت بهن الليالى[6]

وإذا ما سموا بقدرك يوما ... أسكنوك الرحال فوق الجمال[7]

آن يا شعر أن نفك قيودا ... قيدتنا بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكمائم عنا ... ودعونا نشم ريح الشمال

---

(١) أذالوك : أهانوك وأصغروا شأنك .

(٢) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر .

(٣) الصغار : الذل . ومعنى قوله : « وصغار » الخ أى أنهم تباهون وهم أذلاء .

(٤) المذال : المهان .

(٥) ليلى وسليمى : من الأسماء التى رددها الشعراء قديما وأكثروا فيها القول نسيبا وتشبيبا . والأطلال : ما بقى من آثار الديار : الواحد طلل (بالتحريك) . وللشعراء فى الأطلال وقفات ذكروا فيها بغرامهم وحبهم وحسرتهم على أيام خلت .

(٦) الرسوم : آثار الديار .

(٧) « أسكنوك الرحال » الخ . أى وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك فى أشعارهم . ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب فى الشعر من ذكر العيس ، ومناداة الأطلال ؛ وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا ، فلقد كانوا يصدرون فى ذلك عما يحيط بهم ؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئا .

خزان أسوان

قال هذين البيتين فى العام الذى أسس فيه خزان أسوان ونقص فيه الفيضان

(١٩٠٢ م)

أَنْكَرَ النِّيلُ مَوْقِفَ الخَزّان ... فَانْثَنَى قافِلًا إلى السُّودانِ[٤]

راعَه أنْ يَرَى على جانِبَيْه ... رَصَدًا مِنْ مَكايِدِ الإنْسانِ[٥]

مَعُونة الدمع

يا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لُطْ ... فًا منكَ بالباكى الحَزينْ

بارِكْ لعَبْدِكَ فى الدُّمُو ... عِ فإنّها نِعْمَ المُعِينْ

---

(٤) القافل : الراجع .

(٥) الرصد : الحافظ والحارس .

الخمريات

قال :

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

هٰذَا الظَّلامُ أَثارَ كامِنَ دائِي ... يا ساقِيَيَّ عَلَيَّ بالصَّهْباءِ (١)

بالكاسِ أو بالطاسِ أو بِاثْنَيْهِما ... أو بالدِّنانِ فإنَّ فِيهِ شِفائِي (٢)

مَشْمُولَةٍ لولا التُّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ ... تَحْرِيمِها والذَّنْبُ للقُدَماءِ (٣)

قَرِبُوا الصَّلاةَ وهُمْ سُكارَى بَعْدَ ما ... نَزَلَ الكتابُ بِحِكْمَةٍ وجَلاءِ

يا زَوْجَةَ ابْنِ المُزْنِ يا أُخْتَ الهَنا ... يا ضَرَّةَ الأَحْزانِ فى الأَحْشاءِ (٤)

يا طِبَّ (جالِينُوسَ) فى أَنْواعِه ... مالِي أَراكِ كثيرةَ الأَعْداءِ (٥)

---

(١) الصهباء : الخمر ، سميت بذلك لصهبتها ، أى حمرتها .

(٢) الطاس : إناء معروف . وذكر (اثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان ، ولو راعى اللفظ لأنثه ، لأن الكأس والطاس مؤنثان . والدنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح) وهو الجرة العظيمة . وفيه : أى فى الشراب .

(٣) المشمولة : الخمر ، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها ؛ أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال . وفى جعله الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم ، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى ، فقال : (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ، فلما لم ينته بعضهم عن ذلك حرمها الله بقوله : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وقد بسط الشاعر هذا المعنى فى البيت التالى .

(٤) المزن (بالضم) : السحاب . وابن المزن : الماء الذى ينزل منه : وجعل الخمر زوجة ابن المزن ، لأنها تمزج به . والضرة : الزوج الثانية . وجعلها ضرة الأحزان ، لأنها لا تجتمع معها فى قلب .

(٥) كلوديوس جالينوس : طبيب وفيلسوف يونانى مشهور ، ولد نحو سنة ١٣٠ م ، وتوفى نحو سنة ٢٠٠ م وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية ، فأكثر مؤلفوهم فى الطب من الأخذ عنه .

عَصَرُوكِ مِنْ خَدَّىْ سُهَيْلٍ خُلْسَةً ثُمَّ اخْتَبَأْتِ بِمُهْجَةِ الظَّلْمَاءِ[١]

فَلَبِثْتِ فيها قَبْلَ نُوحٍ حِقْبَةً وَتَدَاوَلَتْكِ أَنَامِلُ الآنَاءِ[٢]

حَتَّى أَتَاحَ اللهُ أَنْ تَتَجَمَّلِي بِيَدِ الكَرِيمِ وَرَاحَةِ الأُدَبَاءِ[٣]

يا صَاحِبِي كَيفَ النُّزُوعُ عَلَى الطِّلَا؟ وَلَقَدْ بُلِيتُ مِنَ الهُمُومِ بِدَاءِ[٤]

وَاللَّيْلُ أَرْشَدَهُ أَبُوهُ لِشِقْوَتِي وَكَذَا البَنُونَ عَلَى هَوَى الآبَاءِ[٥]

أَلَّفْتُ بَيْنَ ابْنِ السَّحَابِ وَبَيْنَهَا فَرَأَيْتُ صِحَّةَ مَا حَكَاهُ (الطَّائِي)[٦]

(صَعُبَتْ وَرَاضَ المَزْجُ سَيِّئَ خُلْقِهَا فَتَعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلْقِ المَاءِ[٧]

---

(١) سهيل : هو أجمل نجم فى السماء بعد الشعرى اليمانية ، وهو كثير الاضطراب ، ولونه يضرب إلى الحمرة ؛ قال المعرى :

وسهيل كجنة الحب فى اللو ن وقلب المحب فى الخفقان

يريد تشبيه لون الخمر بلون هذا النجم . ويريد بقوله : « ثم اختبأت » الخ : حفظها فى الدنان .

(٢) الحقبة (بالكسر) : الدهر . والآناء : جمع آن ، وهو الحين والوقت ، أى تعاقبت عليك الأزمان حينا بعد حين . يصفها فى هذا البيت بقدم العهد .

(٣) يريد أنها لا يشربها إلا كريم أو أديب ، فهى تزداد فى يديهما جمالا .

(٤) النزوع : الكف والانتهاء . والطلاء (بكسر الطاء والمد ، وقصر للشعر) : الخمر .

(٥) أبو الليل : الدهر . يريد أن الدهر أوصى ابنه بحار بنى ، فجرت الأبناء على سنن الآباء .

(٦) ابن السحاب : المطر ، أى أنه مزجها بالماء . والطائى هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المعروف .

(٧) راضه يروضه : ذلله وجعله لينا سهلا . يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها ، فكأنها اكتسبت لينه ولطفه وهذا البيت من قصيدة لأبى تمام يمدح بها يحيى بن ثابت ، ومطلعها :

قدك اتئد أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

وقال وقد بعث بها إلى محمد[1] المويلحي بك الكاتب المعروف

[نشرت فى سنة ١٩٠٠]

أَوْشَكَ الدِّيكُ أَنْ يَصيحَ ونَفْسى ... بينَ هَمٍّ وبين ظَنٍّ وحَدْس[2]

يا غلامُ ، ٱلمُدامَ وانكاسَ ، والطَّا ... سَ ، وهَيِّئْ لَنا مَكاناً كأَمْس[3]

أَطْلِقِ الشَّمسَ مِنْ غَياهِبِ هٰذا الـ ... ـدَّنِّ وٱملأْ مِنْ ذٰلكَ النُّورِ كَأْسى[4]

وأذنِ الصُّبْحَ أنْ يَلُوحَ لعَيْنِي ... سنْ سَناها فذاكَ وَقْتُ التَّحَسِّى[5]

وٱدْعُ نَدْمانَ خَلْوَتى وٱئْتِناسِى ... وتَعَجَّلْ وٱسْبِلْ سُتُورَ الدِّمَقْس[6]

وٱسقنا يا غُلامُ حتّى تَرانا ... لا نُطيقُ الكَلامَ إلّا بهَمْس

خَمْرةً قيلَ إنّهم عَصَرُوها ... منْ خُدودِ المِلاحِ فى يَوْمِ عُرْس[7]

مُذْ رَآها فَتَى العَزيزِ مَناماً ... وهو فى السِّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ ويَأْس[8]

---

(١) انظر التعريف بمحمد بك المويلحى فى الحاشية رقم ١ من ص ١٤٠

(٢) صياح الديك : كناية عن طلوع الفجر . والحدس التخمين والتوهم . والمعنى أن نفسه بين هم متيقن وهم مظنون .

(٣) المدام (بالنصب) ، أى هات المدام .

(٤) يريد "بالشمس" : الخمر ، شبهها بها فى اللون . والغياهب : جمع غيهب ، وهى الظلمة .

(٥) يريد فى هذا البيت تشبيه لونها بضوء الصبح . والسنا : النور . وتحسى الشراب : شربه شيئا بعد شىء فى مهلة .

(٦) الندمان : جمع نديم . والدمقس : الحرير أو الديباج ، ووصل الهمزة فى قوله : "وأسبل" لضرورة الوزن .

(٧) شبه الخمر فى حمرتها بحمرة خدود الحسان فى يوم العرس ، لأن خدودهن تكون فى ذلك الحين أشد احمرارا بما عليها من أصباغ .

(٨) العزيز : ملك مصر . وفتاه هو أحد الفتيين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام فى السجن ، وقد كان رأى فى منامه أنه يعصر خمرا ، وفسر له يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسقى ربه عزيز مصر خمرا ، فما لبث أن خرج من السجن ، وجعله العزيز صاحب شرابه . ويريد بهذا البيت والذى بعده أن رؤيا الخمر فى المنام أسعدت فتى العزيز بالنجاة وبخدمته للملك بعد ما كان فيه من يأس ونحس ؛ فكيف لو كان شربها ؟ !

أَعْقَبَتْهُ ٱلخَلاصَ مِنْ بَعْدِ ضيقٍ وحَبَتْهُ السُّعودَ مِنْ بَعْـدِ نَحْسِ
يا نَدِيمِي باللهِ قُـلْ لِي لِمـاذا هٰـذه الخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرِجْسِ؟[1]
هِيَ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ ، وأَبُـوها غَرْسُهُ فى الجِنانِ أَكْرَمُ غَرْسِ[2]
هِيَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْـنَ أَخْلا قِ (المُوحِّدِ) فى صَفاءٍ وأُنْسِ
خَصَّه اللهُ حيثُ يُصْبِحُ بالإقْـ ـبالِ ، والعِزِّ ، والعُلا ، حيثُ يُمْسِى

مجلس شراب

وفِتْيانِ أُنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا جُيوشَ الدُّجَى ما بينَ أُنْسٍ وأَفْراحِ
فهَبُّـوا إلى (خَمّارَةٍ) قِيلَ إنّهـا قَعِيـدَةُ خَمْرٍ تَمْـزُجُ الرُّوحَ بالرّاحِ[3]
وقالوا لهـا ، إنّا أَتَيْنَـا على ظَمًا نُحَاوِلُ وِرْدَ الراحِ رَغْمًا عَنِ اللاحِى[4]
فقامت وفى أَجْفانِها كَسَلُ الكَرَى وفى رِدْفِها وٱستَعْرَضَتْ جَيْشَ أَقْداحِ[5]

وقال أيضـا :

مَرَّتْ كَعُمْرِ الوَرْدِ بَيْنَـا أَجْتَلِي إِصْـباحَها إِذْ آذَنَتْ برواحِ[6]
لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّ المُدامِ ولَمْ أَقُمْ فى الشَّارِبِينَ بِواجِبِ الأَقْـداحِ

---

(١) الخندريس : الخمر القـديمة . والرجس : النجس .
(٢) زكية : طاهرة . وأبو الخمر : الكرم . يريد أن أصلها أكرم الأشجار فى الحدائق .
(٣) الخمارة : بائعة الخمر . ويريد بكونها "قعيدة خمر" : أنها ملازمة لها لا تفارقها . والراح : الخمر .
(٤) الظما : الظمأ (بالهمز) . واللاحى : الملائم .
(٥) الكرى : النعاس . والردف : العجز .
(٦) اجتلى الشيء : نظر إليه . وآذنت : أعلمت . شبه جلسة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد فى القصر .

والزَّهرُ يَحْثُثُ الكُئُوسَ بِلَحْظِهِ ... ويَشُوبُها بأَرِيجِهِ الفَيَّاحِ[1]
أَخْشَى عَواقِبَها وأَغْبِطُ شَرْبَها ... وأُجِيدُ مِدْحَتَها مع المُدَّاحِ[2]
وأَميلُ مِنْ طَرَبٍ إذا مالَتْ بِهِمْ ... فأَعجَبْ لنَشْوَانِ الجَوانِحِ صاحِي
أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ فإِنَّنِي ... أَفْسَدْتُ فى ذاكَ النَّهارِ صَلاحِي

وقال ؛

نَمْرَةٌ فى (بابِلٍ) قد (صُهْرِجَتْ) ... هٰكذا أَخْبَرَ (حاخام) اليَهُودْ[3]
أَوْدَعُوها جَوْفَ دَنٍّ مُظْلِمٍ ... ولَدَيْهِ بَشَّرُوها بالخُلُودْ
سَأَلُوا الكُهَّانَ عَنْ شارِبِها ... وعَنِ السَّاقِي وفى أىِّ العُهُودْ؟
فأَجابُوهُمْ ، فَتًى ذو مِرَّةٍ ... مِنْ بَنِي مِصْرٍ له فَضْلٌ وجُودْ[4]
مُغْرَمٌ بالعُودِ والنَّاىِ مَعًا ... مُولَعٌ بالشُّرْبِ والنَّاسُ هُجُودْ[5]
هَمُّه فَصْدُ دِنانٍ ونَدًى ... وأَبوهُ هَمُّه جَمْعُ النُّقُودْ[6]

---

(١) يحث : يحث . يقول : كأن الزهر بألحاظه يوحى إلى الشاربين والسقاة بالإسراع فى إدارة الكئوس . وشاب الشيء يشوبه : خلطه . وأريج الزهر : نفحة ريحه .

(٢) عواقبها : أى عواقب المدام ؛ ويريد أنه لا يشربها . والشرب : الشاربون .

(٣) بابل : ناحية بالعراق منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . وصهرجت ، يريد أنها حفظت فى الصهاريج ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذى وجدناه أن " الصهرجة " هى أن يطلى الحوض بالصاروج ، وهى النورة ؛ وليس هذا مرادا هنا . ويريد "بإخبار حاخام اليهود" أنها قد ورد ذكرها فى الكتب القديمة ؛ وفى هذا دليل على قدمها .

(٤) المرة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة) : القوة والعزيمة .

(٥) الهجود : النيام .

(٦) فصد الدنّ : ثقبه وإهراق ما به من خمر ، تشبيها له بفصد العرق .

ذِكرَى مجلس شراب

بعث بها من السودان إلى بعض أصدقائه من مصر

فِتْيَةَ الصَّهْبَاءِ خَيْرَ الشَّارِبِينْ ... جَدَّدُوا باللهِ عَهْدَ الغَائِبِينْ
وَاذْكُرُونِي عند كاسَاتِ الطِّلَا ... إِنَّنِي كنتُ إِمامَ المُدْمِنِينْ (١)
وإِذا ما اسْتَنْهَضَتْكُمْ لَيْلَةً ... دَعْوَةُ الخَمْرِ فَثُورُوا أَجْمَعِينْ (٢)
رُبَّ لَيْلٍ قد تَعَاهَدْنَا عَلَى ... ما تَعَاهَدْنَا وكُنَّا فاعِلِينْ
فَقَضَيْنَاهُ ولَمْ نَخْفِلْ بما ... سَطَّرَتْ أَيْدِي الكِرَامِ الكَاتِبِينْ (٣)
بَيْنَ أَقْدَاحٍ وَرَاحٍ عُتِّقَتْ ... ورَيَاحِينٍ وِوِلْدَانٍ وعِينْ (٤)
وسُقَاةٍ صَفَّفَتْ أَكْوَابَهَا ... بَعْضُها البَلُّورُ والبَعْضُ بِلُجَيْنْ (٥)
آنَسَتْ منّا عِطَاشًا كالقَطَا ... صَادِفَتْ وِرْدًا به ماءٌ مَعِينْ (٦)
فَمَشَتْ بالكَأْسِ والطَّاسِ لَنَا ... مِشْيَةَ الأَفْرَاحِ للقَلْبِ الحَزِينْ
وتَوَاثَبْنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ ... ذَاتِ أَلْوَانٍ تَسُرُّ النَّاظِرِينْ (٧)

---

(١) الطلاء (بالكسر والمد ، وقصر للشعر) : الخمر .

(٢) ثوروا : هبوا مسرعين .

(٣) الكرام الكاتبون : الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته .

(٤) العين : جمع عيناء ، وهى الغادة الواسعة العين .

(٥) اللجين : الفضة . ويلاحظ أن فى هذا البيت عيبا من عيوب القافية يسمى (سناد الحذو) ، وهو اختلاف حركة ما قبل الردف . والردف هو حرف المد الذى هو قبل الروى .

(٦) القطا : جمع قطاة ، وهى الحمامة . والورد : المورد . والمعين : الجارى .

(٧) المشمولة : الخمر ، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها ، فهو فعيل بمعنى فاعل ، أو لأن بها عصفة كعصفة ريح الشمال .

عَمَدَ السّاقى لأنْ يَقْتُلَهَا وهى بِكْرٌ أَحْصَنَتْ منذُ سِنِينْ(١)
ثمّ لمّا أنْ رَأَى عِفَّتَهَا خافَ فيها اللهَ رَبَّ العالَمِينْ(٢)
وأَجَلْنَا الكاسَ فيما بَيْنَنَا وعَلَى الصَّهْبَاءِ بِتْنَا عاكفينْ(٣)
وشَفَيْنا النَّفْسَ منْ كُلِّ رَشًا نَطَقَتْ عَيْناهُ بالسِّحْرِ المُبِينْ(٤)
وطَوَى مَجْلِسَنا بَعْدَ الهَنَا وانْشِراحِ الصَّدْرِ تَكْبِيرُ الأَذِينْ(٥)
هٰكذا كُنّا بأَيّامِ الصَّفَا نَنْهَبُ اللّذّاتِ فى الوَقْتِ الثَّمِينْ
لَيْتَ شِعْرِى هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى منْ سَبِيلٍ لِلِّقَا أمْ لاتَ حِينْ؟(٦)

---

(١) عمد له (من باب ضرب) : قصد . و يقتلها ، أى يمزجها بالماء ؛ وأصله من قول حسان بن ثابت :

إنّ التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

وأحصنت البكر : حافظت على عفتها ؛ و إحصان الخمر هنا ؛ بقاؤها فى الدنان .

(٢) كنى بعفة الخمر فى هذا البيت عن إبائها المزج . يقول : إن الساقى لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء خاف فيها الله رب العالمين ، أى لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا .

(٣) أجلنا الكأس : أدرناها .

(٤) الرشأ (بالهمز وسهل للشعر) : ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى ؛ يريد المليح الحسن الجميل .

(٥) الأذين : المؤذن .

(٦) لات حين : أى ذهب وقت اللقاء وليس الحين حينه . و يلاحظ أن قواعد اللغة تقتضى ذكر (أو) مكان (أم) فى هذه العبارة ، فإن (أم) المتصلة لا تذكر بعد (هل) إلا شذوذا ، نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؛ و إنما تذكر مع همزة الاستفهام فى الأكثر .

الغزل

قال ترجمة عن جان جاك روسو :

[نشرا فى ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٠ م]

يَأَيُّها الحُبُّ امتزِجْ بالحَشَى ... فإنّ فى الحُبِّ حياةَ النُّفوسْ
واسلُلْ حَياةً منْ يَمينِ الرَّدَى ... أَوْشَكَ يَدْعُوها ظَلامُ الرُّمُوسْ (١)

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشرا فى سنة ١٩٠٠ م]

تَمَثَّلِي إنْ شِئْتِ فى مَنْظَرٍ ... (ياجُولِيَا) أنْكرُ فيه الغَرام (٢)
أو فَابْعَثِي قَلْبًا إلى أضْلُعٍ ... راحَ به الوَجْدُ وأَوْدَى السَّقامْ (٣)

وقال ترجمةً عنه أيضا :

[نشرت فى ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٠ م]

غُضِّى جُفُونَ السِّحرِ أو فارْحَمِي ... مُتَيَّمًا يَخْشَى نِزَالَ الجُفُونْ
ولا تَصُولِى بالقَوامِ الّذى ... تَميسُ فيه يا مُنَاى المَنُونْ (٤)
إنِّى لَأَدْرى منْكِ مَعْنَى الهَوَى ... (ياجُولِيَا) والناسُ لا يَعْرِفُونْ

(١) الرموس : القبور ، الواحد رمس . يقول : افقد الحياة بمبارحة الحب قبل أن يقطعها الموت .

(٢) يرغب فى هذا البيت إلى محبوبته أن تخلع تلك الصورة التى يحبها وتتمثل فى صورة أخرى ينكر فيها حبه إياها وغرامه بها ، ليستريح مما يقاسيه من تباريح الهوى .

(٣) أودى به : ذهب .

(٤) تميس : تتمايل وتتبختر . والمنون : الموت .

فى جُنْدِىٍّ مليح

(نشرا فى سنة ١٩٠٦ م)

ومنْ عَجَبٍ قد قَلَّدُوكَ مُهَنَّـــدًا ... وفى كلِّ لَحْظٍ منكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[1]

إذا أنتَ قد جَرَّدْتَه أَوْ غَمَـدْتَهُ ... قَتَلْتَ به واللَّحْظُ لا يَتَعَمَّـــدُ[2]

وقال :

أنا العاشقُ العانى وإن كنتَ لاتَدْرِى ... أعيذُكَ من وَجْدٍ تَغَلْغَلَ فى صَدْرِى[3]

خَلِيلَىَ هٰذا اللَّيْـــلُ فى زِيِّهِ أَتَى ... فقُمْ نَلْتَمِسْ للسُّهْدِ درْعًا منَ الصَّبْرِ[4]

وهٰـذا السُّرَى نحوَ الحِمَى يَسْتَفِزُّنا ... فهَيَّا وإِنْ كُنَّا على مَرْكَبٍ وَعْرِ[5]

خَلِيلَىَ هٰذا اللَّيْلُ قد طالَ عُمْرُهُ ... وليس له غيرُ الأَحاديث والذِّكْرِ

فهاتِ لنـا أَذْكَى حَديثٍ وَعَيْتَـهُ ... أَلَذُّ به إِنَّ الأَحاديث كالخَمْرِ[6]

وقال :

قالَتِ ٱلجَوْزاءُ حينَ رَأَتْ ... جَفْنَه قد واصَـــلَ السَّهَرَا[7]

ما لِهٰـــذا ٱلصَّبِّ فى وَلَهٍ ؟ ... أَتُراهُ يَعْشَـــــقُ ٱلقَمرا ؟[8]

---

(١) المهند : السيف .

(٢) جردته : سللته من غمده . ولا يتعمد : لا يقصد القتل . ويريد بهذا أنه لا يحاسب على ما جنى لعدم قصده .

(٣) العانى : الأسير . وتغلغل دخل وأوغل .

(٤) فى زيه : أى سواده .

(٥) السرى : السير بالليل . ويستفزنا : يستخفنا . والوعر : الصعب .

(٦) وعيته : حفظته .

(٧) الجوزاء : برج فى السماء معروف .

(٨) الوله : التحير من شدة الوجد .

وقال يتغزل فى مليح ويعرّض باحتلال الإنجليز :

ظَبْيَ الحِمى بالله ما ضَرَّكا ... إذا رَأَيْنا فى الكَرَى طَيْفَكا[1]
وما الذى تَخْشاهُ لو أنّهمْ ... قالوا فُلانٌ قد غَدَا عَبْدَكا ؟
قد حَرَّمُوا الرِّقَّ ولكنّهمْ ... ما حَرَّمُوا رِقَّ الهَوَى عِنْدَكا[2]
وأَصْبَحَتْ مِصْرُ مُرِاحًا لهم ... وأنتَ فى الأَحْشا مُرَاحٌ لَكا[3]
ما كان سَهْلًا أن يَرَوْا نِيلَها ... لو أنّ فى أَسْيافنا لَحْظَكا[4]

يقين الحُبّ

أَذِنْتُكَ تَرْتابِينَ فى الشَّمْسِ والضُّحَى ... وفى النُّورِ والظَّلْماءِ والأرضِ والسَّمَا[5]
ولا تَسْمَحِى للشَّكِّ يَخْطِرُ خَطْرَةً ... بنَفْسِكِ يَوْمًا أَنّنى لَسْتُ مُغْرَمَا

الخال

قالها فى مليح رأى خالا على غرته

سَأَلْتُهُ ما لِهٰذا الخالِ مُنْفَرِدًا ؟ ... واختارَ غُرَّتَكَ الغَرَّا له سَكَنَا ؟[6]
أَجابَنى : خافَ مِنْ سَهْمِ الجُفونِ ومِنْ ... نارِ الخُدود ؛ لِهٰذا هاجَرَ الوَطَنا[7]

---

(١) الكرى : النعاس . والطيف : الخيال الطائف فى المنام .
(٢) الضمير فى « حرموا » للإنجليز .
(٣) المراح (بضم الميم) : المأوى والمنزل . ويجوز أن يقرأ بفتحها ، بمعنى الموضع يروح القوم منه واليه . ولهم ، أى الإنجليز .
(٤) أى لم يكن من اليسير على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف لحظك الفتاك من سيوفنا .
(٥) أذنتك : أى أذنت لك . وترتابين ، أى تشكين .
(٦) الغراء (بالمد وقصر للشعر) : البيضاء .
(٧) يريد بالوطن (هنا) : خده ، لأن الخال أكثر ما يكون فيه .

رسائل الشوق

سُوَرٌ عِنْدى لَهُ مَكْتُوبَةٌ وَدَّ لَوْ يَسْرى بها الرُّوحُ الأَمِينْ[1]
إِنّنى لا آمَنُ الرُّسْلَ وَلَا آمَنُ الكُتْبَ على ما تَحْتَوِينْ
مُسْتَهِينٌ بالّذى كابَدْتُهُ وهو لا يَدْرِى بِماذا يَسْتَهِينْ[2]
أَنَا فى هَمٍّ ويَأْسٍ وأَسًى حاضرُ اللَّوْعةِ مَوْصُولُ الأَنِينْ

---

(١) الروح الأمين : جبريل عليه السلام .

(٢) يريد بقوله : « وهو لا يدرى » الخ أن محبوبه لم يكابد ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به .

الاجتماعيات

حريق ميت غمر (١)

[نشرت فى ٧ مايو سنة ١٩٠٢ م]

سائِلُوا اللَّيْلَ عنهمُ والنَّهارَا ... كيف باتَتْ نِساؤُهُمْ والعَذارَى؟

كيف أَمْسَى رَضيعُهُمْ فَقَدَ الأُ ... مَّ وكيفَ ٱصْطَلَى مع القَوْمِ نارَا؟

كيف طاحَ العَجُوزُ تحتَ جدار ... يَتَداعَى وأَسْقُفٍ تَتَجارَى؟ (٢)

رَبِّ إنّ القَضاءَ أَنْحَى عليهم ... فٱكشف الكَرْبَ وٱحْجُبِ الأَقْدارَا

ومُرِ النَّارَ أنْ تَكُفَّ أَذاها ... ومُرِ الغَيْثَ أَنْ يَسيلَ ٱنْهِمارا

أينَ طُوفانُ صاحِبِ الفُلْكِ؟ يُرْوَى ... هٰذه النّارَ ؛ فهى تَشْكُو الأُوَارا (٣)

أَشْعَلَتْ فَحْمَةَ الدَّياجِى فباتَتْ ... تَمْلَأُ الأَرْضَ والسَّماءَ شَرارا (٤)

غَشِيَتْهُمْ والنَّحْسُ يَجْرِى يَمِينًا ... ورَمَتْهُمْ والبُؤْسُ يَجْرِى يَسارا

فأَغارَتْ وأَوْجُهُ القَومِ بِيضٌ ... ثمّ غارَتْ وقد كَسَتْهُنَّ قارا (٥)

---

(١) شبت النار فى مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية فى (يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٠٢ م) (٢٢ المحرم سنة ١٣٢٠ هـ) وبقيت تأكل كل ما تأتى عليه فى هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو ؛ وهلك بسبب هذا الحريق كثيرون ، ودمر كثيرا من الدور والمحال ، ولعظم النكبة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات هذا المصاب ، وتسابق أهل الخير فجادوا بالمال الكثير ، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك ؛ وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة .

(٢) طاح : هلك . وتداعى الجدار : انقض وتهدم . وتجارى : تسابق فى السقوط .

(٣) الفلك : السفينة . وصاحبها : نوح عليه السلام . والأوار شدة الحرارة والعطش .

(٤) فحمة الدياجى : ظلمة الليل ، تشبيها لها بالفحم .

(٥) القار : الزفت .

أَكَلَتْ دُورَهُمْ فلمّا اسْتَقَلَّتْ ... لَمْ تُغَادِرْ صغارَهُمْ والكِبارا[1]

أَخْرَجَتْهُمْ مِنَ الدِّيارِ عُراةً ... حَذَرَ المَوْتِ يَطْلُبونَ الفرارا

يَلْبَسُونَ الظَّلامَ حتّى إذا ما ... أَقْبَلَ الصُّبْحُ يَلْبَسُونَ النَّهارا

حُلَّةً لا تَقِيهِمُ البَرْدَ والحَـ ... ـرَّ ولا عَنْهُمُ تَرُدُّ الغُبارا

أيّها الرَّافِلُونَ فى حُلَلِ الوَشْـ ... ـيِ يَجُرُّونَ للذُّيُولِ افْتِخارا[2]

إنّ فَوْقَ العَراءِ قَوماً جِياعاً ... يَتَوارَوْنَ ذِلَّةً وانْكِسارا[3]

أيُّهذا السَّجِينُ لا يَمْنَعِ السَّجْـ ... ـنُ كَرِيماً مِنْ أنْ يُقِيلَ العِثارا[4]

مُرْ بِأَلْفٍ لهم وإنْ شِئْتَ زِدْها ... وأَجِرْهُمْ كما أَجَرْتَ النَّصارَى[5]

قد شَهِدْنا بالأَمْسِ فى مِصْرَ عُرْساً ... مَلأَ العَيْنَ والفُؤادَ ابْتِهارا[6]

سالَ فيه النُّضارُ حتّى حَسِبْنا ... أن ذاكَ الفِناءَ يَجْرِى نُضارا[7]

باتَ فيه المُنَعَّمُونَ بلَيْلٍ ... أَجْمَلَ الصُّبْحَ حُسْنُه فَتَوارَى

---

(١) استقلت : أى عدّت ما أحرقته من الدور قليلا .

(٢) وقل فى ثوبه : اختال فيه وتبختر . وحلل الوشى : الثياب المنقوشة .

(٣) العراء : الفضاء . ويتوارون : يستترون .

(٤) يريد بالسجين المنشاوى باشا الثرى المعروف ، وكان إذ ذاك مسجونا لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين اتهموا بسرقة بعض المواشى من مزرعة سمو الخديو عباس حلمى الثانى ، حتى اضطرهم إلى الإقرار بما سرقوا بتأثير العذاب وكان ذلك فى سنة ١٩٠٢ م . والعثار : الشر والمكروه . وإقالته : دفعه عمن نزل به .

(٥) يشير إلى أن المنشاوى كان قد أجار كثيرا من الأوربيين وحماهم من أذى المصريين فى الثورة العرابية ، وأنزلهم بيته

(٦) ابتهارا : يريد عجبا . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة هذا اللفظ بهذا المعنى . وهذا العرس الذى يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك من كريمة على فهمى باشا وقد أقيم مهرجان عظيم بدار على فهمى باشا مكث ثلاث ليال من ليلة الأربعاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٠٢ م إلى ليلة الجمعة ٢ مايو من السنة نفسها .

(٧) الفناء : ساحة الدار .

يَكْتَسُون السُّرورَ طَوْراً وطورا ... فى يَدِ الكَأْس يَخْلَعُون الوَقارا
وسَمِعْنا فى (ميت غَمْرٍ) صِياحاً ... مَلأَ البَرَّ ضَجَّـــةً والبِحارا
جَلَّ مَنْ قَسَّمَ الحُظوظ ؛ فهٰذا ... يَتَغَنَّى وذاكَ يَبْـكِى الدِّيارا
رُبَّ لَيْلٍ فى الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْساً ... وسُعوداً وعُسْـرَةً ويَسـارا

إلى الأرض[1]

[بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢ م]

أَتَسُوكِ الدِّماء فوق الدماءِ ... وأَرَوْكِ العـداء بَعْـدَ العـداءِ[2]
فلَبِسْتِ النَّجيعَ مِن عَهْد قابيـ ... ـلَ وشـاهَدْتِ مَصْرَعَ الأَبْرِياءِ[3]
فَلَكِ العُذْرُ إِنْ قَسَوْتِ وإِنْ خُنْـ ... ـتِ وإِنْ كُنْتِ مَصْدَراً للشَّقاءِ[4]
غَلِطَ النّاسُ ؛ ما طَغَى جَبَلُ النَّا ... رِ بإرسـال نَفْثَـةٍ فى الهَواءِ[5]
أَحْرَجُوا صَـدْرَ أُمِّه فَأَرَاهُـمْ ... بعضَ ما أَضْمَرَتْ مِنَ البُرَحاءِ

---

(١) المـارتنيك : هى إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية ، وبها كثير من الفوهات (البركانية) . ويشير الشاعر إلى الثوران (البركانى) الذى حدث فيها ، والذى لم يشهد العالم مثله فى شدته وكثرة ضحاياه ، وذلك فى ٨ مايو سنة ١٩٠٢م .

(٢) أتسوك : يخاطب الأرض . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم إلى اليوم .

(٣) النجيع : الدم . وقابيل : هو ابن آدم عليه السلام ، وهو الذى قتل أخاه هابيل وقصتهما مشهورة ورد ذكرها فى القرآن .

(٤) نفثة جبل النار : ما يقذف به البركان من نيران .

(٥) أمه : أى الأرض . ويريد بالبرحاء : نار الضغن والحقد .

أَسْخَطُوهَا فصـابَرَتْهمْ زَماناً ثمّ أَنْحَتْ عليهـمُ بالجـزاءِ[1]
أيّها الناسُ إنْ يَكُنْ ذاكَ سُخْطُ الـ أَرْضِ، ماذا يَكونُ سُخْطُ السَّماءِ
إنّ فى عُلْوِ مَسْرَحًا للْقـادِيـ ـرِ وفى الأرضِ مَكْمَنًا للقَضاءِ[2]
فاتّقوا الأَرْضَ والسَّماءَ سـواءً واتّقوا النّـارَ فى الثَّرَى والفَضاءِ

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

[نشرت فى سـنة ١٩٠٣ م]

رَجَعْتُ لنَفْسِى فاتَّهَمْتُ حَصاتِى ونادَيْتُ قَوْمِى فاحْتَسَبْتُ حَياتِى[3]
رَمَوْنى بعُقْمٍ فى الشَّبابِ وليْتَنى عقِمْتُ فلَمْ أَجْزَعْ لقَوْلِ عُداتِى[4]
وَلَدْتُ ولمّـا لَمْ أَجِدْ لعَرائِسى رجالًا وأَكْفاءً وَأَدْتُ بَنـاتِى[5]
وسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفْظًا وغايةً وما ضِقْتُ عن آىٍ به وعظاتِ[6]
فكيفَ أُضيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ وتَنْسيقِ أسمـاءٍ لمُخْتَرعاتِ؟

---

(١) صابرتهم : أى طاولتهم فى الصبر . وأنحت عليهم بالجزاء : أقبلت عليهم به .

(٢) فى علو : أى فى أعلى ، وهو بسكون اللام وضم الواو وكسرها وفتحها ، يريد السماء .

(٣) رجعت لنفسى : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت إلى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بمقدرتى ، وكدت أصدق ما رموني به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصروني فلم أجد منهم سميعا ، فادخرت حياتى عند الله .

(٤) العداة : الأعداء . يقول اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

(٥) يريد « بالعرائس » : الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية

(٦) الآى : جمع آية .

أنا البَحْرُ فى أَحْشائِه الدُّرُّ كامِنٌ ... فهل سَأَلُوا الغَوَّاصَ عن صَدَفاتِي

فيا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وتَبْلَى محاسِنِي ... ومِنْكُمْ وإنْ عَزَّ الدَّواء أُساتِي[1]

فلا تَكِلُونِى للزّمانِ فإنّنى ... أَخافُ عليكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي[2]

أَرَى لِرِجالِ الغَرْبِ عِزًّا ومَنْعَةً ... وكَمْ عَزَّ أَقْوامٌ بعِـزِّ لُغَـاتِ[3]

أَتَوْا أَهْلَهُمْ بالمُعْجِزاتِ تَفَنُّنًا ... فيا لَيْتَكُمْ تأتونَ بالكَلِمَـاتِ!

أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جانِبِ الغَرْبِ ناعِبٌ ... يُنادِى بِوَأْدِى فى رَبِيعِ حَياتِي؟[4]

ولو تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يوما عَلِمْتُمُ ... بِمـا تَحْتَـه مِنْ عَثْرَةٍ وشَتَاتِ[5]

سَقَى اللهُ فى بَطْنِ الجَزِيرةِ أَعْظُمًا ... يَعِز عليهـا أَنْ تَلِينَ قَنَـاتِي![6]

حَفِظْنَ ودادِى فى البِلَى وحَفِظْتُه ... لهنّ بقَلْبٍ دائمِ الحَسَـرَاتِ

وفَاخَرْتُ أَهلَ الغَرْبِ والشرقُ مُطْرِقٌ ... حَيـاء بتلكَ الأَعْظُمِ النَّخَرَاتِ[7]

أَرَى كُلَّ يومٍ بالجَرائِدِ مَزْلَقًا ... مِنَ القَـبْرِ يُدْنِينِى بغَـيْرِ أَنَاةِ[8]

---

(١) الأساة : جمع الآسى ، وهوالطبيب .

(٢) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

(٣) يقال : هو فى منعة ، أى فى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٤) الناعب : المصوت بما هو مستكره . ربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .

(٥) زجر الطير : هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به . فإن ولاك فى طيرانه ميامنه تفاءلت به خيرا ، وإن ولاك ميامره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجردفى عليكم من السقوط والانحلال .

(٦) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد بالأعظم » : من دفن فى الجزيرة من العرب الأولين .

(٧) النخرات : البالية المتفتتة .

(٨) المزلق : مكان الانزلاق ، أى السقوط والزلل . والأناة : التأنى والابطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .

وأَسْمَعُ للكُتَّاب فى مِصْرَ ضَجَّةً ... فأَعْلَمُ أنّ الصّائحين نُعاتِى (١)

أَيَهْجُرُنى قومى — عفى اللهُ عنهم — ... إلى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُواةٍ؟ (٢)

سَرَتْ لُوثَةُ الإفْرَنْجِ فيها كما سَرَى ... لُعابُ الأَفاعى فى مَسِيلِ فُرات (٣)

فجاءَتْ كثَوْبٍ ضَمَّ سَبْعِين رُقْعَةً ... مُشَكَّلَةَ الأَلْوانِ مُخْتَلِفاتِ

إلى مَعْشَرِ الكُتَّابِ والجَمْعُ حافِلٌ ... بَسَطْتُ رَجائى بَعْدَ بَسْطِ شَكاتى (٤)

فإمّا حَياةٌ تَبْعَثُ المَيْتَ فى البِلَى ... وتُنْبِتُ فى تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفاتِى (٥)

وإمّا مَماتٌ لا قيامةَ بَعْدَهُ ... مَماتٌ لعمرى لَمْ يُقَسْ بمماتِ

زواج الشيخ على يوسف (٦) صاحب (جريدة المؤيد)

قالها ينعى فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية ، وما يراه من فوضى الرأى وقلة الثبات عليه

[نشرت فى سبتمبر سنة ١٩٠٤ م]

حَطَمْتُ اليَراعَ فلا تَعْجَبِى ... وعفْتُ البَيانَ فلا تَعْتُبِى (٧)

فما أنت يامصرُ دارَ الأديب ... ولا أنتِ بالبَلَدِ الطَّيِّب

(١) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٢) لم تتصل برواة : أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التغيير كما هو الشأن فى العربية ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

(٣) اللوثة (بالضم) : عدم الابانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب . (٤) الشكاة : الشكوى .

(٥) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ؛ يريد ما بقى من الجسد بعد الموت .

(٦) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودّة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنته صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد فى بيت البكرى من غير علم الأب ، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة فى النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه فى دفتر الأشراف ، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج فى أغسطس سنة ١٩٠٤ م ، فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائى الشرعى فى محكمة مصر الشرعية الكبرى فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أوّل أكتوبر سنة ١٩٠٤ م ، وكان لهذه القضية ثورة فى الرأى العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء .

(٧) حطمت : كسرت . واليراع : القلم : وعاف الشىء يعافه : كرهه . والخطاب لمصر فى هذا البيت وما يأتى بعده .

وكم فيـــك يامصرُ منْ كاتِب ... أَقالَ الـيَراعَ ولَمْ يَكْتُبِ [1]

فلا تَعْذُليني لهـــذا السُّكوت ... فقد ضاقَ بي منْك ما ضاقَ بي

أيُعْجبُني منـــك يومَ الوفاق ... سُكوتُ الجَمـاد ولَعْبُ الصَّبي؟ [2]

وكَمْ غَضب الناسُ منْ قَبْلِنـا ... لسَلْب الحُقـــوق ولَمْ نَغْضَب

أَنابِتَـةَ العَصْرِ إن الغَريب ... مُجِـدٌّ بِمصرَ فـــلا تَلْعَبي [3]

يقولون : في النَّشْءِ خيرٌ لنـا ... وللنَّشءِ شَرٌّ من الأَجْنَـبي

أفي (الأَزْبَكية) مَثْوَى البَنين ... وبَيْنَ المساجِدِ مَثْوَى الأَبِ ؟ [4]

(وكم ذا بِمِصْرَ من المُضْحكات) ... كما قال فيهـا (أَبُو الطَّيِّب) [5]

أُمُـورٌ تَمُـرُّ وعَيْشٌ يُمُـرّ ... ونحن من اللَّهْـو في مَلْعَب [6]

وشَعْبٌ يَفرُّ من الصالحات ... فرارَ السَّـليم من الأَجْرَب

وصُحْفٌ تَطِنُّ طَنِينَ الذُّباب ... وأُخْرَى تَشُنُّ على الأَقْرَب [7]

---

(١) أقال اليراع : أعفاه من أن يكتب به .

(٢) يشير الشاعر « بيوم الوفاق » إلى الاتفاق الذى تم بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ م ، والذى أباح لفرنسا بعض امتيازات فى مراكش فى مقابل إطلاق يد الإنجليز فى مصر .

(٣) النابتة : الناشئة .

(٤) المثوى : موضع الثواء ، وهو الإقامة . يريد أن الشباب فى الملاهى ، والآباء فى المساجد .

(٥) يشير إلى قول أبى الطيب المتنبى من قصيدة له فى هجاء كافور :

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحـــك كالبكا

(٦) عيش يمر : أى يصير مرا .

(٧) طنين الذباب : صوته . وتشن على الأقرب : تصب عليه غارتها من كل جهة . ويريد «بالأقرب» : أبناء الوطن .

وهٰـذا يَلُوذُ بقَصْرِ الأَمـير ... ويَدْعو إلى ظـلِّه الأَرْحَب[1]
وهٰـذا يَلُوذُ بقَصْرِ السَّـفير ... ويُطْنِبُ فى وِرْده الأَعْـذَب
وهٰـذا يَصيحُ مَعَ الصّائحين ... على غيرِ قَصْـدٍ ولا مَأْرَب
وقالوا : دَخيلٌ عليـه العَفاء ... ونِعْمَ الدَّخيـلُ على مَذْهَـبى[2]
رآنا نِيامًا ولَمّا نُفِـقْ ... فَشَمَّـرَ للسَّـعْى والمَكْسَب
وماذا عليـه إذا فاتَنـا ... ونَحْنُ على العَيْش لَم نَدْأَب[3]
أَلِفْنـا الخُمُولَ ويا لَيْتَنـا ... أَلِفْنـا الخُمُولَ ولَم نَكْذِب

*
* *

وقالوا : (المؤيَّدُ) فى غَمْرَةٍ ... رَماهُ بهـا الطَّمَعُ الأَشْعَبى[4]
دَعاهُ الغَرامُ بِسِنِّ الكُهول ... بِجُنَّ جُنُـوناً بِبِنْت النَّبى[5]
فضَجَّ لهـا العَرْشُ والحامِلُوه ... وضَجَّ لهـا القَبْرُ فى يَثْرِب[6]
ونادَى رجالٌ بإِسْـقاطِه ... وقالوا : تَلَوَّنَ فى المَشْرَب[7]

---

(١) الأرحب : المتسع . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعـده إلى انقسام الرأى السياسى فى مصر ، ففريق مع الخديو ، وآخر يناصر دار العميد الإنجليزى ، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

(٢) يريد « بالدخيل » : الأجانب الذين أصابوا فى مصر حظا من الثروة لم يصبه أهلها . والعفاء : البلى والاندثار

(٣) دأب فى عمله : جدّ فيه واستمر عليه .

(٤) يريد «بالمؤيد» : صاحبه الشيخ على يوسف . والغمرة : ما يغمر الإنسان ويشمله من الشدائد ؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدّة بما أثير حوله فى قضية الزوجية . والأشعبى : نسبة إلى أشعب ، وهو رجل من الموالى بالمدينة كان شديد الطمع فضرب به المثل ، فقيل « أطمع من أشعب » .

(٥) بسن الكهول : أى فى سن الكهول ؛ ويريد « ببنت النبى » : السيدة صفية ، وهى من أسرة السادة الوفائية .

(٦) لها : أى لهذه الحادثة . و يثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٧) يريد « بالمشرب » : المذهب أو الطريقة ؛ وهو معنى مولد .

وعَدُّوا عليه من السَّيِّئات ... ألوفًا تَدُورُ مع الأَحْقُبِ[١]
وقالوا لَصِيقٌ بِبَيْت الرَّسول ... أَغارَ على النَّسَبِ الأَنْجَبِ[٢]
وزَكَّى (أبو خَطْوَةٍ) قَوْلَهُمْ ... بِحُكْمٍ أَحَدَّ من المَضْرَبِ[٣]
فما للتَّهانى على داره ... تَساقَطُ كالمَطَرِ الصَّيِّبِ ؟[٤]
وما للوُفُود على بابِه ... تَزُفُّ البشائرَ فى مَوْكِبِ ؟
وما للخَلِيفة أَسْدَى إليه ... وساماً يَلِيقُ بصَدْرِ الأَبِى؟[٥]
فيا أمةً ضاقَ عن وَصْفها ... جَنَانُ المُفَوَّهِ والأَخْطَبِ[٦]
تَضيعُ الحقيقةُ ما بَيْنَنا ... ويَصْلَى البَرِىءُ مع المُذْنِبِ؟[٧]
ويُهْضَمُ فينا الإمامُ الحكيمُ ... ويُكرَمُ فينا الجَهُولُ الغَبِى
على الشَّرْق منِّى سَلامُ الوَدُود ... وإنْ طَأْطَأَ الشَّرْقُ للمَغْرِب
لقد كان خصْبًا بجَدْب الزّمان ... فأَجْدَبَ فى الزَّمَنِ المُخْصِب[٨]

---

(١) الأحقب : السنون ، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما) . وتدور مع الأحقب ، أى تبقى على الدهر .

(٢) اللصيق بالقوم : الداخل فيهم وليس منهم .

(٣) أبو خطوة : هو الشيخ أحمد أبو خطوة قاضى المحكمة الذى حكم حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج . والمضرب (بكسر الراء وفتحها) : السيف ، والجمع مضارب .

(٤) داره : أى دار الشيخ على يوسف . والصيب : المنهمر المتدفق .

(٥) يشير إلى ما ناله الشيخ على يوسف من الرتب والأوسمة من الدولة العثمانية . والأبى (بتشديد الياء ، وخففت للشعر) : الذى لا يرضى الدنية أنفة وكبرا .

(٦) الجنان : القلب . والمفوه : المنطيق . وينعى الشاعر على الأمة أخلاقها ، فيناهى تعد على الشيخ على يوسف السيئات ، وترميه بالتقلب فى الرأى . وتنكر عليه زواجه ، إذا بها تتوافد على داره وترف إليه التهانى .

(٧) يصلى يعذب .

(٨) يقول : لقد كان الشرق غنيا بالحضارة والعمران فى عهد خلو العالم منهما ، فأصبح مجدبا من ذلك ، إذ الزمان خصب بهما .

الى رجال الدنيا الجديدة

أنشدها فى الحفل الذى أقامته كلية البنات الأميركية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها

فى ٢٦ مايو سنة ١٩٠٦م

أَىْ رجالَ الدُّنْيا الجَدِيدَة مُدُّوا ... لِرجالِ الدُّنْيا القَديمَة باعَا
وأَفيضُوا عليهمُ منْ أَياديـ ... ـكُمْ عُلُوما وحِكْمَةً واختِراعا
كلَّ يَوْمٍ لكمْ رَوائِعُ آثا ... رٍ تُوالُونَ بَيْنَهُنَّ تباعا
كمْ خَلَبْتُمْ عُقُولَنا بعَجِيبٍ ... وأَمَرْتُمْ زَمانَكُم فأطاعَا
وبَذَرْتُمْ فى أَرْضِنا وزَرَعْتُمْ ... فَرَأَيْنا ما يُعْجِبُ الزُّرّاعا
ولَمَحْنا منْ نُورِكُمْ فى نَوَاصِى ... حَفْلَة اليَوْمِ لَمْعَةً وشُعاعا
وشَهِدْنا منْ فَضْلِكُمْ أَثَرًا فيـ ... ـها يَرُوقُ العُيونَ والأَسْماعا
لَيْتَنا نَقْتَدى بِكُمْ أو نُجارِيـ ... ـكُمْ عَسَى نَسْتَرِدُّ ما كانَ ضَاعا
إِنّ فِينَا لَوْلا التَّخاذُلُ أَبْطا ... لًا إذا ما هُمُ ٱستَقَلُّوا اليَراعا[1]
وعُقولًا لولا الخُمُولُ تَوَلّا ... ها لفاضَتْ غَرابَةً وٱبتِداعا
ودُعاةً للخَيْرِ لو أَنْصَفُوهُمْ ... مَلَأُوا الشَّرْقَ عِزَّةً وٱمتِناعا
كاشِفَ الكَهْرَباء لَيْتَكَ تُعْنَى ... بٱختراعٍ يَرُوضُ مِنَّا الطِّباعا[2]
آلةٍ تَسْحَقُ التَّواكُلَ فى الشَّرْ ... قِ وتُلْقِى عن الرِّياء القِناعا

(١) استقلوا اليراع : أى حملوا الأقلام .

(٢) يروض الطباع : أى يسوسها ويذللها بعد جماحها .

قـد مَلأنا وُقُوفَنا فيه نَبْكِي حَسَبًا زائلًا ومَجْـدًا مُضاعا
وسَمِعْنا مَقالَهُمْ كان زَيْدٌ عَبْقَـريًّا وكان عَمْرٌو شُجاعا
لَيْتَ شِعْرِى مَتَى تُنازِعُ مِصْرٌ غَيْرَها المَجْـدَ فى الحَياةِ نِزاعا
ونَراها تُفاخِرُ النَّاسَ بالأَحْـ ـياءِ فَخْرًا فى الخافِقَيْنِ مُذاعَا[1]
(أرض كُولُمْبَ) أىّ نَبْتَيْكِ أَغْلَى قِيمةً فى المَلَا وأَبْقَى مَتاعا ؟[2]
أَرِجالٌ بِهِمْ مَلَكْتِ المَعالِى أَمْ نُضارٌ به مَلَكْتِ البِقاعا ؟[3]
لاعَداكِ السَّماءُ والخِصْبُ والأَمْـ ـنُ ولا زِلْتِ للسَّلامِ رِباعا
طالِعِى الكَوْنَ وانظُرِى مادَهاهُ إنَّ رُكْنَ السَّلامِ فيه تَداعَى[4]

مدرسة « المرحوم » مصطفى كامل

أنشدها فى الحفل الذى أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين
من تلاميذها فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ م

سَمِعْنا حَدِيثًا كقَطْرِ النَّـدَى يُجَـدِّدُ فى النَّفْسِ ما جَدَّدا[5]
فَأَضْحَى لآمالِنا مُنْعِشًـا وَأَمْسَى لآلامِنا مُرْقِـدا
فَدَيْنـاكَ يا شَرْقُ لا تَجْزَعَنْ إذا اليـومُ وَلَّى فراقِبْ غَدَا

(١) الخافقان : المشرق والمغرب .
(٢) أرض كولمب : يريد أميركة ، أضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولمب .
(٣) النضار : الذهب . يشير إلى كثرة الذهب فى أميركة .
(٤) طالعى الكون : انظرى إليه . وتداعى : تهدم .
(٥) يريد « بالحديث » : ما قيل فى الحفل من خطب وأشعار .

فكم مِحْنَةٍ أَعْقَبَتْ مِحْنَـــةً ... ووَلَّتْ سِراعًا كَرَجْعِ الصَّدى

فلا يُيْئِسَنَّكَ قِيلُ العُـــداة ... وإِنْ كان قِيـــلًا كَحَزِّ المُدَى[1]

أَتُودَعُ فيكَ كُنُوزُ العُـــلوم ... ويَمْشِى لكَ الغَرْبُ مُسْتَرْفِدا ؟[2]

وتُبْعَثُ فى أَرْضِـــكَ الأَنْبِياء ... ويأتِى لك الغَرْبُ مُسْتَرْشِدا ؟

وتَقْضى عليكَ قُضاةُ الضَّلال ... طوالَ اللَّيالى بأنْ تَرْقُـــدا ؟

أَتَشْقى بعهْـــدٍ سَمَـا بالعُـلوم ... فأَضْحَى الضَّعيفُ بهـا أَيِّدَا ؟[3]

إِذا شـاءَ بَزَّ السُّهَا ســـرَّه ... وأَدْرَكَ منْ جَرْيِه المَقْصِـــدا[4]

وإِنْ شـاءَ أَدْنَى إِليه النُّجوم ... فنـاجَى المَجَـــرَّةَ والفَرْقَـــدا[5]

وإِنْ شـاءَ زَعْزَعَ شُمَّ الجِبال ... فخَـــرَّتْ لأقدامـــه سُجَّـــدا[6]

وإِنْ شـاءَ شاهَـــد فى ذَرَّة ... عَوالمَ لَمْ نَحْىَ فيهـا سُـــدَى[7]

---

(١) قيل العداة : قولهم . والمدى (بالضم) : جمع مدية ، وهى السكين .

(٢) المسترفد : طالب الرفد (بكسر الراء) وهو العطاء .

(٣) الأيد (بتشديد الياء) : القوى ؛ من الأيد (بفتح الهمزة وسكون الياء) بمعنى القوّة . يقول : أتشقى أيها الشرق بحرمانك من العلوم والمعارف فى زمن فاض فيه العلم ، وأخذت كل أمة منه بحظ حتى أصبح الضعيف ذا قوّة بسببه ، بما اكتسب من علمه .

(٤) بز : غلب . والسها : كوكب صغير خفى الضوء فى بنات نعش ، والناس يمتحنون به أبصارهم لخفاء ضوئه . يقول : إذا شاء ذو العلم سلب من هذا النجم سره المكتوم ، وجعله ظاهرا للناس يعرفون من أمره ما يعرفون من الكائنات التى يدركونها بحواسهم . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا إليه من اكتشافات فى هذا العلم .

(٥) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ ولهذا يشبهها الأدباء بالنهر ، فيقولون : نهر المجرة . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، جمعه فراقد .

(٦) شم الجبال : ما علا منها وشمخ ، الواحد أشم . ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التى تنسف الجبال .

(٧) الذرة : واحدة الذر (بفتح الذال) ، وهو الهباء المنبث فى الهواء . ويشير بهذا البيت إلى المنظار المكبر للأشياء ، المعروف بالمكرسكوب ونحوه . ويريد « بالعوالم » : عوالم (الميكروبات) الجراثيم .

زمانٌ تُسَخَّرُ فيه الرِّياح ... ويَغْدُو الجَمادُ به مُنْشِدا[1]
وتَعْنُو الطَّبيعةُ للعارفين ... بمَعْنَى الوُجود وسرِّ الهُدَى[2]
إذا ما أَهابُوا أَجابَ الحَديد ... وقامَ البُخارُ له مُسْعِدا[3]
وطارَتْ إليهِمْ مِنَ الكَهْرَبا ... بُرُوقٌ على السِّلْكِ تَطْوِى المَدَى[4]
أَيَجْمُلُ مِنْ بَعْدِ هٰذا وذاك ... بأنْ نَسْتَكِينَ وأنْ نَجْمُدا[5]
وها أُمَّةُ (الصُّفْرِ) قد مَهَّدَتْ ... لنا النَّهْجَ فاسْتَبِقُوا المَوْردا[6]
فيأيُّها الناشِئُون اعْمَلُوا ... على خَيْرِ مِصْرٍ وكُونُوا يَدَا[7]
ستُظْهِرُ فيكُمْ ذَواتُ الغُيوب ... رِجالا تَكونُ لمصرَ الفِدا[8]
فياليتَ شِعْرِىَ مَنْ مِنْكُمُ ... إذا هِىَ نادَتْ يُلَبِّي النِّدا
لكَ اللهُ يا (مُصْطَفَى) مِن فَتًى ... كثيرِ الأَيادِى ، كثيرِ العِدا
إذا ماحَمِدْتُكَ بين الرِّجال ... فأنتَ الخَلِيقُ بأنْ تُحْمَدا
سَيُحْصِى عليكَ سِجِلُّ الزَّمان ... ثَناءً يُخَلِّدُ ما خُلِّدا
ويَهْتِفُ بِاسْمِكَ أبْناؤُنا ... إذا آنَ للزَّرْعِ أنْ يُحْصَدا

---

(١) يشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الطائرات ؛ وبالشطر الثانى إلى الحاكى .

(٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) أهاب به : دعاه . ومسعدا : معينا

(٤) المدى : المسافة على نوعيها من زمنية أو مكانية . ويشير بهذا البيت إلى الآلتين المعروفتين بالبرق (التلغراف) والمسرة (التليفون) .

(٥) نستكين : نذل ونخضع .

(٦) يريد « بأمة الصفر » : اليابانيين ؛ وسموا بذلك للونهم . والنهج : الطريق . واستبقوا المورد أى سبقوا غيرهم من أمم الشرق إلى الارتشاف من مناهل العلوم والمعارف .

(٧) كونوا يدا : عبارة يراد بها اتحاد الكلمة واجتماع الرأى كأنهم فرد واحد .

(٨) ذوات الغيوب : أى الأقدار التى فى عالم الغيب .

إلى (ناظر) المعارف (الزعيم) سعد زغلول باشا

[نشرت فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ م]

مالى أَرَى بَحْـــرَ السِّـيا سَـــة لابَنِى جَزْرًا ومَـــدًّا؟[١]
وأَرَى الصَّحائِفَ أَيْبَسَـــتْ ما بَيْنَنَـا أَخْـــذًا وَرَدًّا؟[٢]
هٰـــذا يَرَى رَأْىَ العَميـــ ـدِ وذا يَعُـــدُّ عليـــه عَدّا[٣]
وأَرى الوِزارةَ تَجْتَـــنِي مِنْ مُرِّ هٰذا العَيْشِ شُهْدا[٤]
نامَتْ بِمِصْـــرَ وأَيْقَظَتْ لحوادِثِ الأَيَّامِ (سَـــعدا)[٥]
فَطَرَحْتُهـا وســـأَلْتُ عنـ ـهُ فقيل لى : لَمْ يَأْلُ جُهْدا
يا (سَـــعْدُ) أنتَ (مَسِيحُها) فٱجعَل لهٰـــذا المَوْت حَدّا[٦]
يا (سَعْدُ) إنّ (بِمِصْر) أَيْـ ـتامًا تُؤَمِّلُ فيـكَ سَـــعْدا
قـــد قامَ بينهـــمُ وبَيْـ ـنَ العِـــلْمِ ضيقُ الحال سَدّا

---

(١) ينى : يبطئ .

(٢) أيبست ما بيننا : أى قطعت ما بيننا من مودة ؛ ويستعار اليبس للتقاطع ؛ يقال قد يبس ما بينهما : إذا تقاطعا ، كما يستعار البلل للتواصل .

(٣) يريد أن ساسة مصر فريقان : فريق يوافق عميد الدولة الإنجليزية على ما يرى ، وفريق آخر يعد مساويه فى مصر .

(٤) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسعاد أنفسهم .

(٥) نامت : أى الوزراة .

(٦) شبهه بالمسيح فى أن معجزاته إحياء الموتى ، قال تعالى حكاية عن عيسى عله السلام : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) .

ما زلتُ أرجـــو أنْ أَرا ... كَ أباً وأنْ ألقـاكَ جَـــدّا
حـــتّى غَـــدَوتَ أباً لَه ... أضْحَتْ عيـالُ القُطْـــرِ وُلْدا
فاردُدْ لنـا عَهْـــدَ (الإما ... مِ) وكُنْ بنـا الرَّجُلَ المُفَدَّى[1]
أنا لا أَلُـومُ المُسْتَشـــا ... رَ إذا تَعَـلَّلَ أوْ تَصَـــدَّى[2]
فسَـــبِيلُه أنْ يَسْتَبِـــ ... ـدَّ وشأْنُنَا أن نَسْـــتَعِدّا
هِيَ سُـــنةُ المُحْتَـــلِّ فى ... كُلِّ العُصورِ وما تَعَـــدَّى

الحث على معاضدة مشروع الجامعة

أنشدها فى الحفل الذى أقامه محفل الصدق الماسونى فى دار التمثيل العربى ، وخصص إيراده لمشروع الجامعة المصرية

نشرت فى ١٩ مارس سنة ١٩٠٧ م

إنْ كُنتُمُ تَبْذُلُونَ المـالَ عَنْ رَهَبٍ ... فنَحْنُ نَدْعُوكُمُ لِلبَـــذْلِ عن رَغَبِ
ذرَّ الكَتَاتِيبَ مُنْشِيها بلا عَـــدَدٍ ... ذَرَّ الرَّمادِ بِعَيْنِ الحـاذِقِ الأَرِب[3]
فأَنْشَأُوا أَلْفَ كُـتّابٍ وقد عَلِمُوا ... أنّ المَصابِيحَ لا تُغْنِي عن الشُهُبِ
هَبُوا الأَجِيرَ أو الحَرّاثَ قد بَلَغَـا ... حَـــدَّ القِراءَةِ فى صُحْفٍ وفى كُتُبِ

(١) يريد « بالإمام » المرحوم الشيخ محمد عبده .

(٢) يريد بالمستشار : المستر (دانلوب) الإنجليزى ، مستشار المعارف إذ ذاك . وتعلل : تصنع العلل والمعاذير المانعة من نشر العلم فى البلاد المصرية . وتصدى : تعرض للصلحين بالمنع .

(٣) الأرب : البصير الماهر . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الإنجليزى لنظارة المعارف والعميد الإنجليزى إذ ذاك من إلهاء المصريين وتسكينهم بإكثار الكتاتيب الصغيرة فى القرى والمدن عن أن يطلبوا إلى الحكومة إنشاء جامعة على نسق الجامعات الأوربية .

مَنِ المُداوِي إذا ما علَّة عَرَضَتْ ؟ مَنِ المُدافِعُ عَنْ عِرْضٍ وعَنْ نَشَبِ ؟ (١)
ومَنْ يَرُوضُ مياهَ النيلِ إنْ جَمَحَتْ وأَنْذَرَتْ مِصْرَ بالوَيْلاتِ والحَرَبِ ؟ (٢)
ومَنْ يُوَكَّلُ بالقِسْطاسِ بَيْنَكُمُ ؟ حتّى يُرَى الحقُّ ذا حَوْلٍ وذا غَلَبِ (٣)
ومَنْ يُطِلُّ على الأفلاكِ يَرْصُدُها بين المَناطِقِ عن بُعْدٍ وعن كَثَبِ ؟ (٤)
يَبِيتُ يُنْبِئُنا عمّا تَنُمُّ به سَرائِرُ الغَيْبِ عَنْ شَفّافَةِ الحُجُبِ
ومَنْ يَبُزُّ أَدِيمَ الأَرْضِ ما رَكَزَتْ فيها الطَّبِيعةُ مِنْ بِدْعٍ ومِنْ عَجَبِ ؟ (٥)
يَظَلُّ يَنْشُدُ مِنْ ذَرّاتِها نَبَأً ضَنَّتْ به الأَرْضُ فى ماضٍ من الحُقُبِ (٦)
ومَنْ يُمِيطُ ستارَ الجَهْلِ إنْ طُمِسَتْ مَعالِمُ القَصْدِ بين الشَّكِّ والرِّيَبِ ؟ (٧)
فما لَكُمْ أيُّها الأَقْوامُ جامِعَةٌ إلا بجامِعَةٍ مَوْصولَةِ السَّبَبِ (٨)
قد قامَ (سَعْدٌ) بها حِيناً وأَسْلَمَها إلى (أَمِينٍ) فلَمْ يُحْجِمْ ولَمْ يَهَبِ (٩)

---

(١) النشب (بالتحريك) : المال . ويشير بهذا البيت والأبيات السبعة بعده إلى طوائف المتخرجين من الجامعة على اختلافهم : من أطباء ، ومحامين ، ومهندسين ، وقضاة ، وفلكيين ، وعلماء بطبقات الأرض ، ومعلمين .

(٢) يروض مياه النيل : يقوم على تصريفها وتدبير أمرها ، ولا يدعها تغرق البلاد بطغيانها . وأصله من رياضة الدواب ، وهو تذليلها بعد صعوبتها ونفورها .

(٣) القسطاس (بكسر القاف وضمها) : ميزان العدل ؛ قيل هو رومى معرب . والحول : القوة .

(٤) يرصدها : يرقبها . والكثب (بالتحريك) : القرب .

(٥) يبز : يسلب . وأديم الأرض : وجهها . وركزت ، أى طوت وخبأت . والبدع : الذى لا مثيل له .

(٦) ينشد : يطلب .

(٧) يميط : يكشف . وطمست : أمحت واندثرت . ومعالم القصد : العلامات التى تبين طريقه وتدل عليه . يقول : إن هذا العالم الذى يبحث فى طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب فى كل ذرة من ذراتها سرا كتمته ولم تبح به فى غابر الأزمان لجهل الماضين بما فى باطن الأرض من عجائب .

(٨) يريد بالجامعة (الأولى) : الرابطة التى تربط الأمة وتجمع طوائفها . و بالجامعة (الثانية) : ذلك المعهد المعروف .

(٩) يريد المرحوم سعد زغلول باشا ، وكان من أقوى أنصار فكرة إنشاء الجامعة المصرية والساعين فى تحقيقها ، فلما أسندت إليه (نظارة) المعارف أسلم أعمال الجامعة إلى المرحوم قاسم بك أمين .

فعاونوه يعاونكم على عمل ... فيه الفخار وما ترجون من أرب
وبينوا لرجال الغرب أنكم ... إذا طلبتم بلغتم غاية الطلب
لا تلجئوا فى العلا إلا إلى همم ... وثابة لا تبالى همة النوب
فإن تأميلكم فى غيركم وهن ... فى النفس يرمى عنان السعى والدأب (١)
إن قام منا مناد قال قائلهم ... لا تصخبوا فهلاك الشعب فى الصخب (٢)
أو نابنا حادث نرجو إزالته ... قال استكينوا وخلوا سورة الغضب (٣)
فما سمونا إلى نجد نحاوله ... إلا هبطنا إلى غور من العطب (٤)
يا مصر هل بعد هذا اليأس متسع ... يجرى الرجاء به فى كل مضطرب؟ (٥)
لا نحن موتى ولا الأحياء تشبهنا ... كأننا فيك لم نشهد ولم نغب!
نبكى على بلد سال النضار به ... للوافدين وأهلوه على سغب (٦)
متى نراه وقد باتت خزائنه ... كنزا من العلم لا كنزا من الذهب
هذا هو العمل المبرور فاكتتبوا ... بالمال إنا اكتتبنا فيه بالأدب (٧)

---

(١) الوهن : الضعف . والدأب : الاجتهاد فى الأمر والاستمرار عليه .

(٢) الصخب (بالتحريك) : شدة الأصوات واختلاطها .

(٣) استكينوا : استذلوا . وسورة الغضب : حدته .

(٤) النجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : ما اطمأن منها وانخفض . والعطب : الهلاك .

(٥) المضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويجيئون فى أمور حياتهم . يقول : هل بعد هذا اليأس من فسحة تتسع فيها آمال مصر فى جميع مناحى الحياة ومذاهبها .

(٦) النضار : الذهب . والسغب : الجوع .

(٧) استعمال «الاكتتاب» بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة ، استعمال شائع فى كلام أهل العصر ، وهو استعمال مجازى ، وأصله من قولهم : اكتتب فلان ، إذا كتب اسمه فى ديوان السلطان . ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسماؤهم فى سجل مخصوص ، لذلك صح أن يجوز فى ذلك ويعبر عن جمع الأموال بالاكتتاب .

سـورية ومصـر

أنشدها فى الحفل الذى أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بصندق شهد

نشرت فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨ م

لِمِصْرَ أم لِرُبُوعِ الشَّأمِ تَنْتَسِبُ ؟ هُنا العُلَا وهُنالكَ المَجْدُ والحَسَبُ[١]

رُكْنَان للشَّرْقِ لا زالَتْ رُبُوعُهُما قَلْبُ الهِلالِ عليها خافِقٌ يَجِبُ[٢]

خِدْران للضّادِ لَمْ تُهْتَكْ سُتُورُهُما ولا تَحَوَّل عن مَغْناهُما الأدَبُ[٣]

أُمُّ اللُّغـاتِ غَداة الفَخْرِ أُمُّهُما وإنْ سألْتَ عن الآباءِ فالعَرَبُ[٤]

أَيَرْغَبَانِ عن الحُسْنَى وبَيْنَهُما فى رائِعاتِ المَعالِى ذلكَ النَّسَبُ ؟[٥]

وَلَا يَمُتَّانِ بالقُرْبَى وبَيْنَهُما تلكَ القَرابَةُ لَمْ يُقْطَعْ لها سَبَبُ ؟[٦]

إذا أَلَمَّتْ بِوادِى النِّيلِ نازِلَةٌ باتَتْ لها راسِياتُ الشَّأمِ تَضْطَرِبُ[٧]

وإنْ دَعَا فى ثَرَى الأهْرامِ ذُو أَلَمٍ أَجابَهُ فى ذُرَا لُبْنانَ مُنْتَحِبُ[٨]

---

(١) أى انتسب إلى أى الأمتين شئت ، فكلتاهما فى العلا والحسب سواء .

(٢) وجب يجب وجبا ووجيبا : اضطرب ؛ وهو هنا كناية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لها والحرص عليهما . والهلال : شعار الدولة العثمانية .

(٣) الضاد : كناية عن اللغة العربية : والمغنى : المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) يريد أن الأمتين تجمع بينهما أمومة واحدة وهى اللغة ، وأبوة واحدة ، وهم العرب .

(٥) يرغبان عن الحسنى : ينصرفان عن حسن الجوار . ورائعات المعالى : ما ظهر منها ووضح .

(٦) مت إليه بكذا : توسل إليه به .

(٧) ألمت : نزلت : وراسيات الشام : جبالها .

(٨) ذرا لبنان : مرتفعاته وأعاليه ، الواحد ذروة .

لو أَخْلَصَ النِّيلُ والأُرْدُنَّ وُدَّهما ... تَصافَحَتْ منهما الأَمْواهُ والعُشُبُ (١)

بالوادِيَيْنِ تَمَشَّى الفَخْرُ مِشْيَتَه ... يَحُفُّ ناحِيَتَيْه الجُودُ والدَّأَبُ (٢)

فسالَ هٰذا سَخاءً دونَه دِيَمٌ ... وسالَ هٰذا مَضاءً دونَه القُضُبُ (٣)

نسيمَ لُبْنانَ كَمْ جادَتْكَ عاطِرَةٌ ... مِن الرِّياضِ ولَمْ حَيّاكَ مُنْسَكِبُ

فى الشَّرْقِ والغَرْبِ أَنْفاسٌ مُسَعَّرَةٌ ... تَهْفُو إليكَ وأَكْبادٌ بها لَهَبُ (٤)

لولا طِلابُ العُلا لم يَبْتَغُوا بَدَلًا ... مِنْ طِيبِ رَيّاكَ لٰكنّ العُلا تَعَبُ (٥)

كَمْ غادَةٍ بِرُبُوعِ الشّامِ باكِيَةٍ ... على أَلِيفٍ لها يَرْمِى به الطَّلَبُ (٦)

يَمْضِى ولا حِيلَةٌ إلّا عَزِيمَتُه ... ويَنْثَنِى وحُلاهُ المَجْدُ والذَّهَبُ (٧)

يُكِرُّ صَرْفُ اللَّيالِى عنه مُنْقَلِبًا ... وعَزْمُه لَيْسَ يَدْرِى كيفَ يَنْقَلِبُ (٨)

بِأَرْضِ (كُولُمْبَ) أَبْطالٌ غَطارِفَةٌ ... أُسْدٌ جِياعٌ إذا ما وُوثِبُوا وَثَبُوا (٩)

---

(١) الأردن : نهر بفلسطين معروف . الأمواه : جمع ماء .

(٢) الدأب (بالتحريك) : الجد والاجتهاد .

(٣) الديم من السحب : جمع ديمة ، وهى الدائمة المطر . والقضب : السيوف القواطع ، الواحد قضيب ، فعيل بمعنى فاعل . يشير بالشطر الأول إلى وادى النيل ، وبالشطر الثانى إلى وادى الأردن .

(٤) مسعرة : ملتهبة من الشوق . وتهفو : تميل . ويشير إلى حنين رجال لبنان النائين عن وطنهم فى أنحاء الأرض طلبا للرزق .

(٥) الريا : الرائحة الطيبة .

(٦) الغادة : الفتاة المتثنية لينا ونعومة . « ويرمى » الخ ، أى يقذف . طلب الرزق فى أنحاء البلاد .

(٧) يقول : إن هذا الطالب يذهب على وجهه غير مرتد إلا بعزيمة صادقة ، ويعود متحليا بحلل المجد ، موفور الثراء والغنى .

(٨) « يكر صرف الليالى عنه » الخ ، يقول : إن نوائب الأيام ترتد عنه منقلبة وعزمه ثابت ماض فى سبيله لا يتغير ولا يتبدل .

(٩) أرض كولمب : أميركة أضيفت إلى مكتشفها . والغطارفة : السادة الشرفاء والسراة من الناس ، الواحد غطريف وغطراف . ويريد رجال لبنان المهاجرين إلى أميركة . وإذا ما ووثبوا وثبوا ، أى إذا اعتدى عليهم انتصفوا لأنفسهم . والمواثبة بين الخصمين : أن يثب كل منهما على صاحبه .

لَمْ يَحْمِهِمْ عَلَمٌ فيها ولا عَدَدٌ ... سِوَى مَضاءِ تَحامَى وِرْدَهُ النُّوَبُ (١)

أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فى البَحْرِ مُرْتَحِلٌ ... وجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فى البَرِّ مُغْتَرِبُ (٢)

لهُمْ بكُلِّ خِضَمٍّ مَسْرَبٌ نَهِجٌ ... وفى ذُرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلَكٌ عَجَبُ (٣)

لَمْ تَبْدُ بارِقَةٌ فى أُفْقِ مُنْتَجَعٍ ... إلّا وكان لها بالشامِ مُرْتَقِبُ (٤)

ماعابَهُمْ أَنَّهُمْ فى الأَرضِ قد نُثِرُوا ... فالشُّهْبُ مَنْثُورَةٌ مُذْ كانت الشُّهُبُ

ولَمْ يَضِرْهُمْ سُرَاءٌ فى مَنَاكِبِها ... فكلُّ حَيٍّ له فى الكَوْنِ مُضْطَرَبُ (٥)

رَادُوا المَنَاهِلَ فى الدُّنْيا ولو وَجَدُوا ... إلى المَجَرَّةِ رَبْعًا صاعِدًا رَكِبُوا (٦)

أو قيلَ فى الشمسِ للراجِينَ مُنْتَجَعٌ ... مَدُّوا لها سَبَبًا فى الجوِّ وانْتَدَبُوا (٧)

سَعَوْا إلى الكَسْبِ مَحْمُودًا ومافَتِئَتْ ... أُمُّ اللُّغاتِ بذاكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ (٨)

فأينَ كان الشَّآمِيُّونَ كان لها ... عَيْشٌ جَدِيدٌ وفَضْلٌ ليسَ يَحْتَجِبُ

---

(١) تحامى : تلحامى ، لحذف إحدى التاءين للتخفيف . ويريد بقوله : « لم يحمهم علم » : أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم اللذين ترتد عنهما نوائب الأيام كليلة مهزومة .

(٢) يقولون : إنهم لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمل البعيد والعمل للرزق فى كل مكان .

(٣) الخضم : البحر . والمسرب : الطريق . والنهج (بتسكين الهاء) من الطرق الواضح المسلوك منها ؛ وحرك الهاء بالفتح لضرورة الوزن . « وذرا كل طود » ، أى أعالى كل جبل .

(٤) المنتجع : مكان الانتجاع ، أى طلب الرزق . يقول : إنه قد بلغ من سعيهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تنبىء بوجوده فى مكان إلا وجدت من رجال الشام من يرقبها ويسبق الناس إليها .

(٥) السرى (مقصورا ومد للشعر) : السير بالليل . ومناكب الأرض : نواحيها . والمضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويجيئون .

(٦) رادوا : طلبوا . والمناهل : الموارد .

(٧) انتدب فلان للأمر : خف إليه .

(٨) يريد بقوله : « وما فتئت » الخ : أنهم ينشرون اللغة حيثما حلوا ؛ وفى ذلك كسب لها .

هٰذى يَدى عن بَنِي مِصرٍ تُصَافِحُكُمْ ... فصافِحُوها تُصافِحْ نَفْسَها العَرَبُ
فما الكَنَانَةُ إلّا الشامُ عاجَ على ... رُبُوعِها مِنْ بَنِيها سادَةٌ نُجُبُ[1]
لولا رِجالٌ تَغالَوْا فى سِياسَتِهِمْ ... مِنّا ومِنْهُمْ لَمَا لُمْنا ولا عَتَبُوا[2]
إنْ يَكْتُبوا لِي ذَنْبا فى مَوَدَّتِهِمْ ... فإنّما الفَخْرُ فى الذّنْبِ الذى كَتَبُوا[3]

فى الحث على معاضدة مشروع الجامعة

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى «مسرح برنتانيا» فى ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م

حَيّاكُمُ اللهُ أَحْيُوا العِلْمَ والأَدَبا ... إنْ تَنْشُرُوا العِلْمَ يَنْشُرْ فيكُمُ العَرَبا[4]
ولا حَياةَ لَكُمْ الّا بجامِعَةٍ ... تكونُ أُمًّا لطُلّابِ العُلَا وأَبَا
تَبْنِي الرِّجالَ وَتَبْنِي كُلَّ شاهِقَةٍ ... مِنَ المَعالِي وَتَبْنِي العِزَّ والغَلَبا
ضَعُوا القُلُوبَ أَساسًا لا أقولُ لكُمْ ... ضَعُوا النُّضارَ فإنِّي أَصْغِرُ الذَّهَبا
وآبْنُوا بأَكْبادِكُمْ سُورًا لها وَدَعُوا ... قيلَ العَدُوِّ فإنِّي أَعْرِفُ السَّبَبا[5]
لا تَقْنَطُوا إنْ قَرَأْتُمْ ما يُزَوِّقُه ... ذاكَ العَمِيدُ ويَرْمِيكُمْ به غَضَبا[6]

---

(١) عاج على المكان : مال إليه .

(٢) يقول : لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغاليهم فى ذلك ، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم

(٣) الضمير فى « مودتهم » للسوريين .

(٤) « ينشر » الخ : أى يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولا .

(٥) قيل العدو : أى قوله .

(٦) يشير إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الإنجليزية من العقبات فى سبيل إنشاء الجامعة ، وما كان يتهم به المصريين ويرميهم به من أنهم ليسوا أهلا للتعليم العالى .

وراقبـــوا يومَ لا تُغْنِي حَصـائِدُه ... فكلُّ حَيٍّ سيُجْزَى بالّذى اكتَسَبـا[١]

بَنَى على الإفْكِ أبْراجًا مُشَـــيَّدَةً ... فابْنُوا على الحَقِّ بُرْجًا يَنْطَحُ الشُّهُبـا[٢]

وجاوِبُوه بفِعْـــلٍ لا يُقَوِّضُـــه ... قَوْلُ المُفَنِّـــد أنَّى قال أو خَطَبـا[٣]

لا تَهجَعُـــوا إنّهم لَنْ يَهْجَعُوا أبَدًا ... وطالِبُوهُمْ ولٰكِنْ أجْمِلُوا الطَّلَبَـا[٤]

هل جاءكمْ نَبأ القَوْمِ الألَى دَرَجُوا ... وخَلَّفُوا للوَرَى مِنْ ذِكْرِهِمْ تَعَجَبَا[٥]

عَزَّتْ (بقُرْطاجَةَ) الأمْراسُ فارْتَهَنَتْ ... فيها السَّفِينُ وأمْسَى حَبْلُها اضطَرَبَا[٦]

والحَرْبُ فى لَهَبٍ، والقَوْمُ فى حَرَبٍ ... قد مَدَّ نَقْعُ المَنَـايا فوقَهُمْ طُنُبَا[٧]

وذُوابِهـا وجَوارِيهِـمْ مُعَطَّـــلَةٌ ... لو أنّ أهْدابَهُمْ كانتْ لهـا سَبَبَا[٨]

هُنالكَ الغِيدُ جادَتْ بالّذى بَخِلَتْ ... به دَلالًا فقامَتْ بالّذى وَجَبـا[٩]

جَزَّتْ غَدائِرَ شَعْرٍ سَرَّحَتْ سُفُنًا ... واسْتَنْقَذَتْ وَطَنًا واسْتَرْجَعَتْ نَشَبَا[١٠]

---

(١) حصائده : أى حصائد العبيد ، أى ما يقوله من الكلام الذى لا قيمة له ليثنى به العزائم عن إنشاء الجامعة .

(٢) الإفك : الكذب .

(٣) يقوضه يهدمه . والمفند : المكذب .

(٤) الضمير فى " إنهم " للإنجليز . وأجمل فى الطلب : ترفق .

(٥) درجوا : مضوا وذهبوا . ويريد « بالقوم » : أهل قرطاجنة الآتى ذكرهم .

(٦) قرطاجة : يريد قرطاجنة ، وهى مدينة على شاطىء إفريقية الشمالى بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد . والأمراس : الحبال . وعزت : قلت . ويشير بهذا البيت إلى الحرب اليونانية الثالثة التى وقعت بين الرومان والقرطاجنيين من سنة ١٤٩ ق م . إلى سنة ١٤٦ ق م والتى قلت فيها حبال السفن عند القرطاجنيين ، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشعورهن لتتخذ منها تلك الحبال .

(٧) الحرب (بالتحريك) : الهلاك والويل . والنقع الغبار . ويريد « بالطنب » : الخيام ، شبه بها غبار الحرب . والطنب (فى الأصل) : حبال الخيام .

(٨) الجوارى : السفن .

(٩) الغيد : جمع غيداء ، وهى القناة المثنية لينا .

(١٠) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر . والنشب : المال والعقار .

رأتْ حُلاها على الأَوْطانِ فابتَهَجَتْ ... ولَمْ تَحَسَّرْ على الحَلْيِ الذى ذَهَبا[1]

وزادَها ذاكَ حُسْنًا وهىَ عاطلَةٌ ... تُزْهَى على مَنْ مَشَى للحَرْبِ أو رَكِبا[2]

و (برثران) الذى حالَكَ الإباءُ له ... ثَوْبًا مِن الفَخْرِ أَبْلَى الدَّهْرَ والحِقَبا[3]

أَقامَ فى الأَسْرِ حِينًا ثمّ قِيل له : ... أَلَمْ يَئِنْ أَنْ تُفَدَّى المَجْدَ والحَسَبا؟

قُلْ وآحتَكِمْ أَنْتَ مُخْتارٌ ، فقال لهم: ... إنّا رجالٌ نُهِينُ المالَ والنَشَبا

خُذُوا القَناطِيرَ مِنْ تِبْرٍ مُقَنْطَرَةً ... يَحُورُ خازِنُكُمْ فى عَدِّها تَعَبا[4]

قالوا : حَكَمْتَ بما لا تَسْتَطِيعُ له ... حَمْلًا نَكادُ نَرَى ماقُلْتَه لَعِبا

فقال : واللهِ ما فى الحَيِّ غازِلَةٌ ... من الحِسانِ تَرَى فى فِدْيَتِى نَصَبا[5]

لو أنّهم كَلَّفُوها بَيْعَ مِغْزَلِها ... لآثَرَتْنِى وَضَحَّتْ قُوتَها رَغَبا

هٰذا هُوَ الأَثَرُ الباقى فلا تَقِفُوا ... عندَ الكلام إذا حاوَلْتُمُ أَرَبا

ودُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ ... فِيكُمْ وفى مِصْرَ إنْ صِدْقًا وإنْ كَذِبا

سَمِعْتُ أنّ امْرَأً قد كانَ يَأْلَفُهُ ... كَلْبٌ فعاشَا على الإخْلاصِ واصْطَحَبا

فمَرَّ يَوْمًا به والجُوعُ يَنْهَبُهُ ... نَهْبًا فلم يُبْقِ إلّا الجِلْدَ والعَصَبا

---

(١) « رأت حلاها على الأوطان » أى رأت غدائرها تبذل فى الدفاع عن الوطن . ويحسر : تحسر .

(٢) الضمير فى قوله : " زادها " للعيد . « وترهى » : تختال وتفتخر .

(٣) حالك . نسج . وبرثران : قائد فرنسى ولد سنة ١٧٧٣ م . ودخل الخدمة العسكرية سنة ١٧٩٢ م ضابطا . وجاء مع نابليون إلى مصر حيث جعله قائدا للدفعية . وقد صحب نابليون إلى (جزيرة ألبا) ثم إلى (جزيرة سنت هيلانة) حيث لبث معه (إلى سنة ١٨٢١م ؛ وكانت وفاته سنة ١٨٤٤ م وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة فى الأبيات الآتية .

(٤) التبر : الذهب . ويحور : يضعف ويفتر .

(٥) النصب : التعب .

فظَلَّ يَبْكِى عليــه حينَ أَبْصَرَه ... يَزُولُ ضَعْفًا ويَقْضِى نَحْبَه سَغَبا[1]

يَبْكِى عليه وفى يُمْنَــاهُ أَرْغِفَةٌ ... لو شامَها جائِعٌ من فَرْسَخٍ وَثَبا[2]

فقال قَــوْمٌ وقــد رَقُّوا لِذِى أَلَمٍ ... يَبْكِى ، وذِى أَلَمٍ يَسْتَقْبِلُ العَطَبا[3]

ما خَطْبُ ذا الكَلْبِ ؟ قال : الجُوعُ يَخْطِفُه ... مِنِّى ويُنْشِبُ فيه النــابَ مُغْتَصِبا

قالوا وقد أَبْصَرُوا الرُّغْفَانَ زَاهِيَةً : ... هٰــذَا الدَّواءُ فهَلْ عالَجْتَــه فأَبَى ؟

أَجابَهُمْ ودَواعِى الشُّحِّ قد ضَرَبَتْ ... بين الصَّدِيقَينِ مِنْ فَرْطِ القِلَى حُجُبا[4]

لٰذلكَ الحَــدُّ لَمْ تَبْلُغْ مَوَدَّتُنــا ... أَمَا كَفَى أَنْ يَرَانى اليومَ مُنْتَحِبا

هٰذى دُموعِى على الخَدَّيْنِ جارِيَةً ... حُزْنًا وهٰذا فُؤادى يَرْتَعِى لَهَبا

أَقْسَمْتُ باللهِ إِنْ كانتْ مَوَدَّتُنــا ... كصاحِبِ الكَلْبِ ساءَ الأَمْرُ مُنْقَلَبا[5]

أُعِيذُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَه فتَرَى ... منكُمْ بُكاءً ولَا تُلْفِى لكم دَأَبا[6]

إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ فى أَوْطانِكُمْ فلَكُمْ ... أَجْرُ المُجاهِدِ ، طُوبَى لِلَّذى اكْتَتَبا

---

(١) سغبا : جوعا .

(٢) شامها : نظر إليها .

(٣) يريد بذى الألم الأول : صاحب الكلب . وبذى الألم الثانى : الكلب . والعطب : الهلاك .

(٤) القلى : البغض والكراهية .

(٥) المنقلب : المرجع والمصير .

(٦) الدأب : الجد والاجتهاد .

رعاية الأطفال

أنشدها فى الحفل الذى أقامته هذه الجمعية فى (الأوبرا) فى ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م

شَبَحًا أَرَى أَمْ ذاكَ طَيْفُ خَيالِ ؟ لا ، بَلْ فَتاةٌ بالعَـــرَاءِ حِيَالِى[١]
أَمْسَتْ بِمَدْرَجَةِ الخُطُوبِ فما لَها راعٍ هُنـاكَ وما لَهـا مِنْ وَالِى[٢]
حَسْرَى ، تَكادُ تُعِيدُ فَحْمَةَ لَيْلِها نارا بأَنّات ذَكَيْنَ طِـــوالِ[٣]
ما خَطْبُها ، عَجَبا ، وما خَطْبِى بِها ؟ مالِى أُشَاطِـرُها الوَجِيعَـةَ مالِى[٤]
دانَيْتُها ولصَوْتِها فى مسْـــمَعِى وَقْعُ النِّبـالِ عَطَفْنَ إِثْرَ نِبالِ[٥]
وسأَلْتُها : مَنْ أَنْت ؟ وهىَ كأَنّها رَسْمٌ على طَلَلٍ مِن الأَطْلالِ[٦]
فتَمَلْمَلَتْ جَزَعا وقالت : حامِلٌ لَم تَدْرِ طَعْمَ الغَمْضِ مُنْـذُ لَيالِى
قد ماتَ والِدُها ، وماتَتْ أُمُّها ومَضَى الحِمـــامُ بعَمِّها والخالِ[٧]
وإِلى هُنا حَبَسَ الحَياء لِسـانَها وجَرَى البُكاءُ بدَمْعِها الهَـطَّالِ
فَعلِمْتُ ما تُخْفِى الفَتَاةُ ، وإِنّمـا يَحْنُـــو على أَمْثالِها أَمْثالى

(١) العراء (بفتح العين) : الفضاء الذى لايستتر فيه بشىء .

(٢) مدرجة الخطوب : أى طريق النوائب .

(٣) ذكين : أى توقدن واشتعلن .

(٤) ما خطبها : أى ما شأنها .

(٥) عطفن : رجعن .

(٦) الرسم : أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال فى التحول والضآلة .

(٧) الحمام : الموت .

ووَقَفْتُ أَنْظُرُها ، كأنّى عابدٌ ... فى هَيْكَلٍ يرنُو إلى تِمْثَالِ[١]

ورأيْتُ آياتِ الجمَالِ تَكَفَّلَتْ ... بزَوالِهِنَّ فَوادِحُ الأَثْقَالِ[٢]

لا شىءَ أَفْعَلُ فى النُّفوسِ كقامةٍ ... هَيْفاءَ رَوَّعَها الأَسَى بهُزَالِ

أو غادَةٍ كانتْ تُريكَ إذا بَدَت ... شَمْسَ النَّهارِ فأَصْبَحَتْ كالآلِ[٣]

قلتُ : انهَضِى، قالت: أَينهَضُ مَيِّتٌ ... مِنْ قَبْرِهِ ويَسيرُ شَنٌّ بالى[٤]

فحَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظْمِها وكأنّنى ... حُمِّلْتُ حينَ حَمَلْتُ عُودَ خلال

وطَفِقْتُ أَنْتَهِبُ الخُطا مُتَيَمِّمًا ... باللَّيلِ (دارَ رعايةَ الأَطفالِ)[٥]

أَمْشى وأَحْمِلُ بأسَيْنِ : فطارقٌ ... بابَ الحياةِ ومؤذِنٌ بزوالِ[٦]

أَبْكيهما وكأَنَّما أنا ثالثٌ ... لَهُما من الإشْفاقِ والإعْوالِ[٧]

وطَرَقْتُ بابَ الدارِ لا مُتَهَيِّبًا ... أَحَدًا ولا مُتَرَقِّبًا لسُؤَالِ

طَرْقَ المُسافِرِ آبَ مِنْ أَسْفارِهِ ... أو طَرْقَ رَبِّ الدارِ غيرَ مُبالِى

وإذا بأَصْواتٍ تَصيحُ : ألَا افْتَحوا ... دَقّاتُ مَرْضَى مُدْلِجينَ عِجالِ[٨]

---

(١) يرنو : ينظر .

(٢) يريد « بفوادح الأثقال » : نوائب الدهر التى لا تحتمل لثقلها .

(٣) الآل : السراب .

(٤) الشن : القربة الخلق البالية .

(٥) أنتهب الخطا : أى أسرع فى السير . ومتيما : قاصدا .

(٦) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد « بالمؤذن الزوال » : أمه .

(٧) الإعوال : البكاء

(٨) المدلجون : السائرون بالليل . والعجال : المسرعون .

وإذا بأَيْدٍ طاهِراتٍ عُوِّدَتْ ... صُنْعَ الجَمِيلِ تَطَوَّعَتْ فى الحالِ
جاءَتْ تُسابِقُ فى المَبَرَّةِ بَعْضُها ... بعضًا لوَجْهِ اللهِ لا للمالِ
فتَناوَلَتْ بالرِّفْقِ ما أنا حامِلٌ ... كالأُمِّ تَكْلَأُ طِفْلَها وتُوالِى[1]
وإذا الطبِيبُ مُشَمِّرٌ وإذا بِها ... فوقَ الوسائِدِ فى مكانٍ عالِى
جاءُوا بأَنْواعِ الدَّواءِ وطَوَّفُوا ... بسَرِيرِ ضَيْفَتِهِمْ كبَعْضِ الآلِ
وجَثَا الطَّبِيبُ يَجُسُّ نَبْضًا خافِتًا ... ويَرُودُ مَكْمَنَ دائِها القَتّالِ[2]
لَمْ يَدْرِ حِينَ دَنَا لَيَبْلُوَ قَلْبَها ... دَقّاتِ قَلْبٍ أمْ دَبِيبَ نِمالِ؟[3]
ودَّعْتُها وتَرَكْتُها فى أهلِها ... وخَرَجْتُ مُنْشَرِحًا رَضِىَّ البالِ
وعَجَزْتُ عن شُكْرِ الذين تَجَرَّدُوا ... للباقِياتِ وصالِحِ الأَعْمالِ[4]
لم يُخْجِلُوها بالسُّؤالِ عن اسْمِها ... تِلكَ المُرُوءَةُ والشُّعُورُ العالِى
خيرُ الصَّنائِعِ فى الأنامِ صَنِيعَةٌ ... تَنْبُو بحامِلِها عن الإذْلالِ[5]
وإذا النَّوالُ أَتَى ولَمْ يُهْرَقْ له ... ماءُ الوُجُوهِ فذاكَ خَيْرُ نَوالِ
مَنْ جادَ مِنْ بَعْدِ السؤالِ فإنّه ... — وهو الجَوادُ — يُعَدُّ فى البُخّالِ
لله دَرُّهُمُ فكَمْ مِنْ بائِسٍ ... جَمَّ الوَجِيعةِ سَيِّئِ الأَحْوالِ

---

(١) تكلأ : تحفظ وتحرس . وتواليه : تتعهده وتحنو عليه .

(٢) جثا يجثو : جلس على ركبتيه . والخافت : الضعيف . ويرود : يطلب ويتعرف . ومكمن : حيث يختفى الداء من جسمها .

(٣) يبلو : يختبر .

(٤) تجرد للأمر : أخلى نفسه له . والباقيات : المآثر التى تبقى بعد صاحبها .

(٥) الصنيعة : الإحسان . « وتنبو بحاملها » الخ ، أى تبعد بمن تقلدها عن الذل .

تَرْمِى به الدُّنْيا ، فمِنْ جُوعٍ ، إلى عُرْيٍ ، إلى سُـــقْمٍ ، إلى إقْلالِ
عَيْنٌ مُسَـــهَّدَةٌ وقَلْبٌ واجِـــفٌ نَفْـــسٌ مُرَوَّعَـــةٌ وجَيْبٌ خالِى[1]
لَمْ يَـــدْرِ ناظِرُه أَعُـــرْيانا يَرَى أَمْ كاسِياً فى تِلْكُمُ الأَسْمالِ ؟[2]
فـكأنّ ناحِلَ جسْمِـــه فى ثَوْبِه خَلْفَ الخُـرُوقِ يُطِلُّ منْ غِرْبالِ
يا بَرْدُ ، فاحمِلْ ، قد ظَفِرْتَ بأَعْزَلٍ يا حَـــرُّ ، تِلكَ فرِيسَةُ المُغْتالِ[3]
يا عَيْنُ سُحّى ، يا قُـلُوبُ تَفَطَّرِى يا نَفْسُ رِقّى يا مُـــرُوءَةُ وَالِى
لولاهُـــمُ لَقَضَى عليـــه شَقاؤُه وخَـــلَا المَجَالُ لخاطِفِ الآجالِ[4]
لولاهُـــمُ كانَ الرَّدَى وَقْفًـــا على نَفسِ الفَقِيرِ ثَقِيـــلَةِ الأَحْمالِ
للّٰهِ دَرُّ السـاهِرِينَ عـــلى الأُلَى سَـــهِرُوا منَ الأَوْجاعِ والأَوْجالِ[5]
القـائِمين بخَـــيرِ ما جاءَتْ بـــه مَدَنِيّـــةُ الأَدْيانِ والأَجْيـــالِ
أَهْـــلِ اليَتِيمِ وكَـهْفِه وحُمَاتِهِ ورَبِيـعِ أَهلِ البُؤْسِ والإمْحَـالِ[6]
لا تُهْمِلُوا فى الصّـالحات فإنّكمْ لا تَجْهَلُونَ عَواقِبَ الإهْمَـالِ

---

(١) مسهدة : ساهرة . والواجف : الخائف . والمروعة : المفزعة .

(٢) الأسمال : الخرق البالية .

(٣) الأعزل : الذى لا سلاح معه . ويريد به العارى من الثياب . يقول : أيها البرد احمل على هذا العارى وهاجمه فليس لديه ما يتقيك به .

(٤) خاطف الآجال : الموت

(٥) الأوجال : المخاوف .

(٦) الكف : الملجأ والمحتمى . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للبائسين بمنزلة الربيع أى خصب وخير . والإمحال : الجدب .

إِنِّى أَرَى فُقَرَاءَكُمْ فى حاجَةٍ — لو تَعْلَمُونَ — لِقائِلٍ فَعّالِ
فَتَسابَقُوا الخَيْراتِ فهىَ أَمامَكُمْ مَيْدانُ سَبْقٍ لِلْجَوادِ النّالِ[1]
والمُحْسِنُون لهُمْ على إِحْسانِهِمْ يومَ الإِثابَةِ عَشْرَةُ الأَمْثالِ[2]
وجَزاءُ رَبِّ المُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ عَدٍّ وعَنْ وَزْنٍ وعَنْ مِكْيالِ

مدرسة البنات ببورسعيد

أنشدها فى حفل أقيم ببور سعيد فى ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإعانة تلك المدرسة

كَمْ ذا يُكابِدُ عاشِقٌ ويُلاقِى فى حُبِّ مِصْرَ كثِيرَةِ العُشّاقِ
إِنِّى لَأَحْمِلُ فى هَوَاكِ صَبابَةً يامِصْرُ قد خَرَجَتْ عن الأَطْواقِ[3]
لَهْفِى عليكِ مَتَى أَراكِ طَلِيقَةً يَحْمِى كَرِيمَ حِماكِ شَعْبٌ راقِى
كَلِفٌ بِمَجْمُودِ الخِلالِ مُتَيَّمٌ بالبَذْلِ بين يَدَيْكِ والإِنْفاقِ[4]
إِنّى لَتُطْرِبُنِى الخِلالُ كَرِيمَةً طَرَبَ الغَرِيبِ بأَوْبَةٍ وتَلاقِى
وتَهُزُّنِى ذِكْرَى المُرُوءَةِ والنَّدَى بين الشمائِلِ هِزَّةَ المُشْتاقِ
ما البابِلِيَّةُ فى صَفاءِ مِزاجِها والشَّرْبُ بَيْنَ تَنافُسٍ وسِباقِ[5]

---

(١) الجواد الكريم . والنال : الكثير النائل وهو العطاء .

(٢) الاثابة : الجزاء ويشير إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .

(٣) الأطواق : جمع طوق ، وهو الجهد والطاقة .

(٤) الكلف (بفتح الكاف وكسر اللام) : الشديد الحب للشيء .

(٥) البابلية : الخمر ، نسبة إلى بابل ، وهى ناحية بالعراق كان ينسب إليها الخمر الجيد . والشرب : الشاربون ويريد « بالسباق » : المسابقة فى شرب الخمر .

والشمسُ تَبْدُو فى الكُئُوس وتَخْتَفِى ... والبَدْرُ يُشْرِقُ من جَبِينِ السَّاقِى

بأَلَذَّ من خُلُقٍ كريمٍ طاهرٍ ... قد مازَجَتْهُ سَلامَةُ الأَذْوَاقِ[1]

فاذا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً ... فقد ٱصْطَفاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزاقِ[2]

فالنَّاسُ هٰذا حَظُّه مالٌ ، وذا ... عِلْمٌ ، وذاكَ مكارمُ الأَخْلاقِ

والمالُ إنْ لَمْ تَذْخِرُهُ عُصَمَنَا ... بالعِلْمِ كانَ نِهايَةَ الإمْلاقِ[3]

والعِلْمُ إنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمائِلٌ ... تُعْلِيه كانَ مَطِيَّةَ الإخْفاقِ[4]

لا تَحْسَبَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ ... ما لَمْ يُتَوِّجْ رَبَّهُ بِخَلاقِ[5]

كم عالِمٍ مَدَّ العُلُومَ حَبائِلاً ... لوَقِيعَةٍ وقَطِيعَةٍ وفِراقِ[6]

وفَقِيهِ قَوْمٍ ظَلَّ يُرْصِدُ فِقْهَهُ ... لَمَكِيدَةٍ أو مُسْتَحَلِّ طَلاقِ[7]

يَمْشِى وقد نُصِبَتْ عليه عِمامَةٌ ... كالبُرْجِ لكنْ فَوْقَ تَلِّ نِفاقِ

يَدْعُونَهُ عندَ الشِّقاقِ وما دَرَوْا ... أنَّ الَّذى يَدْعُونَ خِدْنُ شِقاقِ[8]

وطَبِيبِ قَوْمٍ قد أَحَلَّ لِطِبِّهِ ... ما لا تُحِلُّ شَرِيعَةُ الخَلاّقِ

---

(١) ألذ : خبر لـ « ما » فى قوله السابق «ما البابلية» .

(٢) الخليقة : السجية والطبيعة .

(٣) الإملاق : الفقر .

(٤) تكتنفه : أى تحوطه وتحفظه . والشمائل الأخلاق . والإخفاق : خيبة المسعى .

(٥) الخلاق : النصيب من الصلاح والخير .

(٦) حبائل الصيد : الأشراك التى يمدها الصائد للاصطياد ، الواحدة حبالة . والوقيعة : غيبة الناس . والقطيعة ، هى قطع الصلات بين الناس بما يلقى بينهم من النمائم .

(٧) يرصد فقهه : أى يعده ويهيئه .

(٨) الخدن : الصاحب والصديق . والشقاق : الخلاف . ويريدهنا الخلاف بين الزوجين .

قَتَلَ الأَجِنَّةَ فى البُطُونِ وتارَةً ... جَمَعَ الدَّوانِقَ من دَمٍ مُهْراقِ[١]

أغْلَى وأثْمَنُ من تجارِبِ عِلْمِه ... يومَ الفَخارِ تحارِبِ الحَلّاقِ

ومُهَنْدِسٍ للنِّيلِ باتَ بكَفِّه ... مفْتاحُ رزْقِ العامِلِ المِطْراقِ[٢]

تَنْدَى وتَيْبَسُ للخَلائِقِ كَفُّه ... بالماءِ طَوْعَ الأَصْفَرِ البَرَّاقِ[٣]

لا شىءَ يَلْوِى مِنْ هَواهُ فَحَدُّه ... فى السَّلْبِ حَدُّ الخائِنِ السَّرّاقِ[٤]

وأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينُه ... قَطْعَ الأَنامِلِ أو لَظَى الإحْراقِ

يَلْهُو ويَلْعَبُ بالعُقُولِ بَيانُه ... فكأنّه فى السِّحرِ رُقْيَةُ راقِ

فى كَفِّه قَلَمٌ يَمُجُّ لُعابُه ... سُمًّا ويَنْفُثُه على الأَوْراقِ[٥]

يَرِدُ الحقائقَ وهى بِيضٌ نُصَّعٌ ... قُدْسِيَّةٌ عُلْوِيَّةُ الإشْراقِ[٦]

فَيَرُدُّها سُودًا على جَنَباتِها ... مِنْ ظُلْمَةِ التَّمْوِيهِ أَلْفُ نِطاقِ[٧]

عَرِيَتْ عن الحَقِّ المُطَهَّرِ نَفْسُه ... فَيَراعُه ثِقْلٌ على الأَعْناقِ

لو كان ذا خُلُقٍ لأَسْعَدَ قَوْمَه ... بَيانُه ويَراعُه السَّبّاقِ

---

(١) المهراق : المصب .

(٢) المطراق : الذى يكثر طرق أبواب الرزق .

(٣) تندى : تبتل . والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق : الذهب ، ويريد الرشوة .

(٤) يلوى من هواه : أى يثنيه ويصرفه عما يريد . وحده فى السلب : أى جزاؤه على الرشوة . وحد السارق : قطع اليد .

(٥) مج اللعاب من فمه : رمى به . واللعاب : الريق ، شبه المداد به . وينفثه : يخرجه .

(٦) النصع : الشديدة البياض . ويريد بقوله : « علوية الإشراق » : أن نورها من السماء .

(٧) يريد بهذا البيت والذى قبله أن هذا الكاتب يرى الحقائق ظاهرة جليه فيزورها بقلمه على القراء ويحوطها بالأكاذيب وأخيلة الشر حتى يردها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق .

مَنْ لى بتَرْبِيَةِ النِّسـاءِ ؟ فإنّهـا ... فى الشَّرقِ عِـلّةُ ذٰلكَ الإخْفاقِ[١]

الأمُّ مَدْرَسَـةٌ إذا أعْدَدْتَهـا ... أعْدَدْتَ شَـعْباً طَيِّبَ الأعْراقِ[٢]

الأمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَه الحَيَا ... بالـرِّىِّ أوْرَقَ أيَّمـا إيـراقِ[٣]

الأمُّ أُسْـتاذُ الأَسَـاتِذَةِ الأُلَى ... شَـغَلَتْ مَآثِرُهُـمْ مَـدَى الآفاقِ[٤]

أنا لا أقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوافِرًا ... بين الرِّجالِ يَجُلْنَ فى الأَسْـواقِ[٥]

يَدْرُجْنَ حيثُ أَرَدْنَ لا مِنْ وازِعٍ ... يَحْـذَرْنَ رِقْبَتَـه ولا مِنْ وَاقِ[٦]

يَفْعَلْنَ أَفْعالَ الرِّجالِ لواهِيًـا ... عَنْ واجِباتِ نَواعِسِ الأَحْداقِ[٧]

فى دُورِهِنّ شُـؤُونُهُنَّ كَـثيرةٌ ... كشُؤُون رَبِّ السَّيْفِ والمِزْراقِ[٨]

كَلَّا ولا أَدْعُوكُمُ أنْ تُسْرِفُوا ... فى الحَجْبِ والتَّضْيِيقِ والإرْهاقِ[٩]

لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمُ حُلًى وجَـواهِرًا ... خَوْفَ الضَّياعِ تُصانُ فى الأَحْقاقِ

لَيْسَتْ نِساؤكُمُ أثاثاً يُقْتَنَى ... فى الدُّورِ بَيْنَ مَخَـادِعٍ وطِبَـاقِ[١٠]

---

(١) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب .

(٢) الأعراق : الأصول : الواحد عرق .

(٣) الحيا : المطر .

(٤) « شغلت » الخ : أى ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا .

(٥) السوافر : المنكشفات الوجوه .

(٦) يدرجن : يمشين . والوازع الزاجر . والرقبة المراقبة .

(٧) نواعس الأحداق : فاترات الأجفان ؛ يريد انصرافهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن .

(٨) المزراق : الرمح ؛ يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب .

(٩) الإرهاق : الظلم .

(١٠) المخادع : الغرف ، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمها ، مع فتح الدال وسكون ما بينهما) .

تَتَشَكَّلُ الأَزْمانُ فى أَدوارِها ... دُوَلًا وهُنَّ على الجُمُودِ بَواقِ[1]
فتَوَسَّطُوا فى الحالَتَيْنِ وأَنْصِفُوا ... فالشَّر فى التّقييد والإطْلاقِ[2]
رَبُّوا البَناتِ على الفَضيلةِ إنّها ... فى المَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خيرُ وَثاقِ[3]
وعليكُمُ أنْ تَسْتَبِينَ بَناتُكُمْ ... نُورَ الهُدَى وعَلَى الحَياءِ البَاقى

ملجأ رعاية الأطفال

أنشدها فى حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا وقد استهلها بوصف القطار

نشرت فى أول فبراير سنة ١٩١١ م

صَفْحَةُ البَرْقِ أَوْمَضَتْ فى الغَمامِ ... أَمْ شِهابٌ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلامِ؟[4]
أَمْ سَلِيلُ البُخارِ طارَ إلى القَصْـ ... ـدِ فَأَعْيَا سَوابِقَ الأَوْهامِ؟[5]
مَرَّ كالمَلْحِ لَمْ تَكَدْ تَقِفُ العَيْـ ... ـنُ على ظِلِّ جِرْمِهِ المُتَرامِى[6]
أو كَشَرْخِ الشَّبابِ لَمْ يدرِ كاسِيـ ... ـهِ تَوَلَّى فى يَقْظَةٍ أو مَنامِ[7]
لا يُبالِى السُّرى إذَا اعتكَرَ اللَّيْـ ... ـلُ وخانَتْ مَواقِعُ الأَقْدامِ[8]

(١) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة .
(٢) يريد « بالحالتين » : التضييق على النساء والتوسيع عليهن .
(٣) يريد « بالموقفين » : تقييد النساء فى خدورهن وإطلاق السراح لهن . والوثاق : القيد الذى يوثق به من حبل أو نحوه .
(٤) صفحة كل شىء : وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفيفا .
(٥) يريد « بسليل البخار » : القطار .
(٦) المترامى : الممتد .
(٧) شرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار فى سرعة زواله . وكاسيه : أى لابسه والمتمتع به .
(٨) السرى : السير بالليل . واعتكر الليل : اختلط ظلامه .

يَقْطَعُ البِيدَ والفَيافِي وَحِيدا ... لَمْ تُضَعْضِعْهُ وَحْشَةُ الإظْلامِ[١]

لَيسَ يَثْنِيهِ ما يُذِيبُ دِماغَ الضَّـ ... ـبِّ يومَ الهَجِيرِ بينَ المَوامِي[٢]

لا ولا يَعْتَرِيهِ ما يُخْرِسُ النا ... بِحَ فى الزَّمْهَرِيرِ بين الخِيامِ[٣]

هائِمٌ كالظَّلِيمِ أَزْعَجَهُ الصَّيْـ ... ـدُ وراعَتْهُ طائِشاتُ السهامِ[٤]

فهو يَشْتَدُّ فى النَّجاءِ ويَهْوِى ... حَيْثُ تُرْمَى بِجانِبَيْهِ المَرامِي[٥]

يا حَدِيداً يَنْسابُ فَوْقَ حَدِيدٍ ... كَانْسِيابِ الرَّقْطاءِ فَوْقَ الرَّغامِ[٦]

قد مَسَحْتَ البِلادَ شَرْقاً وغَرْباً ... بِذِراعَىْ مُشَمِّرٍ مِقْدامِ

بين جَنْبَيْكَ ما بِجَنْبَىَّ لَكِنْ ... ما بِجَنْبَىَّ مُسْتَدِيمُ الضِّرامِ[٧]

أنتَ لا تَعْرِفُ الغَرامَ وإِنْ كُنْـ ... ـتَ تُرِينا زَفِيرَ أَهْلِ الغَرامِ

أنتَ لا تَعْرِفُ الحَنِينَ إلى الإلْـ ... ـفِ فما هٰذه الدُّموعُ الهَوامِي ؟[٨]

أنتَ قاسِى الفؤادِ جَلْدٌ على الأَيْـ ... ـنِ شَدِيدُ القُوَى شَدِيدُ العُرامِ[٩]

---

(١) البيد : الفلوات ، الواحدة بيداء . والفيافى : المفازات : لا ماء فيها .

(٢) ما يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة القيظ . والهجير : شدة الحر . والموامى : المفازات لا ماء فيها ولا أنيس ، الواحدة موماة .

(٣) النابح : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يؤثر فيه طول السهر ولا شدة البرد اللذان يخرسان الكلب النابح ويسكتانه .

(٤) الظليم : ذكر النعام ، وهو معروف بسرعة العدو . وراعته : أفزعته .

(٥) النجاء : الإسراع . ويهوى : أى يشتد فى سرعته كأنه يخدر . وقوله : «حيث ترمى بجانبيه المرامى» : كناية عن السرعة فى اختراق الفلوات والمضى فى قطع الفيافى البعيدة .

(٦) الرقطاء : الحية المنقطة . والرغام : التراب .

(٧) يشير بهذا البيت إلى نار القاطرة ونار شوقه . والضرام : الاشتعال .

(٨) همى الدمع يهمى (من باب ضرب) : سال .

(٩) الجلد الصبور . والأين : التعب . والعرام الشراسة والقسوة .

لا تُبالِي أَرُعْتَ بالبَيْنِ أحْبا ... باً وأَسْرَفْتَ فى أَذَى المُسْتَهامِ؟[١]

أَمْ جَمَعْتَ الأعداءَ فوقَ صَعيدٍ ... وخَلَطْتُ الأُسُودَ بالآرامِ؟[٢]

إنّنى قد شَهِدْتُ فيكَ عَجيباً ... ضاقَ عَنْ وَصْفِه نِطاقُ الكَلامِ!

بُزْتَ يوما بِنا ونَحْنُ على الجِسْـ ... ـرِ قِيامٌ واللَّيلُ لَيْلُ التِّمامِ

وإذا رَاكِبٌ إلى الجِسْرِ يَهْوِى ... بين صَفَّيْنِ مِنْ مَماتٍ زُؤامِ[٣]

مَرَّ كالسَّهْمِ بين تِلْكَ الحَنايَا ... قد رَماهُ مِن المَقادِيرِ رامِى[٤]

فتَرَدَّى فى الماءِ والماءُ غَمْرٌ ... يَتَّقيه القَضاءُ والنهرُ طامِى[٥]

وإذا سابِحٌ قد انْقَضَّ فى المـا ... ءِ انقِضاضَ العُقابِ فوقَ الحَمامِ[٦]

غاصَ فى لُجَّةِ الحُتُوفِ بعَزْمٍ ... لَمْ يُعَوِّدْ مَواقِفَ الإحْجامِ[٧]

غابَ فيها وعادَ يَحْمِلُ جِسْماً ... سَلَّه من يَدِ الهَلاكِ اللِّزامِ[٨]

كالِحَ المَوْجَ، صارِعَ الهَوْلَ، أَبْلَى ... كبَلاءِ المُهَنَّدِ الصَّمْصامِ[٩]

وانْثَنَى راجِعاً الى شاطِئِ النَّهْـ ... ـرِ رُجوعَ الكَمِىِّ غِبَّ اغْتِنامِ[١٠]

---

(١) راعه يروعه : أفزعه .

(٢) الآرام : الظباء ، الواحد رئم ؛ وأصله للظبي الخالص البياض .

(٣) الزؤام من الموت : الكريه ويريد « بالصفين » : الموت على الجسر بالقطار ، والموت بالغرق فى النهر .

(٤) الحنايا : القسى ، واحدها حنية . ولما شبه الهاوى بالسهم ، شبه قضبان الجسر فى انحنائها بالقسى .

(٥) الماء الغمر : الكثير . وطما الماء : ارتفع وملأ النهر .

(٦) العقاب : طائر من الجوارح معروف .

(٧) الحتوف : المهالك . ولجتها ، أى حيث تشتد .

(٨) سله : انتزعه . واللزام : الملازم .

(٩) المهند : السيف . والصمصام : الذى لا يثنى .

(١٠) الكمى : الشجاع . وغب : عقب .

وَقَفَ النـاسُ ذاهِلِين وصاحُوا ... تلك إحْـدَى عَجـائِبِ الأَيَّـامِ
أَنْجَـاةٌ مِنَ القِطارِ ، مِن الجِسْـ ... ـرِ ، مِنَ النَّهْرِ ، جَلَّ رَبُّ الأَنامِ
وإذا صَيْحَةٌ عَلَتْ مِنْ فَتـاةٍ ... بَرَزَتْ مِنْ صُفُوفِ ذاكَ الزِّحامِ
وَقَفَتْ مَوْقِفَ الخَطِيبِ ونادَتْ ... تلك عُقْـبَى رِعايَةِ الأَيْتـامِ
بَسَـطَتْ تَحْتَـه أَكُفًّا تَلَقَّتْـ ... ـهُ وحاطَتْهُ رَغْـمَ أَنْفِ الحِمامِ[1]
دَعْوَةُ البـائِسِ المعـذَّبِ سُورٌ ... يَدْفَعُ الشَّرَّ عنْ حِياضِ الكِرامِ[2]
وهِيَ حَرْبٌ على البَخِيلِ وذِي البَغْـ ... ـيِ وسَـيْفٌ على رِقابِ اللِّئـامِ
إنّ هذا الكريمَ قد صانَ عِرْضِي ... وحَمـانِي مِنْ عادِياتِ السَّقامِ
عالَ طِفْـلِي وعالَـنِي وحَبـانِي ... بِكساءٍ وبَـدْرَةٍ وطَعـامِ[3]
وهو مِنْ مَعْشَرٍ أغاثُوا ذَوِي البُؤْ ... سِ وقامُوا فِي اللهِ خَيْرَ القِيـامِ
وأَقامُـوا لِلـبِرِّ دارًا فكانت ... خَيْرَ وِرْدٍ يَؤُمُّـه كُلُّ ظامِي[4]
مُلِئَتْ رَحْمَـةً وفاضَتْ حَنـانًا ... فهِيَ لِلبائِسـاتِ دارُ السَّـلامِ
زُرْتُهـا والشَّقاءُ يَجْـرِي وَرائِي ... وشُعاعُ الرَّجاءِ يَسـرِي أَمامِي
لَمْ يقولوا : مَنِ الفَتاةُ ؟ ولـكنْ ... سَأَلُونِي هُنـاكَ عن آلامِي
ثُمَّ أَهْـوَتْ إلى الغَرِيقِ تُواسِيـ ... ـهِ بأَحْلَى مِنْ مُنْعِشاتِ المُـدامِ

---

(١) الحمام : الموت .

(٢) يريد « بحياض » : حماه .

(٣) عاله : كفاه معيشته . وحباه بكذا : أعطاه . ويريد « بالبدرة » هنا : جملة من المال .

(٤) ظامي : ظامئ

قَبَّلَتْ راحَتَيْـه شُكْرًا وصاحَتْ ... قد نَجَا صاحِبُ الأَيادِى العِظامِ[1]
قد نَجَا المُنْعِمُ الجَـوادُ منَ المَوْ ... تِ بفَضْـلِ الزَّكاةِ والإنْعـامِ
فأَطَفْنا بها وقـد مَلأَ الأَنْ ... فُسَ مِنّا جَـلالُ ذاكَ المَقـامِ
وشَهِدْنا ثَغْـرَ الوَفاءِ تَجَـلَّى ... إذ تجـلى فى ثَغْـرِها البَسّـامِ
ورَأَيْنا شَخْصَ المُـرُوءَةِ والبِـ ... ـرِّ تَبَـدَّى فى شَخْصِ ذاكَ الهُمامِ
وعَلِمْنا أَنَّ الزَّكاةَ سَبِيـلُ اللّـ ... ـهِ قَبْـلَ الصَّلاةِ ، قَبْـلَ الصِّيـامِ
خَصَّها اللهُ فى الكتابِ بذِكْرٍ ... فهى رُكْنُ الأَرْكانِ فى الإسْلامِ
بَدَأَتْ مَبْـدَأَ اليَقِـين وظَلَّتْ ... لحَيـاةِ الشُّـعوب خيرَ قِـوامِ[2]
لو وَفَى بالزَّكاةِ مَنْ جَمَـعَ الدُّنْـ ... ـيا وأَهْوَى على اقتِنـاءِ الحُطـامِ[3]
ما شَكَا الجُوعَ مُعْدِمٌ أو تَصَدَّى ... لرُكُوبِ الشُّـرُورِ والآثامِ
راكِبًا رَأْسَـهُ طَرِيدًا شَـرِيدًا ... لا يُبـالِى بِشِـرْعَةٍ أو ذِمامِ[4]
سـائِلاً عَنْ وَصِيّـةِ اللهِ فيه ... آخِـذًا قُوتَهُ بحَـدِّ الحُسـامِ[5]
لمْ أَقِفْ مَوقِفِى لأُنْشِـدَ شِعراً ... صُبَّ فى قالَبِ بَدِيـعِ النِّظـامِ
إنّمـا قُمْت فيه والنَّفْسُ نَشْوَى ... منْ كُؤوسِ الهُمُومِ ، والقَلْبُ دامِى[6]

---

(١) الأيادى : النعم .

(٢) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده الذى يقوم عليه .

(٣) حطام الدنيا . المال قل أو كثر .

(٤) ركب رأسه : مضى إلى ما يريد من الشر لم يثنه شىء . والشرعة : الشريعة . والذمام : الحق والحرمة ، لأن نقض ذلك يوجب الذم .

(٥) وصية الله : ما أمر الله به للبائس الفقير من بر ورحمة .

(٦) نشوى : سكرى .

ذُقْتُ طَعْمَ الأَسَى وكابَدْتُ عَيْشًا ... دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شُرْبُ الحِمامِ[1]
فتَقَلَّبْتُ فى الشَّقاءِ زَمانا ... وتَنَقَّلْتُ فى الخُطُوبِ الجِسَامِ[2]
ومَشَى الهَمُّ ثاقِبًا فى فُؤادِى ... ومَشَى الحُزْنُ ناخِرًا فى عِظامى[3]
فلهٰذا وَقَفْتُ أَسْتَعْطِفُ النا ... سَ على البائِسِين فى كلِّ عامِ

إلى الخديوى عبّاس[4]

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عَرَض فيها لِمَا كان فى مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط فى سنة ١٩١١

كَمْ تَحْتَ أَذْيَالِ الظَّلامِ مُتَيَّمٍ ... دامِى الفُؤَادِ ولَيْلُهُ لا يَعْلَمُ
ما أَنتَ فى دُنْيَاكَ أَوَّلُ عاشِقٍ ... رامِيهِ لا يَحْنُو ولا يَتَرَحَّمُ
أَهْرَمْتَنِي يا لَيْلُ فى شَرْخِ الصِّبا ... كَمْ فيكَ ساعاتٍ تُشِيبُ وتُهْرِمُ[5]
لا أَنتَ تَقْصُرُ لى ولا أَنَا مُقْصِرٌ ... أَتْعَبْتَنِى وتَعِبْتُ ، هَلْ مَنْ يَحْكُمُ ؟[6]
لِلّهِ مَوْقِفُنا وقَدْ ناجَيْتُها ... بِعَظِيمِ ما يُخْفِى الفُؤَادُ وَيَكْتُمُ

---

(١) القذى : ما يقع فى الشراب من وسخ . والحمام بالكسر : الموت . ويريد بقوله : « دون شربى » أى أن الموت أهون تجرعا على من تجرع هذا العيش المر .

(٢) الجسام : العظام ، الواحد جسيم .

(٣) يقال : نخر العظم ، إذا بلى وتفتت .

(٤) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة فى الاجتماعيات مع ما تضمنته من مدح الخديو عباس ، لأن غرضها الأول مسألة اجتماعية ، وهى الفتنة بين مسلمى مصر وأقباطها إذ ذاك .

(٥) شرخ الصبا : أوله وريعانه .

(٦) أقصر : كف وأمسك .

قالتْ : مَنِ الشاكِي تُسائِلُ سِرْبَها ... عَنِّى ، ومَنْ هٰذا الّذى يَتَظَلَّمُ ؟[1]
فأَجَبْنَها وعَجِبْنَ كيف تَجاهَلَتْ : ... هُوَ ذٰلكَ المُتَوَجِّعُ المُتَأَلِّمُ
أنَا مَنْ عَرَفْتِ ومَنْ جَهِلْتِ ومَنْ لَهُ ... — لولا عُيونُك — حُجَّةٌ لا تُفْحَمُ[2]
أَسْلَمْتُ نفسى للهَوَى وأَظُنُّها ... مِمَّا يُجَشِّمُها الهَوَى لا تَسْلَمُ[3]
وأَتَيْتُ يَحْدُو بى الرَّجاءُ ومَنْ أَتَى ... مُتَحرِّمًا بفنائِكُمْ لا يُحْرَمُ[4]
أَشْكُو لذاتِ الخالِ مَاصَنَعَتْ بنا ... تِلْكَ العُيُونُ وما جَنَاهُ المِعْصَمُ[5]
لا السَّهْمُ يَرْفُقُ بالجَرِيحِ ولا الهَوَى ... يُبْقِى عليه ولا الصَّبابَةُ تَرْحَمُ
لو تَنْظُرِينَ إليه فى جَوْفِ الدُّجَى ... مُتَمَلْمِلًا مِنْ هَوْلِ ما يَتَجَشَّمُ[6]
يَمْشِى إلى كَنَفِ الفِراشِ مُحاذِرًا ... وَجِلًا يُؤَخِّرُ رِجْلَهُ ويُقَدِّمُ[7]
يَرْمِى الفِراشَ بناظَرَيْهِ ويَنْثَنِى ... جَزِعًا ويُقْدِمُ بعد ذاك ويُحْجِمُ
فكأَنَّه — واليَأْسُ يُنْشِفُ نَفْسَه — ... لِلْقَتْلِ فوقَ فِراشِه يَتَقَدَّمُ[8]
رُشِقَتْ به فى كلِّ جَنْبٍ مُدْيَةٌ ... وَانْسابَ فيه بكلِّ رُكْنٍ أَرْقَمُ[9]

---

(١) السرب (بالكسر) : الجماعة ، أى صواحبها .

(٢) لا تفحم : لا تغلب .

(٣) جشمه : كلفه .

(٤) يحدو بى : يدفعنى : ويسوقنى . ومتحرما : محتميا مستأمنا .

(٥) الخال : الشامة فى البدن ، وهو غالب على شامة الخد ؛ والجمع خيلان .

(٦) ما يجشم : ما يقاسى .

(٧) الكنف (محركة) : الجانب والناحية .

(٨) ينشف نفسه : أى يهلكها . و (للقتل) : متعلق بقوله : « يتقدم » .

(٩) الضمير فى « به » و « فيه » يعود على الفراش . وفى الشطر الأول من هذا البيت قلب ، إذ المسموع أن الباء تدخل على المرشوق به وهو المدية ونحوها ، لا على المرشوق ؛ يقال : رشقته بالسهم ، لا رشقت به السهم . وانسابت ، أى جرت وتدافعت فى مشيها . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للأذى .

فكأنّه فى هَوْلِه وسَعِيرِه ... وادٍ قد اطّلَعَتْ عليه جَهَنَّمُ[1]

هٰذا وحَقِّكَ بعضُ ما كابَدْتُه ... مِنْ ناظِرَيْكَ ؛ وما كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ

قالوا : أَهٰذا أنتَ ؟! وَيْحَكَ فاتّئِدْ ... حَتّام تُنْجِد فى الغَرامِ وتُتْهِمُ ؟[2]

كم نَفْثَةٍ لكَ تَسْتَثِير بها الهَوَى ... (هارُوتُ) فى أثنائِها يَتَكَلَّمُ[3]

إنّا سَمِعْنا عنكَ ما قَدْ رابَنا ... وأَطالَ فيكَ وفى هَواكَ اللُّوَّمُ

فاذْهَبْ بسِحْرِكَ قد عَرَفْتُكَ واقْتَصِدْ ... فيما تُزَيِّنُ للِّسانِ وتُوهِمُ

أَصْغَتْ إلى قَوْلِ الوُشاةِ فأَسْرَفَتْ ... فى هَجْرِها وجَنَتْ علَىَّ وأَجْرَمُوا

حتّى إذا يَئِسَ الطَّبيبُ وجاءها ... أَنِّى تَلِفْتُ تَنَدَّمَتْ وتَنَدَّمُوا

وأَتَتْ تَعُودُ مَرِيضَها لا بَلْ أَتَتْ ... مِنِّى تُشَيِّعُ راحِلًا لو تَعْلَمُ

أَقْسَمْتُ (بالعَبّاسِ) ؛ إنِّى صادِقٌ ... فُرِيَهِمُ بجَلالِه أنْ يُقْسِمُوا[4]

مَلِكٌ عَدَوْتُ على الزّمانِ بحَوْلِه ... وغَدَوْتُ فى آلائِه أَتَنَعَّمُ[5]

النَّجمُ مِنْ حُرّاسِه ، والدَّهْرُ مِنْ ... خُدّامِه ؛ وهو العزيزُ المُنْعِمُ

هَلّا تُ حِين رَأَيتُ رَكْبَكَ سالِمًا ... ورأَيتُ (عَبّاسا) به يَتَبَسَّمُ

---

(١) اطلعت : طلعت وظهرت .

(٢) اتئد : تمهل . وأنجد : أتى نجدا ، وهو المرتفع من الأرض . وأتهم : أتى تهامة ، وهى المنخفض منها . والإنجاد والإتهام فى الغرام : غاية عن الذهاب فيه كل مذهب .

(٣) نفث الساحر : هو أن يعقد عقدة ثم ينفخ فيها . وهاروت يضرب به المثل فى السحر ، وقد ذكره الله تعالى فى القرآن .

(٤) فريهم : أى مرى الوشاة بالقسم على صدقهم فيما وشوا به .

(٥) الحول : القوة . والآلاء : النعم .

وَحَمِدْتُ رَبِّي حِينَ حَلَّ عَرِينَه ... مُتَجَدِّدَ العَزَماتِ ذاكَ الضَّيْغَمُ[١]

خَفَقَت قُلُوبُ المُسْلِمِين وأَشْفَقَتْ ... دارُ الخِلافة والمَلِيكُ الأَعْظَمُ

ودَعَا لَكَ البَيْتُ الحَرامُ فَأَمَّنَتْ ... بَطْحاءُ مَكَّةَ والحَطِيمُ وزَمْزَمُ[٢]

ودَوَى بِمِصْرَ لكَ الدُّعاءُ فنِيلُها ... وسُهولُها وفَصِيحُها والأَعْجَمُ[٣]

ومَشَى الصَّغِيرُ إلى الكَبِيرِ مُسائِلًا ... يَتَسَقَّطُ الأَخْبارَ أو يَتَنَسَّمُ[٤]

حتّى اطمَأَنَّتْ بالشِّفاءِ نُفُوسُهُم ... وطَلَعْتَ بالسَّعْدِ العَمِيمِ عَلَيْهِمُ

مَوْلَايَ ! أُمَّتُكَ الوَدِيعةُ أَصْبَحَتْ ... وعُرَا المَوَدَّة بينَها تَتَفَصَّمُ[٥]

نادَى بِها القِبْطِيُّ مِلْءَ لَهَاتِه ... أَنْ لَا سَلامَ وضاقَ فيها المُسْلِمُ[٦]

وَهْمٌ أَغَارَ على النُّهَى وأَضَلَّها ... فَجَرَى الغَبِيُّ وأَقْصَرَ المُتَعَلِّمُ[٧]

فَهِمُوا مِن الأَدْيان مالا يَرْتَضِى ... دِينٌ ولا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ

ماذا دَهَا قِبْطِيَّ مِصْرَ فصَدَّه ... عَنْ وُدِّ مُسْلِمِهَا وماذا يَنْقِمُ؟

وعَلامَ يَخْشَى المُسْلِمِين وكَيْدَهُمْ ... والمُسْلِمُون عن المَكايِدِ نُوَّمُ

قد ضَمَّنَا أَلَمُ الحَياة وكُلُّنا ... يَشْكُو ، فَنَحْنُ على السَّواءِ وأَنْتُمُ

---

(١) الضيغم : الأسد . وعرينه : مأواه .

(٢) بطحاء مكة : مسيل واديها . والحطيم : هو ما بين الركن وزمزم والمقام .

(٣) المعروف (دوى) بالتشديد . يقول : إن نيل مصر وسهولها الخ تدعو لك ؛ فخبر قوله : « فنيلها » الخ ، محذوف للعلم به .

(٤) تنسم الخبر : تلطف فى التماسه .

(٥) عرا المودة : روابطها . وتتفصم : تنقطع .

(٦) ملء لهاته ، أى ملء حنجرته . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم .

(٧) « جرى الغبى » الخ : أى سعى الأغبياء وقصار النظر فى إشعال الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وكف المتعلمون وأقصروا عن إخمادها وتلافى أسبابها .

إنّى ضَمِينُ المُسْلِمِينَ جميعهم ... أن يُخْلِصُوا لكمُ إذا أخلصتُمُ[1]
رَبَّ الأريكةِ ! إنّنا فى حاجةٍ ... لجميلِ رَأْيِكَ والحَوادثُ حُوَّمُ[2]
فأفِضْ علينا من سَمائكَ حِكْمَةً ... تَأْسُو القُلوبَ فإنّ رَأْيَكَ أحكمُ[3]
واجمَعْ شَتاتَ العُنصُرَيْنِ بعَزْمَةٍ ... تأتى على هٰذا الخلاف وتحسمُ
فكلاهُما لعزيزِ عَرْشِكَ مُخْلِصٌ ... وكلاهُما بِرضاكَ صَبٌّ مُغْرَمُ

محاورة بين حافظ وخليل مطران

فى حفل أقامته جمعية رعاية الطفل (بالأوبرا)

[نشرت فى ٣١ مارس سنة ١٩١٣م]

حافظ :

هٰذا صَبِيٌّ هائِمٌ ... تَحْتَ الظَّلامِ هُيامَ حائِرْ
أَبْلَى الشَّقاءُ جَديدَه ... وتَقَلَّمَتْ منه الأَظافِرْ[4]
فانْظُرْ إلى أَسْماله ... لم يَبْقَ منها ما يُظاهِرْ[5]

(١) الضمين : الكفيل .

(٢) الأريكة : سرير الملك . والحوادث حوّم ، أى تطوف بنا وتحلق حوالينا ، وأصله من تحويم الطائر حول الماء ، دورانه به .

(٣) تأسو : تشفى وتداوى .

(٤) تقليم الأظافر : كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد فى الحياة .

(٥) الأسمال : الثياب البالية الخلقة ، ويقال : « ظاهر الرجل بين ثوبين » ، إذا طابق بينهما ولاءم . يريد أن الثوب الذى يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة رقيقة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

هُـوَ لا يُرِيدُ فِـراقَهـا خَوْفَ القَوارِسِ والهَواجِرْ (١)
لٰكِنَّهـا قـد فارَقَتْـ ـهُ فِـراقَ مَعْـذُورٍ وعاذِرْ (٢)
إنِّي أَعُـدُّ ضُـلُوعَه مِنْ تَحْتِهـا واللَّيـلُ عاكِرْ (٣)
أَبصَرْتُ هَيْـكَلَ عَظْمِـه فذَكَرْتُ سُكّانَ المَقـابِرْ
فكأنَّـهـا هُـوَ مَيِّتٌ أَحْياهُ (عيسَى) بَعْدَ (عازَرْ) (٤)
قد كان يَهْدِمُـه النَّسيـ ـمُ وكاد تَـذْرُوه الأَعاصِرْ (٥)
وتَراهُ مِنْ فَرْطِ الهُزا لِ تكاد تَثْقُبُـه المَواطِـرْ
عَجَبًا ! أَيَفْرِسُـه الطَّوَى فى قَلْبِ حاضِرَةِ الحَواضِرْ!؟ (٦)
وتَغُـولُه البُؤْسَى وطَـرْ فُ (رِعايَةِ الأَطْفالِ) ساهِرْ!؟ (٧)
كَم مِثْـلِهِ تَحْتَ الدُّجَى أَسْـوانَ بادِى الضُّرِّ طَائِرْ (٨)

---

(١) القوارس : شدائد البرد . والهواجر : شدائد الحر .

(٢) يريد بقوله : « فراق معذور » الخ . أنها قد تمزقت من القدم وطول العهد ، فهى معذورة لفراقها إياه ، وهو قابل عذرها .

(٣) عاكر : مختلط الظلام .

(٤) عازر : اسم رجل أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البائس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى بعد ما ظهرت فى عازر .

(٥) تذروه : تفرق أجزاءه ، وتطير أشلاءه . والأعاصر : رياح ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود ، الواحد إعصار .

(٦) يفرسه : يقتله . والطوى : الجوع . ويريد «بحاضرة الحواضر» : مصر .

(٧) تغوله : تهلكه .

(٨) الأسوان : الحزين . ويريد بقوله : « طائر » أنه شديد الفزع والجزع مما يلاقى وما يتوقع من مصائب الزمن .

خَزْيانَ ، يَخْرُجُ فى الظَّلا ... مِ خُرُوجَ خُفّاشِ المَغاوِرْ[١]
مُتَلَفِّعًا جِلْبابَه ... مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عابِرْ
يَقْذَى بِرُؤْيَتِه فَلا ... تَلْوى عليه عَيْنُ ناظِرْ[٢]

ومنها :

قَعَدَتْ شُعُوبُ الشَّرْقِ عَنْ ... كَسْبِ المَحامِدِ والمَفاخِرْ
فَوَنَتْ وفى شَرْعِ التَّنا ... حُرِ مَنْ وَنَى لاشَكَّ خاسِرْ[٣]
تَمْشى الشُّعُوبُ لقَصْدِها ... قُدُمًا وشَعْبُ النِّيل آخِرْ[٤]
كَمْ فى الكِنانة مِنْ فَتًى ... نَدْبٍ وكَمْ فى الشَّأْم قادِرْ[٥]
لٰكِنَّهُمْ لَمْ يُرْزَقُوا ... رَأْيًا ولَمْ يَرِدُوا المَخاطِرْ
هٰذا يَطِيرُ مع الحَيا ... ل وذاكَ يَرْتَجِلُ النَّوادِرْ[٦]
جَهِلُوا الحياةَ وما الحَيا ... ةُ لغَيْرِ كَدَّاحٍ مُغامِرْ
يَجْتابُ أَجْوازَ القِفا ... رِ ويَمْتَطى مَتْنَ الزَّواخِرْ[٧]

(١) شبه البائس فى أنه لا يظهر مستترا بظلمة الليل بالخفاش الذى لا يبصر بالنهار ، وإنما يبصر ليلا .

(٢) يقول : إن هذا العابر إذا مر بهذا المسكين ساءه ما يراه باديا عليه من بؤس وفاقة ، فيغض بصره عنه كأنما قد وقع فى عينه القذى : وهو ما يقع فيها من غمص أو رمص .

(٣) يريد « بالتناحر » : شدة التقلب فى الحياة إلى أن يخر الناس بعضهم بعضا .

(٤) مشى قدما : أى متقدما أمام .

(٥) الندب من الرجال : الماضى الخفيف فى طلب الحاجة والسريع إلى الفضائل .

(٦) ارتجل النادرة ونحوها : قالها من غير تروّ . ويريد « بالنوادر » : تلك النكت التى يتظرف بها الناس فى المجالس .

(٧) يجتاب : يقطع . وأجواز القفار : أوساطها الواحد جوز (بفتح الجيم) . والزواخر البحار .

لا يَسْتَشِيرُ سِوَى العَزِيـ ... ـمَةِ فى المَوارد والمَصادِرْ[١]
يَرْمِى وَراء الباقيا ... تِ بنَفْسه رَمْىَ المُقامِرْ
ما هَدَّ عَزْمَ القادرِيـ ... ـنَ بمِصْرَ إلّا قَوْلُ : (باكِرْ)
كَمْ ذا يُحِيلُ على غَدٍ ... وغَدٌ مَصيرَ اليَوْمِ صائرْ
خَوَتِ الدِّيارُ فلا اخْتِرا ... عَ ولا اقْتصادَ ولا ذَخائرْ[٢]
دَعْ ما يُجَشِّمُها الجُمُـ ... ـدُ وما يَجُرُّ مِنَ الجَرائرْ[٣]
فى الاقتِصادِ حَياتُنا ... وبَقاؤُنا رَغْمَ المُكابِرْ[٤]
تَرْبُو بِهِ فِينَا المَصا ... نِعُ والمَزارِعُ والمتاجِرْ[٥]
سَلْ (حِشْمَتاً) عنه فهْ ... ـذَا (حِشْمَتٌ) فى الجَمْعِ حاضِرْ[٦]
أَحْيَا الصِّناعَةَ والتِّجا ... رَةَ مِثْلَما أَحْيا الضَّمائرْ

مطران :

عَجَبًا تُعَرِّفُنى بـه ... وأنا بِهِمَّتِـه أُفاخِرْ !
لى فيه مالَكَ فيه مِنْ ... أَمَلٍ على الأَيامِ كابِرْ[٧]

---

(١) فى الموارد والمصادر : أى فى الحل والترحال .
(٢) خوت الديار : خلت .
(٣) يجشمها : يكلفها . والجرائر : الجنايات ، الواحدة جريرة .
(٤) المكابر : المغالب والمعاند .
(٥) تربو : تزيد وتنمو .
(٦) يريد المرحوم أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك .
(٧) الكابر : الكبير .

أَنَسيت (مُوجَزَ الاقتصـا دِ) وفَضْلَه أَمْ أَنْتَ ذاكِرْ؟[1]
أو لَمْ يكُنْ هٰذا الوَزِيـ ـرُ بذٰلِكَ التَّعْـرِيبِ آمِرْ؟
أَنَسِيتَ ما عانَيْتَـه واللَّفْـظُ مُسْتَعْصٍ ونافِرْ؟[2]

حافظ :

لَـمْ أَنْسَ ما سَـالَتْ به مِنْ خاطِرِى تِلْكَ المَقاطِرْ

مطران :

لَمْ أَنْسَ إِدْلالَ الكَلا مِ وذِلَّتِى بين المَحابِرْ[3]

حافظ :

لَمْ أَنْسَ نَحْـتِي لاصْطِلا حٍ دُونَـه نَحْتُ المَحاجِرْ

مطران :

لَمْ أَنْسَ تَشْـذِيبَ الفُضُو لِ ، ومَقْرِضُ التَّثْقِيفِ دائِرْ[4]

---

(١) (موجز الاقتصاد) : كتاب فى الاقتصاد نقله عن الفرنسية إلى العربيـة حافظ ومطران بأمر حشمت باشا وزير المعارف .

(٢) يريد ما عاناه فى ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره .

(٣) يريد « بإدلال الكلام » : تكبره واستعصاءه وقلة مواتاته .

(٤) تشذيب الفضول : أى تقطيع الزوائد من الكلام وتحيتها ؛ وأصله من تشذيب الشجر ، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة . والتثقيف : التقويم والإصلاح .

دعوة إلى الإحسان[١]

نشرت فى سنة ١٩١٥ م

أَجادَ (مَطْرَانُ) كعادتِه ... وهٰكذا يُؤْثَرُ عَنْ (قُسِّ)[٢]
فإنْ قِفْ مِنْ بَعْدِه مُنْشِدًا ... فإنّما مِنْ طِرْسِه طِرْسِى[٣]
وإنْ رَأَيْتُمْ فى يَدِى زَهْرَةً ... فإنَّها مِنْ ذَلكَ الغَرْسِ
رَثَى (حَبِيبًا) ورَثَى بَعْدَه ... لِذٰلكَ المُوفِى على الرَّمْسِ[٤]
كانَا إذا ما ظَهَرا مِنْبَرًا ... حَلَّا مِنَ السّامِعِ فى النَّفْسِ[٥]
فأَصبَحَا هٰذا طَواهُ الرَّدَى ... وذاكَ نَهْبٌ فى يَدِ البُؤْسِ
لولا (سَلِيمٌ) لَمْ يَقُلْ قائِلٌ ... ولَمْ يَجُدْ مَنْ جادَ بالأَمْسِ[٦]
لِلّٰهِ ما أَشْجَعَه إنّه ... ذُو مِرَّةٍ فِينَا وذُو بَأْسِ[٧]

---

(١) دعا سليم افندى سركيس صاحب (مجلة سركيس) إلى إقامة حفل يخصص ما يجمع منه لمعونة أحمد افندى أبى العدل وأسرة محمود حبيب ، وكانا من أشهر الممثلين المصريين ؛ فقعدت بالأول الشيخوخة واعتالت المنية الثانى . وفى مساء ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٥ م أقيمت حفلة تمثيلية فى مسرح (برنتانيا) لهذا الغرض ، كان للشعراء فيها مجال وقد أعد خليل بك مطران قصيدة فى هذا الغرض ، إلا أن المرض حال بينه وبين إنشادها ، فتولى ذلك عنه حافظ ، ومطلعها :

الضاحك اللاعب بالأمس ... بات صريعا فاقد الأنس

(٢) يريد قس بن ساعدة الأيادى خطيب العرب فى الجاهلية ، ويضرب به المثل فى الفصاحة واللسن .

(٣) من طرسه طرسى : أى أن شعره مستمد منه . والطرس : الصحيفة .

(٤) يريد « بحبيب » : المرحوم محمود حبيب . والموفى على الرمس : المشرف على القبر ، يريد به أحمد افندى أبى العدل .

(٥) ظهر المنبر ونحوه : علاه .

(٦) يريد « بسليم » : سليم سركيس . ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إقامة هذا الحفل .

(٧) المرة : القوة والعزيمة .

يَقُومُ فى مَشْرُوعِه نافِـذًا كأنَّه (عَنْتَرَةُ العَبْسِى)[١]
تَلْقاهُ فى الجِـدِّ كما تَبْتَغِى وتارَةً تَلْقـاهُ فى (الهَلْسِ)
(سَرْكِيسُ) إنْ راقَكَ ما قُلْتُه فى مَعْرِضِ الهَزْلِ فَقُلْ "مِرْسِى"
أقْسِـمُ باللّـه وآلائِـه بعَرْشِـه باللَّـوحِ بالكُرْسِى
بالخُنَّس الكُنَّس فى سَبْحِها بالبَـدْرِ فى مَرْآهُ بالشَّمْسِ[٢]
بأنّ هٰـذا عَمَـلٌ صالِحٌ قامَ به هَذا الفَتَى القُدْسِى[٣]
ذَكَّرَنا — والمَرْءُ مِنْ نَفْسِه وعَيْشِه فى شاغِلٍ يُنْسِى
— بالواجِبِ الأَقْدَسِ فى حَقِّ مَنْ باعَتْه مِصْـرٌ بَيْعَةَ الوَكْسِ[٤]
هٰذ (أَبُو العَدْلِ) فَمَنْ خالَه حَيًّا فما خَالَ سِوَى العَكْسِ
كانت له فى حَلْقِه ثَرْوَةٌ مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجِى ومِنْ جَرْسِ[٥]
فغالَها الدَّهْرُ كما غَالَه حتَّى غَـدَا كالطَّلَلِ الدَّرْسِ[٦]
فٱكْتَسِبُوا الأَجْرَ ولا تَبْتَغُوا شِـراءَه بالثَّمَنِ البَخْسِ
إنِّى أَرَى التَّمْثِيلَ فى غَمْـرَةٍ غامِرَةٍ تَدْعُـو إلى اليَأْسِ[٧]

---

(١) استعمال « المشروع » بمعنى الغرض الذى يبدأ فى تحقيقه استعمال شائع فى كلام أهل العصر .

(٢) الخنس والكنس : الكواكب .

(٣) القدسى : نسبة إلى بيت المقدس . يشير إلى مولده .

(٤) الوكس : النقصان والخسارة .

(٥) الجرس : الصوت الخفى .

(٦) الطلل : ما بقى من آثار الديار . والدرس ، أى الدارس البالى .

(٧) غمرة غامرة : أى شدّة عامة شاملة .

لَمْ يَرْمِـــه فى شَرْخه مارَمى لو كان مَبْنِيًّا على أُسّ[1]
أَكُلَّمَا خَفَتْ به صَحْـــوَةٌ مِنْ دَائِه عُوجِلَ بالنَّكْس ؟!
إِنْ تُغْفِـــلُوا دارِسَ آثاره عَفَّى عَلَيْهَا الدَّهْرُ بالطَّمْس
أَعْجَزَها النُّطْقُ بفاءَتْ بِنَا تَنُوبُ عَنْ أَلْسُنِهَا الخُرْس

العـــدوّ والصـــديق

ترجمـــة عن (فولتـــير)

(نشر هذا البيت فى ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م)

لا أُبَالِى أَذَى العَدُوِّ فَحُطْنِي أَنْتَ يارَبِّ مِنْ وَلاءِ الصَّدِيق

جمعية الاتحـــاد السورى

أنشدها فى حفل خيرى أقامته هذه الجماعة فى (الأوبرا) السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م

أَيُّهَـــا الوَسْمِىُّ زُرْ نَبْتَ الرُّبَا وَاسبِقِ الفَجْرَ الى رَوْضِ الزَّهَرْ[2]
حَيِّـــهِ وَانثُرْ على أَكْمَامِـــه مِنْ نِطَافِ المَـــاءِ أَشْبَاهَ الدُّرَرْ[3]
أَيُّهَـــا الزَّهْرُ أَفِقْ مِنْ سِـــنَةٍ وَاصْطَبِحْ مِنْ خَمْـــرَةٍ لَمْ تُعْتَصَرْ[4]

---

(١) فى شرخه : أى فى ريعانه وأول نهوضه .
(٢) الوسمى : المطر أول الربيع .
(٣) الأكمام أغطية الزهر . والنطاف : القطرات الصافية من الماء .
(٤) السنة : النوم . والاصطباح : الشرب فى الصباح .

مِنْ رَحِيقٍ أُمُّهُ غادِيَةٌ ... ساقَها تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرْ[١]

وَٱنفَرَجَ الرَّوْضَ بِنَشْرٍ طَيِّبٍ ... عَلَّهُ يُوقِظُ سُكّانَ الشَّجَرْ[٢]

إنَّ بِى شَوْقًا إلى ذِى غُنَّةٍ ... يُؤْنِسُ النَّفْسَ وقَدْ نام السَّمَرْ[٣]

إيه يا طَيْرُ! أَلَا منْ مُسْعِدٍ؟ ... إنَّنى قد شَفَّنِي طُولُ السَّهَرْ[٤]

قُمْ وصَفِّقْ وٱستَحِرْ وٱسْجَعْ ونُحْ ... وٱرْوِ عَنْ إسحاقَ مَأْثُورَ الخَبَرْ[٥]

ظَهَرَ الفَجْرُ وقد عَوَّدْتَنِي ... أنْ تُغَنِّينِي إذا الفَجْرُ ظَهَرْ

غَنِّنى كَمْ لَكَ عِنْدى مِنْ يَدٍ ... سَرَّتِ الأَشْجَانَ عَنِّى والفِكَرْ[٦]

اُخْرِقِ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَإٍ ... خَرَقَ السَّمعَ فَأَدْمَى فوَقَرْ[٧]

كُلَّ يَوْمٍ نَبْأَةٌ تَطْرُقُنا ... بِعَجِيبٍ منْ أعَاجِيبِ العِبَرْ

أُمَمٌ تَفْنَى وأَرْكانٌ تَهِى ... وعُرُوشٌ تَتَهاوَى وسُرُرْ[٨]

وجُيُوشٌ بِجُيُوشٍ تَلْتَقِى ... كَسُيُولٍ دَفَقَتْ فى مُنْحَدَرْ[٩]

---

(١) الرحيق : الخمر . والغادية : السحابة تنشأ غدوة . والروح : الريح . جعل ماء المطر للزهر كالخمر .

(٢) النشر : الرائحة الطيبة . وسكان الشجر : الطير .

(٣) السمر : السمار .

(٤) المسعد : المعين . وشفه السهر : هزله وأضناه .

(٥) تصفيق الطير : خفقه بأجنحته . واستحر : أى غن سحرا . وسجع الطير : تغريده ويريد « باسحاق » : إسحاق بن إبراهيم الموصلى المغنى العباسى المعروف ، يرغب إلى الطيور أن تغنيه غناءه .

(٦) سرت الأشجان : كشفتها وخففت آلامها .

(٧) يريد « بالنبأ » نبأ الحرب العظمى . يقول أسمعنى أيها الطائر من أنبائك ، (أى غنائك) ما يلذ به سمعى ، ولا تسمعنى أنباء الحرب التى تصم الآذان وتدمى القلوب .

(٨) تهى : تخل وتسقط . وتتهاوى : يسقط بعضها إثر بعض .

(٩) دفقت : انصبت بشدة .

ورجالٌ تَتَبارَى للرَّدَى ... لاتُبالِى غَاب عنها أمْ حَضَرْ؟[1]

مَنْ رآها فى وَغَاهَا خالَها ... صِبْيَةً خَفَّتْ إلى لِعْب الأَكَرْ[2]

وحُرُوبٌ طاحِناتٌ كلَّما ... أُطْفِئَتْ شَبَّ لَظاهَا وٱستَعَرْ

ضَجَّتِ الأَفْلاكُ مِنْ أَهْوالِها ... وٱستَعاذَ الشمسُ منها والقَمَرْ

فى الثَّرَى ، فى الجوِّ ، فى شُمِّ الذُّرا ... فى عُبابِ البَحْرِ ، فى مَجْرَى النَّهَرْ[3]

أَسْرَفَتْ فى الخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا ... أَنْ يَبِيدُوا قَبْلَ ميعادِ البَشَرْ[4]

فٱصْمِدوا ثمَّ ٱحْمَدُوا اللهَ عَلَى ... نِعْمَةِ الأَمْنِ وطِيبِ المُسْتَقَرّ[5]

نعْمَةِ الأَمْنِ وما أَدْراكَ ما ... نِعْمَةُ الأَمْنِ إذا الخَطْبُ ٱكْفَهَرّ[6]

واشْكُروا سُلْطَانَ مِصْرٍ واشكُرُوا ... صاحِبَ الدَّوْلَةِ مَحْمُود الأَثَرْ[7]

نحن فى عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَه ... أُمَمٌ فى الغَرْبِ أَشْقاها القَدَرْ

تَتَمَنَّى هَجْعَةً فى غِبْطَةٍ ... لَمْ تُساوِرْها اللَّيالى بالكَدَرْ[8]

إنَّ فى الأَزْهَرِ قومًا نالَهُمْ ... مِنْ لَظَى نِيرانِها بَعْضُ الشَّرَرْ

أَصْبَحُوا — لا قَدَّرَ اللهُ لنا — ... فى عَناءٍ وشَقاءٍ وضَجَرْ

---

(١) الردى : الهلاك .

(٢) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . والأكر : جمع أكرة ، وهى لغة فى الكرة .

(٣) فى شم الذرا : أى فى أعالى المرتفعات .

(٤) يبيدوا : يهلكوا . وميعاد البشر : يوم يفنى الناس جميعا .

(٥) الصمد : القصد . ويستعمل فى عصرنا بمعنى الصبر .

(٦) اكفهر : تجهم وعبس .

(٧) صاحب الدولة : رئيس الوزراء ، وكان إذ ذاك حسين رشدى باشا .

(٨) الهجعة : النومة .

نُزَلاءُ بَيْنَنا إنْ يُرْهَقُوا أَوْ يُضَامُوا إنّها إحْدَى الكُبَرْ[١]
فَأَعِينُوهُمْ فهُمْ إخْوانُكُمْ مَسَّهُمْ ضُرٌّ ونابَتْهُمْ غِيَرْ[٢]
أَقْرِضُوا اللهَ يُضاعِفْ أَجْرَكُمْ إنّ خَيْرَ الأَجْرِ أَجْرٌ مُدَّخَرْ[٣]

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشد هذه القصيدة بين يدى المغفور له السلطان حسين كامل فى ليلة أحيتها الجمعية الخيرية (بالأوبرا) السلطانية وقد قالها على لسان صنيعة من صنائع الجمعية كان يتيما بائسا فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلما

[نشرت فى ٢٨ مارس سنة ١٩١٦]

قَضَّيْتُ عَهْدَ حَداثَتِي ما بَيْنَ ذُلٍّ وٱغْتِرابْ
لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشْـ ـرِقِها ومَغْرِبِها ٱضْطِرابْ[٤]
صَفِرَتْ يَدى فَحَوَى لها رَأْسِي وجَوْفِي وٱلوِطابْ[٥]
وأنا ٱبْنُ عَشْرٍ ليس فى طَوْقِي مُكافَحَةُ الصِّعابْ[٦]
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِي سِوَى ذِكْرٍ تَناساهُ الصِّحابْ
أَمْشِي يُرَنِّحُنِي الأَسَى والبُؤْسُ تَرْنِيحَ الشَّرابْ[٧]

(١) يرهقوا : أى يعانو من شظف العيش مالا يطيقون .
(٢) غير الزمان : أحداثه وتقلباته .
(٣) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذل المعروف ؛ لأن الله هو المتولى ردّه والجزاء عليه .
(٤) الاضطراب فى الأرض : التردّد فيها بجيئة وذهابا .
(٥) صفرت يدى : فرغت : وخوى : خلا . ويريد « بالوطاب » وعاء الزاد ، والأصل فيه : سقاء اللبن .
(٦) الطوق : الجهد .
(٧) يرنحنى : أى يميلنى يمنة ويسرة . والأسى : الحزن .

فلَكَمْ ظَلِلْتُ على طَوًى يَوْمِى وبِتُّ عـلى تَبـابْ[١]
وٱلجُـوعُ فَـرَّاسٌ له ظُفْـرٌ يَصُـولُ به وَنَابْ[٢]
فكأنّه فى مُهْجَـتِى نَصْـلٌ تَغَلْغَلَ للنِّصـابْ[٣]
ولَكَمْ صَحِبْتُ الأَبْيَضَيْـ ـنِ فأَبْلَيَـا بُرْدَ الشَّـبـابْ[٤]
فإذا ظَفِـرْتُ بِكِسْرَةٍ فَإِدامُهـا مِـنِّى لُعـابْ[٥]
وعَلَىَّ طِمْـرٌ لو هَفَتْ رِيحُ الشَّمالِ بـه لَذَاب[٦]
فَخُـرُوقُه ومَصـائِبِى فى العَدِّ يُخْطِئُهـا ٱلحِسـابْ
ما زِلْتُ أُوسِـعُ مِحْنَتِى صَـبْراً وأَحْتَمِلُ ٱلعَذابْ[٧]
حـتّى تَنَفَّسَ صُبْحُ إِقْـ ـبـالِى ونَجْمُ النَّحْس غابْ[٨]
ولِكلِّ سَـيْفٍ مُصْـلَتٍ لحَـوادِث الدُّنْيـا قِـرابْ[٩]

---

(١) الطوى : الجوع . والتباب : الخسران .

(٢) فرّاس : شديد الافتراس .

(٣) تغلغل النصل فى الشىء : دخل فيه ونفذ إلى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما : المقبض .

(٤) الأبيضان : الماء والخبز ؛ قال الشاعر :

الأبيضان بردا عظامى الماء والفت بلا إدام

(٥) الإدام : ما يؤتدم به فى الطعام .

(٦) الطمر : الثوب البالى من غير الصوف . وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .

(٧) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب .

(٨) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ؛ وهو استعمال مجازى .

(٩) المصلت من السيوف : المجرد من غمده . وقراب السيف : جرابه . يريد أن كل شدة إلى انتهاء ، وكل عسر إلى يسر .

والعَيْـــــشُ فى إقْبـالِه شُـــهْدٌ وفى الإدْبار صـابْ[١]
فَتلاقَفَتْـــنى فِتْيَـــــةٌ رُحْبُ الشَّمائِلِ والجَنـابْ[٢]
مَهَّـــدُوا لأَنْفُســـهِمْ بمـا صَـــنَعُوه زُلْفَى واحتِسـابْ[٣]
وعَـــدَوْا إلى الحُسْـــنَى كما تَعْـــدُو المُطَهَّـــمَةُ العِرابْ[٤]
كم أُسْـــرَةٍ ضَـاق الرَّجا ءُ بهـا وأَعْيـاها الطِّلابْ
دَقُّـــــوا عليها بابَهـا واللَّيْـــلُ مَسْدُولُ النِّقـابْ[٥]
وتَعـاهَـــــدُوها مِثْلَمـا يَتعاهَـــدُ النَّبْتَ السَّـــحابْ[٦]
وجَمـالُ صُـــنْعِ البِرِّ أَ لَّا يُسْتَشَـــفَّ له حِجـابْ
فَتَحُـــوا المَـــدارِسَ حِسْبَةً وتَنَظَّـــرُوا حُسْنَ المَـآبْ[٧]
فيهـا تَبَيَّنْتُ الهُـــدَى وقَرَأْتُ (فاتِحَـــةَ الكِتَابْ)

---

(١) الشهد : عسل النحل . والصاب : عصارة شجر شديد المرارة ؛ يريد أن العيش حلو فى إقباله ، شديد المرارة فى إدباره .

(٢) يريد « بالفتية » : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية .

(٣) مهدوا لأنفسهم ، أى كسبوا لها خيرا . والزلفى : القربى . والاحتساب : هو أن تقدم عملا صالحا تحتسبه عند الله ، أى تدخره ولا تبغى عليه جزاء من الناس . ويلاحظ أن الوقف هنا بسكون الباء فى آخر البيت على غير الأفصح ، وقد دعت إليه الضرورة .

(٤) عدوا : أسرعوا . والمطهم من الخيل : الذى تم حسنه وبرع فى الجمال . والخيل العراب : الكرائم السالمة من الهجنة .

(٥) يريد بقوله : « مسدول النقاب » : وصف الليل بشدة الظلام . ويصف رجال الجمعية بأنهم يبذلون المعروف فى خفية وتكتم ، وذلك أفضل الإحسان .

(٦) تعاهدوها : تفقدوها بالبذل والمعونة .

(٧) تنظروا : انتظروا وارتقبوا .

وبها صَدَفْتُ عن الضَّلا لة وٱهْتَدَيْتُ إلى الصَّوابْ[1]
وغَدَوْتُ إنْسَاناً تُجَمِّلُه الفضائل لا الثِّيابْ
مُتَبَصِّراً ذا فِطْنَةٍ تَنْفِى القُشُورَ عن اللُّبابْ
(جَمْعِيَّةٌ خَيْرِيَّةٌ) قامَتْ لتَخْفِيف ٱلمُصابْ
قد كان فيها (عَبْدُه) غَوْثاً يُلَبِّى مَنْ أَهابْ[2]
لَمْ يَدْعُ مِسْمَاحاً إلى إنْعاشِها إلاّ أَجابْ[3]
ما غابَ عنها مَرَّةً حتّى تَغَيَّب فى التُّرابْ
و (لِعاصِمٍ) أَثَرٌ بها باقٍ وذِكْرٌ مُسْتَطابْ[4]
قد كان يَحْمِيها كما تَحْمِى مَجاثِمَها ٱلعُقابْ[5]
ثَبَتَتْ وكان ثَباتُها يَدْعُو إلى العَجَب ٱلعُجابْ
والشَّرْقُ أَوْرَثَ أَهْلَه حُبَّ التقَلُّبْ وٱلخِلابْ[6]
فِينا على كَرَمِ الطِّبا عِ ونُبْلِها طَبْعٌ يُعابْ
داءُ التَّوَاكُلِ وهْوَ فى العُمْرانِ داعِيَةُ ٱلخَرابْ

---

(١) صدف عن الضلالة : أعرض عنها .

(٢) يريد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وانظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢ من هذا الجزء . وكان أقوى مؤسسى الجمعية الخيرية وأعظم الداعين إلى إنشائها . وأهاب : دعا .

(٣) المسماح : الكثير السماح .

(٤) يريد « بعاصم » : المرحوم حسن عاصم باشا .

(٥) مجاثم العقاب : مواضعها التى تنزل بها ، الواحد مجثم ؛ يقال : جثم الطائر ، إذا لزم مكانه فلم يبرحه ؛ أو تلبد بالأرض . والعقاب : طائر من الجوارح ، والعرب تسميه الكاسر .

(٦) الخلاب : الخداع .

ثَبَتَتْ لأنّ لها إلى أَعْتابِ مَوْلانا آنْتسابْ[١]
لولا (حُسَيْنٌ) لَمْ تَدُمْ إلّا كما دامَ آلحَبابْ[٢]
اللهُ أَدْرَكَها به بَحْراً مَواردُه عِذابْ
يا واهِبَ الآلافِ كَمْ طَوَّقْتَ بالمِنَنِ الرِّقابْ
لكَ ساحَةٌ عَلَوِيّةٌ ما أَمَّها أَمَلٌ وخابْ[٣]
مَهَّدْتَ للأَخْيارِ مَيْدانَ السِّباقِ إلى الثَّوابْ
لا زِلْتَ فى القُطْرَيْنِ مَحْرُوسَ الأَرِيكَةِ والرِّكابْ[٤]

جمعية إعانة العُميان

قالها فى حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة للعميان الأحداث (بالأوبرا)
فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦م ونشرت فى اليوم التالى

إنّ يومَ آحتِفالِكُمْ زادَ حُسْناً وجَلالاً بيَوْمِ عِيدِ آلجُلُوسِ[٥]
فاقترانُ اليَوْمَيْنِ رَمْزٌ إلى اليُمْـــنِ وبُشْرَى تَسُرُّ رَهْنَ الحُبُوسِ[٦]

(١) يريد بقوله : « مولانا » السلطان حسين ؛ وكان رئيسا لها أيام كان أميرا . والوقف على قوله : « انتساب » بسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير الفصيح ، وهى لغة ربيعة ، فإنهم يقفون على المنون بحذف تنوينه وسكون آخره مطلقا ، أى سواء أكان منصوبا ، كما فى هذا اللفظ ، أم مرفوعا أم مجرورا . ؟

(٢) الحباب : فقاقيع الماء التى تعلوه .

(٣) علوية : نسبة إلى المغفور له ساكن الجنان محمد على باشا جد الأسرة المالكة .

(٤) القطران مصر والسودان . والأريكة : سرير الملك .

(٥) يريد عيد جلوس المغفور له السلطان حسين كامل .

(٦) يريد « برهن الحبوس » أن هذا المكفوف رهين حبس بصره ، وحبس بيته ، وكان أبو العلا المعرى يلقب « برهين المحبسين » .

فكأنّى أشـــيمُ عاطفـــةَ البِـــرِّ عِيَـاناً تَجُولُ بَيْنَ الجُـلُوسِ[1]

وأَرَى فى الوُجُوهِ سِيمَا ٱرتياحٍ وٱبتهـاجٍ لسَعْيِ تِلْكَ العَرُوسِ[2]

إنّ حَقَّ الضَّرِيرِ عِنْدَ ذَوِى الأَبْـــصارِ حَقٌّ مُسْتَوْجِبِ التَّقْدِيسِ

لَمْ يَضِرْه فُقْـدانُه نُورَ عَيْنَيْـــهِ إذا اعْتَـاضَ عَنْهُما بأَنِيسِ

آنِسُوا نَفْسَـه إذا أَظْـلَمَ العَيْـــشُ بِعِلْـمٍ فالعِلْمُ أُنْسُ النُّفُوسِ

وَجِّهُـوه إلى الفَـلاحِ يُفِـدْكُمْ فَوْقَ ما يَسْـتَفِيدُه مِن دُرُوسِ

أَكْمِلُوا نَقْصَه يَكُنْ عَبْقَرِيًّا مِثْلَ (طَهَ) مُبَرِّزًا فى الطُّرُوسِ[3]

كَمْ رَأَيْنَـا مِنْ أَكْمَهٍ لايُجَارَى وضَرِيرٍ يُرْجَى لِيَوْمٍ عَبُوسِ

لَمْ تَقِفْ آفَةُ العُيُونِ حِجَـازًا بَـيْنَ وَثْبـاته وبَيْنَ الشُّمُوسِ

عَـدِمَ الحِسَّ قائِدًا فَحَـداه هَدْيُ وِجْدانِه إلى المَحْسُوسِ

مِثْلُ هٰـذا إذا تَعَـلَّمَ أَغْنَى عَنْ كَثِيرٍ وجاءنَا بالنَّفِيسِ

ذاكَ أنّ الذَّكاءَ والحِفْظَ حَلَّا فى جوارِ النُّهَى بتِلْكَ الرُّءُوسِ

فعَـلَى كلِّ أَكْمَهٍ وبَصِـيرٍ شُكْرُ أَعْضائِكُمْ وشُكْرُ الرَّئِيسِ

---

(١) أشيم أرى وأنظر .

(٢) يريد « بالعروس » : عاطفة البر السابق ذكرها .

(٣) يريد « بطه » : (الدكتور) طه حسين (بك) عميد كلية الآداب الآن . والطروس . وهو الصحيفة يكتب فيها .

ملجأ الحرية

[نشرت فى ١٩ مايو سنة ١٩١٩ م]

أَيُّها الطِّفْلُ لكَ البُشْرَى فقَدْ ... قَدَّرَ اللهُ لنا أَنْ نُنْشَرَا[١]

قَدَّرَ اللهُ حَيَاةً حُرَّةً ... وأَبَى سُبْحانَه أَنْ تُقْبرَا

لا تَخَفْ جُوعًا ولا عُرْيًا وَلَا ... تَبْكِ عَيْنَاكَ إذا خَطْبٌ عَرَا[٢]

لكَ عند البِرِّ فى مَلْجَئِه ... حيثُ تَأْوى خاطِرٌ لَنْ يُكْسرَا[٣]

حيثُ تَلْقَى فيه حَدْبًا وتَرَى ... بين أَتْرابِكَ عَيْشًا أَنْضرا[٤]

لا تُسِئْ ظَنًّا بمُثْرِينَا فَقَدْ ... تابَ عنْ آثامِه واستغْفَرا

كان بالأَمْسِ وأَقْصَى هَمِّه ... — إنْ أَتَى عارِفةً — أن يَظْهَرا[٥]

فَغَدا اليَوْمَ يُواسِى شَعْبَه ... وهْو لا يَرْغَبُ فى أنْ يُشْكَرَا

نَبَّهَت عاطِفةَ البِرِّ به ... مِحْنَةٌ عَمَّتْ ومِقدارٌ جَرَى[٦]

---

(١) ننشر : نحيا ونبعث . جعل ما كان فيه المصريون قبل من إهمال اليتيم وإغفال شأنه كالموت ؛ وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبعثا .

(٢) عرا : ألم ونزل .

(٣) يستعمل « كسر الخاطر » فى إنجال السائل ورده بغير ما كان يؤمل ، وهو استعمال شائع فى كلام عصرنا .

(٤) الحدب (بالتحريك وسكن للشعر) : الف . ويجوز أن يقرأ بالضم بمعنى جماعة العاطفين . وأترابك : لداتك ونظراؤك ، الواحد ترب (بكسر التاء) .

(٥) العارفة : العطية والمعروف .

(٦) المحنة : ما يمتحن به الإنسان من بلية . والمقدار : القدر (بفتح القاف والدال) . ويريد ما شمل الناس من فقر وضيق إذ ذاك .

جَمَعَتْنا فى صَعِيدٍ واحِدٍ ... وأَرادَتْنا على أنْ نُقْهَرا[1]

فتعاهَدْنا على دَفْعِ الأَذَى ... بِرُكوبِ الحَزْمِ حتّى نَظْفَرا

وتَواصَيْنا بصَبْرٍ بَيْنَنا ... فَغَدَوْنا قُوَّةً لا تُزْدَرَى[2]

أَنْشَرَتْ فى مِصْرَ شَعْبًا صالِحًا ... كان قَبْلَ اليَوْمِ مُنْفَكَّ العُرَا[3]

كَمْ مُحِبٍّ هائِمٍ فى حُبِّها ... ذادَ عَنْ أَجْفانِهِ سَرْحَ الكَرَى[4]

وشَبابٍ وكُهُولٍ أَقْسَموا ... أَنْ يَشِيدُوا مَجْدَها فَوْقَ الذُّرَا[5]

يارِجالَ الجِدِّ هٰذَا وقْتُه ... آنَ أَنْ يَعْمَلَ كُلٌّ مَا يَرَى

مَلْجَأً أو مَصْرِفًا أو مصنَعًا ... أو نِقاباتٍ لزُرّاعِ القُرَى

أَنا لا أَعْذِرُ منكُمْ مَنْ وَنَى ... وهْو ذُو مَقْدُرَةٍ أو قَصَّرا[6]

فابْدَءُوا بِالمَلْجَا الحُرِّ الذى ... جِئْتُ للأَيْدِى له مُسْتَمْطِرا

واكْفُلُوا الأَيْتَامَ فيه واعلَمُوا ... أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرَا[7]

---

(١) الضمير فى « جمعتنا » «للمحنة» . ويقال : أراده على الأمر ، وذلك إذا حمله عليه .

(٢) لا تزدرى : لا تحتقر .

(٣) أنشرت : أحيت . ويريد « بالعرا » : صلاة المودة ، الواحدة عروة .

(٤) الضمير فى « حبها » لمصر . وذاد : منع ودفع . والكرى : النوم .

(٥) الذرا : جمع ذروة ، وهى المكان المرتفع .

(٦) ونى : أبطأ .

(٧) كفله يكفله (من باب نصر) : قام بأمره . والفرا : الحمار الوحشى « وكل الصيد فى جوف الفرا » : مثل ؛ وأصله أن ثلاثة خرجوا متصيدين ، فاصطاد أحدهم أرنبا ، والآخر ظبيا ، والثالث حمارا فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبى بما نالا ، وتطاولا على صاحب الحمار . فقال لهما : « كل الصيد فى جوف الفرا » ، أى أن هذا الذى رزقت به وظفرت يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار . ومعنى المثل هنا أن معونة اليتيم تحمل فى ثناياها جميع الأعمال الصالحة .

أيّها المُثْرِى ! ألَا تَكْفُلُ مَنْ ... باتَ مَحْرُومًا يَتِيمًا مُعْسِرا ؟
أنتَ ما يُدْرِيكَ لو أنبَتَّـه ... رُبّمـا أطْلَعْتَ بَدْرًا نَـيِّرا
ربّمـا أطْلَعْتَ (سَعْدًا) آخرًا ... يُحْكِمُ القَوْلَ ويَرْقَى المِنْـبَرا[1]
ربّمـا أطْلَعْتَ منه (عَبْدَه) ... مَنْ حَمَى الدِّينَ وزَانَ (الأَزْهَرا)[2]
ربّمـا أطْلَعْتَ منه شـاعِرًا ... مِثْلَ (شَوْقِى) نابِهًا بَيْنَ الوَرَى
ربّمـا أطْلَعْت منه فارِسًـا ... يَدْخُلُ الغِيلَ على أُسْدِ الشَّرَى[3]
كم طَوَى البُؤْسُ نُفُوسًا لو رَعَتْ ... مَنْبِتًا خِصْبًا لكانت جَوْهَرَا
كم قَضَى العُـدْمُ على مَوْهِبَةٍ ... فتَوارَت تحتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى[4]
كُلُّ مَنْ أَحْيَا يَتِـيمًا ضائِعًا ... حَسْـبُه مِنْ رَبِّه أنْ يُؤْجَرَا
إنَّمـا تُحْمَـدُ عُقْبَى أَمْرِه ... من لأُخْـرَاهُ بدُنْياهُ اشْتَرَى

جمعيـة الطفل

أنشدها فى الحفل الذى أقامته هذه الجمعية فى يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

أيهـا الطِّفْلُ لا تَخَفْ عَنَتَ الدَّهْـ ... ـرِ ولا تَخْشَ عادِياتِ اللَّيَـالِى[5]
قَيَّضَ اللهُ للضَّـعِيفِ نُفُـوسًا ... تَعْشَـقُ البِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الحِجَـالِ[6]

---

(١) يريد المغفور له (سعد زغلول باشا) وكان رئيسا للوفد المصرى إذ ذاك .

(٢) يريد « بعبده » : الإمام محمد عبده (أنظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢ من هذا الجزء) .

(٣) الغيل (بالكسر ويفتح) : الشجر الكثير الملف ، وتأوى إليه الأسود . والشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بآسادها المثل

(٤) العدم : الفقر .

(٥) العنت : المشقة .

(٦) قيض : أتاح . وذوات الحجال ، النساء والحجال : جمع حجلة ، وهى موضع يزين للعروس . ويشير إلى أن تلك الجمعية من السيدات .

أَىْ ذَواتِ الحِجالِ عِشْتُنَّ للـ ـبِرِّ ودُمْتُنَّ قُدْوَةً للرِّجالِ
لم يَكُونوا لِيُدْرِكُوا المَجْدَ لولا كُنَّ أَو يَسْلُكوا سَبِيلَ المَعالى
بَسْمَةٌ تَجْعَلُ الجَبانَ شُجاعًا وتُعِيدُ البَخِيلَ أَكْرَمَ نالِ[1]
وعِظامُ الرِّجالِ مِنْ كلِّ جِنْسٍ فى رضاكُنَّ أَرْخَصُوا كلَّ غالِى
راعَنى مِنْ نُفُوسِكُنَّ جَمالٌ يَتَجَلَّى فى هالَةٍ مِنْ جَلالِ[2]
وجَمالُ النُّفُوسِ والشِّعْرِ والأَخْـ ـلاقِ عِنْدِى أَسْمَى مَجالِى الجَمالِ[3]
قُمْنَ عَلِّمْنَنا المُرُوءَةَ والعَطْـ ـفَ على البائِسِين والسُّؤَّالِ
قُمْنَ عَلِّمْنَنا الحَنانَ على الطِّفْـ ـلِ شَرِيدًا فَرِيسَةَ المُغْتالِ
قد أَجَبْنا نِداءَكُنَّ وجِئْنا نَسْأَلُ القادِرِين بعضَ النَّوالِ
لو مَلَكْنا غيرَ المَقالِ لَجُدْنا إِنَّ جُهْدَ المُقِلِّ حُسْنُ المَقالِ[4]
أَنْقِذُوا الطِّفْلَ إِن فى شِقْوَةِ الطِّفْـ ـلِ شَقاءً لنا على كلِّ حالِ
إِنْ يَعِشْ بائِسًا ولَمْ يَطْوِه البُؤْ سُ يَعِشْ نَكْبَةً على الأَجْيالِ[5]
رُبَّ بُؤْسٍ يُخَبِّثُ النَّفْسَ حَتَّى يَطْرَحَ المَرْءَ فى مَهاوِى الضَّلالِ
أَنْقِذوهُ فَرُبَّما كانَ فيه مُصْلِحٌ أو مُغامِرٌ لا يُبالِى[6]
رُبَّما كانَ تَحْتَ طِمْرَيْه عَزْمٌ ذو مَضاءٍ يَدُكُّ شُمُّ الجِبالِ[7]

---

(١) النال : الجواد الكريم .
(٢) الهالة : دارة القمر .
(٣) مجالى الجمال : أى مظاهره وما يبدو منه .
(٤) المقل : الفقير القليل المال .
(٥) يطويه : يغيبه ويذهب به .
(٦) المغامر : المقاتل الذى لا يبالى الموت .
(٧) الطمر : الثوب الخلق . وشم الجبال : المرتفعة منها . الواحد أشم .

رُبَّ سِرٍّ قد حَلَّ جِسْمَ صَغِيرٍ وتأبَّى على شَديدِ المِحالِ[١]
فخِفافُ الأَفْيالِ أَرْفَقُ وَقْعًا لو تَبَيَّنْتَ مِنْ دَبِيبِ النِّمالِ[٢]
شاعَ بُؤْسُ الأَطْفالِ والبُؤْسُ دَاءٌ — لو أَتِيحَ الطَّبِيبُ — غيرُ عُضالِ[٣]
أَيِّدُوا كلَّ مَجْمَعٍ قامَ للبِرِّ بجَاهٍ يُظِلُّه أَو بِمالِ
كَمْ يَتِيمٍ كادَتْ به البَأْساءُ لولا (رعايَةُ الأَطْفالِ)
ورِجالُ الإِسْعافِ أَنْبَلُ — لولا شَهْوَةُ الحَرْبِ — مِن رجال القِتالِ[٤]
يَسْهَرُونَ الدُّجَى لتَخْفِيفِ ويْلٍ أو بَلاءٍ مُصَوَّبٍ أَو نَكالِ[٥]
كم جَرِيحٍ لولاهُمُ ماتَ نَزْفًا في يدِ الجَهْلِ أَو يَدِ الإِهْمالِ
كم صَرِيعٍ مِنْ صَدمَةٍ أَو صَرِيعٍ مِنْ سُمُومٍ مُخَدَّرِ الأَوْصالِ[٦]
كم حَرِيقٍ قد أَحْجَمَ الناسُ فيه عن ضَحايَا تَئِنُّ تَحْتَ التِّلالِ
يَتَرامَوْنَ في اللَّهِيبِ سِراعًا كتَرامِي القَطَا لِوِرْدٍ الزُّلالِ[٧]
لا لشَيْءٍ سِوَى المُروءَةِ يَحْلُو طَعْمُها في فَمِ المَرِيءِ المُوالِي[٨]
فاصْنَعُوا البِرَّ مُنْعِمِينَ وجُودُوا أَيُّها القادِرُونَ قَبْلَ السُّؤالِ
لانْتِشارِ العُلومِ أو لانْطِواءِ الْـ ـبُؤْسِ والشَّرِّ أو لِتَرْفِيهِ حالِ

---

(١) سر : أى موهبة خفية ونبوغ كامن . وتأبى : امتنع . والمحال : القدرة والقوة .

(٢) يريد بهذا البيت أن النملة على ضآلتها فيها من السر ما ليس للفيل على ضخامته .

(٣) داء عضال : شديد غالب معى .

(٤) يقول : لولا حاجتنا إلى الجند فى الحروب التى لا غنى لنا عنها ، لكان رجال الاسعاف أنبل منهم وأفضل .

(٥) النكال : العذاب .

(٦) يريد « بالسموم » : المخدرات . والأوصال : الأعضاء ، الواحد وصل (بالكسر وبالضم) .

(٧) القطا : جمع قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمامة .

(٨) المرىء : ذو المروءة . والموالى : المناصر المعين .

كلية البنات الأمريكية

قالها فى الحفل الذى أقامته الكلية لتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزات

نشرت فى ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨ م

أَىُّ رِجالَ الدُّنْيا الجَدِيدةِ مَهْلًا قد شَأَوْتُمْ بالمُعْجِزاتِ الرِّجالَا[1]
وفَهِمْتُمْ مَعْنَى الحَياةِ فأَرْصَدْ تُمْ عليها لكلِّ نَقْصٍ كَمالَا[2]
وحَرَصْتُمْ على العُقُولِ فحَرَّمْ تُمْ عَصِيرًا يراه قَوْمٌ حَلالَا[3]
وقَدَرْتُمْ دَقِيقَةَ العُمْرِ حِرْصًا وسِواكُمْ لا يَقْدُرُ الأَجْيالَا
كم أحَالُوا على غَدٍ كلَّ أمْرٍ ومُحِيلُ الأمورِ يَبْغِى المُحالا
قد تَحَدَّيْتُمُ المَنِيَّةَ حتّى هَمَّ أنْ يَغْلِبَ البَقاءُ الزَّوالَا[4]
وطَوَيْتُمْ فَرَاسِخَ الأرْضِ طَيًّا ومَشَيْتُمْ على الهَواءِ اخْتِيالَا
ثمّ سَخَّرْتُمُ الرِّياحَ فسُسْتُمْ حَيْثُ شِئْتُمْ جَنُوبَهَا والشَّمالا
تُسْرِجُونَ الهَواءَ إنْ رُمْتُمُ السَّيْـ ـرَ وفى الأَرْضِ مَنْ يَشُدُّ الرِّحالا[5]

---

(١) الدنيا الجديدة : أميركة . وشأوتم : غلبتم .

(٢) أرصدتم : أى أعددتم .

(٣) يشير بهذا البيت إلى قانون تحريم الخمر الذى كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته .

(٤) تحديتم المنية : أى نازعتموها الغلبة وعارضتموها . ويشير إلى ما فى هذه البلاد من العناية بالشئون الصحية والمستحدثات الطبية ، والاهتداء إلى مداواة بعض الأمراض التى كانت مستعصية العلاج .

(٥) تسرجون الهواء : أى تعدّونه وتهيئونه للركوب كما يسرج الفرس ، أى يشد عليه سرجه ليركب . ويشير بذلك إلى الطائرات . ويريد بقوله « وفى الأرض » الخ : أنه لا تزال فى الأرض أمم متأخرة لم تتحوّل عن جمودها فى الحياة ، ويشد الرحال على ظهور الجمال كعهدها فى العصور الأولى .

وتَخِذْتُمْ مَوْجَ الأَثِيرِ بَرِيداً حِينَ خِلْتُمْ أنّ البُرُوقَ كُسالَى[١]
ثم حاوَلْتُمُ الكَلامَ مع النَّجْمِ فحَمَّلْتُم الشُّعاعَ مَقالاَ
ومَحا (فُورْدُ) آيَةَ المَشْيِ حَتَّى شَرَعَ النّاس يَنْبِذُونَ النِّعالاَ[٢]
وانتَزَعْتُمْ مِنْ كلِّ شبْرٍ بظَهْرِ الأَرْض أو بَطْنِها المُحَجَّبِ مالاَ
وأَقَمْتُمْ فى كلِّ أرْضٍ صُرُوحاً تَنْطَحُ السُّحْبَ شامِخاتٍ طِوالاَ[٣]
وغَرَسْتُمْ للعِلْمِ رَوْضاً أَنِيقاً فوقَ دُنْيَا الوَرَى يَمُدُّ الظِّلالاَ
وحَلَلْتُمْ بأَرْضِنا فَعَرَفْنا كيف تُنْمُونَ بَيْنَنا الأَطْفالاَ
ورَأَيْنَا البَناتِ كَيْفَ يُثَقَّفْنَ بعِلْمٍ يَزِيدُهُنَّ جَمالاَ
لَيْتَ شِعْرِى مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ فى حِمَى اللهِ تُنْبِتُ الأَبْطالاَ
وأَرَى أَهْلَها يُبارُونَكُمْ عِلْماً وَوَثْباً إلى العُلَا ونِضالاَ
قد نَفَضْنَا عَنّا الكَرَى وٱبْتَدَرْنَا فُرَصَ العَيْشِ وٱنْتَقَلْنَا ٱنتِقالاَ[٤]
وعَلِمْنا بأنَّ غَفْلَةَ يَوْمٍ تَحْرِمُ المَرْءَ سَعْيَهُ أَحْوالاَ[٥]
فشَقَقْنا إلى الحَياةِ طَرِيقاً وأَصَبْنَا على الزِّحام مَجالاَ
ونَهَضْنا فى ظِلِّ عَرْشِ (فُؤادٍ) ورَفَعْنا لعَهْدِه تِمْثالاَ
قد أَبَى اللهُ أنْ نَعِيشَ على النا سِ ـ وانْ ضاقَتِ الوُجوهُ ـ عِيالاَ[٦]

---

(١) يشير بهذا البيت إلى الآلات اللاسلكية .

(٢) فورد : صاحب معامل كبيرة للسيارات فى أميركة . ويريد الشاعر أنه قد أكثر منها فى أنحاء العالم حتى يكا الناس لكثرتها وقلة أثمانها ليستغنون بركوبها عن المشى ولبس النعال .

(٣) الصروح : الأبنية العالية .

(٤) ابتدرنا فرص العيش : عالجناها وأسرعنا إليها . والكرى : النوم .

(٥) الأحوال : السنون ، الواحد حول .

(٦) الوجوه : المذاهب .

الأزبكية

كم وارثٍ غَضَّ الشَّباب رَمَيْتِه ... بغَرامِ راقصةٍ وحُبِّ هَلُوك[1]

أَلْبَسْتِه الثَّوْبَيْنِ فى حالَيْهما ... تيهَ الغَنِيِّ وذِلَّةَ المَفْلُوك[2]

نشيد الشبّان المسلمين

أَعيدُوا مَجْدَنا دُنْيَا ودِينَا ... وذُودُوا عن تُرَاثِ المُسْلِمِينا[3]

فَمَنْ يَعْنُو لغَيْرِ الله فينا ... ونحنُ بَنُو الغُزاة الفاتِحِينا[4]

* * *

مَلَكْنَا الأَمْرَ فوق الأرض دَهْرًا ... وخَلَّدْنا على الأيّامِ ذِكْرَى

أَتَى (عُمَرٌ) فأَنْسَى عَدْلَ (كِسْرَى) ... كذلك كان عَهْدُ الرَّاشِدِينَا

* * *

(١) الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال .

(٢) المفلوك : الفقير البائس ؛ وهى تسمية فارسية . قال صاحب كتاب (الفلاكة والمفلوكون) : هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ، ويريدون بها بشهادة مواقع الاستعمال : الرجل غير المحفوظ ، المهمل فى الناس لإملاقه وفقره .

(٣) ذودوا : ادفعوا .

(٤) يعنو : يذل ويخضع .

جَبَيْنَا السُّحْبَ فى عَهْدِ الرَّشيدِ وباتَ النـاسُ فى عَيْشٍ رَغيدِ[1]
وطَوَّقَت العَوارِفُ كلَّ جِيـدِ وكانَ شِـعارُنا رِفْقًا ولِينَـا[2]

سَـلُوا (بَغْدادَ) والإسلامُ دِينٌ أكانَ لها على الدُّنيا قَرين
رِجالٌ للحَـوادِثِ لاتَلِـينُ وعـلَّمَ أيدَ الفَتْـحَ المُبِينا

فلَسْـنا مِنهـمُ والشَّرْقُ عانٍ إذا لَمْ نَحْكِمه عَنَتَ الزَّمانِ[3]
ونَرْفَعُـه إلى أعْـلَى مَكانٍ كما رَفَعُـوه أو نَلْقَى المَنُـونا

غلاء الأسـعار

أيُّهَا المُصْلِحُونَ ضاقَ بِنَـا العَيْـ ـشُ ولَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْـه القِيـامَا
عَزَّتِ السِّـلْعَةُ الذَّلِيـلةُ حَتَّى باتَ مَسْحُ الحذاءِ خَطْبًا جُسامَا[4]
وغَدَا القُوتُ فى يَدِ النّاسِ كالياقُوت حتّى نَوَى الفَقيرُ الصِّيامَا
يَقْطَـعُ اليـومَ طـاوِيا ولَدَيْه دُونَ ريحِ القُتارِ ريحُ الخُزَامَى[5]

---

(١) جبينا السحاب : يريد بسطة الملك وسعة السلطان . ويشير بذلك إلى ما روى عن أحد خلفاء الاسلام حين رأى سحابة سارية فقال ما معناه : امطرى حيث شئت فان ما تنبتينه سيجبى خراجه الينا .

(٢) العوارف : العطايا والمنن ، الواحدة عارفة . والجيد : العنق .

(٣) العانى : الأسير المقيد . وعنت الزمان : مشقته .

(٤) السلعة : المتاع المتجر فيه . والخطب الجسام : العظيم .

(٥) طاويا جائعا . والقتار (بالضم) : ريح الشواء . والخزامى : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نفحة . يقول : إن ريح ذاك الزهر أقل شأنا عنده من ريح الشواء لحاجته إلى الدانى دون الأثول .

ويَخَالُ الرَّغِيفَ فى البُعدِ بَدْرًا ... ويَظُنُّ اللحُومَ صَيْدًا حَرَاما
إنْ أَصابَ الرَّغِيفَ منْ بَعْدِ كَدٍّ ... صاحَ : مَنْ لى بأنْ أُصِيبَ الإداما؟(١)
أيُّها المُصْلِحُون أَصْلَحْتُمُ الأَرْ ... ضَ وبِتُّمْ عن النُّفوسِ نِيامَا
أَصْلِحوا أنفُسًا أَضَرَّ بِهَا الفَقْـ ... ـرُ وأَحْيَا بِمَوْتِهَا الآثامَا
ليس فى طَوْقِها الرَّحِيلُ ولا الجِـ ... ـدُّ ولا أنْ تُواصِلَ الإقْداما
تُؤْثِرُ المَوْتَ فى رُبَا النِّيلِ جُوعًا ... وتَرَى العارَ أنْ تَعافَ المُقاما(٢)
ورجالُ الشَّآمِ فى كُرْهِ الأَرْ ... ضِ يُبارُونَ فى المَسِيرِ الغَماما(٣)
رَكِبُوا البَحْرَ، جاوَزُوا القُطْبَ، فاتُوا ... مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خاضُوا الظَّلاما
يَمْتَطُونَ الخُطُوبَ فى طَلَبِ العَيْـ ... ـشِ ويَبْرُونَ للنِّضَالِ السِّهاما
وبَنُو مِصْرَ فى حِمَى النِّيلِ صَرْعَى ... يَرْقُبُونَ القَضاءَ عامًا فعاما
أيُّها النِّيلُ ! كيف نُمْسِى عطاشًا ... فى بِلادٍ رَوَّيْتَ فيها الأناما ؟
يَرِدُ الواغِلُ الغَرِيبُ فيَرْوَى ... وبَنُوكَ الكِرامُ تَشْكُو الأُواما(٤)
إنَّ لِينَ الطِّباعِ أَوْرَثَنَا الذُّلَّ ... وأَغْرَى بِنا الجُنَاةَ الطَّغاما(٥)
إنَّ طِيبَ المُناخِ جَرَّ علينا ... فى سَبِيلِ الحَياةِ ذاكَ الزِّحاما
أيُّها المُصْلِحُونَ رِفْقًا بقَوْمٍ ... قَيَّدَ العَجْزُ شَيْخَهُمْ والغُلاما

---

(١) الإدام : ما يؤتدم به .
(٢) الربا : مرتفعات الأرض ، الواحد ربوة . وتعاف : تكره .
(٣) يباري : جاراه وفعل مثل فعله .
(٤) الواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم دون أن يدعى . والأوام : شدة العطش .
(٥) الطغام (بالفتح) : أوغاد الناس وأرذالهم .

وأَغيثُوا من الغَلاءِ نُفوسًا قد تَمَنَّتْ مع الغَلاءِ الحماما[١]
أَوْشَكَتْ تأكُلُ الهَبِيدَ منَ الفَقْـ ـر وكادَتْ تذُودُ عنه النَّعاما[٢]
فأَعيدُوا لَنا المُكُوسَ فإِنا قد رأَيْنا المُكُوسَ أَرْخَى زماما[٣]
ضاقَ فى مصْرَ قسْمُنا فاعذرُونا إِنْ حَسَدْنا على الجَلاءِ الشَّآما[٤]
قد شَقينَا — ونَحْنُ كَرَّمنا اللّـ ـهُ — بعَصْرٍ يُكَرِّمُ الأَنْعامَا

أضرحة الأولياء

أَحْياؤُنا لا يُرْزَقُونَ بدرْهَمٍ وبأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الأَمْواتُ
مَنْ لى بحَظِّ النائمين بحُفْرَةٍ قامَتْ على أَحْجَارها الصَّلَواتُ
يَسْعَى الأَنامُ لها ، ويَجْرى حَوْلها بَحْرُ النُّذُورِ ، وتُقْرَأُ الآياتُ
ويُقالُ : هٰذا القُطْبُ بابُ المُصْطَفَى ووَسيلَةٌ تُقْضى بها الحاجاتُ

* * *

(١) الحمام (بكسر الحاء) : الموت .

(٢) الهبيد : حب الحنظل . وتذود : تدفع وتمنع . وخص النعام لأنها تأكل هذا الهبيد .

(٣) المكوس : ضرائب كانت تؤخذ على السلع الواردة لتباع فى المدن ، وكان يتغالى فى فرضها . والزمام : ما تزم به الدابة ، أى تقاد . ويريد بقوله : « أرخى زماما » : أى عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون .

(٤) القسم (بالكسر) : النصيب من الرزق . ويريد « بالجلاء » : انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبا للرزق .

وقال على لسان طفلة :

أَخْشَى مُرَبِّيَتِي إذا طَلَعَ النَّهارُ وأَفْزَعُ
وأَظَلُّ بين صَواحِبِي لِعقابِها أَتَوَقَّعُ
لا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لى وَلَا طُولُ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ
وأَخاف والِدَتِي إذا جَنَّ الظَّلامُ وأَجْزَعُ
وأَبِيتُ أَرْتَقِبُ الجزَا ءَ وأَعْيُنِي لا تَهْجَعُ
ما ضَرَّنِي لو كنتُ أَسْـ ـتَمِعُ الكَلَام وأَخْضَعُ
ما ضَرَّنِي لو صُنتُ أَثْـ ـوابِي فلا تَتَقَطَّعُ
وحَفِظْتُ أَوراقِي بَحَـ ـفَظَتِي فلا تَتَوَزَّعُ
فأَعيشُ آمِنَةً وأَمْـ ـرَعُ فى الهَناءِ وأَرْتَعُ

كان الفراغ من مراجعة الطبعة الثانية لديوان حافظ بجزئه الأول ، ضحى الجمعة ٨ من شعبان سنة ١٣٥٨ هـ (٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٣٩ م) بمدينة بني سويف . و " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت " ٦

محمد مختار يونس

مفتش اللغة العربية بمنطقة مصر الوسطى

المطبعة الأميرية ٤٩٣١ ص ١٩٤٧ — ٧٠٠٠